﴿الجزء السادس﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر﴾
﴿للامام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله﴾

(فهرسة الجزء السادس من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير)

صحيفة	
٢	(سنة خمس وخمسين ومائة)
٢	ذكر عزل العباس بن محمد عن الجزيرة واستعمال موسى بن كعب
٣	ذكر عزل محمد بن سليمان عن الكوفة واستعمال عمرو بن زهير
٣	ذكر عدة حوادث
٣	(سنة ست وخمسين ومائة)
٣	ذكر عصيان أهل اشبيلية على عبد الرحمن الاموى
٤	ذكر الفتنة بافريقية مع الخوارج
٤	ذكر عدة حوادث
٤	(سنة سبع وخمسين ومائة)
٥	(سنة ثمان وخمسين ومائة)
٥	ذكر عزل موسى عن الموصل وولاية خالد بن برمك
٥	ذكر موت المنصور ووصيته
٨	ذكر صفة المنصور وأولاده
٨	ذكر بعض سيرة المنصور
١١	ذكر خلافة المهدى والبيعة له
١٢	ذكر عدة حوادث
١٣	(سنة تسع وخمسين ومائة)
١٣	ذكر الحسن بن ابراهيم بن عبد الله
١٣	ذكر تقدم يعقوب عند المهدى
١٣	ذكر ظهور المقنع بخراسان
١٤	ذكر عدة حوادث
١٤	(سنة ستين ومائة)
١٥	ذكر خروج يوسف البرم
١٥	ذكر خلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادى
١٦	ذكر فتح مدينة باربد
١٦	ذكر رد نسب آل أبي بكرة وآل زياد
١٦	ذكر عدة حوادث
١٧	(سنة احدى وستين ومائة)
١٧	ذكر هلاك المقنع
١٨	ذكر تغير حال أبي عبيد الله
١٨	ذكر عبور الصقلبي الى الاندلس وقتله
١٨	ذكر عدة حوادث
١٩	(سنة اثنتين وستين ومائة)
١٩	ذكر قتل عبد السلام الخارجي
١٩	ذكر عدة حوداث
٢٠	(سنة ثلاث وستين ومائة)
٢٠	ذكر غزو الروم
٢١	ذكر عدة حوادث
٢١	(سنة أربع وستين ومائة)
٢٢	(سنة خمس وستين ومائة)
٢٢	ذكر غزو الروم
٢٢	ذكر عدة حوادث
٢٣	(سنة ست وستين ومائة)
٢٣	ذكر القبض على يعقوب بن داود
٢٤	ذكر عدة حوادث
٢٥	(سنة سبع وستين ومائة)
٢٥	(سنة ثمان وستين ومائة)
٢٦	ذكر الخوارج بالموصل
٢٦	ذكر مخالفة أبي الاسود بالاندلس
٢٦	ذكر عدة حوادث
٢٦	(سنة تسع وستين ومائة)
٢٦	ذكر موت المهدى
٢٧	ذكر بعض سيرته
٢٩	ذكر خلافة الهادى
٣٠	ذكر ظهور الحسين بن على بن الحسن
٣١	ذكر عدة حوادث
٣٢	(سنة سبعين ومائة)

صحيفة	
٣٢	ذكر ما جرى للهادى فى خلع الرشيد
٣٣	ذكر وفاة الهادى
٣٤	ذكر وفاته ومبلغ سنه وصفته وأولاده
٣٤	ذكر بعض سيرته
٣٦	ذكر خلافة الرشيد بن المهدى
٣٦	ذكر عدة حوادث
٣٧	(سنة احدى وسبعين ومائة)
٣٧	ذكر وفاة عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس
٣٧	ذكر امارة ابنه هشام
٣٨	ذكر الصحصح الخارجى
٣٨	ذكر قتل روح بن صالح
٣٨	ذكر استعمال روح بن حاتم على افريقية
٣٨	ذكر عدة حوادث
٣٩	(سنة اثنتين وسبعين ومائة)
٣٩	ذكر خروج جماعة على هشام أيضا
٣٩	ذكر عدة حوادث
٤٠	(سنة ثلاث وسبعين ومائة)
٤٠	(سنة أربع وسبعين ومائة)
٤٠	(سنة خمس وسبعين ومائة)
٤٠	ذكر ظفر هشام بأخويه ومطروح
٤١	ذكر غزاة هشام بالاندلس
٤١	ذكر عدة حوادث
٤١	(سنة ست وسبعين ومائة)
٤١	ذكر ظهور يحيى بن عبد الله بالديلم
٤١	ذكر ولاية عمر بن مهران مصر
٤٣	ذكر الفتنة بدمشق
٤٤	ذكر عدة حوادث
٤٤	(سنة سبع وسبعين ومائة)
٤٤	ذكر غزو الفرنج بالاندلس
٤٥	ذكر استعمال الفضل بن روح بن حاتم على افريقية
٤٥	ذكر ولاية هرثمة بن أعين بلاد افريقية

صحيفة	
٤٦	ذكر الفتنة بالموصل
٤٦	ذكر عدة حوادث
٤٧	(سنة ثمان وسبعين ومائة)
٤٧	ذكر الفتنة بمصر
٤٧	ذكر خروج الوليد بن طريف الخارجى
٤٨	ذكر غزو الفرنج والجلالقة بالاندلس
٤٨	ذكر فتنة تاكرنا
٤٨	ذكر عدة حوادث
٤٨	(سنة تسع وسبعين ومائة)
٤٨	ذكر غزو الفرنج بالاندلس
٤٩	ذكر عدة حوادث
٤٩	(سنة ثمانين ومائة)
٤٩	ذكر وفاة هشام
٤٩	ذكر ولاية ابنه الحكم ولقبه المنتصر
٥٠	ذكر غزو الفرنج بالاندلس
٥٠	ذكر ولاية على بن عيسى خراسان
٥٠	ذكر عدة حوادث
٥١	(سنة احدى وثمانين ومائة)
٥١	ذكر ولاية محمد بن مقاتل افريقية
٥١	ذكر ولاية ابراهيم بن الاغلب افريقية
٥٢	ذكر ولاية عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب افريقية
٥٢	ذكر من خالف بالاندلس على صاحبها
٥٣	ذكر عدة حوادث
٥٣	(سنة اثنتين وثمانين ومائة)
٥٤	(سنة ثلاث وثمانين ومائة)
٥٤	ذكر غزو الخزر بلاد الاسلام
٥٤	ذكر عدة حوادث
٥٥	(سنة أربع وثمانين ومائة)
٥٥	(سنة خمس وثمانين ومائة)
٥٦	(سنة ست وثمانين ومائة)
٥٦	ذكر اتفاق الحكم صاحب الاندلس وعمه عبد الله
٥٦	ذكر حج الرشيد وأمر كتاب ولاية العهد

صحيفة	
٥٧	ذكر عدة حوادث
٥٧	(سنة سبع وثمانين ومائة)
٥٧	ذكر ايقاع الرشيد بالبرامكة
٥٩	ذكر القبض على عبد الملك بن صالح
٦٠	ذكر غزو الروم
٦١	ذكر قتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك
٦١	ذكر ملك الفرغ مدينة نطيلة
٦٢	ذكر ايقاع الحكم بأهل قرطبة
٦٢	ذكر عدة حوادث
٦٢	(سنة ثمان وثمانين ومائة)
٦٣	(سنة تسع وثمانين ومائة)
٦٣	ذكر مسير هرون الرشيد الى الرى
٦٣	ذكر الفتنة بطرابلس الغرب
٦٤	ذكر عدة حوادث
٦٤	(سنة تسعين ومائة)
٦٤	ذكر خلع رافع بن الليث بن نصر بن سيار
٦٤	ذكر فتح هرقلة
٦٤	ذكر عدة حوادث
٦٥	(سنة احدى وتسعين ومائة)
٦٥	ذكر الفتنة من أهل طليطلة وهى وقعة الحفرة
٦٦	ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم وما فعله بأهل قرطبة
٦٦	ذكر غزو الفرغ بالاندلس
٦٦	ذكر عصيان حزم على الحكم
٦٦	ذكر عزل على بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاية هرثمة
٦٧	ذكر عدة حوادث
٦٨	(سنة اثنتين وتسعين ومائة)
٦٨	ذكر مسير الرشيد الى خراسان
٦٨	ذكر عدة حوادث
٦٩	(سنة ثلاث وتسعين ومائة)
٦٩	ذكر موت الفضل بن يحيى

صحيفة	
٦٩	ذكر موت الرشيد
٧٠	ذكر ولاة الامصار أيام الرشيد
٧١	ذكر نسائه وأولاده
٧١	ذكر بعض سيرته
٧٣	خلافة الامين
٧٣	ذكر ابتداء الاختلاف بين الامين والمأمون
٧٤	ذكر عدة حوادث
٧٥	(سنة أربع وتسعين ومائة)
٧٥	ذكر خلاف أهل حمص على الامين
٧٥	ذكر ظهور الخلاف بين الامين والمأمون
٧٨	ذكر خلاف أهل تونس على ابن الاغلب
٧٨	ذكر عصيان أهل ماردة وغزو الحكم بلاد الفرغ
٧٨	ذكر عدة حوادث
٧٩	(سنة خمس وتسعين ومائة)
٧٩	ذكر قطع خطبة المأمون
٧٩	ذكر محاربة على بن عيسى وطاهر
٨١	ذكر توجيه عبد الرحمن بن جبلة
٨٢	ذكر استيلاء طاهر على اعمال الجبل
٨٢	ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة
٨٢	ذكر خروج السفيانى
٨٣	ذكر عدة حوادث
٨٣	(سنة ست وتسعين ومائة)
٨٣	ذكر توجيه الامين الجيوش الى طاهر وعودهم من غير قتال
٨٥	ذكر الفضل بن سهل
٨٥	ذكر عبد الملك بن صالح بن على وموته
٨٦	ذكر خلع الامين والمبايعة للمأمون وعود الامين الى الخلافة
٨٧	ذكر ما فعله طاهر بالاهواز
٨٧	ذكر استيلاء طاهر على واسط وغيرها
٨٨	ذكر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله

صحيفة

بصر صر
٨٨ ذكر البيعة للمأمون بمكة والمدينة
٨٩ ذكر ما فعله الامين
٨٩ ذكر وثوب الجند بطاهر والامين ونزوله ببغداد
٩٠ ذكر الفتنة بافريقية مع أهل طرابلس
٩٠ (سنة سبع وتسعين ومائة)
٩٠ ذكر حصار بغداذ
٩٣ ذكر عدة حوادث
٩٣ (سنة ثمان وتسعين ومائة)
٩٣ ذكر استيلاء طاهر على بغداد
٩٥ ذكر قتل الامين
٩٧ ذكر صفة الامين وعمره وولايته
٩٩ ذكر بعض سيرة الامين
١٠٠ ذكر وثوب الجند بطاهر
١٠١ ذكر خلاف نصر بن سيار بن شبث العقيلي على المأمون
١٠١ ذكر ولاية الحسن بن سهل العراق وغيره من البلاد
١٠١ ذكر وقعة الربط بقرطبة
١٠٢ ذكر الوقعة بالموصل المعروفة بالميدان
١٠٢ ذكر عدة حوادث
١٠٢ (سنة تسع وتسعين ومائة)
١٠٢ ذكر ظهور ابن طباطبا العلوي
١٠٤ ذكر قوة نصر بن شبث العقيلي
١٠٥ ذكر عدة حوادث
١٠٥ (سنة مائتين)
١٠٥ ذكر هرب أبي السرايا
١٠٥ ذكر ظهور ابراهيم بن موسى بن جعفر
١٠٥ ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الافطس بمكة والبيعة لمحمد بن جعفر
١٠٦ ذكر ما فعله ابراهيم بن موسى
١٠٧ ذكر مسير هرثمة الى المأمون وقتله
١٠٧ ذكر وثوب الحربية ببغداد

صحيفة

١٠٨ ذكر الفتنة بالموصل
١٠٨ ذكر الغراة الى الفرنج
١٠٨ ذكر خروج البربر بناحية طرطور
١٠٨ ذكر عدة حوادث
١٠٩ (سنة احدى ومائتين)
١٠٩ ذكر ولاية منصور بن المهدي ببغداد
١١٠ ذكر أمر المتطوعة بالمعروف
١١١ ذكر البيعة لعلي بن موسى عليه السلام بولاية العهد
١١١ ذكر الباعث على البيعة لابراهيم بن المهدي
١١١ ذكر فتح جبال طبرستان والديلم
١١١ ذكر ابتداء أمر بابك الخرمي
١١١ ذكر ولاية زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب افريقية
١١٣ ذكر ما فتحه زيادة الله بن الاغلب من جزيرة صقلية وما كان فيها من الحروب الى ان توفي
١١٦ ذكر عدة حوادث
١١٦ (سنة اثنتين ومائتين)
١١٦ ذكر بيعة ابراهيم بن المهدي
١١٦ ذكر استيلاء ابراهيم على قصر ابن هبيرة
١١٧ ذكر الظفر بسهل بن سلامة
١١٨ ذكر مسير المأمون الى العراق وقتل ذي الرياستين
١١٩ ذكر قتل علي بن الحسين الهمداني
١١٩ ذكر عدة حوادث
١١٩ (سنة ثلاث ومائتين)
١١٩ ذكر موت علي بن موسى الرضا
١١٩ ذكر قبض ابراهيم بن المهدي على عيسى بن محمد
١٢٠ ذكر خلع ابراهيم بن المهدي
١٢٠ ذكر اختفاء ابراهيم بن المهدي
١٢١ ذكر عدة حوادث

صحيفة	
١٣١	(سنة أربع ومائتين)
١٣١	ذكر قدوم المأمون بغداد
١٣٢	ذكر عدة حوادث
١٣٢	(سنة خمس ومائتين)
١٣٢	ذكر ولاية طاهر خراسان
١٣٣	ذكر عدة حوادث
١٣٣	(سنة ست ومائتين)
١٣٣	ذكر ولاية عبد الله بن طاهر الرقة
١٣٨	ذكر موت الحكم بن هشام
١٣٨	ذكر ولاية ابنه عبد الرحمن
١٣٩	ذكر عدة حوادث
١٣٩	(سنة سبع ومائتين)
١٣٩	ذكر خروج عبد الرحمن بن أحمد باليمن
١٣٩	ذكر وفاة طاهر بن الحسين
١٣٠	ذكر ما كان بالاندلس فى هذه السنة
١٣٠	ذكر عدة حوادث
١٣١	(سنة ثمان ومائتين)
١٣١	(سنة تسع ومائتين)
١٣١	ذكر الظفر بنصر بن شبث
١٣٢	ذكر عدة حوادث
١٣٢	(سنة عشر ومائتين)
١٣٢	ذكر ظفر المأمون بابن عائشة
١٣٢	ذكر الظفر بابراهيم بن المهدى
١٣٤	ذكر بناء المأمون ببوران
١٣٤	ذكر مسير عبد الله بن طاهر الى مصر
١٣٥	ذكر فتح عبد الله الاسكندرية
١٣٥	ذكر خلع أهل قم
١٣٥	ذكر ما كان بالاندلس من الحوادث
١٣٦	ذكر عدة حوادث
١٣٦	(سنة احدى عشرة ومائتين)
١٣٦	ذكر قتل السيد بن أنس
١٣٧	ذكر الفتنة بين عامر ومنصور وقتل منصور بافريقية
١٣٧	ذكر عدة حوادث
١٣٧	(سنة اثنتى عشرة ومائتين)
١٣٨	ذكر استيلاء محمد بن حميد على الموصل
١٣٨	ذكر عدة حوادث
١٣٨	(سنة ثلاث عشرة ومائتين)
١٣٩	(سنة أربع عشرة ومائتين)
١٣٩	ذكر قتل محمد الطوسى
١٤٠	ذكر حال ابى دلف مع المأمون
١٤٠	ذكر استعمال عبد الله بن طاهر على خراسان
١٤٠	ذكر عدة حوادث
١٤١	(سنة خمس عشرة ومائتين)
١٤١	ذكر غزوة المأمون الى الروم
١٤١	(سنة ست عشرة ومائتين)
١٤١	ذكر فتح هرقلة
١٤٢	ذكر عدة حوادث
١٤٢	(سنة سبع عشرة ومائتين)
١٤٢	(سنة ثمان عشرة ومائتين)
١٤٣	ذكر المحنة بالقرآن المجيد
١٤٤	ذكر مرض المأمون ووصيته
١٤٥	ذكر وفاة المأمون وعمره وصفته
١٤٦	ذكر بعض سيرته وأخباره
١٤٨	ذكر خلافة المعتصم
١٤٨	ذكر خلاف فضل على زيادة الله
١٤٩	ذكر عدة حوادث
١٤٩	(سنة تسع عشرة ومائتين)
١٤٩	ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوى
١٤٩	ذكر محاربة الزط
١٥٠	ذكر محاصرة طليطلة
١٥٠	ذكر عدة حوادث
١٥٠	(سنة عشرين ومائتين)
١٥٠	ذكر ظفر عجيف بالزط
١٥١	ذكر مسير الافشين لحرب بابك الخرمى
١٥١	ذكر وقعة الافشين مع بابك
١٥٢	ذكر بناء سامرا

صحيفة		صحيفة	
١٥٣	ذكر قبض الفضل بن مروان	١٧٣	ذكر غزاة المسلمين بالاندلس
١٥٣	ذكر عدة حوادث	١٧٣	ذكر عدة حوادث
١٥٤	(سنة احدى وعشرين ومائتين)	١٧٣	(سنة خمس وعشرين ومائتين)
١٥٤	ذكر محاربة بابك	١٧٣	ذكر وصول مازيار الى سامرا
١٥٥	ذكر عدة حوادث	١٧٣	ذكر غضب المعتصم على الافشين وحبسه
١٥٥	(سنة اثنتين وعشرين ومائتين)	١٧٥	ذكر عدة حوادث
١٥٥	ذكر محاربة بابك أيضا	١٧٥	(سنة ست وعشرين ومائتين)
١٥٦	ذكر فتح البذ وأسر بابك	١٧٦	ذكر موت الافشين
١٦١	ذكر استيلاء عبد الرحمن على طليطلة	١٧٦	ذكر وفاة الاغلب وولاية أبي العباس محمد بن الاغلب افريقية وما كان منه
١٦١	ذكر عدة حوادث	١٧٦	ذكر ولاية ابنه أبي ابراهيم أحمد
١٦١	(سنة ثلاث وعشرين ومائتين)	١٧٦	ذكر ولاية أخيه أبي محمد زيادة الله
١٦١	ذكر قدوم الافشين ببابك	١٧٧	ذكر ولاية محمد بن أحمد بن الاغلب
١٦٢	ذكر خروج الروم الى زبطرة	١٧٧	ذكر عدة حوادث
١٦٢	ذكر فتح عمورية	١٧٧	(سنة سبع وعشرين ومائتين)
١٦٥	ذكر حبس العباس بن المأمون	١٧٧	ذكر خروج المبرقع
١٦٧	ذكر وفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب وابتداء ولاية أخيه الاغلب	١٧٨	ذكر وفاة المعتصم
١٦٧	ذكر عدة حوادث	١٧٨	ذكر بعض سيرته
١٦٨	(سنة أربع وعشرين ومائتين)	١٧٩	ذكر خلافة الواثق بالله
١٦٨	ذكر مخالفة مازيار بطبرستان	١٧٩	ذكر الفتنة بدمشق
١٧١	ذكر عصيان منكجور وقرابة الافشين	١٨٠	ذكر عدة حوادث
١٧٢	ذكر ولاية عبد الله الموصل وقتله		

فهرسة مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي الذي بهامش هذا الجزء

صحيفة

٢ ذكر الحكمين وبدء التحكيم

٢٠ ذكر حروبه رضي الله عنه مع أهل النهروان وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه والاشتر النخعي وغير ذلك

٣٠ ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٤٣ ذكر لمع من كلامه وأخباره وزهده رضوان الله عليه

٥٤ ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٥٥ ذكر لمع من أخباره وسيره رضي الله عنه

٦٣ ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان

٦٣ ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله

١٠٣ ذكر جمل من أخلاقه وسياسته وطرائف من عيون أخباره

١٢٩ ذكر الصحابة ومدحهم وعلي والعباس وفضلهما

١٣١ ذكر أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

١٣٢ ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ومن قتل معه من أهل بيته وشيعته

١٤٢ ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١٤٤ ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله

١٥٣ ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبي عبيد الله وعبد الله ابن الزبير ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان في أيامهم

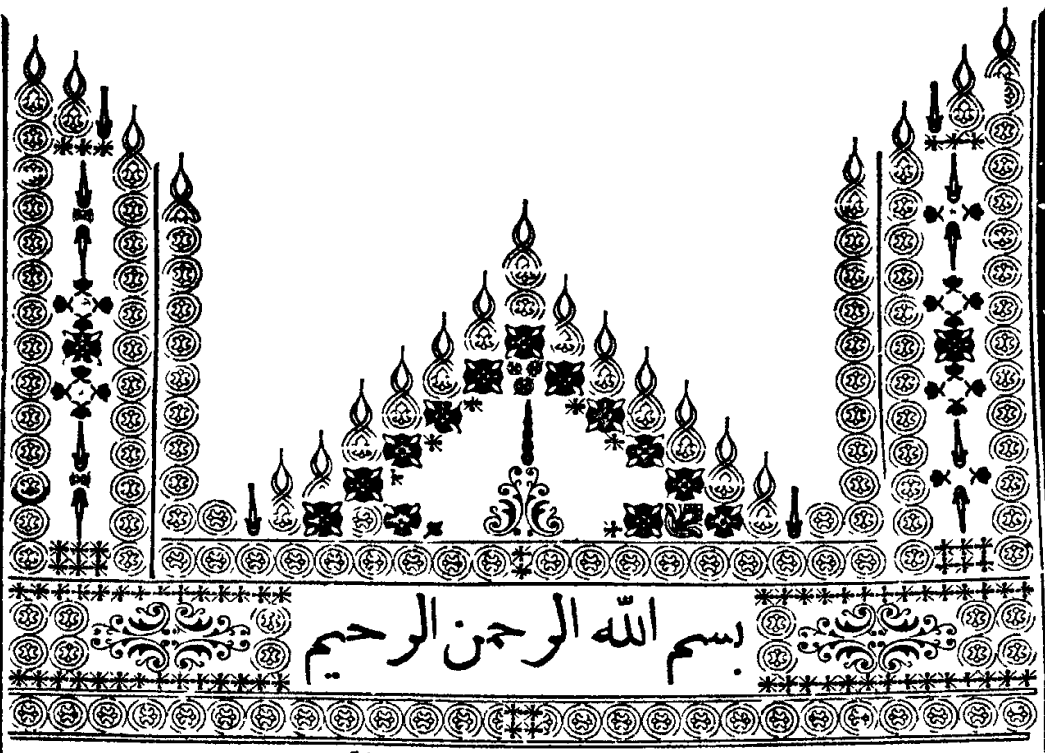

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة﴾

فيها دخل يزيد بن حاتم افريقية وقتل اباحاتم وملك القيروان وسائر العرب وقد تقدم ذكر مسيره وحروبه مستقصى وفيها سير المنصور المهدى لبناء الرافقة فسار اليها فبناها على بناء مدينة بغداد وعمل للكوفة والبصرة سورا وخندقا وجعل ما انفق فيه من الاموال على اهلها ولما اراد المنصور معرفة عددهم أمر ان يقسم فيوم خمسة دراهم خمسة دراهم فلما علم عددهم أمر بجبايتهم اربعين درهما لكل واحد فقال الشاعر

يا قوم ما لقينا * من امير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا * وجبانا الاربعينا

وفيها طلب ملك الروم الصلح الى المنصور على ان يؤدى الجزية وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمى وعزل عبد الملك بن ايوب بن ظبيان عن البصرة واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكى

﴿ذكر عزل العباس بن محمد عن الجزيرة واستعمال موسى بن كعب﴾

وفيها عزل المنصور اخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغضب عليه وغرمه مالا فلم يزل ساخطا عليه حتى غضب على عمه اسمعيل بن على فشفع فيه عمومة المنصور وضيقوا عليه حتى رضى عنه فقال عيسى بن موسى للمنصور يا أمير المؤمنين أرى آل على بن عبد الله وان كانت نعمك عليهم سابغة أنهم يرجعون الى الحسد لنا فمن ذلك انك غضبت على اسمعيل بن على منذ ايام فضيقوا عليك حتى رضيت عنه وانت غضبان على اخيك العباس منذ كذا وكذا فما كلمك فيه احد منهم فرضى عنه وكان المنصور قد استعمل العباس على الجزيرة بعد يزيد بن اسيد فشكا يزيد منه وقال انه اساء عزلى وشتم عرضى فقال له المنصور اجمع بين احسانى واساءته يعتدلا فقال له يزيد بن اسيد اذا كان احسانكم جزاء لاساءتكم كانت طاعتنا تفضلا منا عليكم ولما عزل المنصور اخاه عن الجزيرة استعمل عليها موسى بن كعب

﴿ذكر الحكمين وبدء التحكيم﴾

كان ابو موسى الاشعرى يحدث قبل وقعة صفين ويقول ان الفتن لم تزل فى بنى اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بالارضى بهما من اتبعهما فقال سويد ابن علقمة اياك ان ادركت ذلك الزمان ان تكون أحد الحكمين قال أنا قال نعم أنت فكان يخلع قميصه ويقول لاجعل الله لى اذا فى السماء مصعدا ولا فى الارض مقعدا فلقيه سويد ابن علقمة بعد ذلك فقال يا ابا موسى اتذكر مقالتك قال بل ربك العافية وكان فيما كتب فى الصحيفة ان يحيى الحكمان ما أحيا القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنان فى شئ من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما برآء وقال ع على للحكمين حين أكره على أمرهما ورد الاشتر وكان قد أشرف فى ذلك اليوم على الفتح فاخبره مخبر بما قالوا فى على وانه لم يرده سلم الى معاوية وفعل به ما فعل يا ابن عفان فانصرف الاشتر خوفا على على ع ان تحكما بما فى كتاب الله وكتاب الله كله لى فان لم

﴿ (ذكر عزل محمد بن سليمان عن الكوفه واستعمال عمرو بن زهير) ﴾

وفيها عزل محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن الكوفة واستعمل عليها عمرو بن زهير الضبي اخا المسيب بن زهير وقيل انما عزل سنة ثلاث وخمسين وكان عزله لاسباب بلغته عنه منها انه قتل عبد الكريم بن أبي العوجاء وكان قد حبسه على الزندقة وهو خال معن بن زائدة الشيباني فكثر شفعاؤه عند المنصور ولم يتكلم فيه الا طنين منهم فكتب الى محمد بن سليمان بالكف عنه الى أن يأتيه رأيه وكان ابن أبي العوجاء قد أرسل الى محمد بن سليمان يسأله أن يؤخره ثلاثة أيام ويعطيه مائة ألف فلما ذكر لمحمد أمر بقتله فلما أيقن انه مقتول قال والله لقد وضعت أربعة آلاف حديث حللت فيها الحرام وحرمت فيها الحلال والله لقد فطرتكم يوم صومكم وصومتكم يوم فطركم فقتل وورد كتاب المنصور الى محمد يأمره بالكف عنه فوصل وقد قتله فلما بلغ قتله المنصور غضب وقال والله لقد هممت ان أقيده به ثم احضر عمه عيسى بن علي وقال له هذا عملك أنت اشرت بتولية هذا الغلام الغر قتل فلانا بغير أمري وقد كتبت بعزله وتهديده فقال له عيسى ان محمدا انما قتله على الزندقة فان كان اصاب فهو لك وان أخطأ فعليه واثن عزلته على أثر ذلك ليذهبن بالثناء والذكر ولترجعن بالمقالة من العامة عليك فمزق الكتاب

﴿ (ذكر عدة حوادث) ﴾

في هذه السنة انكرت الخوارج الصفرية المجتمعة بمدينة سجلماسة على اميرهم عيسى بن جرير أشياء فشدوه وثاقا وجعلوه على رأس الجبل فلم يزل كذلك حتى مات. وقدموا على انفسهم ابا القاسم سمكو بن واسول المكناسي جد مدرار وفيها ولد ابو سنان الفقيه المالكي بمدينة القيروان من افريقية وفيها عزل الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عن المدينة واستعمل عليها عمه عبد الصمد بن علي وكان على مكة والطائف محمد بن ابراهيم وعلى الكوفة عمرو بن زهير وعلى البصرة الهيثم بن معاوية وعلى مصر محمد بن سعيد وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى الموصل خالد ابن برمك وقيل موسى بن كعب بن سفيان الخثعمي وفي هذه السنة مات مسعر بن كدام الكوفي الهلالي

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة ﴾

﴿ (ذكر عصيان اهل اشبيلية على عبد الرحمن الاموي) ﴾

في هذه السنة سار عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس الى حرب شقنا وقصد حصن شيطران فحصره وضيق عليه فهرب الى المفازة كعادته وكان قد استخلف على قرطبة ابنه سليمان فاتاه كتابه يخبره بخروج أهل اشبيلية مع عبد الغفار وحيوة بن ملابس عن طاعته وعصيانهم عليه واتفق مرورهما من اليمانية معهما فرجع عبد الرحمن ولم يدخل قرطبة وهاله ما سمع من اجتماعهم وكثرتهم فقدم ابن عمه عبد الملك بن عمر وكان شهاب آل مروان وبقي عبد الرحمن خلفه كالمدد له فلما قارب عبد الملك أهل اشبيلية قدم ابنه أمية ليعرف حالهم فرآهم مستيقظين فرجع الى أبيه فلامه أبوه على اظهار الوهن وضرب عنقه وجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم طردنا من المشرق الى أقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقى الرمق اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر ففعلوا وحمل بين أيديهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية فلم تقم بعدها لليمانية قائمة وجرح عبد الملك وبلغ الخبر الى عبد الرحمن فاتاه وجرحه يجري دما وسيفه

تحكما بما في كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل الى شهر رمضان على اجتماع الحكمين في موضع بين الكوفة والشام وكان الوقت الذي كتبت فيه الصحيفة لاربع بقين من صفر سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا الشهر منها وامر الاشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس لبني تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة بن الزبير التميمي وهو اخو بلال الخارجي فقرأها عليهم فجرى بين الاشعث وبين اناس منهم خطب طويل واب الاشعث كان بدء هذا الامر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى امر الله وقال عروة بن أدية أتحكمون في دين الله وأمره ونهيه الرجال لا حكم الا لله فكان أول من قالها وحكم بها وقد تنوزع في ذلك وشد بسيفه على الاشعث فغنم فرسه عن الضربة فوقعت في عجز الفرس ونجا الاشعث وكادت العصبية ان تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم في الديانة والتحكيم وفي فعل عروة بن أدية بالاشعث يقول رجل من بني تميم في ابيات

يقطر دما وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبله بين عينيه وجزاه خيرا وقال يا ابن عم قد انكحت ابنى وولى عهدى هشاما ابنتك فلانة واعطيتها كذا وكذا وأعطيتك كذا وأولادك كذا واقطعتك واياهم وليتكم الوزارة وعبد الملك هذا هو الذى الزم عبد الرحمن بقطع خطبة المنصور وقال له اقطعها والا قتلت نفسى وكان قد خطب له عشرة أشهر فقطعها وكان عبد الغفار وحيوة بن ملابس قد سلما من القتل فلما كانت سنة سبع وخمسين ومائة سار عبد الرحمن الى أشبيلية فقتل خلقا كثيرا ممن كان مع عبد الغفار وحيوة ورجع وبسبب هذه الوقعة وغش العرب مال عبد الرحمن الى اقتناء العبيد

﴿ ذكر الفتنة بافريقية مع الخوارج ﴾

قد ذكرنا هرب عبد الرحمن بن حبيب الذى كان ابوه امير افريقية مع الخوارج واتصاله بكتامة وتسييره يزيد بن حاتم اميرا فريقية العسكر فى أثره وانهم قاتلوا كتامة فلما كانت هذه السنة سير يزيد عسكرا آخر مدد اللذين يقاتلون عبد الرحمن فاشتد الحصار على عبد الرحمن فمضى هاربا وفارق مكانه فعادت العساكر عنه ثم ثار فى هذه السنة على يزيد بن حاتم ابو يحيى بن فانوس الهوارى بناحية طرابلس فاجتمع عليه كثير من البربر وكان بها عسكر ليزيد بن حاتم مع عامل البلد فخرج العامل والجيش معه فالتقوا على شاطئ البحر من ارض هوارة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أبو يحيى ابن فانوس وقتل عامة أصحابه وسكن الناس بافريقية وصفت ليزيد بن حاتم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ظفر الهيثم بن معاوية عامل البصرة بعمرو بن شداد الذى كان عامل ابراهيم بن عبد الله على فارس وسبب ظفره به انه ضرب غلاما له فاتى الهيثم فدله عليه فاخذه فقتله وصلبه بالمربد وفيها عزل الهيثم عن البصرة واستعمل سوار القاضى على الصلاة مع القضاء واستعمل سعيد بن دعلج على شرط البصرة وأحداثها واما وصل الهيثم الى بغداد مات بها وصلى عليه المنصور وفيها غزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالى وحج بالناس العباس بن محمد بن على وكان على مكة محمد بن ابراهيم الامام وعلى الكوفة عمرو بن زهير وعلى الاحداث والجوالى والشرط بالبصرة سعيد بن دعلج وعلى الصلاة والقضاء سوار بن عبد الله وعلى كور دجلة والاهواز وفارس عمارة ابن حمزة وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر محمد بن سعيد وفيها سخط عبد الرحمن الاموى على مولاه بدر لفرط ادلاله عليه ولم يرع حق خدمته وطول صحبته وصدق مناصحته فاخذ ماله وسلبه نعمته ونفاه الى الثغر فبقى به الى ان هلك وفيها مات عبد الرحمن ابن زياد بن انعم قاضى افريقية وقد تكلم الناس فى حديثه وفيها توفى حمزة بن حبيب الزيات المقرئ احد القراء السبعة

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة ﴾

فى هذه السنة بنى المنصور قصره الذى يدعى الخلد وفيها حول المنصور الاسواق الى الكرخ وغيره وقد تقدم سبب ذلك واستعمل سعيد بن دعلج على البحرين فانفذ اليها ابنه تميما وعرض المنصور جنده فى السلاح وجلس لذلك وخرج هولا بساد رعا بيضة وفيها مات عامر بن اسمعيل المسلى وصلى عليه المنصور وتوفى سوار بن عبد الله قاضى البصرة واستعمل مكانه عبيد الله ابن الحسن بن الحصين العنبرى وعزل محمد بن سليمان الكاتب عن مصر واستعمل مولاه مطرا واستعمل معبد بن الخليل على السند وعزل هشام بن عمرو وغزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمى

فوجه

عمرو يا عمرو كل فتنة قوم سلفت انما تكون فتنيه ثم تمنى ويعظم الخطب فيها فاحذرن غب ما أتيت عربه أعلى الا شعث المعصب بالتا ج حملت السلاح يا ابن أديه انها فتنة كفتنة ذى الجد ل أيا عمرو العصا والعصيه فانظر اليوم ما يقول على واتبعه فذاك خير البريه وقد تنوزع فى مقدار من قتل من أهل الشام والعراق بصفين فذكر أحمد بن الدورقى عن يحيى ابن معين ان عدة من قتل بهاس الفريقين فى مائة يوم وعشره أيام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس من أهل الشام تسعون ألفا ومن أهل العراق عشرون ألفا ونحن نذهب الى ان عدد من حضر الحرب من أهل الشام بصفين أكثر مما قيل فى هذا الباب وهو خمسون ومائة ألف مقاتل سوى الخدم والاتباع وعلى هذا يجب أن يكون مقدار القوم جميعا من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة ألف بل أكثر من ذلك لان أقل من فيهم معه واحد يخدمه وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والاتباع وأكثر من ذلك

فوجه سنانا مولى البطال الى حمص فسبى وغنم وقيل انما غزا الصائفة زفر بن عاصم وحج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وكان على مكة وقيل كان عليها عبد الصمد بن على وعلى الامصار من ذكرنا وفيها قتل المنصور يحيى بن زكريا المحتسب وكان يطعن على المنصور ويجمع الجماعات فيما قيل وفيها مات عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وقيل سنة ثمان وخمسين وفى سنة سبع وخمسين مات الاوزاعى الفقيه واسمه عبد الرحمن بن عمرو وله سبعون سنة ومصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام جد لزبير بن بكار وفيها أخرج سليمان بن يقظان الكلبى قارله ملك الافرنج الى بلاد المسلمين من الاندلس والقيه بالطريق وسار معه الى سرقسطة فسبقه اليها الحسين بن يحيى الانصارى من ولد سعد بن عبادة وامتنع بها فاتهم قارله ملك الافرنج سليمان فقبض عليه وأخذه معه الى بلاده فلما أبعد من بلاد المسلمين وأطمأن هجم عليه مطروح وعيشون ابنا سليمان فى أصحابهما فاستنقذا أباهما ورجعا به الى سرقسطة ودخلوا مع الحسين ووافقوا على خلاف عبد الرحمن

﴿ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة﴾

﴿(ذكر عزل موسى عن الموصل وولاية خالد بن برمك)﴾

فى هذه السنة عزل المنصور موسى بن كعب عن الموصل وكان قد بلغه عنه ما استخطه عليه فامر ابنه المهدى ان يسير الى الرقة واظهر أنه يريد بيت المقدس وأمره أن يجعل طريقه على الموصل فاذا صار بالبلد أخذ موسى وقيده واستعمل خالد بن برمك وكان المنصور قد ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم وأجله ثلاثة أيام فان أحضر المال والا قتله فقال لابنه يحيى يابنى الق اخواننا عمارة بن حمزة ومباركا التركى وصالحا صاحب المصلى وغيرهم وأعلمهم حالنا فال يحيى فاتيتهم فمنهم من منعنى من الدخول عليه ووجه المال ومنهم من تجهمنى بالرد ووجه المال قال فاتيت عمارة ابن حمزة ووجهه الى الحائط فما أقبل به على فسلمت فرد رد اضعيفا وقال كيف أبوك فعرفته الحال وطلبت قرض مائة ألف فقال ان أمكننى شئ فسيأتيك فانصرفت وانا العنه من تيهه وحدثت أبى بحديثه وادقد أنفذ المال قال فجمعنا فى يومين ألفى ألف وسبعمائة ألف وبقى ثلثمائة ألف تبطل الجميع بتعذرها قال فعبرت على الجسر وأنا مهموم فوثب الى زاجر فقال فرح الطائر أخبرك فطويته فلحقنى وأخذ بلجام دابتى وقال لى أنت مهموم ووالله لتفرحن ولتمرن غدا فى هذا الموضع واللواء بين يديك فعجبت من قوله فقال ان كان ذلك فلى عليك خمسة آلاف درهم فقلت نعم وأنا أستبعد ذلك ووردعلى المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الاكراد بها فقال من لها فقال المسيب بن زهير عندى رأى أعلم أنك لا تقبله منى وأعلم انك ترده على ولكنى لا أدع نصحك قال قل قلت ما لها مثل خالد بن برمك قال فكيف يصلح لنا بعد ما فعلنا قال انما قومته بذلك وأنا الضامن له قال فليحضر فى غد افاحضره فصفح له عن الثلثمائة ألف الباقية وعقد له وعقد لابنه يحيى على اذربيجان فاجتاز يحيى بالزاجر فاخذه معه وأعطاه خمسين ألف درهم وأنفذ خالدا الى عمارة بالمائة ألف التى أخذها منه مع ابنه يحيى فقال له صيرفيا كنت لابيك قم عنى لا قمت فعاد بالمال وسار مع المهدى فعزل موسى بن كعب وولاها فلم يزل خالد على الموصل وابنه يحيى على اذربيجان الى ان توفى المنصور فذكر أحمد بن محمد بن سوار الموصلى ما هبنا أمير اقط هيبتنا خالدا من غير أن يشتد علينا ولا هيبة كانت له فى صدورنا

﴿(ذكر موت المنصور ووصيته)﴾

واهل العراق كانوا فى عشرين ومائة الف مقاتل دون الاتباع والخدم واما الهيثم بن عدى الطائى وغيره مثل الشرقى بن القطامى وابى مخنف لوط ابن يحيى فذكروا ما قدمنا وهو ان جملة من قتل من الفريقين جميعا سبعون الفا من أهل الشام خمسة وأربعون الفا ومن اهل العراق خمسة وعشرون الفا فهم خمسة وعشرون بدريا وان العدد كان يقع بالقضيب والاحصاء للقتلى فى كل وقعة وتحصيل هذا يتفاوت لان فى قتلى الفريقين من يعرف ومن لا يعرف وفيهم من غرق وفيهم من قتل فى البر فاكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء وغير ذلك مما دعا ما وصفنا وسمعت امرأة بصفين وقد قتل لها ثلاثة أولاد وهى تقول

أعينى جودا بدمع سرب
على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير جنى النفوس
بأى امرئ من قريش غلب

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعا يتبرأ الاخ من أخيه والابن من أبيه وأمر على بالرحيل لعلمه

وفى هذه السنة توفى المنصور لست خلون من ذى الحجة ببئر ميمون وكان على ما قيل قد هتف به هاتف من قصره فسمعه يقول

أما ورب السكون والحركة * ان المنايا كثيرة الشرك
عليك يا نفس ان أسأت وان * أحسنت بالقصد كل ذاك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك
الا بنقل السلطان عن ملك * اذا انتهى ملكه الى ملك
حتى يصير به الى ملك * ما عز سلطانه بمشترك
ذاك بديع السماء والارض والـ * ـمرسى الجبال المسخر الفلك

فقال المنصور هذا أوان أجلى قال الطبرى وقد حكى عبد العزيز بن مسلم انه قال دخلت على المنصور يوما اسلم عليه فاذا هو باهت لا يحير جوابا فوثبت لما أرى منه لانصرف فقال بعد ساعة انى رأيت فى المنام كان رجلا ينشدنى هذه

أأخى خفض من عناكا * فكأن يومك قد أتاكا
ولقد أراك الدهر من * تصريفه ما قد أراكا
فاذا أردت الناقص الـ * ـعبد الذليل فانت ذاكا
ملكت ما ملكته * والامر فيه الى سواكا

هذا الذى ترى من قلقى وغمى لما سمعت ورأيت فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين فلم يلبث ان خرج الى مكة فلما سار من بغداد ليحج نزل قصر عبدويه فانقض فى مقامه هنالك كوكب لثلاث بقين من شوال بعد اضاءة الفجر فبقى اثره بينا الى طلوع الشمس فاحضر المهدى وكان قد صحبه ليودعه فوصاه بالمال والسلطان يفعل ذلك كل يوم من أيام مقامه بكرة وعشية فلما كان اليوم الذى ارتحل فيه قال له انى لم أدع شيأ الا وقد تقدمت اليك فيه وسأوصيك بخصال وما أظنك تفعل واحدة منها وكان له سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره فقال للمهدى انظر الى هذا السفط فاحتفظ به فان فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة فان أحزنك امر فانظر فى الدفتر الكبير فان أصبت فيه ما تريد والا ففى الثانى والثالث حتى بلغ سبعة فان ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فانك واجد فيها ما تريد وما أظنك تفعل وانظر هذه المدينة واياك ان تستبدل بها غيرها وقد جمعت لك فيها من الاموال ما ان كسر عليك الخراج عشر سنين كفاك لارزاق الجند والنفقات والذرية ومصلحة البعوث فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا وما أظنك تفعل وأوصيك باهل بيتك ان تظهر كرامتهم وتحسن اليهم وتقدمهم وتوطئ الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فان عزك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل وانظر موالينا فاحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فانهم ما دامت لشدتك ان نزلت بك وما أظنك تفعل وأوصيك باهل خراسان خيرا فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم فى دولتك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم وتخلف من مات منهم فى أهله وولده وما أظنك تفعل واياك ان تبنى مدينة الشرقية فانك لا تتم بناءها وأظنك ستفعل واياك ان تستعين برجل من بنى سليم وأظنك ستفعل واياك ان تدخل النساء فى أمرك وأظنك ستفعل وقيل قال له انى ولدت فى ذى الحجة وليت فى ذى الحجة وقد همس فى نفسى أنى اموت فى ذى الحجة من هذه السنة وانما حدانى على الحج ذلك فاتق الله فيما اعهد اليك من امور

باختلاف الكلمة وتفاوت الرأى وعدم النظام لامورهم وما لحقه من الخلاف منهم وكثرة التحكيم فى جيش اهل العراق وتضارب القوم بالمقارع ونمال السيوف وتسابوا ولام كل فريق منهم الآخر فى رأيه وسار على يوم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده ولما دخل على رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفا من القراء وغيرهم فلحقوا حروراء قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء اليشكرى من بكر بن وائل فخرج على اليهم وكانت له معهم مناظرات فدخلوا جميعا الكوفة وانما سموا الحرورية لاجتماعهم فى هذه القرية وانحيازهم اليها وقد ذكر يحيى بن معين قال حدثنا وهب بن جابر ابن حازم عن الصلت بن بهرام قال لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية

المسلمين بعدى يجعل لك فيما كربك وحزنك فرجا ومخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب يابنى احفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى امته يحفظك الله ويحفظ عليك امورك واياك والدم الحرام فانه حوب عند الله عظيم وعار فى الدنيا لازم مقيم والزم الحدود فان فيها خلاصك فى الآجل وصلاحك فى العاجل ولا تعتد فيها فتبور فان الله تعالى لو علم ان شيأ اصلح منها لدينه وازجر عن معاصيه لامر به فى كتابه (واعلم) ان من شدة غضب الله لسلطانه أنه أمر فى كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى فى الارض فسادا مع ماذخر له من العذاب العظيم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا او يصلبوا الآية فالسلطان يابنى حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه القيم فاحفظه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين فيه واقمع المارقين منه واقتل الخارجين عنه بالعقاب ولا تجاوز ما أمر الله به فى محكم القرآن واحكم بالعدل ولا تشطط فان ذلك اقطع للشغب واحسم للعدو وأنجع فى الدواء وعف عن الفيء فليس بك اليه حاجة مع ماخلفه الله لك وافتح بصلة الرحم وبر القرابة واياك والاثرة والتبذير لاموال الرعية واشحن الثغور واضبط الاطراف وأمن السبل وسكن العامة وأدخل المرافق عليهم وادفع المكاره عنهم وأعد الاموال واخزنها واياك والتبذير فان النوائب غير مأمونة وهى من شيم الزمان وأعد الكراع والرجال والجند ما استطعت واياك وتأخير عمل اليوم الى الغد فيتدارك عليك الامور وتضيع جد فى احكام الامور النازلات لاوقاتها اولا واجتهد وشمر فيها وأعد رجالا بالليل لمعرفة مايكون بالنهار ورجالا بالنهار لمعرفة مايكون بالليل وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل واستعمل حسن الظن وأسئ الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من تثبت على بابك وسهل اذنك للناس وانظر فى أمر من ينزع اليك وكل بهم عينا غير نائمة ونفسا غير لاهية ولا تنم واياك فان أبالك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه الغمض الا وقلبه مستيقظ هذه وصيتى اليك والله حليفتى عليك ثم ودعه وبكى كل واحد منهما الى صاحبه ثم سار الى الكوفة وجمع بين الحج والعمرة وساق الهدى وأشعره وقلده لايام خلت من ذى القعدة فلما سار منازل من الكوفة عرض له وجعه الذى مات به وهو القيام فلما اشتد وجعه جعل يقول للربيع بادرنى حرم ربى هار بامن ذنوبى وكان الربيع عديله ووصاه بما اراد فلما وصل الى بئر ميمون مات بها مع السحر لست خلون من ذى الحجة ولم يحضره عند وفاته الا خدمه والربيع مولاه فكتم الربيع موته ومنع من البكاء عليه ثم اصبح فحضر اهل بيته كما كانوا يحضرون وكان اول من دعاه عمه عيسى بن على فمكث ساعة ثم اذن لابن اخيه عيسى ابن موسى وكان فيما خلا يقدم على عيسى بن على ثم اذن للاكابر وذوى الاسنان منهم ثم لعامتهم فبايعهم الربيع للمهدى ولعيسى بن موسى بعده على يدى موسى الهادى بن المهدى فلما فرغ من بيعة بنى هاشم بايع القواد وبايع عامة الناس وسار العباس بن محمد ومحمد بن سليمان الى مكة ليبايعا لناس فبايعوا بين الركن والمقام واشتغلوا بتجهيز المنصور ففرغوا منه العصر وكفن وغطى وجهه وبدنه وجعل رأسه مكشوفا لاجل احرامه وصلى عليه عيسى بن موسى وقيل ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ودفن فى مقبرة المعلاة وحفروا له مائة قبر ليعموا على الناس ودفن فى غيرها ونزل فى قبره عيسى بن على وعيسى بن محمد والعباس بن محمد والربيع والريان مولياه ويقطين وكان عمره ثلاثا وستين سنة وقيل اربعا وستين وقيل ثمانيا وستين سنة فكانت

لاحكم الا لله فيقول حكم الله أنتظر فيكم فيقولون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فيقول على فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها على ما قدمنا فى وصف التنازع فى ذلك وبعث على عبد الله ابن العباس وشريح بن هانئ الهمدانى فى اربعمائة رجل فيهم أبو موسى الاشعرى وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن السمط فى اربعمائة فلما تدانى القوم من الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لابى موسى ان عليا لم يرض بك حكما لفضل غيرك والمتقدمون عليك كثير وان الناس ابو اغير ك وانى لا ظن ذلك لشر يرادبهم وقد ضم داهية العرب معك ان نسيت فلا تنس أن عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة وليس فى معاوية خصلة تقربه من الخلافة ووصى

معاوية عمرا حين فارقه وهو يريد الاجتماع بابي موسى فقال يا أبا عبد الله ان أهل العراق قد أكرهوا علينا علي أبي موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأي فاخذ الجد وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله ووافاهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن يغوث الزهري والمغيرة ابن شعبة الثقفي وغيرهم وهؤلاء ممن قعد عن بيعة علي في آخرين من الناس وذلك في شهر رمضان فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو لابي موسى تكلم وقل خيرا فقال أبو موسى بل تكلم أنت يا عمرو فقال عمرو ما كنت لافعل وأقدم نفسي قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت ضيف فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه وذكر الحديث الذي حل بالاسلام والخلاف الواقع باهله ثم قال يا عمرو هلم الى أمر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو خيرا وقال ان للكلام أولا وآخرا ومتى تنازعنا الكلام خطأ بالم نبلغ

مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة الا اربعة وعشرين يوما وقيل الا ثلاثة ايام وقيل الا ستة ايام وقيل الا يومين وقيل في موته انه لما نزل آخر منزل بطريق مكة نظر في صدر البيت فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وامر الله لابد واقع
ابا جعفر هل كاهن ام منجم * لك اليوم من حر المنية مانع

فاحضر متولي المنازل وقال له الم آمرك ان لا يدخل المنازل احد من الناس قال والله ما دخله احد منذ فرغ فقال اقرأ ما في صدر البيت فقال ما أرى شيأ فأحضر غيره فلم ير شيأ فامر في البيتين ثم قال لحاجبه اقرأ آية فقرأ وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فامر به فضرب ورحل من المنزل تطيرا فسقط عن دابته فاندق ظهره ومات فدفن ببئر ميمون والصحيح ما تقدم

﴿ذكر صفة المنصور وأولاده﴾

كان اسمر نحيفا خفيف العارضين ولد بالحميمة من ارض الشراة واما اولاده فالمهدي محمد وجعفر الاكبر وامهما اروى بنت منصور اخت يزيد بن منصور الحميري وكانت تكنى ام موسى ومات جعفر قبل المنصور ومنهم سليمان وعيسى ويعقوب امهم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله وجعفر الاصغر امه ام ولد كردية وكان يقال له ابن الكردية وصالح المسكين امه ام ولد رومية والقاسم مات قبل المنصور وله عشر سنين امه ام ولد تعرف بأم القاسم ولها بباب الشام بستان يعرف ببستان ام القاسم والعالية امها امرأة من بني امية

﴿ذكر بعض سيرة المنصور﴾

قال سلام الابرش كنت اخدم المنصور داخلا وكان من احسن الناس خلقا ما لم يخرج الى الناس واشد احتمالا لما يكون من عبث الصبيان فاذا لبس ثوبه اربد لونه واحمرت عيناه فيخرج منه ما يكون وقال لي يوما يا بني اذا رأيتني قد لبست ثيابي او رجعت من مجلسي فلا يدنون مني منكم أحد مخافة ان اغره بشئ قال ولم ير في دار المنصور لهو ولا شئ يشبه اللهو واللعب والعبث الا مرة واحدة ترؤى بعض أولاده وقد ركب راحلة وهو صبي وتنكب قوسا في هيئة الغلام الاعرابي بين جوالقين فيهما مقل ومساويك وما يهديه الاعراب فعجب الناس من ذلك وانكروه فعبر الى المهدي بالرصافة فاهداه له فقبله وملأ الجوالقين دراهم فعاد بينهما فعلم انه ضرب من عبث الملوك قال حماد التركي كنت واقفا على رأس المنصور فسمع جلبة فقال انظر ما هذا فذهبت فاذا خادم له قد جلس حوله الجواري وهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن فاخبرته فقال واي شئ الطنبور فوصفته له فقال ما يدريك أنت ما الطنبور فقلت رأيته بخراسان فقام ومشى اليهن فلما رأينه تمرقن فأمر بالخادم فضرب رأسه بالطنبور حتى تكسر الطنبور واخرج الخادم فباعه قال وكان المنصور قد استعمل معن بن زائدة على اليمن لما بلغه من الاختلاف هناك فسار اليه وأصلحه وقصده الناس من أقطار الارض لاشتهار جوده ففرق فيهم الاموال فسخط عليه المنصور فأرسل اليه معن بن زائدة وفدا من قومه فيهم مجاعة بن الازهر وسيرهم الى المنصور ليزيلوا غيظه وغضبه فلما دخل على المنصور ابتدأ مجاعة بحمد الله والثناء عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاطنب في ذلك حتى عجب القوم ثم ذكر المنصور وما شرفه الله به وذكر بعد ذلك صاحبه فلما انقضى كلامه قال اما ما ذكرت من حمد الله فالله اجل من ان تبلغه الصفات واما ما ذكرت من النبي صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله تعالى بأكثر مما قلت واما ما وصفت به أمير المؤمنين فانه فضله الله بذلك وهو

معينه على طاعته ان شاء الله تعالى وأما ماذكرت من صاحبك فكذبت ولؤمت اخرج فلا يقبل ماذكرت فلما صار وا باآخر الابواب أمر برده مع أصحابه فقال ماقلت فأعاده عليه فأخرجوا ثم أمر بهم فأوقفوا ثم التفت الى من حضر من مضر فقال هل تعرفون فيكم مثل هذا والله لقد تكلم حتى حسدته وماصنعني ان اتم على رده الا ان قال حسدته لانه من ربيعة وما رأيت مثله رجلا أربط جأشا ولا أطور بيانا ردوه ياغلام فلما صار بين يديه قال اقصد بحاجتك قال ياأمير المؤمنين معن ابن زائدة عبدك وسيفك وسهمك رميت به عدوك فضرب وطعن ورمى حتى سهل ماحزن وذل ماصعب واستوى ماكان معوجا من اليمن فاصبحوا من حول أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فان كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساع أوواش فأمير المؤمنين أولى بالفضل على عبده ومن أفنى عمره في طاعته فقبل عذره وأمر بصرفهم اليه فلما قرأ معن الكتاب بالرضا قبل مابين عينيه وشكر أصحابه واجازهم على اقدارهم وأمرهم بالرحيل الى المنصور فقال مجاعة

آليت في مجلس من وائل قسما * ان لا أبيعك يامعن بأطماع
يامعن انك قد أوليتني نعما * عمت لحيما وخصت آل مجاع
فلا أزال اليك الدهر منقطعا * حتى يشيد بهلكي هتفه الناعي

وكان نعم معن على مجاعة أنه قضى له ثلاث حوائج منها أنه كان يتعشق جارية من أهل بيت معن اسمها زهراء وطلبها فلم يجب لفقره فطلبها من معن فأحضر أباها فزوجه اياها على عشرة آلاف درهم وأمهرها من عنده ومنها انه طلب منه حائطا بعينه فاشتراه له ومنها انه استوهب منه شيأ فوهب له ثلاثين ألف درهم تمام مائة ألف قيل وكان المنصور يقول ماأحوجني ان يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي اعف منهم هم أركان الدولة ولا يصلح الملك الا بهم أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم لرعية ثم غض على اصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه قيل وماهو ياأمير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب خبره ولا على الصحة وقيل دعا المنصور بعامل قد كسر خراجه فقال ذما عليك فقال والله ما أملك شيأ وأذن مودن أشهد ان لا اله الا الله فقال ياأمير المؤمنين هب ماعلي لله وشهادة أن لا اله الا الله تخلي سبيله وقيل أتى بعامل فحبسه وطالبه فقال العامل عبدك ياأمير المؤمنين فقال بئس العبد أنت فقال لكنك نعم المولى قال أمالك فلا قيل وأتى بخارجي قد هزم له جيوشا فأراد ضرب رقبته ثم ازدراه فقال ياابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش فقال له ويلك وسوأة لك أمس بيني وبينك السيف واليوم القذف والسب وما كان يؤمنك ان أردعليك وقد يئست من الحياة فلا تستقيلها أبدا فاستحيا منه المنصور واطاعته قيل وكان شغل المنصور في صدر نهاره بالامر والنهي والولايات والعزل وشحن الثغور والاطراف وأمن السبل والنظر في الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية والتلطف بسكونهم وهديهم فاذا صلى العصر جلس لاهل بيته فاذا صلى العشاء الآخرة جلس ينظر فيما ورد من كتب الثغور والاطراف والآفاق وشاور سماره فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره واذا مضى الثلث الثاني قام فتوضأ وصلى حتى يطلع الفجر ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيجلس في ايوانه قيل وقال للمهدي لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه فان فكرا لعاقل مرآة تريه حسنه وسيئه يابني لا يصلح السلطان الا بالتقوى ولا تصلح رعيته الا بالطاعة ولا تعمر البلاد بمثل العدل وأقدر الناس على العفو أقدرهم على العقوبة وأعجز الناس من ظلم من هو دونه

آخره حتى ننسى أوله فاجعل ما كان من كلام تتصادر عليه في كتاب يصير اليه امرنا قال فاكتب فدعا عمرو بصحيفة وكاتب وكان الكاتب غلاما لعمرو فتقدم اليه ليبدأ به أولا دون أبي موسى لما أراد من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيأ يامرك به احدنا حتى تستأمر الآخر فيه فاذا امرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماتقاضى عليه فلان وفلان فكتب وبدأ بعمرو فقال له عمرو لا ام لك اتقدمني قبله كأنك جاهل بحقه فبدأ باسم عبد الله بن قيس وكتب تقاضيا على انهما يشهدان ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو نشهد ان ابابكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله اليه وقد أدى الحق الذي عليه قال ابو موسى اكتب ثم قال في عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب وان

واعتبر عمل صاحبك وعلمه باختياره يا أبا عبد الله لا تجالس مجلسا الا ومعك من العلم من يحدثك ومن أحب ان يحمد أحسن السيرة ومن أبغض الحمد أساءها وما أبغض الحمد أحد الا استذم وما استذم الا كريما أبا عبد الله ليس العاقل الذي يحتال للامر الذي غشيه بل العاقل الذي يحتال للامر حتى لا يقع فيه وقال للمهدي يوما كم رأيت سنك قال لا أدري قال انا لله أنت لا مر الخلافة أشد تضييعا ولكن قد جمعت لك مالا يضرك معه ما ضيعت فاتق الله فيما خولك قيل وقال اسحق بن عيسى لم يكن أحد من بني العباس يتكلم فيبلغ حاجته على البديهة غير المنصور وأخيه العباس بن محمد وعمهما داود بن علي قيل وخطب المنصور يوما فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فاعترضه انسان فقال أيها الانسان اذكرك من ذكرت به فقطع الخطبة ثم قال سمعا سمعا لمن حفظ عن الله وأعوذ بالله أن أكون جبارا عنيدا أو تأخذني العزة بالاثم لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وأنت أيها القائل فوالله ما أردت بهذا القول الله ولكنك أردت أن يقال قام فقال فعوقب فصبر وأهون بها ويلك لقد هممت واغتمها اذ عفوت واياك واياكم معشر المسلمين أختها فان الحكمة علينا نزلت ومن عندنا فصلت فردوا الامر الى أهله توردوه موارده وتصدروه مصادره ثم عاد الى خطبته كأنما يقرؤها فقال واشهد أن محمدا عبده ورسوله (وقال) عبد الله بن صاعد خطب المنصور بمكة بعد بناء بغداد فكان مما قال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون أمر مبرم وقول عدل وقضاء فصل والحمد لله الذي أفلح حجته وبعد اللقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والى مواريثا وجعلوا القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فكم من بئر معطلة وقصر مشيد أهملهم الله حين بدلوا السنة وأهملوا العبرة وعندوا واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (قال) وكتب اليه رجل يشكو بعض عماله فوقع الى العامل في الرقعة ان آثرت العدل صحبتك السلامة وان آثرت الجور رفا أقربك من الدامة فأنصف هذا المتظلم من الظلامة * قيل وكتب الى المنصور صاحب أرمينية يخبره أن الجند قد شغبوا عليه ونهبوا ما في بيت المال فوقع في كتابه اعتزل عملنا مذموما مدحورا فلو عقلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا وهذا وما تقدم من كلامه ووصاياه يدل على فصاحته وبلاغته وقد تقدم له أيضا من الكتب وغيرها ما يدل على أنه كان واحد زمانه الا انه كان يبخل وما نقل عنه من ذلك قال الوضين بن عطاء استزارني المنصور وكان بيني وبينه خلة قبل الخلافة فخلوت يوما فقال يا أبا عبد الله ما لك قلت الخير الذي تعرفه قال وما عيالك قلت ثلاث بنات والمرأة وخادم لهن فقال أربع في بيتك قلت نعم فردد ها حتى ظننت انه سيعينني ثم قال أنت أيسر العرب أربع مغازل يدرن في بيتك * قيل رفع غلام لابي عطاء الخراساني ان له عشرة آلاف درهم فاخذها منه وقال هذا مالي قال من أين يكون مالك والله ما وليتك عملا قط ولا بيني وبينك رحم ولا قرابة قال بلى تزوجت امرأة لعيينة بن موسى بن كعب فورثتك مالا وكان قد عصى بالسند وأخذ مالي فهذا المال من ذاك وقيل لجعفر الصادق ان المنصور يكثر من لبس جبة هروية وانه يرقع قميصه فقال جعفرا الحمد لله الذي لطف به حتى ابتلاه بفقر نفسه في ملكه قيل وكان المنصور اذا عزل عاملا أخذ ماله وتركه في بيت مال مفرد سماه بيت مال المظالم وكتب عليه اسم صاحبه وقال للمهدي قد هيأت لك شيأ فاذا أنا مت فادع من أخذت ماله فاردد ها عليه فانك تستحمد بذلك اليهم والى العامة ففعل المهدي ذلك وله في ضد ذلك أشياء كثيرة قيل وذكر زيد مولى عيسى بن نهيك قال

عثمان ولي هذا الامر بعد عمر على اجماع من المسلمين وشورى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وانه كان مؤمنا فقال ابو موسى الاشعري ليس هذا مما تعدنا له قال عمرو والله لابد من ان يكون مؤمنا او كافرا قال ابو موسى اكتب قال عمرو فظلما قتل عثمان او مظلوما قال ابو موسى بل قتل مظلوما قال عمرو أفليس قد جعل الله لولي المظلوم سلطانا يطلب بدمه قال أبو موسى نعم قال عمرو فهل تعلم لعثمان وليا أولى من معاوية قال ابو موسى لا قال عمرو أفليس لمعاوية ان يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله او يعجز قال ابو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وامره أبو موسى فكتب قال عمرو فانا نقيم البينة أن عليا قتل عثمان قال ابو موسى هذا امر قد حدث في الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى أمر يصلح الله به امة محمد قال عمرو وما هو قال ابو موسى قد علمت ان أهل العراق لا يحبون معاوية ابدا وان أهل الشام لا يحبون عليا ابدا فهل نخلعهما جميعا ونستخلف عبد الله بن عمر

دعاني المنصور بعد موت مولاي فسألني كم خلف من مال قلت ألف دينار وأنفقته امرأته في مأتمه قال كم خلف من البنات قلت ستا فاطرق ثم رفع رأسه وقال اغد الى المهدي فغدوت اليه فاعطاني مائة ألف وثمانين ألف دينار لكل واحدة منهن ثلاثون ألفا ثم دعاني المنصور فقال عد علي بأكفائهن حتى أزوجهن ففعلت فزوجهن وأمر أن تحمل اليهن صدقاتهن من ماله لكل واحدة منهن ثلاثون ألف درهم وأمرني أن أشتري بمالهن ضياعا لهن يكون معاشهن منها قيل وفرق المنصور على جماعة من أهل بيته في يوم واحد عشرة آلاف ألف درهم وأمر لجماعة من أعمامه منهم سليمان وعيسى وصالح واسمعيل لكل رجل منهم بالف ألف درهم وأول من وصل بهاوله في ذلك ايضا اخبار كثيرة واما غير ذلك قال يزيد بن عمر بن هبيرة ما رأيت رجلا قط في حرب ولا سمعت به في سلم انكر ولا امكر ولا اشد تيقظا من المنصور لقد حصرني تسعة أشهر ومعي فرسان العرب فجهدنا بكل الجهد أن ننال من عسكره شيأ فما نهيأ ولقد حصرني وما في رأسي شعرة بيضاء فخرجت اليه وما في رأسي شعرة سوداء قيل وارسل ابن هبيرة الى المنصور وهو محاصره يدعوه الى المبارزة فكتب اليه انك متعد طورك جار في عنان غيك يعدك الله ماهو مصدقه ويمنيك الشيطان ماهو مكذبه ويقرب ما الله مباعده فرويدا يتم الكتاب اجله وقد ضربت مثلي ومثلك بلغني ان اسدا التقى خنزيرا فقال له الخنزير قاتلني فقال الاسد انما انت خنزير ولست بكفء لي ولا نظير ومتى قاتلتك فقتلتك قيل لي قتل خنزيرا فلا أعتقد فخرا ولا ذكرا وان نالني منك شيء كان سبة علي فقال الخنزير ان لم تفعل أعلمت السباع انك تكلب عني فقال الاسد احتمال عار كذبك علي أيسر من لطخ شرابي بدمك قيل وكان المنصور أول من عمل الخيش فان الاكاسرة كانوا يطينون كل يوم بيتا يسكنونه في الصيف وكذلك بنو أمية قيل وأتى برجل من بني أمية فقال اني أسألك عن أشياء فاصدقني ولك الامان قال نعم قال من أين أتى بنو أمية قال من تضييع الاخبار قال فاي الاموال وجدوها أنفع قال الجوهر قال فمن وجدوا الوفاء قال عند موالي فاراد المنصور ان يستعين في الاخبار باهل بيته فقال أضيع منهم فاستعان بموالي

﴿ ذكر خلافة المهدي والبيعة له ﴾

ذكر علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال حرجت من البصرة حاجا فاجتمعت بالمنصور بذات عرق فكنت أسلم عليه كلما ركب وقد أشفى على الموت فلما صار ببئر ميمون نزل به ودخلنا مكة فقضيت عمرتي وكنت أختلف الى المنصور فلما كان في الليلة التي مات فيها ولم نعلم صليت الصبح بمكة وركبت أنا ومحمد بن عون بن عبد الله بن الحرث وكان من مشايخ بني هاشم وسادتهم فلما صرنا بالابطح لقينا العباس بن محمد ومحمد بن سليمان بن خيل الى مكة فسلمنا عليهما ومضينا فقلت لمحمد أحسب الرجل قد مات فكان كذلك ثم أتينا العسكر فاذا موسى بن المهدي قد صدر عند عمود السرادق والقاسم بن المنصور في ناحية من السرادق وقد كان قبل ذلك يسير بين المنصور وبين صاحب الشرطة ورفع الناس اليه القصص فلما رأيته علمت ان المنصور قد مات وأقبل الحسن ابن زيد العلوي وجاء الناس حتى ملؤا السرادق وسمعنا همسا من بكاء وخرج أبو العنبر خادم المنصور ومشقق الاقبية وعلى رأسه التراب وصاحوا أمير المؤمنين فما بقي أحد الا قام ثم تقدموا ليدخلوا عليه فمنعهم الخدم وقال ابن عياش المنتوف سبحان الله اما شهدتم موت خليفة قط اجلسوا فجلسوا وقام القاسم فشق ثيابه ووضع التراب على رأسه وموسى على حاله ثم خرج الربيع وفي يده قرطاس فقطعه فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور امير

وكان عبد الله بن عمر على بيت أبي موسى قال عمرو أيفعل ذلك عبد الله بن عمر قال أبو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك ففعل فعمد عمرو الى كل مال اليه أبو موسى فصوبه وقال له هل لك في سعد قال له أبو موسى لا فعدد له عمرو جماعة وأبو موسى يأبى ذلك الا ابن عمر فاخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد ان ختمها جميعا وقال عمرو أرأيت ان رضي اهل العراق بعبد الله بن عمر وأبى أهل الشام أيقاتل أهل الشام قال أبو موسى لا قال عمرو فان رضي أهل الشام وأبى أهل العراق أيقاتل أهل العراق قال أبو موسى لا قال عمرو وأما اذا رأيت الصلاح في هذا الامر والخير للمسلمين فقم فاخطب الناس واخلع صاحبينا وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلف فقال أبو موسى بل أنت قم فاخطب فانت أحق بذلك قال عمرو ما احب ان اتقدمك وما قولي وقولك للناس الا قول واحد فقم راشد فقام أبو موسى فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها

المؤمنين الى من خلف من بني هاشم وشيعته من اهل خراسان وعامة المسلمين ثم بكى وبكى الناس ثم قال قد امكنكم البكاء فانصتوا رحمكم الله ثم قرأ أما بعد فاني كتبت كتابي هذا واناحي في آخر يوم من أيام الدنيا واول يوم من أيام الآخرة أقرأ عليكم السلام واسأل الله ان لا يفتنكم بعدي ولا يلبسكم شيعا ولا يذيق بعضكم بأس بعض ثم اخذ في وصيتهم بالمهدي واذكارهم البيعة له وحثهم على الوفاء بعهده ثم تناول يد الحسن بن زيد وقال قم فبايع فقام الى موسى فبايعه ثم بايعه الناس الاول فالاول ثم ادخل بنو هاشم على المنصور وهو في اكفانه مكشوف الرأس فحملناه حتى اتينا به مكة ثلاثة أميال فكأني انظر اليه والريح تحرك شعر صدغيه وذلك انه كان وفر شعره للحاق وقد نصل خضابه حتى اتينا به حفرته وكان اول شئ ارتفع به على بن عيسى بن ماهان ان عيسى بن موسى أبى من البيعة فقال علي بن عيسى بن ماهان والله لتبايعن أو لاضربن عنقك فبايع ثم وجه موسى ابن المهدي والربيع الى المهدي بخبر وفاة المنصور وبالبيعة له مع منارة مولى المنصور وبعث أيضا بالقضيب وبردة النبي صلى الله عليه وسلم وبخاتم الخلافة وخرجوا من مكة فقدم الخبر على المهدي مع منارة منتصف ذي الحجة فبايعه أهل بغداد وقيل ان الربيع كتم موت المنصور وألبسه وسنده وحمل على وجهه كلة خفيفة يرى شخصه منها ولا يفهم أمره وادنى أهله منه ثم قرب منه الربيع كأنه يخاطبه ثم رجع اليهم وأمرهم عنه بتجديد البيعة للمهدي فبايعوا ثم أخرجهم وخرج اليهم باكيا مشقق الجيب لاطمار أسه فلما بلغ ذلك المهدي انكره على الربيع وقال أما منعتك جلالة امير المؤمنين أن فعلت به ما فعلت وقيل ضربه ولم يصح ضربه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة عزل المنصور المسيب بن زهير عن شرطته وحبسه مقيدا وسبب ذلك انه ضرب أبان ابن بشير الكاتب بالسياط حتى قتله لانه كان شريك أخيه عمرو بن زهير في ولاية الكوفة واستعمل على شرطته الحكم بن يوسف صاحب الخراب ثم كلم المهدي أباه في المسيب فرضي عنه وأعاده الى شرطته وفيها استعمل المنصور نصر بن حرب بن عبد الله على فارس وفيها عاد المهدي من الرقة في شهر رمضان وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث فلقي العدو فاقتتلوا ثم تحاجزوا وفيها حبس محمد بن ابراهيم الامام وهو امير مكة جماعة أمر المنصور بحبسهم وهم رجل من آل علي بن أبي طالب كان بمكة وابن جريج وعباد بن كثير وسفيان الثوري ثم أطلقهم من الحبس بغير أمر المنصور فغضب وكان سبب اطلاقهم انه انكر وقال عمدت الى ذي رحم فحبسته يعني بعض ولد علي والى نفر من اعلام المسلمين فحبستهم وتقدم أمير المؤمنين فاعله يأمر بقتلهم ويشد سلطانه واهلاك فاطلقهم وتحلل منهم فلما قارب المنصور مكة أرسل اليه محمد بن ابراهيم بهدايا فرد ها عليه وفيها شخص المنصور من بغداد الى مكة فمات في الطريق قبل أن يبلغها وفي هذه السنة غزا عبد الرحمن صاحب الاندلس مدينة قورية وقصد البربر الذين كانوا أسلموا عامله الى ثغر فقتل منهم خلقا من أعيانهم واتبع شقنا حتى جاوز القصر الابيض والدرب فغلبه وفيها مات أورا لى ملك جليقية وكان ملكه ست سنين وملك بعده شيالون وفيها توفي مالك بن مغول الفقيه البجلي بالكوفة وحيوة بن شريح بن مسلم الحضرمي المصري وكان العامل على مكة والطائف ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله وعلى المدينة عبد الصمد بن علي وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي وقيل اسمعيل بن اسمعيل الثقفي وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعي وعلى خراجها ثابت بن موسى وعلى خراسان حميد بن قحطبة وعلى قضاء بغداد

الناس انا قد نظرنا في امرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الامن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الالفة خلعنا عليا ومعاوية وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه واهوى الى عمامته فخلعها واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه النبي صلى الله عليه وسلم فبرز في سابقته وهو عبد الله بن عمر وأطراه ورغب الناس فيه ونزل فقام عمرو فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس ان اباموسى عبد الله بن قيس خلع عليا واخرجه من هذا الامر الذي يطلب وهو أعلم به الا وانى خلعت عليا معه وأثبت معاوية على وعليكم وان اباموسى قد كتب في الصحيفة ان عثمان قد قتل مظلوما شهيدا وان لوليه ان يطلب بدمه حيث كان وقد صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب ابوه النبي صلى الله عليه وسلم وأطراه ورغب الناس فيه وقال هو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان فقال ابوموسى كذب عمرو لم نستخلف

عبد الله بن محمد بن صفوان وعلى الشرطة بها عمر بن عبد العزيز أخو عبد الجبار بن عبد الرحمن وقيل موسى بن كعب وعلى خراج البصرة وأرضها عمارة بن حمزة وعلى قضائها والصلاة عبيد الله بن الحسن العنبرى وأصاب الناس هذه السنة وباء عظيم

﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة﴾

﴿(ذكر الحسن بن ابراهيم بن عبد الله)﴾

فى هذه السنة حول المهدى الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على من محبسه وسبب ذلك أنه كان محبوسا مع يعقوب بن داود فى موضع واحد فلما أطلق يعقوب وبقى هو ساء ظنه فالتمس مخرجا فأرسل الى بعض من يثق اليه فحفر سربا الى الموضع الذى هو فيه فبلغ ذلك يعقوب فأتى ابن علاثة القاضى وكان قد اتصل به فقال عندى نصيحة للمهدى وطلب اليه ايصاله الى أبى عبيد الله وزيره ليرفعها اليه فاحضره عنده فلما سأله عن نصيحته سأله عن ايصاله الى المهدى ليعلمها فاوصله اليه فاستخلاه فاعلمه المهدى ثقته بوزيره وابن علاثة فلم يقبل شيأ حتى قاما فاخبره خبر الحسن فانفذ من يثق اليه فاتاه بتحقيق الحال فامر بتحويل الحسن فحول ثم احتيل له فيما بعد فهرب وطلب فلم يظفر به فاحضر المهدى يعقوب وسأله عنه فاخبره انه لا يعلم مكانه وانه ان أعطاه الامان أتاه به فامنه وضمن له الاحسان فقال له اترك طلبه فان ذلك يوحشه فترك طلبه ثم ان يعقوب تقدم عند المهدى فاحضر الحسن بن ابراهيم عنده

﴿(ذكر تقدم يعقوب عند المهدى)﴾

قد تقدم ذكر وصوله اليه فلما أحضره المهدى عنده فى أمر الحسن بن ابراهيم كما تقدم قال له يا أمير المؤمنين انك قد بسطت عدلك لرعيتك وأنصفتهم وأحسنت اليهم فعظم رجاؤهم وقد بقيت أشياء لو ذكرتها لم تدع النظر فيها وأشياء خلف بابك تعمل ولا تعلم بها فان جعلت الى السبيل اليك رفعتها فامر بذلك فكان يدخل عليه كلما أراد ويرفع اليه النصائح فى الامور الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج العزاب وفكاك الاسرى والمحبسين والقضاء عن الغارمين والصدقة على المنعففين فحظى عنده بذلك وعلت منزلته حتى سقطت منزلة أبى عبيد الله وحبس وكتب المهدى توقيعا بابه قد اتخذه أخا فى الله ووصله بمائة ألف

﴿(ذكر ظهور المقنع بخراسان)﴾

وفى هذه السنة قبل موت حميد بن قحطبة ظهر المقنع بخراسان وكان رجلا أعور قصيرا من أهل مرو ويسمى حكيما وكان اتخذ وجها من ذهب فجعله على وجهه لئلا يرى فسمى المقنع وادعى الالوهية ولم يظهر ذلك الى جميع أصحابه وكان يقول ان الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح وهلم جرا الى أبى مسلم الخراسانى ثم تحول الى هاشم وهاشم فى دعواه هو المقنع ويقول بالتناسخ وتابعه خلق من ضلال الناس وكانوا يسجدون له من أى النواحى كانوا وكانوا يقولون فى الحرب ياهاشم أعنا واجتمع اليه خلق كثير وتحصنوا فى قلعة بسيام وسنجردة وهى من رساتيق كش وظهرت المبيضة ببخارا والصغد معاونين له واعانه كفار الاتراك وأغاروا على أموال المسلمين وكان يعتقد ان أبا مسلم أفضل من النبى صلى الله عليه وسلم وكان ينكر قتل يحيى بن زيد وادعى انه يقتل قاتليه واجتمعوا بكش وغلبوا على بعض قصورها وعلى قلعة نواكث وحاربهم أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر مرة بعد مرة وقتلوا حسان بن تميم بن نصر بن سيار ومحمد بن نصر وغيرهما وأنفذ اليهم جبرائيل بن يحيى وأخاه يزيد فاشتغلوا بالمبيضة الذين كانوا ببخارا فقاتلوهم

معاوية ولكنا خلعنا معاوية وعليا معا فقال عمرو بل كذب عبد الله بن قيس قد خلع عليا ولم يخلع معاوية (قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى وجه آخر من الروايات انهما اتفقا على خلع على ومعاوية وان يجعلا الامر بعد ذلك شورى يختار الناس رجلا يصلح لها فقدم عمرو أبا موسى فقال أبو موسى انى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا امركم وتنحى وقام عمرو من مكانه فقال ان هذا قد خلع صاحبه وأنا اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبى معاوية فقال ابو موسى مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الحمار يحمل اسفارا فقال له عمرو بل اياك يلعن الله كذبت وغدرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ثم وكز أبا موسى فالقاه لجنبه فلما رأى ذلك شريح بن هانئ قنع عمرا بالسوط وتحول ابو موسى فاستوى على راحلته ولحق بمكة ولم يعد الى الكوفة وقد كانت خطته واهله وولده بها وآلى ان لا ينظر الى وجه على ما بقى ومضى ابن عمر وسعد الى

أربعة أشهر فى مدينة بوبحكت ونقبها عليهم فقتل منهم سبعمائة وقتل الحكم ولحق منهزموهم بالمقنع وتبعهم جبرائيل وحاربهم ثم سير المهدى أباعون لمحاربة المقنع فلم يبالغ فى قتاله واستعمل معاذ بن مسلم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل المهدى اسمعيل عن الكوفة واستعمل عليها اسحق بن الصباح الكندى ثم الاشعثى وقيل عيسى بن لقمان بن محمد بن حاطب الجمحى وفيها عزل سعيد بن دعلج عن احداث البصرة وعبيد الله بن الحسن عن الصلاة واستعمل مكانهما عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميرى وأمره بانصاف من تظلم من سعيد بن دعلج ثم صرفت الاحداث فيها الى عمارة بن حمزة فولاها المسور بن عبد الله الباهلى وفيها عزل قثم بن العباس عن اليمامة فوصل كتاب عزله وقدمات واستعمل مكانه بشر بن المنذر البجلى وفيها عزل الهيثم بن سعيد عن الجزيرة واستعمل عليها الفضل ابن صالح وفيها أعتق المهدى الخيزران أم ولده وتزوجها وتزوج أم عبد الله بنت صالح بن على أخت الفضل وعبد الملك وفيها احترقت السفن عند قصر عيسى بغداد بما فيها واحترق ناس كثير وفيها عزل مطر مولى المنصور عن مصر واستعمل عليها أبو ضمرة محمد بن سليمان وفيها غزا العباس ابن محمد الصائفة الرومية وعلى المقدمة الحسن الوصيف فبلغوا انقردة وفتحوا مدينة للروم ومطمورة ولم يصب من المسلمين أحد ورجعوا سالمين وفيها ولى حمزة بن يحيى سجستان وجبرائيل ابن يحيى سمرقند فبنى سورها وحفر خندقها وفيها عزل عبد الصمد بن على عن المدينة واستعمل عليها محمد بن عبد الله الكثيرى ثم عزله واستعمل مكانه محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجمحى وفيها بنى المهدى سور الرصافة ومسجدها وحفر خندقها وفيها توفى معبد بن الخليل بالسند وهو عامل المهدى عليها واستعمل مكانه روح بن حاتم أشار به أبو عبيد الله وزير المهدى وفيها أطلق المهدى من كان فى حبوس المنصور الا من كان عنده تبعة من دم أو مال أو من يسعى فى الارض بالفساد وكان فيمن أطلق يعقوب بن داود مولى بنى سليم وفيها توفى حميد بن قحطبة وهو على خراسان واستعمل المهدى بعده عليها أباعون عبد الملك بن يزيد * وحج بالناس هذه السنة يزيد ابن منصور خال المهدى عند قدومه من اليمن وكان المهدى قد كتب اليه بالقدوم عليه وتوليته الموسم وكان أمير المدينة عبد الله بن صفوان الجمحى وعلى احداث الكوفة اسحق بن الصباح الكندى وعلى خراجها ثابت بن موسى وعلى قضائها شريك وعلى صلاة البصرة عبد الملك ابن أيوب وعلى احداثها عمارة بن حمزة وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن وعلى كور دجلة وكور الاهواز وكور فارس عمارة بن حمزة وعلى السند بسطام بن عمرو وعلى اليمن رجاء بن روح وعلى اليمامة بشر بن المنذر وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد وكان حميد بن قحطبة قدمات فيها فولى المهدى أباعون وكان على الجزيرة الفضل بن صالح وعلى أفريقية يزيد بن حاتم وعلى مصر أبو ضمرة محمد بن سليمان * وفيها كان شقنا قد انتشر فى نواحى شفت بريه فسير اليه عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا ففارق مكانه وصعد الجبال كعادته وعاد الجيش عنه وفيها مات محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ذئب الفقيه بالكوفة وهو مدنى وعمره تسع وسبعون سنة وفيها توفى عبد العزيز بن أبى دواد مولى المغيرة بن المهلب ويونس بن أبى اسحق السبيعى الهمدانى ومخرمة بن بكير بن عبد الله ابن الاشج المصرى وحسين بن واقد مولى بن عامر وكان على قضاء مرو وكان يشترى الشئ من السوق فيحمله الى عياله

﴿ثم دخلت سنة ستين ومائة﴾

بيت المقدس وفى فعل الحكمين يقول ايمن بن خريم بن فاتك الاسدى

لو كان للقوم رأى يعظمون به
عند الخطوب رموكم بابن عباس
لكن رموكم بوغد من ذوى يمن
لم يدر ما ضرب الخماس باسداس

وفى اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك

رضينا بحكم الله لا حكم غيره
وبالله ربا والنبى وبالذكر
وبالاصلع الهادى على امامنا
رضينا بذاك الشيخ فى العسر واليسر
رضينا به حيا وميتا فانه
امام الهدى فى موقف النهى والامر

ولابى موسى يقول ابن عباس

أبا موسى بليت وكنت شيخا
قريب العهد مخزون اللسان
وما عمرو صفاتك يا ابن قيس
فيالله من شيخ يمانى
فأمسيت العشية ذا اعتذار
ضعيف الركن منكوب العنان
تعض الكف من ندم وماذا
يرد عليك عض البنان

﴿ذكر خروج يوسف البرم﴾

فى هذه السنة خرج يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم بخراسان منكرا هو ومن معه على المهدى سيرته التى يسير بها واجتمع معه بشر كثير فتوجه اليه يزيد بن مزيد الشيبانى وهو ابن أخى معن بن زائدة فقيه فاقتتلا حتى صارا الى المعانقة فأسره يزيد بن مزيد وبعث به الى المهدى وبعث معه وجوه أصحابه فلما بلغوا النهروان حمل يوسف على بعير قد حول وجهه الى ذنبه وأصحابه مثله وأدخلوهم الرصافة على تلك الحال وقطعت يد يوسف ورجلاه وقتل هو وأصحابه وصلبوا على الجسر وقد قيل انه كان حروريا وتغلب على بوشنج وعليها مصعب بن زريق جد طاهر بن الحسين فهرب منه وتغلب أيضا على مرو الروذ والطالقان والجوزجان وقد كان من جملة أصحابه أبو معاذ الفريابى فقبض معه

﴿ذكر خلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادى﴾

كان جماعة من بنى هاشم وشيعة المهدى قد خاضوا فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادى بن المهدى فلما علم المهدى بذلك سره وكتب الى عيسى بن موسى بالقدوم عليه وهو بقرية الرحبة من أعمال الكوفة فأحس عيسى بالذى يراد منه فامتنع من القدوم فاستعمل المهدى على الكوفة روح بن حاتم للاضرار به فلم يجد روح الى الاضرار به سبيلا لانه كان لا يقرب البلد الا كل جمعة أو يوم عيد وألح المهدى عليه وقال له انك ان لم تجبنى الى ان تخلع من ولاية العهد لموسى وهرون استطلت منك بمعصيتك ما يستحل من أهل المعاصى وان أجبتنى عوضتك منها ما هو أجدى عليك وأجمل نفعا فلم يقدم عليه وخيف انتقاضه فوجه اليه المهدى عمه العباس بن محمد برسالة وكتاب يستدعيه فلم يحضر معه فلما عاد العباس وجه المهدى اليه أبا هريرة محمد بن فروخ القائد فى ألف من أصحابه ذوى البصائر فى التشيع للمهدى وجعل مع كل واحد منهم طبلا وأمرهم أن يضربوا طبولهم جميعا عند قدومهم اليه فوصلوا سحرا وضربوا طبولهم فارتاع عيسى روعا شديدا ودخل عليه أبو هريرة وأمره بالشخوص معه فاعتل بالشكوى فلم يقبل منه وأخذه معه فلما قدم عيسى بن موسى نزل دار محمد بن سليمان فى عسكر المهدى فأقام أياما يختلف الى المهدى ولا يتكلم بشئ ولا يرى مكروها فحضر الدار يوما قبل جلوس المهدى فجلس فى مقصورة للربيع وقد اجتمع شيعة ورؤساء المهدى على خلعه فثار وابه وهو فى المقصورة فأغلق الباب دونهم فضربوا الباب بالعمد حتى هشموه وشتموا عيسى أقبح الشتم وأظهر المهدى انكارا لما فعلوه فلم يرجعوا فبقوا فى ذلك أياما الى ان كاشفه أكابر أهل بيته وكان أشدهم عليه محمد بن سليمان وألح عليه المهدى فأبى وذكر أن عليه أيمانا فى أهله وماله فاحضر له من القضاة والفقهاء عدة منهم محمد ابن عبد الله بن علاثة ومسلم بن خالد الزنجى فافتوه بجواز ذلك فأجاب الى خلع نفسه فأعطاه المهدى عشرة آلاف الف درهم وضياعا بالزاب وكسكر وخلع نفسه لاربع بقين من المحرم وبايع للمهدى ولابنه موسى الهادى ثم جلس المهدى من الغد واحضر اهل بيته واخذ بيعتهم ثم خرج الى الجامع وعيسى معه فخطب الناس واعلمهم بخلع عيسى والبيعة للهادى ودعاهم الى البيعة فسارع الناس اليها واشهد على عيسى بالخلع فقال بعض الشعراء

كره الموت ابو موسى وقد * كان فى الموت نجاة وكرم
خلع الملك وأضحى ملبسا * ثوب لؤم ما ترى منه القدم

(الرحبة بضم الراء قرية عند الكوفة وصح بضم الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة)

وقيل انه لم يكن بينهما غير ما كتباه فى الصحيفة واقرار أبى موسى بان عثمان قتل مظلوما وغير ذلك مما قدمنا وانهما لم يخطبا وذلك أن عمرا قال لابى موسى سم من شئت حتى أنظر معك فسمى أبو موسى ابن عمر وغيره ثم قال لعمر وقد سميت أنا فسم أنت قال نعم اسمى لك أقوى هذه الامة عليها وأسدها رأيا وأعلمها بالسياسة معاوية بن أبى سفيان قال لا والله ما هو لذلك بأهل قال فآتيك بآخر ليس هو بدونه قال من هو قال أبو عبد الله عمرو ابن العاص قال فلما قالها علم أبو موسى أنه يلعب به فقال فعلتها لعنك الله فتسابا فلحق أبو موسى بمكة فلما انصرف ابو موسى انصرف عمرو بن العاص الى منزله ولم يأت الى معاوية فارسل اليه معاوية يدعوه فقال انما كنت أجيبك اذا كانت لى اليك حاجة فاما اذا كانت الحاجة الينا فانت أحق ان تاتينا فعلم معاوية ما قد وقع اليه فحد الرأى وأعمل الحيلة وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ثم دعا بخاصته وموالية وأهله فقال انى سأغدو الى هذا فاذا

﴿ذكر فتح مدينة باربد﴾

كان المهدى قد سير سنة تسع وخمسين ومائة جيشا فى البحر وعليهم عبد الملك بن شهاب المسمعى الى بلاد الهند فى جمع كثير من الجند والمتطوعة وفيهم الربيع بن صبيح فساروا حتى نزلوا على باربد فلما نازلوها حصروها من نواحيها وحرض الناس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا أهلها ففتحها الله عليهم هذه السنة عنوة واحتمى اهلها بالبد الذى لهم فاحرقه المسلمون عليهم فاحترق بعضهم وقتل الباقون واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلا وأفاءها الله عليهم فهاج عليهم البحر فاقاموا الى ان يطيب فاصابهم مرض فى افواههم فمات منهم نحو من الف رجل فيهم الربيع ابن صبيح ثم رجعوا فلما بلغوا ساحل من فارس يقال له بحر حران عصفت بهم الريح ليلا فانكسر عامة مراكبهم فغرق البعض ونجا البعض قيل وفيها جعل ابان بن صدقة كاتبا لهرون الرشيد ووزيرا له وفيها عزل أبو عون عن خراسان عن سخطة واستعمل عليها معاذ بن مسلم وفيها غزا ثمامة ابن العبس الصائفة وغزا الغمر بن العباس الخثعمى بحر الشام

﴿ذكر رد نسب آل ابى بكرة وآل زياد﴾

وفى هذه السنة امر المهدى برد نسب آل ابى بكرة من ثقيف الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان رجلا منهم رفع فى ظلامته الى المهدى وتقرب اليه بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المهدى ان هذا نسب ما يقرون به الا عند الحاجة والاضرار الى التقرب الينا فقل له من بحد ذلك يا أمير المؤمنين فانا نسألك ان تردنى ومعشر آل ابى بكرة الى نسبنا من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمر بآل زياد فيخرجوا من نسبهم الذى الحقوا به ورغبوا عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر ويردوا الى عبيد فى موالى ثقيف فأمر المهدى برد آل ابى بكرة الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب فيه الى محمد بن موسى بذلك وان من اقر منهم بذلك ترك ماله بيده ومن اباه اصطفى ماله فعرضهم فأجابوا جميعا الا ثلاثة نفر وكذلك ايضا امر برد نسب آل زياد الى عبيد واخرجهم من قريش فكان الذى حمل المهدى على ذلك مع الذى ذكرناه ان رجلا من آل زياد قدم عليه يقال له الصغدى بن سلم بن حرب بن زياد فقال له المهدى من أنت قال ابن عمك فقال له اى بنى عمى أنت فذكر نسبه فقال المهدى يا ابن سمية الزانية متى كنت ابن عمى وغضب وأمر به فوجئ فى عنقه وأخرج وسأل عن استلحاق زياد ثم كتب الى العامل بالبصرة باخراج آل زياد من ديوان قريش والعرب وردهم الى ثقيف وكتب فى ذلك كتابا بالغا ذكر فيه استلحاق زياد ومخالفة حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فأسقطوا من ديوان قريش ثم انهم بعد ذلك رشوا العمال حتى ردوهم الى ما كانوا عليه فقال خالد النجار

ان زيادا ونافعا وابا * بكرة عندى من اعجب العجب
ذا قرشى كما يقول وذا * مولى وهذا ابن عمه عربى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفى هذه السنة توفى عبد الله بن صفوان الجمحى امير المدينة واستعمل عليها مكانه محمد بن عبد الله الكثيرى ثم عزل واستعمل مكانه زفر بن عاصم الهلالى وجعل على القضاء عبد الله بن محمد ابن عمران الطلحى وفيها خرج عبد السلام الخارجى بنواحى الموصل وفيها عزل بسطام بن عمرو عن السند واستعمل عليها روح بن حاتم وحج بالناس هذه السنة المهدى واستخلف على بغداد ابنه

دعوته فادعوا مواليه وأهله فليجلسوا قبلكم فاذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه فاذا خرجوا ولم يبق فى البيت أحد فأغلقوا باب البيت واحذروا أن يدخل احد منهم الا أن آمركم وغدا اليه معاوية وعمرو فجالس على فرشه فلم يقم له عنها ولا دعاه اليها فجاء معاوية وجلس على الارض واتكأ على الفرش وذلك ان عمرا كان يحدث نفسه انه قد ملك الامر واليه العهد بعضها فيمن يرى ويندب للخلافة من يشاء فجرى بينهما كلام كثير وكان مما قال له عمرو هذا الكتاب الذى بينى وبينه عليه خاتمى وخاتمه وقد أقر بأن عثمان قتل مظلوما فأخرج علينا من هذا الامر وعرض على رجالا لم أرهم أهلا لها وهذا الامر الى أستخلف من شئته قد أعطانى أهل الشام عهودهم ومواثيقهم فخادنه معاوية ساعة واخرجه عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه ثم قال يا أبا عبد الله هل من غداء قال اما والله شئ يشبع من ترى فلا فقال معاوية هلم يا غلام غداءك فجئ بالطعام المستعد فوضع فقال يا أبا عبد الله ادع مواليك وأهلك فدعاهم

موسى وخاله يزيد بن منصور واستصحب معه جماعة من أهل بيته وابنه هرون الرشيد وكان معه يعقوب بن داود فاتا بمكة بالحسن بن ابراهيم بن عبد الله العلوي الذي كان استأمن له فوصله المهدي وأقطعه وفيها نزع المهدي كسوة الكعبة وكساها كسوة جديدة وكان سبب نزعها ان حجبة الكعبة ذكروا له انهم يخافون على الكعبة ان تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة فنزعها وكانت كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين وما قبلها من عمل اليمن وقسم مالا عظيما وكان معه من العراق ثلاثون الف الف درهم وصل اليه من مصر ثلاثمائة الف دينار ومن اليمن مائتا الف دينار فرق ذلك كله وفرق مائة الف ثوب وخمسين الف ثوب ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدث خمسمائة من الانصار يكونون حرسا له بالعراق واقطعهم بالعراق وأجرى عليهم الارزاق وحمل اليه محمد بن سليمان الثلج الى مكة وكان أول خليفة حمل اليه الثلج الى مكة ورد المهدي على أهل بيته وغيرهم وظائفهم التي كانت مقبوضة عنهم وكان على البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الاهواز وفارس محمد بن سليمان وعلى خراسان معاذ بن مسلم وباقي الامصار على ما تقدم ذكره * وفيها أرسل عبد الرحمن الاموي بالاندلس اباعثمان عبيد الله بن عثمان وتمام بن علقمة الى شقنا لحاصراه شهورا بحصن شبطران واعياهما امره فقفلا عنه ثم ان شقنا بعد عودهما عنه خرج من شبطران الى قرية من قرى شنت برية راكبا على بغلته التي تسمى الخلاصة فاغتاله ابو مهر وابو خزيم وهما من أصحابه فقتلاه ولحقا بعبد الرحمن ومعهما رأسه فاستراح الناس من شره وفيها مات داود بن نصير الطائي الزاهد وكان من أصحاب ابي حنيفة وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود المسعودي أيضا وشعبة بن الحجاج ابو بسطام وكان عمره سبعا وسبعين سنة واسرائيل بن يونس بن أبي اسحق السبيعي وقيل توفي سنة أربع وستين وفيها توفي الربيع بن مالك بن ابي عامر عم مالك بن أنس الفقيه كنيته ابو مالك وكانوا أربعة اخوة اكبرهم أنس ولد مالك ثم أويس جد اسمعيل بن أويس ثم نافع ثم الربيع وفيها توفي خليفة بن خياط العصفري الليثي وهو جد خليفة بن خياط (خياط بالخاء المعجمة وبالياء المثناة من تحت) وفيها توفي الخليل بن أحمد البصري الفرهودي النحوي الامام المشهور في النحو استاذ سيبويه

﴿ثم دخلت سنة احدى وستين ومائة﴾

﴿ذكر هلاك المقنع﴾

في هذه السنة سار معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر الى المقنع وعلى مقدمته سعيد الحرشي وأتاه عقبة بن مسلم من زم فاجتمع به بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنع فهزموهم وقصد المهزومون الى المقنع بسنام فعمل خندقها وحصنها وأتاهم معاذ فحاربهم فجرى بينه وبين الحرشي نفرة فكتب الحرشي الى المهدي يقع في معاذ ويضمن له الكفاية ان أفرده بحرب المقنع فاجابه المهدي الى ذلك فانفرد الحرشي بحربه وأمده معاذ بابنه رجاء في جيش وبكل ما التمسه منه وطال الحصار على المقنع فطلب اصحابه الامان سرا منه فاجابهم الحرشي الى ذلك فخرج نحو ثلاثين ألفا وبقي معه زهاء ألفين من أرباب البصائر وتحول رجاء بن معاذ وغيره فنزلوا خندق المقنع في أصل القلعة وضايقوه فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم فاتى عليهم واحرق بالنار ما لم يقدر على حمله وقيل بل أحرق كل ما في قلعته من دابة وثوب وغير ذلك ثم قال من أحب ان يرتفع معي الى السماء فليلق نفسه معي في هذه النار وأتى بنفسه مع أهله ونسائه وخواصه فاحترقوا ودخل العسكر القلعة فوجدوها خالية خاوية وكان ذلك مما زاد

ثم قال له عمرو وادع أنت أصحابك قال نعم يا كل أصحابك ثم يجلس هؤلاء بعد فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية معاوية حتى خرج أصحاب عمرو وجلس أصحاب معاوية فقام الذي وكله بغلق الباب فاغلق الباب فقال له عمرو فعلتها فقال اي والله بيني وبينك أمر ان اخترت أيهما شئت البيعة لي أو أقتلك ليس والله غيرهما قال عمرو فاذن لغلامي وردان حتى اشاوره وأنظر رأيه قال لا تراه والله ولا يراك الا قتيلا أو على ما قلت لك قال فاولني اذا مصر قال هي لك ما عشت فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه واحضر معاوية الخواص من اهل الشام ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو فقال لهم عمرو قد رأيت أن ابايع معاوية فلم أر أحدا أقوى على هذا الامر منه فبايعه اهل الشام وانصرف الى منزله خليفة ولما بلغ عليا ما كان من أمر أبي موسى وعمرو قال اني كنت تقدمت اليكم في هذه الحكومة ونهيتكم عنها فابيتم الا عصياني فكيف

في افتتان من بقي من أصحابه والذين يسمون المبيضة بما وراء النهر من اصحابه الا انهم يسرون اعتقادهم وقيل بل شرب هو أيضا من السم فمات فانفذ الحرشي رأسه الى المهدي فوصل اليه وهو بحلب سنة ثلاث وستين ومائة في غزواته

﴿ذكر تغير حال أبي عبيد الله﴾

في هذه السنة تغيرت حال أبي عبيد الله وزير المهدي وقد ذكرنا فيما تقدم سبب اتصاله به أيام المنصور ومسيره معه الى خراسان فحكى الفضل بن الربيع ان الموالي كانوا يقعون في أبي عبيد الله عند المهدي ويحرضونه عليه وكانت كتب أبي عبيد الله ترد على المنصور بما يفعل ويعرضها على الربيع ويكتب اليه يكتب الى المهدي بالوصاية به وترك القول فيه ثم ان الربيع حج مع المنصور حين مات وفعل في بيعة المهدي ما ذكرناه فلما قدم جاء الى باب ابي عبيد الله قبل المهدي وقبل ان يأتي أهله فقال له ابنه الفضل نترك أمير المؤمنين ومنزلك وتأتيه قال هو صاحب الرجل وينبغي ان نعامله غير ما كنا نعامله به ونترك ذكر نصرته له فوقف على بابه من المغرب الى ان صليت العشاء الآخرة ثم أذن له فدخل فلم يقم له وكان متمكئا فلم يجلس ولا أقبل عليه وأراد الربيع ان يذكره ما كان منه في أمر البيعة فقال قد بلغنا أمركم فاوغر صدر الربيع فلما خرج من عنده قال له ابنه الفضل لقد بلغ فعل هذا بك ما فعل وكان الرأي ان لا تأتيه وحيث أتيته وحجبك ان تعود وحيث دخلت عليه فلم يقم لك أن تعود فقال لابنه أنت أحمق حيث تقول كان ينبغي ان لا تجيء وحيث جئت وحجبت أن تعود ولما دخلت فلم يقم لك كان ينبغي ان تعود ولم يكن الصواب الا ما عملته ولكن والله وأكد اليمين لا خلعن جاهي ولا نفقن مالي حتى أبلغ مكروهه وسعى في امره فلم يجد عليه طريقا الا احتياطه في أمر دينه واعماله فاتاه من قبل ابنه محمد فلم يزل يحتال ويدس الى المهدي ويتهمه ببعض حرمه وبابنه زنديق حتى استحكمت التهمة عند المهدي بابنه فامر به فأحضر وأخرج أبوه ثم قال له يا محمد اقرأ فلم يحسن يقرأ شيأ فقال لابيه ألم تعلمني ان ابنك يحفظ القرآن قال بلى ولكنه فارقني منذ سنين وقد نسي قال فقم فتقرب الى الله بدمه فقام ليقتل ولده فعثر فوقع فقال لعباس بن محمد ان رأيت ان تمضي الشيخ فافعل فامر بابنه فضربت عنقه وقال له الربيع يا امير المؤمنين تقتل ابنه وتثق اليه لا ينبغي ذلك فاستوحش منه وكان من أمره ما نذكره

﴿ذكر عبور الصقلبي الى الاندلس وقتله﴾

وفي هذه السنة وقيل سنة ستين عبر عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي واغا سمي به لطوله وزرقته وشقرته من افريقية الى الاندلس محاربا لهم ليدخلوا في الطاعة للدولة العباسية وكان عبوره في ساحل تدمير وكاتب سليمان بن يقظان بالدخول في أمره ومحاربة عبد الرحمن الاموي والدعاء الى طاعة المهدي وكان سليمان ببرشلونة فلم يجبه فاغتاظ عليه وقصد بلده فيمن معه من البربر فهزمه سليمان فعاد الصقلبي الى تدمير وسار عبد الرحمن الاموي نحوه في العدد والعدة وأحرق السفن تضييقا على الصقلبي في الهرب فقصد الصقلبي جبلا منيعا بناحية بلنسية فبذل الاموي ألف دينار لمن أتاه برأسه فاغتاله رجل من البربر فقتله وحمل رأسه الى عبد الرحمن فاعطاه ألف دينار وكان قتله سنة اثنتين وستين ومائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها ظفر نصر بن محمد بن الاشعث بعبد الله بن مروان بالشام فأخذه وقدم به على المهدي فحبسه

رأيتم عاقبة أمركم اذا بيتم
علي والله اني لاعرف من
حملكم على خلافي والترك
لامري ولو أشاء أخذه
لفعلت ولكن الله من
ورائه يريد بذلك الاشعث
ابن قيس والله أعلم وكنت
فيما أمرت به كما قال أخو
بني خثعم
أمرتهم أمري بمنعرج
اللوى ✽
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى
الغد

من دعا الى هذه الخصومة
فاقتلوه قتله الله ولو كان
تحت عمامتي هذه الان
هذين الرجلين الخاطئين
اللذين اختزلهما حكمين
قد تركا حكم الله وحكما
بهوى انفسهما بغير حجة
ولا حق معروف فأماتا
ما أحيى القرآن وأحييا
ما أماته واختلف في
حكمهما كلاهما ولم
يرشدهما الله ولم يوفقهما
فبرئ الله منهما ورسوله
وصالح المؤمنين فتأهبوا
للجهاد واستعدوا للمسير
وأصبحوا في عساكرهم ان
شاء الله تعالى (قال
المسعودي) وقد اختلفت
الفرق من اهل ملتنا في
الحكمين وقالوا في ذلك
أقاويل كثيرة وقد اتينا
على ما ذهبوا اليه في ذلك
في كتاب المقالات وما

في المطبق وجاء عمرو بن سهلة الاشعري فادعى ان عبد الله قتل أباه وحاكمه عند غافية القاضي فتوجه الحكم على عبد الله فجاء عبد العزيز بن مسلم العقيلي الى القاضي فقال زعم عمرو بن سهلة ان عبد الله قتل أباه وكذب والله ما قتل أباه غيري أنا قتلته بأمر مروان وعبد الله بري من دمه فترك عبد الله ولم يعرض المهدي لعبد العزيز لانه قتله بأمر مروان * وفيها غزا الصائفة ثمامة ابن الوليد فنزل بدابق وجاشت الروم مع ميخائيل في ثمانين ألفا فاتى عمق مرعش فقتل وسبى وغنم وأتى مرعش فحاصرها فاتاهم فقتل من المسلمين عدة كثيرة وكان عيسى بن علي مرابطا بحصن مرعش فانصرف الروم الى جيحان و بلغ الخبر المهدي فعظم عليه وتجهز لغزو الروم على ماسنذكره سنة اثنتين وستين ومائة فلم يكن للمسلمين صائفة من أجل ذلك * وفيها أمر المهدي ببناء القصور بطريق مكة أوسع من القصور التي بناها السفاح من القادسية الى زبالة وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل منها و بتجديد الاميال والبرك وبحفر الركايا وولى ذلك يقطين بن موسى وأمر بالزيادة في مسجد البصرة وتقصير المنابر في البلاد وجعلها بمقدار منبر النبي صلى الله عليه وسلم الى اليوم وفيها أمر المهدي يعقوب بن داود بتوجيه الامناء في جميع الآفاق ففعل فكان لاينفذ المهدي كتابا لعامل فيجوز حتى يكتب يعقوب الى أمينه بانفاذ ذلك وفيها غزا الغمر بن العباس في البحر وفيها ولى نصر بن محمد بن الاشعث السند ثم عزل بعبد الملك بن شهاب فمكث عبد الملك ثمانية عشر يوما ثم عزل وأعيد نصر من الطريق وفيها استقضى المهدي غافية القاضي مع ابن علاثة بالرصافة وفيها عزل الفضل بن صالح عن الجزيرة واستعمل عليها عبد الصمد بن علي واستعمل عيسى بن لقمان على مصر ويزيد بن منصور على سواد الكوفة وحسان الشروي على الموصل و بسطام بن عمرو التغلبي على اذربيجان وفيها توفي نصر بن مالك من فالج أصابه وولى المهدي بعده شرطته حمزة بن مالك وصرف أبان بن صدقة عن هرون الرشيد وجعل مع موسى الهادي وجعل مع هرون يحيى بن خالد بن برمك وفيها عزل محمد بن سليمان أبو غمرة عن مصر في ذي الحجة وولى عليها سلمة بن رجاء وحج بالناس موسى الهادي وهو ولي عهد وكان عامل مكة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان وعامل اليمن علي بن سليمان وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور وعلى أحداثها اسحق بن منصور وفيه توفي سفيان الثوري وكان مولده سنة سبع وتسعين وزائده ابن قدامة ابو الصلت الثقفي الكوفي وابراهيم بن أدهم بن منصور ابو اسحق الزاهد وكان مولده ببلخ وانتقل الى الشام فاقام به مرابطا وهو مر بكر بن وائل ذكره ابو حاتم البستي

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة﴾

﴿(ذكر قتل عبد السلام الخارجي)﴾

وفي هذه السنة قتل عبد السلام بن هاشم اليشكري بقنسرين وكان قد خرج بالجزيرة فاشتدت شوكته وكثر اتباعه فلقيه عدة من قواد المهدي فيهم عيسى بن موسى القائد فقتله في عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد فيهم شبيب بن واج المروروذي فندب المهدي الى شبيب ألف فارس وأعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة فوافوا شبيبا فخرج بهم في طلب عبد السلام فهرب منه فادركه بقنسرين فقاتله فقتله بها

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

في هذه السنة وضع المهدي ديوان الازمنة وولى عليها عمرو بن مرزوق مولاه وأجرى المهدي على المجذمين واهل السجون في جميع الآفاق وفيها خرجت الروم الى الحدث فهدموا سورها وغزا

قاله كل فريق منهم ومن أيد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الامة في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وذكرنا في كتاب أخبار الزمان قول علي في مواقفه وخطبه وما قاله في ذلك وما أكره عليه وما بينه لهم بعد الحكومة وما تقدم الحكومة من تحذيره اياهم منها حين ألحوا في تحكيم أبي موسى الاشعري وعمرو حيث قال الا ان القوم قد اختاروا لانفسهم اقرب الناس مما يحبون واخترتم لانفسكم أقرب الناس مما تكرهون انما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس وهو يقول الا انها فتنة فقطعوا فيها اوتاركم وكسروا قسيكم فان يك صادقا فقد اخطأ في مسيره غير مستكره عليه وان يك كاذبا فقد لزمته التهمة وهذا كلام أبي موسى في تخذيله الناس وتحريضه على الجلوس عن أمير المؤمنين علي في حروبه ومسيره الى الجمل وغيره ثم ما قاله في بعض مقاماته في معاتبة لقريش وقد بلغه عن أناس منهم ممن قعد عن بيعته ونافق في خلافته كلام كثير فقال وقد زعمت قريش ان ابن

الصائفة الحسن بن قحطبة فى ثمانين الف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ جملة اذرولية واكثر التحريق والتخريب فى بلاد الروم ولم يفتح حصنا ولا لقى جمعا وسمته الروم التنين وقالوا انما أتى الجملة ليغتسل من مائها للوضح الذى به ورجع الناس سالمين وفيها غزا يزيد بن أسيد السلمى من ناحية قالية فلا فغنم وافتتح ثلاثة حصون وسبى وفيها عزل على بن سليمان عن اليمن واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان وعزل سلمة بن رجاء من مصر وواليها عيسى بن لقمان فى المحرم وعزل عنها فى جمادى الآخرة ووليها واضح مولى المهدى ثم عزل فى ذى القعدة ووليها يحيى الحرشى وفيها خرجت المحمرة بجرجان عليهم رجل اسمه عبد القهار فغلب عليها وقتل بشرا كثيرا فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان فقتله عمر وأصحابه وكان العمال من تقدم ذكرهم فكانت الجزيرة مع عبد الصمد بن على وطبرستان والرويان مع سعيد بن دعلج وجرجان مع مهلهل بن صفوان وفيها أرسل عبد الرحمن صاحب الاندلس شهيد بن عيسى الى دحية الغسانى وكان عاصيا فى بعض حصون البيرة فقتله وسير بدر امولاه الى ابراهيم بن شجرة البرلسى وكان قد عصى فقتله وسير أيضا ثمامة بن علقمة الى العباس البربرى وهو فى جمع من البربر وقد أظهر العصيان فقتله أيضا وفرق جموعه وفيها سير جيش مع حبيب بن عبد الملك القرشى الى القائد السلمى وكان حسن المنزلة عند عبد الرحمن امير الاندلس فشرب ليلة وقصد باب القنطرة ليفتحه على سكر منه فمنعه الحرس فعاد فلما صحى خاف فهرب الى طليطلة فاجتمع اليه كثير ممن يريد الخلاف والشر فما جعله عبد الرحمن بانها ذا الجيوش اليه فنازله فى موضع قد تحصن فيه وحصره ثم ان السلمى طلب البراز فبرز اليه مملوك اسود فاختلفا ضربتين فوقعا صريعين ثم ماتا جميعا وفيها توفى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضى افريقية وقد جاوز تسعين سنة وسبب موته انه أكل عند يزيد بن حاتم سمكا ثم شرب لبنا وكان يحيى بن ماسويه الطبيب حاضرا فقال ان كان الطب صحيحا مات الشيخ الليلة فتوفى من ليلته تلك والله أعلم

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة﴾

﴿(ذكر غزو الروم)﴾

فى هذه السنة تجهز المهدى لغزو الروم فخرج وعسكر بلبدان وجمع الاجناد من خراسان وغيرها وسار عنها وكان قد توفى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس فى جمادى الآخرة وسار المهدى من الغد واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادى واستصحب معه ابنه هرون الرشيد وسار على الموصل والجزيرة وعزل عنها عبد الصمد بن على فى مسيره ذلك ولما حاذى قصر مسلمة بن عبد الملك قال العباس بن محمد بن على المهدى ان لمسلمة فى اعناقنا منة كان محمد بن على مر به فاعطاه أربعة آلاف دينار وقال له اذا نفدت فلا تحتشمنا فاحضر المهدى ولد مسلمة وواليه وأمر لهم بعشرين ألف دينار وأجرى عليهم الارزاق وعبر الفرات الى حلب وأرسل وهو بحلب فجمع من بتلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم بالسكاكين وسار عنها مشيعا لابنه هرون الرشيد حتى جاز الدرب وبلغ جيحان فسار هرون ومعه عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والربيع والحسن بن قحطبة والحسن وسليمان بن برمك ويحيى بن خالد بن برمك وكان اليه أمر العسكر والنفقات والكتابة وغير ذلك فساروا فنزلوا على حصن سمالو فحصره هرون ثمانية وثلاثين يوما ونصب عليه المجانيق ففتحه الله عليهم بالامان ووفى لهم وفتحوا فتوحا كثيرة ولما عاد المهدى من الغزاة زار بيت المقدس ومعه يزيد بن منصور والعباس بن محمد بن على والفضل بن صالح بن على وعلى بن سليمان بن على وقفل المسلمون سالمين الا من قتل منهم وعزل المهدى ابراهيم

أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب تربت ايديهم وهل فيهم اشد مراسا لها منى لقد نهضت فيها وما بلغت الثلثين وها انا ذا قد أربيت على نيف وستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع (قال المسعودى) واذ قد تقدم ذكرنا لجمل من أخبار الجمل وصفين والحكمين فلنذكر الآن جوامع من اخبار يوم النهروان ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام وان كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا فى هذا الكتاب وما تأخر فيما سلف من كتبنا والله اعلم

﴿ذكر خروجه رضى الله عنه مع اهل النهروان وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والاشتر النخعى وغير ذلك﴾

واجتمعت الخوارج فى اربعة آلاف فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى ولحقوا بالمدائن وقتلوا عبد الله بن خباب عامل على عليها ذبحوه ذبحا وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا وقتلوا غيرها من النساء وقد كان على انفصل عن الكوفة فى خمسة وثلاثين الفا واتاه من البصرة من

ابن صالح عن فلسطين ثم ردّه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ولى المهدى ابنه هرون المغرب كله واذربيجان وارمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك وفيها عزل زفر بن عاصم عن الجزيرة واستعمل عليها عبد الله بن صالح وفيها عزل المهدى معاذ بن مسلم عن خراسان واستعمل عليها المسيب بن زهير الضبى وعزل يحيى الحرشى عن اصبهان وولى مكانه الحكم بن سعيد وعزل سعيد بن دعلج عن طبرستان والرويان وولاهما عمر بن العلاء وعزل مهاهل بن صفوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد وكان على مكة والمدينة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان وكان على الكوفة اسحق بن الصباح وعلى البصرة وفارس والبحرين والاهواز محمد بن سليمان وعلى السند نصر بن محمد بن الاشعث وعلى الموصل محمد بن الفضل وحج بالناس هذه السنة على بن المهدى وفيها اظهر عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس التجهز للخروج الى الشام بزعمه لمحو الدولة العباسية وأخذ ثاره منهم فعصى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الانصارى بسرقسطة واشتد أمرهما فترك ما كان عزم عليه وفيها مات موسى بن على بن رباح اللخمى (على بضم العين مصغرا ورباح بالباء الموحدة) وفيها مات ابراهيم بن طهمان وكان عالما فاضلا وكان مرجئا من اهل نيسابور ومات بمكة وفيها توفى ابو الاشهب جعفر بن حيان بالبصرة وفيها توفى بكار بن شريح قاضى الموصل بها وكان فاضلا وولى القضاء بها أبو سكرز الفهرى واسمه يحيى بن عبد الله بن كرز

﴿ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة﴾

فى هذه السنة غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحدث فتاه بخائيل البطريق وطار اد الارمنى البطريق فى تسعين ألفا فخاف عبد الكبير ومنع الناس من القتال ورجع بهم فاراد المهدى قتله فشفع فيه فحبسه وفيها عزل المهدى محمد بن سليمان عن البصرة وسائر عماله واستعمل صالح بن داود مكانه وفيها سار المهدى ليحج فلما بلغ العقبة ورأى قلة الماء خاف ان الماء لا يحمل الناس وأخذته أيضا حمى فرجع وسير أخاه صالحا ليحج بالناس ولحق الناس عطش شديد حتى كادوا يهلكون وغضب المهدى على يقطين لانه صاحب المصانع وفيها عزل عبد الله بن سليمان عن اليمن عن سخطة ووجه من يستقبله و يفتش متاعه واستعمل على اليمن منصور بن يزيد بن منصور وعلى افريقية يزيد بن حاتم وكان العمال من تقدم ذكرهم وعلى الموصل محمد بن الفضل وفيها سار عبد الرحمن الاموى الى سرقسطة بعد ان كان قد سير اليها ثعلبة بن عبيد فى عسكر كثيف وكان سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى قد اجتمعا على خلع طاعة عبد الرحمن كما ذكرناوهما بها فقاتلهم ثعلبة قتالا شديدا وفى بعض الايام عاد الى مخيمه فاغتنم سليمان غرته فخرج اليه وقبض عليه وأخذه وتفرق عسكره واستدعى سليمان فارله ملك الافرنج ووعده بتسليم البلد وثعلبة اليه فلما وصل اليه لم يصح بيده غير ثعلبة فاخذه وعاد الى بلاده وهو يظن أنه يأخذ به عظيم الفداء فاهمله عبد الرحمن مدة ثم وضع من طلبه من الافرنج فاطلقوه فلما كان هذه السنة سار عبد الرحمن الى سرقسطة وفرق أولاده فى الجهات ليدفعوا كل مخالف ثم يجتمعون بسرقسطة فسبقهم عبد الرحمن اليها وكان الحسين بن يحيى قد قتل سليمان بن يقظان وانفرد بسرقسطة فوافاه عبد الرحمن على اثر ذلك فضيق على أهلها

قبل ابن عباس وكان عامله عليها عشرة آلاف فيهم الاحنف بن قيس وحارثة ابن قدامة السعدى وذلك فى سنة ثمان وثلاثين فنزل على الانبار والتأمت اليه العساكر فخطب الناس وحرضهم على الجهاد وقال سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار قد ماطالما سعوا فى اطفاء نور الله وحرضوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الا أن رسول الله أمرنى بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا اليهم والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم والمارقين ولم نلقهم بعد فسيروا الى القاسطين فهم أهم علينا من الخوارج سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أربابا ويتخذون عباد الله خولا ومالهم دولا فابوا الا أن يبدؤا بالخوارج فسار على اليهم حتى أتى النهروان فبعث اليهم بالحرث بن مرة العبدى رسولا يدعوهم الى الرجوع فقتلوه وبعثوا الى على ان تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بايمانك وان أبيت فاعتزلنا حتى نختار لانفسنا اماما

تصييقا شديدا وأتاه أولاده من النواحي ومعهم كل من كان خالفهم وأخبروه عن طاعة غيرهم فرغب الحسين في الصلح واذعن للطاعة فاجابه عبد الرحمن وصالحه وأخذ ابنه سعيدا رهينة ورجع عنه وغزا بلاد الفرنج فدوخها ونهب وسبى وبلغ قاهرة وفتح مدينة كبيرة وهدم قلاع تلك الناحية وسار الى بلاد البشكنس ونزل على حصن مشين الاقرع فافتتحه ثم تقدم الى ملد وثون بن اطلال وحصر قلعته وقصد الناس جبلها وقاتلوهم فيها فلكوها عنوة وخربها ثم رجع الى قرطبة وفيها ثارت فتنة بين بربر بلنسية وبربر شنت برية من الاندلس وجرى بينهم حروب كثيرة قتل فيها خلق كثير من الطائفتين وكانت وقائعهم مشهورة وفيها مات شيبان بن عبد الرحمن أبو معاوية التميمي النحوي البصري وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور وقيل مات سنة ثلاث وستين وكان عمره ثمانيا وسبعين سنة وقيل ثمانين سنة وسعيد بن عبد العزيز الدمشقي وسلام بن مسكين النمري الازدي أبو روح والمبارك بن فضالة بن أبي أمية القرشي مولى عمر بن الخطاب

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة﴾

﴿ذكر غزو الروم﴾

في هذه السنة سير المهدي ابنه الرشيد لغزو الروم صائفة في جمادى الآخرة في خمسة وتسعين ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين رجلا ومعه لربيع فاوغل هرون في بلاد الروم ولقيه عسكر نقيطا قومس القوامسة فبارزه يزيد بن مزيد الشيباني فاثخنه يزيد وانهزمت الروم وغلب يزيد على عسكرهم وساروا الى الدمستق وهو صاحب المسالح فحمل لهم مائة ألف دينار وثلاثة وتسعين ألفا وأربعمائة وخمسين دينارا ومن الورق احدى وعشرين ألف ألف درهم وأربعمائة عشر ألف وثمانمائة درهم وصار الرشيد حتى بلغ خليج القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ عطسة امرأة أليون وذلك ان ابنها كان صغيرا قد هلك أبوه وهو في حجرها فجرى الصلح بينهما وبين الرشيد على الفدية وان تقيم له الادلاء والاسواق في الطريق وذلك انه دخل مدخلا ضيقا مخوفا فاجابته الى ذلك ومقدار الفدية سبعون ألف دينار كل سنة ورجع عنها وكانت الهدنة ثلاث سنين وكان مقدار ما غنم المسلمون الى ان اصطلحوا خمسة آلاف رأس سبي وستمائة وثلاثة وأربعين رأسا ومن الدواب الدلل بادواتها عشرين ألف رأس اوذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس وقتل من الروم في الوقائع أربعة وخمسون ألفا وقتل من الاسارى صبرا ألفان وتسعون أسيرا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عزل خلف بن عبد الله عن الري وواليها عيسى مولى جعفر وحج بالناس هذه السنة صالح بن المنصور وكان العمال من تقدم ذكرهم غير أن البصرة كان على أحداثها والصلاة بها روح بن حاتم وكان على كور دجلة والبحرين وعمان وكسكر والاهواز وفارس وكرمان النعمان مولى المهدي وكان على الموصل أحمد بن اسمعيل بن علي بن عبد الله بن عباس وفيها غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة فنكس مع عبد الرحمن فسير اليه عبد الرحمن غالب بن تمامة بن علقمة في جند كثيف فاقتتلوا فاسر جماعة من أصحاب الحسين فيهم ابنه يحيى فسيرهم الى الامير عبد الرحمن فقتلهم واقام تمامة بن علقمة على الحسين يحصره ثم ان الامير عبد الرحمن سار سنة ست وستين ومائة الى سرقسطة بنفسه فحصرها وضايقها ونصب عليها المجانيق سنة وثلاثين فحينئذ فلكها عنوة وقتل الحسين أقبح قتلة ونفى أهل سرقسطة منها اليمين تقدمت منه ثم ردهم اليها وفيها مات

فانا منك برآء فبعث اليهم على أن ابعثوا الى بقتلة اخواني فاقتلهم ثم أتاركم الى ان أفرغ من قتال أهل المغرب ولعل الله يقلب قلوبكم فبعثوا اليه كلنا قتلة أصحابك وكلنا مستحل لدمائهم مشتركون في قتلهم وأخبره الرسول وكان من يهود السواد ان القوم قد عبروا نهر طبرستان في هذا الوقت وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان فقال على والله ما عبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه ثم تواترت عليه الاخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويخاف انهم لم يعبروه وان مصارعهم دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم عشرة فسار على فاشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لاصحابه فلما اشرف عليهم قال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فابوا ورموا اصحابه فقيل له قد

يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد بن شهر بن مثوب وهو من ولد شهر ذى الجناح الحميرى خال المهدى وقد كان ولى اليمن والبصرة والحج وفيها توفى فتح بن الوشاح الموصلى الزاهد

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين ومائة ﴾

فى هذه السنة أخذ المهدى البيعة لولده هرون الرشيد بولاية العهد بعد أخيه موسى الهادى ولقبه الرشيد وفيها عزل عبيد الله بن الحسن العنبرى عن قضاء البصرة واستقضى خالد بن طليق بن عمران بن حصين فاستعفى أهل البصرة منه

﴿ ذكر القبض على يعقوب بن داود ﴾

وفى هذه السنة سخط المهدى على وزيره يعقوب بن داود بن طهمان وكان أول أمرهم أن داود بن طهمان وهو أبو يعقوب كان يكتب لنصر بن سيار هو واخوته فلما كان أيام يحيى بن زيد كان داود يعلمه ما يسمعه من النصر فلما طلب أبو مسلم الخراسانى بدم يحيى بن زيد اتاه داود لما كان بينه وبين يحيى فامنه أبو مسلم فى نفسه وأخذ ماله الذى استفاد أيام نصر فلما مات داود خرج أولاده أهل أدب وعلم ولم يكن لهم عند بنى العباس منزلة فلم يطمعوا فى خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر واظهروا مقالة الزيدية ودنوا من آل الحسين وطمعوا أن تكون لهم دولة فكان داود يحب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن احيانا وخرج معه هو وعدة من اخوته فلما قتل ابراهيم طلبهم المنصور فاخذ يعقوب وعليا وحبسهما فلما توفى المنصور أطلقهما المهدى مع من أطلقه وكان معهما الحسن بن ابراهيم فاتصل الى المهدى بسببه كما تقدم ذكره وقبل اتصل به بالسعاية بآل على ولم يزل أمره يرتفع حتى استوزره وكان المهدى يقول وصف لى يعقوب فى منامى فقيل لى استوزره فلما رأيته رأيت الخلقة التى وصفت لى فاتخذته وزيرا فلما ولى الوزارة أرسل الى الزيدية فجمعهم وولاهم أمور الخلافة فى المشرق والمغرب ولذلك قال بشار بن برد

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناى والعود

فحسده موالى المهدى وسعوا به وقيل له ان الشرق والغرب فى يد يعقوب وأصحابه وانما يكفيه أن يكتب اليهم ثم يثور وانى يوم واحد فيأخذوا الدنيا فلا ذلك قلب المهدى ولما بنى المهدى عيسا وأتاه خادم من خدمه فقال له ان أحمد بن اسمعيل بن على قال لى ابنى متنزها أنفق عليه خمسين ألف ألف من بيت المال فحفظها المهدى ونسى أحمد بن اسمعيل وظن أن يعقوب قالها فبينما يعقوب بين يديه اذ لببه فضرب به الارض وقال ألست القائل كيت وكيت فقال والله ما قلته ولا سمعته قال وكان السعاة يسعون بيعقوب ليلا ويتفرقون وهم يعتقدون انه يقبضه بكرة فاذا أصبح غدا عليه فاذا نظر اليه تبسم وسأله عن مبيته وكان المهدى مستهترا بالنساء فيخوض يعقوب معه فى ذلك فيفترقان عن رضا ثم انه كان ليعقوب برذون كان يركبه فخرج يوما من عند المهدى وعليه طيلسان يتقعقع من كثرة دقه والبرذون مع الغلام وقد نام الغلام فركب يعقوب وأراد تسوية الطيلسان فنفر من قعقعته فسقط فدنا من دابته فرفسه فانكسر ساقه فانقطع عن الركوب فعاده المهدى من الغد ثم انقطع عنه فتمكن السعاة منه فاظهر المهدى السخط عليه ثم أمر به فسجن فى سجن نصر وأخذ عماله واصحابه فحبسوا وقال يعقوب بن داود بعث الى المهدى يوما فدخلت عليه وهو فى مجلس مفروش بفرش مورد على بستان فيه شجر ورؤس الشجر مع صحن المجلس وقد اكتسى ذلك الشجر بالازهار فما رأيت شيأ أحسن منه وعنده جارية عليها نحو ذلك الفرش ما رأيت

رمونا فقال كفوا فكرروا القول عليه ثلاثا وهو يأمرهم بالكف حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه فقال على الله أكبر الآن حل قتالهم احملوا على القوم فحمل رجل من الخوارج على اصحاب على فخرج فيهم وجعل يفشى كل ناحية ويقول

أضربهم ولو أرى عليا *
ألبسته أبيض مشرفيا
فخرج اليه على رضى الله عنه وهو يقول
يا ايها المبتغى عليا *
انى أراك جاهلا شقيا
قد كنت عن كفاحه غنيا *
هلم فابرزها هنا اليا
وحمل عليه على فقتله ثم خرج منهم آخر فحمل على الناس ففتك فيهم وجعل يكر عليهم وهو يقول

أضربهم ولو أرى ابا حسن *
ألبسته بصارمى ثوب غبن
فخرج اليه على وهو يقول
يا ايها المبتغى ابا حسن
اليك فانظر أينا يلقى الغبن
وحمل عليه على وشكه بالرمح وترك الرمح فيه فانصرف على وهو يقول
لقد رأيت ابا حسن فرأيت ما تكره وحمل ابو أيوب الانصارى على زيد بن حصن فقتله وقتل عبد الله بن وهب الذى قتل

احسن منها فقال لي يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا قلت على غاية الحسن فتع الله أمير المؤمنين به قال هو لك بما فيه وهذه الجارية لتتم سرورك به قال فدعوت له ثم قال لي يا يعقوب ولي اليك حاجة أحب أن تضمن لي قضاءها قلت الامر لامير المؤمنين وعلي السمع والطاعة فاستحلفني بالله وبرأسه فحلفت لاعملن بما قال فقال هذا فلان بن فلان من ولد علي بن ابي طالب واحب ان تكفيني مؤنته وتريحني منه وتجعل ذلك قلت أفعل فاخذته واخذت الجارية وجميع ما في المجلس وأمر لي بمائة الف درهم فلشدة سروري بالجارية صيرتها في مجلس بيني وبينها وستر وادخلت العلوي الي وسألته عن حاله فاخبرني واذا هو اعقل الناس وأحسنهم ابانة عن نفسه ثم قال ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمي وانا رجل من ولد فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم قلت لا والله فهل فيك أنت خير قال ان فعلت خيرا شكرت ولك عندي دعا واستغفار فقلت اي الطريق احب اليك قال كذا وكذا فأرسلت الى من يثق اليه العلوي فأخذه واعطيته مالا وأرسلت الجارية الى المهدي تعلمه الحال فارسل الى الطريق فاخذ العلوي وصاحبه والمال فلما كان الغد استحضرني المهدي وسألني عن العلوي فاخبرته فاستحلفني بالله وبرأسه فحلفت له فقال يا غلام اخرج الينا ما في هذا البيت فاخرج العلوي وصاحبه والمال فبقيت متحيرا وامتنع مني الكلام فما أدري ما أقول فقال المهدي تدخل لي دهلك ولكن احبسوه في المطبق ولا اذكر به فحبست في المطبق وتخذلي فيه بئر فدليت فيها فبقيت مدة لا أعرف عددها وأصبت ببصري قال فاني لكذلك اذ دعي بي وقيل لي سلم على أمير المؤمنين فسلمت قال اي امير المؤمنين انا قلت المهدي قال رحم الله المهدي قلت فالهادي قال رحم الله الهادي قلت فالرشيد قال نعم سل حاجتك قلت المقام بمكة فما بقي في مستمتع لشيء ولا بلاغ فادن لي فسرت الى مكة قال فلم تطل اياما حتى مات وكان يعقوب قد ضجر بعوضه قبل حبسه وكان اصحاب المهدي يشربون عنده فكان يعقوب ينهاه عن ذلك ويعظه ويقول ليس على هذا استوزرتني ولا عليه صحبتك بعد الصلوات الخمس في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ فضيق على المهدي حتى قيل

فدع عنك يعقوب بن داود جانبا * وأقبل على صهباء طيبة النشر

وقال يعقوب يوما للمهدي في أمر أراده هذا والله السرف فقال المهدي ويحك يا يعقوب انما يحسن السرف باهل الشرف ولولا السرف لم يعرف المكثرون من المقلين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة سار المهدي الى جرجان وجعل على قضائه أبا يوسف وفيها أمر المهدي باقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن ببغال وابل ولم يكن هنالك بريد قبل ذلك وفيها اضطربت خراسان على المسيب بن زهير فولاها الفضل بن سليمان الطوسي أبا العباس وأضاف اليه سجستان فاستخلف على سجستان تميم بن سعيد بن دعلج وفيها أخذ المهدي داود بن روح بن حاتم واسمعيل بن مجالد ومحمد بن أبي أيوب المكي ومحمد بن طيفور في الزندقة فاستتابهم وخلى سبيلهم وبعث داود الى أبيه وهو على البصرة وأمره بتأديبه وفيها استعمل ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله على المدينة وكان على مكة والطائف عبيد الله بن قثم وفيها عزل منصور بن يزيد بن منصور عن اليمن واستعمل عبد الله بن سليمان الربعي وفيها أطلق المهدي عبد الصمد بن علي من حبسه وحج بالناس ابراهيم بن يحيى وكان على الكوفة هاشم بن سعيد وعلى البصرة روح بن حاتم وعلى قضائها خالد بن طليق وعلى كور دجلة وكسكر واعمال البصرة والبحرين والاهواز وفارس وكرمان المعلى مولى

هانئ بن حاطب الازدي وزياد بن حفصة وقتل حرقوص بن زهير السعدي وكان جملة من قتل من أصحاب علي تسعة ولم يقتل من الخوارج الا عشرة وأتى علي على القوم وهم اربعة آلاف فيهم المخدج ذو الثدية الامن ذكرنا من هؤلاء العشرة وامر علي بطلب المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه فقام علي وعليه أثر الحزن لفقد المخدج فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال افرجوا ففرجوا يمينا وشمالا واستخرجوه فقال علي رضي الله عنه الله أكبر ما كذبت على محمد وانه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدي المرأة عليها خمس شعرات أو سبع رؤسها معقفة ثم قال ائتوني به فنظر الى عضده فاذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود اذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذي بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فثنى رجله ونزل وخر لله ساجدا ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد صرعكم من غركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وانفس السوء

المهدى وعلى مصر ابراهيم بن صالح وعلى افريقية يزيد بن حاتم وعلى طبرستان والرويان وجرجان يحيى الحرشى وعلى دنباوند وقومس فراشة مولى المهدى وعلى الرى سعد ولاه وعلى الموصل أحمد ابن اسمعيل الهاشمى وقيل موسى بن كعب الخثعمى وعلى قضائها على بن مسهر بن عمير ولم يكن فى هذه السنة صائفة للهدنة وفيها قتل بشار بن برد الشاعر الاعمى على الزندقة وكان حاذق ممسوح العينين وفيها توفى الجراح بن مليح الرؤاسى وهو والد وكيع وفيها توفى المبارك بن فضالة وحماد بن سلمة البصرى وفيها قتل عبد الرحمن الاموى صاحب الابدلس ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام وهذيل بن الصميل وسمرة بن جبلة لانهم اجتمعوا على خلعه مع العلاء ابن حميد القشيرى فتقرب بهم

﴿ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة﴾

فى هذه السنة سار موسى الهادى الى جرجان فى جمع كثيف وجهز لم يتجهز أحد مثله لمحاربة ونداد هرمز وشروين صاحبى طبرستان وجعل المهدى على رسائل موسى أبان بن صدقة ومحمد بن جميل على جنده وتقيما مولى المنصور وعلى حجابته وعلى بن عيسى بن ماهان على حرسه فسير الهادى الجنود اليهما وتمر عليهم يزيد بن مزيد فحاصرهما وفيها توفى عيسى بن موسى بالكوفة فاشهد روح بن حاتم على وفاته القاضى وجماعة من الوجوه ودفن وكان عمره خمسا وستين سنة ومدة ولايته العهد اثنا وعشرين سنة وقد تقدم ذكر ولايته العهد وعزله عنه وفيها جد المهدى فى طلب الزنادقة فاخذ يزيد بن الفيض فاقر فحبس فهرب فلم يقدر عليه وكان المتولى لامر الزنادقة الكاوذانى وفيها عزل المهدى اباعبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع وفيها كان الوباء ببغداد والبصرة وفشا فى الناس سعال شديد وفيها توفى أبان بن صدقة كاتب الهادى فوجه المهدى مكانه أبا خالد الاحول وفيها أمر المهدى بالزيادة فى المسجد الحرام ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم فدخلت فيه دور كثيرة وكان المتولى لبنائه يقطين بن موسى فبقى البناء فيه الى أن توفى المهدى وكذلك أمر بالزيادة فى المسجد الجامع بالموصل ورأيت لوحا فيه ذكر ذلك وهو فى حائط الجامع سنة ثلاث وستمائة وهو باق وفيها عزل يحيى الحرشى عن طبرستان والرويان وما كان اليه وولاه عمر بن العلاء وولى جرجان فراشة مولى المهدى وفيها أظلمت الدنيا ثلاث مضين من ذى الحجة حتى تمالى النهار ولم يكن صائفة للهدنة وحج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وهو على المدينة ثم توفى بعد فراغه من الحج بايام وتولى مكانه اسحق بن عيسى بن على وفيها طعن عقبة بن سلم الهنائى غلاما له رجل بخنجر فمات ببغداد وكان على اليمن سليمان ابن يزيد الحارثى وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيرى وكان على البصرة محمد بن سليمان وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمى وعلى الموصل أحمد بن اسمعيل الهاشمى وقيل موسى بن كعب وباقى الامصار كما تقدم وفى هذه السنة توفى جعفر الاحمر أبو شيبة والحسن بن صالح بن حى وكان شيعيا عابدا وسعيد بن عبد الله بن عامر التنوخى وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن مسلم وفيها أفسد العرب فى بادية البصرة بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطريق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة فارسل المهدى اليهم جيشا فقاتلهم واشتد القتال وصبر العرب فظفروا وقتلوا عامة العسكر المنفذ اليهم فقويت شوكتهم وزاد شرهم

﴿ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة﴾

فى هذه السنة فى رمضان نقض الروم الصلح الذى كان بينهم وبين المسلمين وكان من أوله الى ان

فقال أصحابه قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر فقال كلا والذى نفسى بيده انهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الاسمط يخرج اليه رجل منا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة وجمع على ما كان فى عسكر الخوارج فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والاماء الى أهليهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا يا أمير المؤمنين قد كلت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فدعنا نستعد باحسن عدتنا وكان الذى كلمه بهذا الاشعث بن قيس فعسكر على بالنخيلة فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون باوطانهم فلم يبق معه الا نفر يسير ومضى الحرث بن راشد الناجى فى ثلاثمائة من الناس فارتدوا الى دين النصرانية وهم من ولد سامة بن لؤى عند أنفسهم وقد أبى ذلك كثير من

نقصوه اثنان وثلاثون شهرا فوجه علي بن سليمان وهو على الجزيرة وقنسرين يزيد بن أسيد بن البطال في خيل فغنموا وظفروا

﴿ذكر الخوارج بالموصل﴾

وفيها خرج بارض الموصل خارجي اسمه ياسين من بني تميم فخرج اليه عسكر الموصل فهزمهم وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة وكان يميل الى مقالة صالح بن مسرح الخارجي فوجه اليه المهدي أبا هريرة محمد بن فروخ القائد وهرثمة بن أعين مولى بني ضبة فحارباه فصبر لهما حتى قتل وعدة من اصحابه وانهزم الباقون

﴿ذكر مخالفة أبي الاسود الاندلس﴾

في هذه السنة ثار أبو الاسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالاندلس وكان من حديثه انه كان في سجن عبد الرحمن بقرطبة من حين هرب أبوه وقتل أخوه عبد الرحمن على ما تقدم وحبس أبو الاسود وتمادى في الحبس فصار يحاسى العميان ولا يطرف عينه لشئ وبقي دهرا طويلا حتى صح عند الامير عبد الرحمن الاموي ذلك وكان في أقصى السجن سرداب يفضي الى النهر الاعظم يخرج منه المحبوسون فيقضون حوائجهم من غسل وغيره وكان الموكلون بهم يملون أبا الاسود لعماه فلما رجع من النهر يقرل مر بديل الاعمى على موضعه وكان مولى له يحادثه على شاطئ النهر ولا ينكر عليه فواعده أن يأتيه بحبل يحمله عليه فخرج يوما ومولاه ينتظره فمر النهر سباحة وركب الخيل ولحق بطليطلة فاجتمع له خلق كثير فرجع بهم الى قتال عبد الرحمن الاموي فالتقيا على الوادي الاحمر بقسطلونة واشتد القتال ثم انهزم أبو الاسود وقتل من أصحابه أربعة آلاف سوى من تردى في النهر واتبعه الاموي يقتل من لحق حتى جاوز قلعة الرباح ثم جمع وعاد الى قتال الاموي في سنة تسع وستين فلما أحس بمقدمة الاموي انهزم أصحابه وهو معهم وأخذ عياله وقتل أكثر رجاله وبقي الى سنة سبعين فملك بقرية من أعمال طليطلة وقام بعده أخوه قاسم وجمع جمعا فغزاه الامير فجاء اليه بغير أمان فقتله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها هلك شيلون ملك جليقية فولوا مكانه اذفونش فوثب عليه مورقاط فقتله فاختل أمرهم فدخل عليهم نائب عبد الرحمن بطليطلة في عساكره فقتل وغنم وسبى ثم عاد سالما وفيها توفي أبو القاسم بن واسول مقدم الخوارج الصفرية بسجلماسة فجأه في صلاة العشاء الآخرة وكانت امارته اثنتي عشرة سنة وشهرا وولي بعده ابنه الياس وفيها سير المهدي سعيدا الحرشي في أربعين ألفا الى طبرستان وفيها مات عمر الكاوذاني صاحب الزنادقة وولي مكانه محمد بن عيسى بن حمدويه فقتل من الزنادقة خلقا كثيرا وحج بالناس علي بن المهدي الذي يقال له ابن ريطة وفيها توفي يحيى بن سلمة بن كهيل وعبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة ومندل بن علي ومحمد بن عبد الله ابن علاثة بن علقمة القاضي والحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان قد استعمله المنصور على المدينة خمس سنين ثم عزله وحبسه ببغداد واخذ ماله فلما ولي المهدي أخرجه ورد عليه ماله وكان جوادا الا أنه كان منحرفا عن أهل بيته مائلا الى المنصور وفيها توفي بشر بن ربيع وعنبر بن القاسم (عنبر بفتح العين المهملة وبالباء الموحدة والثاء المثلثة)

﴿ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة﴾

﴿ذكر موت المهدي﴾

الناس وذكروا ان سامة ابن لؤي ما أعقب وقد حكى عن علي فيهم ما قد ذكرنا في كتابنا في أخبار الزمان ولست ترى سامي الا منصرفا عن علي من ذلك ما ظهر عن علي بن الجهم الشاعر السامي من التعصب والانحراف وقد أتينا على لمع من شعره واخباره في الكتاب الاوسط ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلي عليه السلام انه كان يلعن اباه فسئل عن ذلك ويم استحق اللعن منه فقال بتسميته اياي عليا فسرح عليهم على معقل ابن قيس الرياحي فقتل الحرث ومن معه من المرتدين بسيف البحر وسبى عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين فنزل معقل بن قيس بعض كور الاهواز بسبي القوم وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملا لعلي فصاح به النسوة امنن علينا فانا نراهم بثلثمائة الف وأعتقهم وأدى من المال مائتي الف وهرب الى معاوية فقال علي قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو أقام أخذنا ما قدرنا على اخذه فان أعسر أنظرناه وان عجز لم نؤاخذه بشئ

في هذه السنة مات الهدى أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بماسبذان وسبب خروجه اليها انه قد عزم على خلع ابنه موسى الهادي والبيعة للرشيد بولاية العهد وتقديمه على الهادي فبعث اليه وهو بجرجان في المعنى فلم يفعل فبعث اليه في القدوم عليه فضرب الرسول وامتنع من القدوم عليه فسار الهدى بريده فلما بلغ ماسبذان أكل طعاما ثم قال اني داخل الى البهو أنام فلا توقظوني حتى أكون أنا الذي أنتبه فدخل فنام ونام أصحابه فاستيقظوا ببكائه فأتوه مسرعين فقال وقف على الباب رجل فقال

كأني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة * وملك الى قبر عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه * تنادى عليه معولات حلائله

فبقي بعد ذلك عشرة أيام ومات واختلف في سبب موته فقيل انه كان يتصيد فطردت الكلاب ظبيا وتبعته فدخل باب خربة ودخلت الكلاب خلفه ثم تبعها فرس الهدى فدخلها ودق الباب ظهره فمات من ساعته وقيل بل بعثت جارية من جواريه الى ضرة لها بإناء فيه سم فدعا به الهدى فأكل منه فخافت الجارية ان تقول انه مسموم فمات من ساعته وقيل بل عمدت حسنة جارية له الى كمثرى فاهدته الى جارية أخرى كان الهدى يتحظاها وسمت منه كمثراة هي احسن الكمثرى فاجتاز بالهدى فدعا به وكان يحب الكمثرى فأخذ تلك الكمثراة المسمومة فأكلها فلما وصلت الى جوفه صاح حوفي جوفي فسمعت صوته فجاءت تلطم وجهها وتبكي وتقول اردت ان أنفرد بك فتقتلك فمات من يومه ورجعت حسنة وعلى فيها المسوح فقال أبو العتاهية في ذلك

ورحن في الوشي وأقبلن عليهن المسوح
كل نطاح من الدنيا له يوم نطوح
لست بالباقي ولو عمرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح ان * كنت لا بد تنوح

وكان موته في المحرم لثمان بقين منه وكانت خلافته عشر سنين وشهرا وقيل عشر سنين وتسعة وأربعين يوما وتوفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ودفن تحت جوزة كان يجلس تحتها وصلى عليه ابنه الرشيد وكان أبيض طويلا وقيل أسمر باحدى عينيه نكتة بياض

﴿ ذكر بعض سيرته ﴾

كان الهدى اذا جلس للمظالم قال أدخلوا علي القضاة ولم يكن يرد لمظالم الا للعلماء منهم وعتب الهدى على بعض القواد في غير مرة وقال له في آخر ذلك الى متى تذنب قال الى أبد الدنيا فقال له يبقيك الله فتدفع عنا فاستحيا منه ورضي عنه وقال مسور بن مساور ظلمني وكيل الهدى وغصبني ضيعة لي فكتبت الى الهدى أتظلم فوصلت الرقعة وعنده عمه العباس ومحمد بن علاثة وعافية القاضي فاستدناني الهدى وسألني عن حالي فذكرته فقال أترضى باحدهذين قلت نعم فاستدناني حتى التزقت بالفراش وحاكمني فقال له القاضي أطلقها له يا أمير المؤمنين قال قد فعلت فقال عمه العباس والله لهذا المجلس أحب الي من عشرين ألف ألف درهم وخرج الهدى متنزها ومعه عمر بن ربيع مولاه فانقطعا في الصيد من العسكر وأصاب الهدى جوع فقال هل من شيء فقيل له نرى كوخا فقصدوه فاذا فيه نبطي وعنده مبقلة فسلموا عليه فرد السلام فقالوا هل من طعام فقال عندي ربيثاء وهو نوع من الحمحاة وعندي خبز شعير فقال الهدى ان كان عندك

وانفذ العنق وفي ذلك يقول مصقلة بن هبيرة من أبيات

تركت نساء الحي بكرين وائل
واعنقت سبيا من لؤي بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمد
لمال قليل لا محالة ذاهب

وفي ذلك يقول الآخر

ومصقلة الذي قد باع بيعا *
ربيحا يوم ناجية ابن سام

ولمصقلة أفعال أتاها وحيل عملها قد ذكرناها وما قال في ذلك من الشعر في الكتاب الاوسط وقال علي بن محمد بن جعفر العلوي فيمن انتمى الى سامة بن لؤي بن غالب بن محمد

أسامة صنافا ما ينوه *
فامرهم عندنا مظلم
ناس تونا بانسابهم *
خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصي *
وكل أفاويله محكم
اذا ما سيلت فلم تدر ما *
تقول فقل ربنا أعلم

وفي سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمر ابن العاص الى مصر في أربعة آلاف ومعه معاوية بن خديج وأبو لاعور السلمي واستعمل عمرا على ما حيازته ووفى له بما تقدم من ضمانته فالتقوا هم ومحمد بن أبي

بكر وكان عامل على عليها بالموضع المعروف بالمنشأة فاقتتلوا فانهزم محمد لاسلام أصحابه اياه وتركهم له وصار الى موضع بمصر فاختفى فيه فاحيط بالدار فخرج اليهم محمد ومن معه من أصحابه فقاتلهم حتى قتل فاخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما فجعلوه فى جلد حمار وأضرموه بالنار وذلك بموضع فى مصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه شئ من الحياة وبلغ معاوية قتل محمد واصحابه فاظهر الفرح والسرور وبلغ عليا قتل محمد وسروره معاوية فقال جزعنا عليه على قدر سرورهم فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعى عليه كان لى ربيبا وكنت أعده ولدا كان بى برا وكان ابن أخى فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه وولى على الاشتر مصر وانفذه اليها فى جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان وكان بالعريش فارغبه وقال اترك خراجك عشرين سنة فاحتل للاشتر بالسم فى طعامه فلما نزل الاشتر العريش سأل الدهقان أى الطعام والشراب أحب اليه قيل

زيت فقد أكلت قال نعم وكرات فاتاهم بذلك فأكل حتى شبع فقال المهدى لعمر بن ربيع قل فى هذا شعرا فقال

ان من يطعم الربيثاه بالزيـ * ـت وخبز الشعير بالكرات
لحقيق بصنعة أو بثنتيـ * ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدى بئس ما قلت اغا هو

لحقيق ببدرة أو بثنتيـ * ـن لحسن الصنيع أو بثلاث

قال ووافاهم العسكر والخزائن والخدم فامر للنبطى بثلاث بدر وانصرف وقال الحسن الوصيف أصابتنا ريح شديدة أيام المهدى حتى ظننا انها تسوقنا الى المحشر فخرجت أطلب المهدى فوجدته واضعا خده على الارض وهو يقول اللهم احفظ محمدا فى أمته اللهم لا تشمت بنا أعداءنا من الامم اللهم ان كنت أخذت هذا العالم بذنبى فهذه ناصيتى بين يديك قال فما لبثنا الا يسيرا حتى انكشفت الريح وزال عنا ما كنا فيه ولما حضرت القاسم بن مجاشع التميمى المروزى الوفاة أوصى الى المهدى فكتب شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم الآية ثم كتب والقاسم يشهد بذلك ويشهد ان محمدا عبده ورسوله وان على بن أبى طالب وصى رسول الله ووارث الامامه من بعده فعرضت الوصية على المهدى بعد موته فلما بلغ الى هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها وقال الربيع رأيت المهدى يصلى فى بهوله فى ليلة مقمرة فما أدرى أهو أحسن أم البهو أم القمر أم نيابه فقرأ فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم قال فاتم صلاته ثم التفت وقال يا ربيع قلت لبيك قال موسى فقلت فى نفسى من موسى ابنه أم موسى بن جعفر وكان محبوسا عندى فجعلت أفكر فقلت ما هو الا موسى بن جعفر فاحضرته فقطع صلاته ثم قال يا موسى انى قرأت هذه الآية فخفت ان أكون قد قطعت رحمك فوثق لى انك لا تخرج قال نعم موثق له فخلاه وقال محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رأيت فيما يرى النائم فى آخر سلطان بنى أمية كانى دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت رأسى فنظرت فى الكتاب الذى فى المسجد بالفسيفساء فاذا فيه مما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك واذا انا ائل يقول يمحى هذا الكتاب ويكتب مكانه اسم رجل من بنى هاشم يقال له محمد قلت فانا من بنى هاشم واسمى محمد فابن من قال ان عبد الله قال قلت وأنا ابن عبد الله فابن من قال ان محمد قلت فانا ابن محمد فابن من قال ابن لى قلت فانا ابن على فابن من قال ابن عبد الله قلت فانا بن عبد الله فابن من قال ابن عباس فلم يبلغ العباس ما شككت انى صاحب الامر قال فتحدثت بها دلك الزمان ونحن لا نعرف المهدى حتى ولى المهدى فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه فرأى اسم الوليد فقال أرى اسم الوليد الى اليوم فدعا بكرسى فالقى فى صحن المسجد وقال ما أنا ببارح حتى يمحى ويكتب اسمى مكانه ففعل ذلك وهو جالس وخرج المهدى يطوف بالبيت ليلا فسمع اعرابية تقول قومى مقترون نبت عنهم لميون فدحتهم الديون وعضتهم السنون بادت رجالهم وذهبت موالهم وكثرت عيالهم ابناء سبيل وانضاء طريق وصية الله ووصية الرسول فهل من آمر لى بخير كان الله فى سفره وخلفه فى أهله قال فامر لها بخمسمائة درهم وقال المهدى ما توسل أحد الى بوسيلة هى أقرب من تذكيرى يدا سلفت منى اليه اتبعها أختها وأحسن ربها فان منع الاواخر يقطع شكر الاوائل وكان بشار بن برد قد هجا صالح بن داود أخا بنى قريب حين ولى فقال

هم حملوا فوق المنابر صالحا * أخاك فضجت من أخيك المنابر

فبلغ يعقوب مجيئه فدخل على المهدى فقال له ان هذا الاعمى المشرك قد هجا أمير المؤمنين قال وما قال قال يعفيني أمير المؤمنين من انشاده فأبى أن يعفيه فانشده

خليفة يزنى بعماته * يلعب بالدبوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره * ودس موسى فى حر الخيزران

فوجه فى حمله فخاف يعقوب أن يقدم على المهدى فيمدحه فيعفو عنه فوجه اليه من بلقيه فى البطيحة فى الحمارة وماتت الياقوتة بنت المهدى وكان معجبا بها لا يطيق الصبر عنها حتى انه كان يلبسها لبسة الغلمان ويركبها معه فلما ماتت وجد عليها وأمر أن لا يحجب عنه أحد فدخل الناس يعزونه وأجمعوا على أنهم لم يسمعوا تعزية أبلغ ولا أوجز من تعزية شبيب بن شبيبة فانه قال يا أمير المؤمنين ما عند الله مما عندك خير لها منك وثواب الله خير لك منها وأنا أسأل الله أن لا يحزنك ولا يفتنك وأن يعطيك على ما رزئت أجرا ويعقبك صبرا ولا يجهدك بلاء ولا ينزع منك نعمة وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل الى رده

﴿(ذكر خلافة الهادى)﴾

وبويع لابنه موسى الهادى فى اليوم الذى مات فيه المهدى وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان ولما توفى المهدى كان الرشيد معه بماسبذان فأتاه الموالى والقواد وقالوا له ان علم الجند بوفاة المهدى لم يؤمن الشعب والرأى ان تنادى فيهم بالرجوع حتى تواريه ببغداد فقال هرون ادعوا الى أبى يحيى بن خالد وكان يحيى يتولى ما كان الى الرشيد من أعمال المغرب من الانبار الى افريقية فاستدعى يحيى الى الرشيد فقال ما تقول فيما رأى هؤلاء وأخبره الخبر فقال لا أرى ذلك لان هذا لا يخفى ولا آمن اذ علم الجند أن يتعلقوا بحمله ويقولوا لا نخلى حتى يعطى لثلاث سنين وأكثر أو يتحكموا ويشتطوا ولكنى أرى أن يوارى رحمه الله ههنا وتوجه نصيرا الى أمير المؤمنين الهادى بالحاتم والقضيب والتعزية والتهنئة فان الناس لا ينكرون خروجه اذ هو على بريد الناحية وأن تأمر لمن تبعك من الجند بجوائز مائتين مائتين وتنادى فيهم بالرجوع فلا تكون لهم همة سوى اهلهم ففعل ذلك فلما قبض الجند الدراهم تنادوا ببغداد بغداد واسرعوا اليها فلما بلغوها وعلموا خبر المهدى اتوا باب الربيع واحرقوه واخرجوا من كان فى الحبوس وطالبوا بالارزاق فلما قدم الرشيد بغداد ارسلت الخيزران الى الربيع والى يحيى بن خالد تستدعيهما لتشاورهما فى ذلك فأما الربيع فدخل عليها وأما يحيى فامتنع لما يعلم من غيرة الهادى وجمع الاموال حتى اعطى الجند لسنتين فسكتوا وكتب الهادى الى الربيع كتابا يتهدده بالقتل وكتب الى يحيى يشكره ويأمره بان يقوم بامر الرشيد وكان الربيع بوديحيى ويثق به فاستشاره فيما يفعل خوفا من الهادى فاشار عليه بان يرسل ولده الفضل الى طريق الهادى بالهدايا والتحف ويعتذر اليه ففعل ورضى الهادى عنه وكان الربيع قد أوصى الى يحيى بن خالد وأخذت البيعة للهادى ببغداد وكتب الرشيد الى الآفاق بوفاة المهدى وأخذ البيعة للهادى وسار نصير الوصيف الى الهادى بجرجان فعلم بوفاة المهدى والبيعة له فنادى بالرحيل وركب على البريد مجدا فبلغ بغداد فى عشرين يوما وأقدمها استوزر الربيع وفى هذه السنة أيضا هلك الربيع وفيها اشتد طلب المهدى للزنادقة فقتل منهم جماعة منهم على بن يقطين وقتل أيضا يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان سبب قتله انه أتى به الى المهدى فاقر بالزندقة فقال لو كان ما تقول حقا لكنت حقيقا ان لا تتعصب لمحمد ولولا محمد ما كنت أما

العسل فاهدى له عسلا وقال ان من أمره وشانه كذا وكذا ووصفه للمشترى وكان الاشتراء صائما فتناول منه شربة فما استقرت فى جوفه حتى تلف وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه وقيل كان ذلك بالقلزم والاول أثبت فبلغ ذلك عليا فقال لليدين وللفم وبلغ ذلك معاوية فقال ان لله جندا من العسل وقبض اصحابه عن على فى هذه السنة ثلاثة ارزاق على حسب ما كان يحمل اليه من المال من أعماله ثم ورد عليه مال من اصبهان فخطب الناس وقال اغدوا الى عطاياكم فوالله ما انا لكم بخازن وكان فى عطائه يأخذ كما يأخذ الواحد منهم ولم يكن بين على ومعاوية من الحرب الا ما وصفنا بصفين وكان معاوية فى بقية أعمال على يبعث سرايا تغير وكذلك على كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا (قال المسعودى رحمه الله) وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الآراء فى الخوارج وغيرهم

والله لولا اني جعلت على نفسي ان لا أقتل هاشميا لقتلتك ثم قال للهادي أقسمت عليك ان وليت هذا الامر لتقتلنه ثم حبسه فلما مات المهدي قتله الهادي وكذلك أيضا كان عهد اليه بقتل ولد لداود بن علي بن عبد الله بن عباس كان زنديقا فمات في الحبس قبل الهادي والما قتل يعقوب ادخل اولاده على الهادي فافرت ابنته فاطمة انها حبلى من ابيها فخوفت فماتت من الفزع

﴿ذكر ظهور الحسين بن علي بن الحسن﴾

وفي هذه السنة ظهر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب بالمدينة وهو المقتول بفخ عند مكة وكان سبب ذلك ان الهادي استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلما وليها أخذ ابا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندب الشاعر الهذلي وعمر بن سلام مولى آل عمر علي نبيذ لهم فأمر بهم فضربوا جميعا وجعل في أعناقهم حبال وطيف بهم في المدينة فجاء الحسين بن علي الى العمري وقال له قد ضربتهم ولم يكن لك ان تضربهم لان أهل العراق لا يرون به بأسا فلم تطوف بهم فامر بهم فردوا وحبسهم ثم ان الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن كلما الحسن بن محمد فاخرجه العمري من الحبس وكان قد ضمن بعض آل ابي طالب بمصاو كانوا يعرضون فغاب الحسن بن محمد عن امر عرض يوم فاحضر الحسين ابن علي ويحيى بن عبد الله وسالهما عنه وأغلظ لهما فحلف له يحيى أنه لا ينام حتى يأتيه به أو يدق عليه باب داره حتى يعلم انه جاءه به فلما خرجا قال له الحسين سبحان الله ما دعاك الى هذا ومن أين تجد حسنا حلفت له بشيء لا تقدر عليه فقال والله لاغتمن حتى أضرب عليه باب داره بالسيف فقال له الحسين ان هذا ينقض ما كان بيننا وبين أصحابنا من الميعاد وكانوا قد تواعدوا على ان يظهروا بمنى ومكة في الموسم فقال يحيى قد كان ذلك فانطلقا وعملا في ذلك من ليلتهم وخرجوا آخر الليل وجاء يحيى حتى ضرب على العمري باب داره فلم يجده وجاؤا فاقتحموا المسجد وقت الصبح فلما صلى الحسين وقت الصبح أتاه الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه للرضى من آل محمد وجاء خالد البريدي في مائتين من الجند وجاء العمري ووزير بن اسحق الازرق ومحمد بن واقد الشروي ومعهم ناس كثير فدنا خالد منهم فقام اليه يحيى وادريس ابنا عبد الله بن الحسن فضربه يحيى على انفه فقطعه ودار له ادريس من خلفه فضربه فصرعه ثم قتلاه فانهزم أصحابه ودخل العمري في المسودة فحمل عليهم أصحاب الحسين فهزموهم من المسجد وانتهبوا بيت المال وكان فيه بضعة عشر الف دينار وقيل سبعون الفا وتفرق الناس وأغلق أهل المدينة أبوابهم فلما كان الغد اجتمع عليهم شيعة بني العباس فقاتلوهم وفشت الجراحات في الفريقين واقتتلوا الى الظهر ثم افترقوا ثم ان صبارا التركي أتى شيعة بني العباس من الغد وكان قدم حاجا فقاتل معهم فاقتتلوا اشد قتال الى منتصف النهار ثم تفرقوا ورجع أصحاب الحسين الى المسجد وواعد مبارك الناس في الرواح الى القتال فلما غفلوا عنه ركب رواحله وانطلق وراح الناس فلم يجدوه فعاتبوا شيأ من قتال الى المغرب ثم تفرقوا وقيل ان مبارك ارسل الى الحسين يقول له والله لان أسقط من السماء فتخطفني الطير أيسر علي من أن تشوكك شوكة أو أقطع من رأسك شعرة ولكن لا بد من الاعذار فبيتني فاني منهزم عنك ووجه اليه الحسين وخرج اليه في نفر فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبروا فانهزم هو وأصحابه وأقام الحسين وأصحابه أياما يتجهزون وكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوما ثم خرجوا لست بقين من ذي القعدة فلما خرجوا عاد الناس الى المسجد فوجدوا فيه العظام التي كانوا يأكلون وآثارهم فدعوا عليهم ولما فارق المدينة قال يا أهل المدينة لا أحلف الله عليكم

من فعل على يوم الجمل وصفين وتباين حكمه فيهما وفيمن قتل من أهل صفين مقبلين ومدبرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يتبع موليا ولا اجهز على جريح ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمنا وما أجابهم به شيعة علي في تباين حكم علي في هذين اليومين لاختلاف حكميهما وهو ان اصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون اليها وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لامره مخالفين فرضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيهم رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه أعوانا وأهل صفين كانوا يرجعون الى فئة مستعدة وامام منتصب يجمع لهم السلاح ويسني لهم الاعطية ويقسم لهم الاموال ويجبر كسيرهم ويحمل راجلهم ويردهم فيرجعون الى الحرب وهم الى امامته منقادون ولرأيه متبعون ولغيره مخالفون ولامامته تاركون ولحقه جاحدون وبانه يطلب ما ليس له قائلون فاختلف الحكم لما وصفنا وتباين حكماهما لما ذكرنا

بخير فقالوا بل انت لا أخاف الله عليك ولا ردك علينا وكان أصحابه يحدثون في المسجد فغسله اهل المدينة ولما أتى الحسين مكة أمر فنودي ايما عبد أتانا فهو حر فاتاه العبيد فانتهى الخبر الى الهادي وكان قد حج تلك السنة رجال من اهل بيته منهم سليمان بن المنصور ومحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وموسى واسمعيل ابنا عيسى بن موسى فكتب الهادي الى محمد بن سليمان بتوليته على الحرب وكان قد سار بجماعة وسلاح من البصرة لخوف الطريق فاجتمعوا بذي طوى وكانوا قد أحرموا بعمرة فلما قدموا مكة طافوا وسعوا وحلوا من العمرة وعسكروا بذي طوى وانضم اليه من حج من شيعتهم ومواليهم وقوادهم ثم انهم اقتتلوا يوم التروية فانهزم أصحاب الحسين وقتل منهم وجرح وانصرف محمد بن سليمان ومن معه الى مكة ولا يعلمون ما حال الحسين لما بلغوا ذا طوى لحقهم رجل من أهل خراسان يقال له البشري البشري هذا رأس الحسين فاخرجه وبجبهته ضربة طولى وعلى قفاه ضربة أخرى وكانوا قد نادوا الامان فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله أبو لزفت فوقف خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فاخذه موسى بن عيسى وعبد الله ابن العباس بن محمد فقتلاه فغضب محمد بن سليمان غضبا شديدا وأخذ رؤس القتلى فكانت مائة رأس ونيفا وفيها رأس الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي وأخذت أخت الحسين فتركت عند زينب بنت سليمان واختلط المنهزمون بالحاج وأتى الهادي بستة أسرى فقتل بعضهم واستبقى بعضهم وغضب على موسى بن عيسى في قتل الحسن بن محمد وقبض أمواله فلم تزل بيده حتى مات وغضب على مبارك التركي وأخذ ماله وجعله سائس الدواب فبقي كذلك حتى مات الهادي وافلت من المنهزمين ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي فاتى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور وكان شيعيا له على فحمله على البريد الى ارض المغرب فوقع بارض طنجة بمدينة وايلة فاستجاب له من بها من البربر فضرب الهادي عنق واضح وصلبه وقيل ان الرشيد هو الذي قتله وان الرشيد دس الى ادريس الشماخ اليامي مولى المهدي فاتاه وأظهر انه من شيعتهم وعظمه وآثره على نفسه فقال اليه ادريس وأنزله عنده ثم ان ادريس شكا اليه مرضا في اسنانه فوصف له دواء وجعل فيه سما وأمره ان يستن به عند طلوع الفجر فاخذه منه وهرب الشماخ ثم استعمل ادريس الدواء فمات منه فولى الرشيد الشماخ بريد مصر ولما مات ادريس بن عبد الله خلف مكانه ابنه ادريس بن ادريس واعقب بها وملكوها ونازعوا بني أمية في امارة الاندلس على ما ذكره ان شاء الله تعالى وحملت الرؤس الى الهادي فلما وضع رأس الحسين بين يدي الهادي قال كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت ان اقل ما اجزيكم أن أحرمكم جوائزكم فلم يعطهم شيأ وكان الحسين شجاعا كريما قدم على المهدي فاعطاه اربعين الف دينار ففرقها في الناس ببغداد والكوفة وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه الا فروا ليس تحته قميص

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وغزا الصائفة هذه السنة معيوف بن يحيى من درب الراهب وقد كانت الروم قبل ذلك جاؤا مع بطريقهم الى الحديثة فهرب الوالي واهل السرق فدخلها الروم فقصدهم معيوف فبلغ مدينة أشنة فغنم وسبى وحج بالناس هذه السنة سليمان بن منصور وكان على المدينة عمر بن عبد العزيز العمري وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قثم وعلى اليمن ابراهيم بن سلم بن قتيبة وعلى اليمامة والبحرين سويد بن ابي سويد القائد الخراساني وعلى عمان الحسن بن نسيم الحواري وعلى

ولكل فريق من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه قد أتينا على استيعابه وما ذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن اعادته والله اعلم

﴿ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه﴾

وفي سنة اربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وما هم فيه من الحرب والفتنة وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا واتفقوا على ان لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه اليه حتى يقتله او يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وكان من تجيب وكان عدادهم في مراد فنسب اليهم وحجاج بن عبد الله الصريمي ولقبه البرك وزادويه مولى بني العنبر فقال ابن ملجم أنا اقتل عليا وقال البرك انا أقتل معاوية وقال زادويه أنا أقتل عمرو بن العاص واتعدوا ان يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادي الى علي فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه وكانت

الكوفة موسى بن عيسى وعلى البصرة محمد بن سليمان وعلى جرجان الحجاج مولى الهادى وعلى قومس زياد بن حسان وعلى طبرستان والرويان صالح بن شيخ بن عميرة الاسدى وعلى اصبهان طيفور مولى الهادى وعلى الموصل هاشم بن سعيد بن خالد فاساء السيرة فى أهلها فعزله الهادى وولاها عبد الملك بن صالح الهاشمى وفيها خرج بالجزيرة حمزة بن مالك الخارجى وعلى خراجها منصور بن زياد فسير جيشا الى الخارجى فالتقوا بباعر بايا من بلد الموصل فهزمهم الخارجى وغنم أموالهم وقوى أمره فاتى رجلان وصحباه ثم اغتالاه فقتلاه وفيها مات مطيع بن اياس الليثى الكنانى الشاعر وابو عبيد الله معاوية بن عبد الله بن بشار الاشعرى مولاهم وكان وزيرا المهدى وقيل مات سنة سبعين ومائة وفيها توفى نافع بن عبد الرحمن بن ابى نعيم المقرى صاحب القراءة أحد القراء السبعة والربيع بن يونس حاجب المنصور مولاه

﴿ثم دخلت سنة سبعين ومائة﴾

﴿(ذكر ماجرى للهادى فى خلع الرشيد)﴾

كان الهادى قد جد فى خلع الرشيد وبيعة لابنه جعفر وكان سبب ذلك ان الهادى لما عزم على خلعه ذكره لقواده فأجابه اليه يزيد بن مزيد الشيبانى وعبد الله بن مالك وعلى بن عيسى وغيرهم فخلعوا هرون وبايعوا لجعفر ووضعوا الشيعة فتكاموا فى ذلك وتنقصوا الرشيد فى مجلس الجماعة وقالوا لا نرضى به وصعب أمرهم وأمر الهادى ان لا يسار بين يدى هرون بالحربة فاجتنبه الناس وتركوا السلام عليه وكان يحيى بن خالد بن برمك يتولى أمور الرشيد بامر الهادى فقيل للهادى ليس عليك من أخيك خلاف انما يحيى يفسده فبعث اليه وتهدده ورماه بالكفر ثم انه استدعاه ليلة ليخافه وأوصى وتحفظ وحضر عنده فقال له يا يحيى مالى ولك قال ما يكون من العبد الى مولاه الا طاعته فقال لم تدخل بينى وبين أخى وتفسده على فقال من أنا حتى أدخل بينكما انما صيرنى المهدى معه ثم أمرتنى أنت بالقيام بأمره فانتهيت الى أمرك فسكن غضبه وقد كان هرون طاب نفسا بالخلع فنهاه يحيى عنه فلما أحضره الهادى وقال له فى ذلك قال يحيى يا أمير المؤمنين انك ان حملت الناس على نكث الايمان هانت عليهم أيمانهم وان تركتهم على بيعة أخيك ثم بايعت لجعفر بعده كان ذلك أوكد للبيعة قال صدقت وسكت عنه فعاد أولئك الذين بايعوه من القواد والشيعة فحملوه على معاودة الرشيد بالخلع فاحضر يحيى وحبسه فكتب اليه ان عندى نصيحة فاحضره فقال له يا أمير المؤمنين ارأيت ان كان الامر الذى لا تبلغه ونسأل الله ان يعدمناقبله يعنى موت الهادى اتظن الناس يسلمون الخلافة لجعفر وهو لم يبلغ الحنث أو يرضون به صلاتهم وحجهم وغزوهم قال ما أظن ذلك قال يا أمير المؤمنين أفتأمن ان يسموا لها أكابر اهلك مثل فلان ويطمع فيها غيرهم فتخرج من ولد أبيك والله لو أن هذا الامر لم يعقده المهدى لاخيك لقد كان ينبغى ان تعقده انت له فكيف بان تحله عنه وقد عقده المهدى ولكنى ارى ان تقر الامر على أخيك فاذا بلغ جعفر أتيت بالرشيد فخلع نفسه له وبايعه فقبل قوله وقال نهتنى على أمر لم أتنبه له وأطلقه ثم ان أولئك القواد عاودوا القول فيه فارسل الهادى الى الرشيد فى ذلك وضيق عليه فقال له يحيى استأذنه فى الصيد فاذا خرجت فأبعد ودافع الايام ففعل ذلك وأذن له فمضى الى قصر بنى مقاتل فقام أربعين يوما فانكر الهادى امره وخافه فكتب اليه بالعود فتعلل عليه فاظهر الهادى شتمه وبسط موالية وقواده فيه ألسنتهم فلما طال الامر عاد الرشيد وقد كان

على قتل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت أجمل أهل زمانها فخطبها فقالت لا أتزوج حتى تسمى لى قال لا تسألينى شيأ الا أعطيته فقالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل على فقال ما سألت هولك مهر الا قتل على فلا أراك تدركينه قالت فالتمس غرة فان أصبته شفيت نفسى ونفعك العيش معى وان هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال والله ما جاء بى لهذا الامر وقد كنت هاربا منه الا ذلك وقد أعطيتك ما سألت وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وقتل على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وان علا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فلقيه رجل من أشجع يقال له شبيب بن بجيرة من الخوارج فقال له هل لك فى شرف الدنيا والآخرة فقال وما ذاك قال تساعدنى على قتل على قال ثكلتك أمك لقد جئت شيأ اذا قد عرفت غناءه فى الاسلام وسابقته مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك اما تعلم انه قد حكم الرجال فى كتاب الله وقتل اخواننا المصلين فنقتله

الهادى فى أول خلافته حاس وعنده نفر من قواده وعنده الرشيد وهو ينظر اليه ثم قال له ياهرون كانى بك وأنت تحدث نفسك بتمام الرؤيا دون ذلك خرط القتاد فقال له هرون يا موسى انك ان تجبرت وضعت وان تواضعت رفعت وان ظلمت قتلت وان أنصفت سلمت وانى لارجو ان يقضى الامر الى فانصف من ظلمت وأصل من قطعت واجعل أولادك أعلى من أولادى وأزوجهم بناتى وأبلغ ماتحب من حق الامام المهدى فقال له الهادى ذلك الظن بك يا أبا جعفر ادن منى فدنا منه فقبل يده ثم أراد العود الى مكانه فقال لا والشيخ الجليل والملك النبيل أعنى المنصور لاجلست الا معى فاجلسه فى صدر مجلسه ثم أمر ان يحمل اليه ألف ألف دينار وان يحمل اليه نصف الخراج وقال لابراهيم الحرانى اعرض عليه ما فى الخزائن من مال وما أخذ من أهل بيت اللعنة يعنى بنى أمية فليأخذ منه ما أراد ففعل ذلك فقام عنه وسئل الرشيد عن الرؤيا فقال قال المهدى رأيت فى منامى كانى دفعت الى موسى قضيبا والى هرون قضيبا فاورق من قضيب موسى أعلاه وأورق قضيب هرون من أوله الى آخره فعبرت لهما أنهما يملكان معا فاما موسى فتقل أيامه وأما هرون فيبلغ آخر ما عاش خليفة وتكون أيامه أحسن أيام ودهره أحسن دهر فكان كذلك وذكر ان الهادى خرج الى حديثة الموصل فمرض بها واشتد مرضه فانصرف وكتب الى جميع عماله شرقا وغربا بالقدوم عليه فلما ثقل أجمع القواد الذين كانوا بايعوا جعفرا وتآمروا فى قتل يحيى بن خالد وقالوا ان صار لامر اليه قتلنا وعزموا على ذلك ثم قالوا لعل الهادى يفيق فاعذرنا عنده فامسكوا ولما اشتد مرض الهادى أرسلت الخيزران الى يحيى تامره بالاستعداد فاحضر يحيى كتابا فكتبوا الكتب من الرشيد الى العمال بوفاة الهادى وأنه قد ولاهم ما كان ويكون فلما مات الهادى سيرت الكتب وقيل ان يحيى كان محبوسا وكان الهادى قد عزم على قتله تلك الليلة وان هرثمة بن أعين هو الذى أقعد الرشيد على ما سنذكر ولما مات الهادى قالت الخيزران قد كنا نتحدث انه يموت فى هذه الليلة خليفة ويملك خليفة ويولد خليفة فمات الهادى وولى الرشيد وولد المامون وكانت الخيزران قد أخذت العلم عن الاوزاعى وكان موت الهادى بعيساباذ

﴿ ذكر وفاة الهادى ﴾

وفى هذه السنة توفى الهادى موسى بن المهدى محمد بن المنصور وعبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس فى شهر ربيع الاول واختلف فى سبب وفاته فقيل كان سببها قرحة كانت فى جوفه وقيل مرض بحديثة الموصل وعاد مريضا فتوفى على ما نذكره ان شاء الله تعالى وقيل ان وفاته كانت من قبل حوار لامه الخيزران كانت أمرتهن بقتله وكان سبب أمرها بذلك أنه لما ولى الخلافة كانت تستبد بالامور دونه وتسلك به مسلك المهدى حتى مضى أربعة أشهر فانثال الناس الى بابها وكانت المواكب تغدو وتروح الى بابها فكلمته يوما فى أمر لم يجد الى اجابتها اليه سبيلا فقالت لابد من اجابتى اليه فانى قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادى وقال ويلى على ابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها والله لاقضيتها لك قالت اذا والله لا أسألك حاجة أبدا قال لا أبالى ولله فغضبت وقامت مغضبة فقال مكانك والله لا انانى من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى انه وقف ببابك أحد من قوادى وخاصتى لاضربن عنقه ولا قبضن ماله ما هذه المواكب التى تغدو وتروح الى بابك أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك واياك لا تفتحى بابك لمسلم ولا ذمى فانصرفت وهى لا تعقل فلم تنطق عنده بعدها ثم انه قال لاصحابه ايما خير انا أم أنتم وأمى أم أمهاتكم قالوا بل أنت وأمك خير قال فايكم يحب أن يتحدث

بعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهى فى المسجد الاعظم وقد ضربت كلة بها وهى معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فأعلمتهما ان مجاشع ابن وردان بن عقبة قد انتدب لقتله معهما فدعت لهما بحرير وعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التى يخرج منها على المسجد وكان على يخرج كل غداة اول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مر بالاشعث وهو فى المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها حجر بن عدى فقال قتلته يا أعور قتلك الله وخرج على رضى الله عنه ينادى أيها الناس الصلاة فشد عليه ابن ملجم واصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف فى قرنه وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال على لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب

الرجال بخبر أمه فيقال فعلت أم فلان وصنعت قالوا لا تعجب ذلك قال فما بالكم تأتون أمي فتتحدثون بحديثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها ثم بعث بأرز وقال قد استطبتها فكلي منها فقيل لها أمسكي حتى تنظري فجاؤا بكباب فاطعموه فسقط لحمه لوقته فارسل اليها كيف رأيت الارز قالت طيبا قال ما أكلت منها لانه ترحت منك متى افلح خليفة له أم وقيل كان سبب أمرها بذلك ان الهادي لما جد في خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على الرشيد فوضعت سوارين عليه لما مرض فقتلته بالغم والجلوس على وجهه فمات فارسلت الى يحيى بن خالد تعلمه بموته

﴿ ذكر وفاته ومبلغ سنه وصفته وأولاده ﴾

كانت وفاته ليلة الجمعة للنصف من ربيع الاول وقيل لاربع عشرة خلت من ربيع الاول وقيل لست عشرة منه قيل وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر وقيل كانت أربعة عشر شهرا وكان عمره ستا وعشرين سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة وصلى عليه الرشيد وكانت كنيته أبا محمد وأمه الخيزران أم ولد ودفن بعيساباذ الكبرى في بستانه وكان طويلا جسيما أبيض مشربا بحمرة وكان بشعته العليا نقص وتقالص وكان المهدي قد وكل به خادما يقول له موسى أطبق فيضم شفته فلقب موسى أطبق وكان له من الاولاد تسعة سبعة ذكور وابنتان فمن الذكور جعفر وهو الذي كان يريد البيعة له والعباس وعبد الله وا سحق واسمعيل وسليمان وموسى بن موسى الاعمى كلهم لامهات أولاد والابنتان أم عيسى كانت عند المأمون وأم العباس وكانت تلقب نونة

﴿ ذكر بعض سيرته ﴾

تأخر الهادي عن المظالم ثلاثة أيام فقال له الحرائي يا أمير المؤمنين ان العامة لا تحتمل هذا فقال له علي بن صالح ائذن للناس على الجفلى لا القرى فخرج من عنده ولم يفهم قوله ولم يجسر على مراجعته فاحضر اعرابيا فسأله عن ذلك فقال الجفلى ان تأذن لعامة الناس فاذن لهم فدخل الناس عن آخرهم ونظر في أمورهم الى الليل فلما قوض المجلس قال له علي بن صالح ما جرى له وسأله مجازاة الاعرابي وأمر له بمائة ألف درهم فقال علي يا أمير المؤمنين انه اعرابي ويغنيه عشرة آلاف فقال يا علي أجود أنا وتبخل أنت وقيل خرج يوما الى عيادة أمه الخيزران وكانت مريضة فقال له عمر بن ربيع يا أمير المؤمنين لا أدلك على ما هو انفع لك من هذا تنظر في المظالم فرجع الى دار المظالم واذن للناس وارسل الى امه يتعرف أخبارها وقيل كان عبد الله بن مالك يتولى شرطة المهدي قال فكان المهدي يأمرني بضرب ندماه الهادي ومغنيه وحبسهم صيانة له عنهم فكنت افعل وكان الهادي يرسل الي بالتخفيف عنهم ولا افعل فلما ولي الهادي أيقنت بالتلف فاستحضرني يوما فدخلت اليه متحنطا متكفنا وهو على كرسي والسيف والنطع بين يديه وسلمت فقال لا سلم الله عليك أتذكر يوم بعثت اليك في أمر الحرائي وضربه فلم تجبني وفي فلان وفلان فعدد ندماءه فلم تلتفت الى قولي فقلت نعم أفتأذن في ذكر الحجة قال نعم قلت نشدتك الله ايسرك انك وليتني ما وليتني المهدي وامرتني بما أمر فبعث الي بعض بنيك بما يخالف امرك فاتبعت امره ولغت امرك قال لا قلت فكذلك انا لك وكذا كنت لا بيك فاستدناني فقبلت يده ثم أمر لي بالخلع وقال وليتك ما كنت تتولاه فامض راشدا فصرت الى منزلي مفكرا في امري وامره وقلت حدث يشرب والقوم الذين عصيته في امرهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه فكاني بهم حين يثلب عليه الشراب قد ازالوه عن رأيه قال فاني لجالس وعندي بنية لي والكانون بين يدي ورفاق أشطره بكامخ وأطعمه واطعم الصبية وآكل واذا بوقع الحوافر فظننت ان الدنيا قد زلزلت

وجهه فصرعه وأقبل به الى الحسن ودخل شبيب بين الناس فنجا بنفسه وهرب حتى أتى رحله فدخل عليه عبد الله بن بحرة وهو أحد بني أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره خبره فانصرف عبد الله الى رحله وأقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت فلما صرخ بط كان للصبيان صياح بهن بعض من في الدار فقال علي ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكر طائفة من الناس ان عليا رضي الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه في آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدتاك ولا نفقدك أنابايع الحسن قال لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شيء منها قولا الحق وارحما

لوقعها ولكثرة الضوضاء فقلت هذا ما كنت اخافه واذا الباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا واذا الهادي في وسطهم على دابته فلما رأيته وثبت فقبلت يده ورجله وحافر دابته فقال لي يا عبد الله اني فكرت في امرك فقلت يسبق الى وهمك انني اذا شربت وحولي اعداؤك از الوا حسن رأيي فيك فيقلقلك ذلك فصرت الى منزلك لا ونسك واعلمك ان ما كان عندي لك من الحقد قد زال فهات واطعمني مما كنت تأكل اتعلم اني قد تحرمت بطعامك فيزول خوفك فادنيت اليه من ذلك الرقاق والكامخ فأكل ثم قال هاتوا الرلة التي ازلتها العبد الله من مجلسي فأدخلت الى اربعمائة بغل موقرة دراهم وغيرها فقال هذه لك فاستعن بها على امرك واحفظ هذه البغال عندك لعلي احتاج اليها لبعض اسفاري ثم انصرف قيل وكان يعقوب بن داود يقول ما العربي ولا العجمي عندي ما العلي بن عيسى بن ماهان فانه دخل الى الحبس وقال لي امرني أمير المؤمنين الهادي ان اضرب لك مائة سوط فاقبل يضع السوط على يدي ومنكبي يمسني به مسا الى ان عد مائة سوط ثم خرج فقال له الهادي ما صنعت به قال صنعت الذي امرتني به وقدمات الرجل فقال الهادي انا لله وانا اليه راجعون فضحتني والله عند الناس يقولون قتل يعقوب بن داود فلما رآى شدة جزعه قال هو والله حي يا أمير المؤمنين قال الحمد لله على ذلك وقيل كان ابراهيم بن مسلم بن قتيبة من الهادي بمنزلة عظيمة فمات له ولد فاتاه الهادي يعزيه فقال له يا ابراهيم سرك وهو عدو وفتنة وحزنك وهو صلاة ورحمة فقال يا أمير المؤمنين ما بقي مني جزء فيه حزن الا وقد امتلأ عزء فلما مات ابراهيم صارت منزلته لسعيد بن مسلم قيل كان علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الذي يلقب الجزري قد تزوج رقية بنت عمر والعثمانية وكانت قبله تحت المهدي فبلغ ذلك الهادي فارسل اليه فحمل اليه فقال له اعيالك النساء الا امرأة أمير المؤمنين فقال ما حرم الله على خلقه الا نساء جدي صلى الله عليه وسلم فاما غيرهن فلا فشجه بمخصرة كانت في يده وجلده خمسمائة سوط واراده ان يطلقها فلم يعمل وكان قد غشي عليه من الضرب وكان في يده خاتم نفيس فاهوى بعض الخدم الى الخاتم ليأخذه فقبض على يده فدقها فصاح واتى الهادي فاراه يده فغضب وقال تفعل هذا بخادمي مع استخفافك بابي وقولك لي ما قلت فقال سله واستحلفه ان يصدقك ففعل فاخبره الخادم وصدقه فقال احسن والله شهدانه ابن عمي ولو لم يعمل ذلك لانتقيت منه وامر باطلاقه قيل وكان المهدي قد قال للهادي يوما وقد قدم اليه زنديق فتقتله وامر بصلبه يابني اذا صار الامر اليك فتجرد لهذه العصابة يعني اصحاب مانى فانها تدعو الناس الى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ثم تخرجهامن هذا الى تحريم اللحوم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا ثم تخرجها الى عبادة اثنين احدهما النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد هذا نكاح الاخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الاطفال من الطرق لينقذهم من ضلال الظلمة الى هدايه النور فارفع فيها الخشب وجرد السيف فيها وتقرب بامرها الى الله فاني رأيت جدي العباس رضي الله عنه في المنام قلدني سيفين لقتل اصحاب الاثنين فلما ولي الهادي قال لاقتلن هذه الفرقة وامر ان يهيأ له ألف جذع فمات بعد هذا القول بشهرين قيل وكان عيسى بن داب من اكثر أهل الجبار ادبا واعذبهم ألفاظا وكان قد حظي عند الهادي حظوة لم تكن لاحد قبله وكان يدعوله بما يتكئ عليه في مجلسه وما كان يفعل ذلك بغيره وكان يقول له ما استطلت بك يوما ولا ليلا ولا غبت عن عيني الا تمنيت ان لا أرى غيرك وامر له بثلاثين ألف دينار في دفعة واحدة فلما اصبح ابن داب ارسل قهرمانه الى الحاجب في قبضها فقال الحاجب هذا ليس الي فانطلق الى صاحب التوقيع

اليتيم واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تأخذ كما في الله لومة لائم ثم نظر الى ابن الحنفية فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن أمرا دونهما ثم قال لهما أوصيكما به فانه سيفكما وابن أبيكما فاكرماه واعرفا حقه فقال له رجل من القوم ألا تعهد يا امير المؤمنين قال لا ولكن اتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماذا تقول لربك اذا أتيته قال أقول اللهم انك أبقيتني فيهم ما شئت ان تبقيني ثم قبضتني وتركتك فيهم فان شئت افسدتهم وان شئت اصلحتهم ثم قال اما والله انها الليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين وبقي على الجمعة والسبت وقبض ليلة الاحد ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في اخبار تنازع الناس في موضع قبره وما قيل في ذلك وقبض وقد اتى عليه اثنتان وسبعون سنة وقيل اثنتان

والى الديوان فعاد الى ابن داب فاخبره فقال اتركها فبينما الهادى فى مستشرف له ببغداد رأى ابن داب وليس معه الا غلام واحد فقال للحرانى ألا ترى ابن داب ما غير حاله وقد وصلناه ليرى أثرنا عليه فقال ان احرتنى عرضت له بالحال فقال لا هو اعلم بحاله ودخل ابن داب واخذ فى حديثه فعرض له الهادى بشئ وقال أرى ثوبك غسيلا وهذا شتاء يحتاج فيه الى الجديد فقال يا عمى قصير فقال وكيف وقد صرفنا اليك ما فيه صلاح شأنك فقال ما وصل الى فدعا صاحب بيت مال الخاصة فقال عجل الساعة ثلاثين ألف دينار فأحضرت وحملت بين يديه

﴿ذكر خلافة الرشيد بن المهدى﴾

وفى هذه السنة بويع للرشيد هرون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بالخلافة فى الليلة التى مات فيها الهادى وكان عمره حين ولى اثنتين وعشرين سنة وأمه الخيزران أم ولد يمانية حرسية وكان مولده بالرى فى آخر ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة وقيل ولد مستهل محرم سنة تسع واربعين وكان مولد الفضل بن يحيى البرمكى قبله بسبعة أيام وارضعت ام ابن يحيى الرشيد وارضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد ولما مات الهادى كان يحيى بن خالد البرمكى محبوسا فى قول بعضهم وكان الهادى عازما على قتله فجاء هرثمة بن اعين الى الرشيد فاخرجه واجلسه للخلافة فارسل الرشيد الى يحيى فاخرجه من الحبس واستوزره وامر بانشاء الكتب الى الاطراف بجلوسه للخلافة وموت الهادى وقيل لما مات الهادى جاء يحيى بن خالد الى الرشيد وهو نائم فى فراشه فقال له قم يا أمير المؤمنين فقال كم ترونى اعجابا منك بخلافتى فكيف يكون حالى مع الهادى ان بلغه هذا فاعلمه بموته واعطاه خاتمه فبينما هو يكلمه اذ اتاه رسول آخر يبشره بمولود فسماه عبد الله وهو المأمون ولبس ثيابه وخرج فصلى على الهادى بعيساباذ وقتل ابا عصمة وسار الى بغداد وكان سبب قتل أبى عصمة ان الرشيد كان سائرا هو وجعفر بن الهادى فبلغا قنطرة من قناطر عيساباذ فقال له أبو عصمة مكانك حتى يجوز ولى العهد فقال الرشيد السمع والطاعة للامير ووقف حتى جاز جعفر فكان هذا سبب قتله ولما وصل الرشيد الى بغداد وبلغ الجسر دعا الغواصين وقال كان المهدى قد وهب لى خاتما شراؤه بمائة الف دينار يسمى الجبل فاتانى رسول الهادى يطلب الخاتم واناهنا فالقيته فى الماء فغاصوا عليه واخرجوه فسر به ولما مات الهادى هجم خزيمة بن خازم تلك الليلة على جعفر بن الهادى فاخذه من فراشه وقال له لتخلعنها أو لاضربن عنقك فاجاب الى الخلع وركب من الغد خزيمة وأظهر جعفر للناس فاشهدهم بالخلع وأقال الناس من بيعتهم فخطى بها خزيمة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها ولد الامين واسمه محمد فى شوال فكان المأمون أكبر منه وفيها استوزر الرشيد يحيى بن خالد وقال له قد قلدتك أمر الرعية فاحكم فيها بما ترى واعزل من رأيت واستعمل من رأيت ودفع اليه خاتمه فقال ابراهيم الموصلى فى ذلك

ألم تران الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هرون أشرق نورها
بيمن أمين الله هرون ذى الندى * فهرون والياها ويحيى وزيرها

وكان يحيى يصدر عن رأى الخيزران أم الرشيد وفيها توفى يزيد بن حاتم المهلبى والى افريقية واستخلف عليها ابنه داود وانتقضت جبال باجة وخرج فيها الاباضية فسير اليهم داود جيشا فظفر بهم الاباضية وهزموهم فجهز اليهم جيشا آخر فهزمت الاباضية فتبعهم الجيش فقتلوا منهم

فاكثروا

وسئون وقد قدمنا تنازع الناس فى مقدار سنه وكان كما قال الحسن والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الاولون الا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه وكان الذى صلى عليه الحسن ابنه وكبر عليه سبعا وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه اراد ان يشترى بها خادما لاهله وقال بعضهم ترك لاهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله ابن جعفر دعونى حتى أشفى نفسى منه فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسمارا حتى اذا صار جمرة كحله به فقال سبحان الذى خلق الانسان انك لتكحل عمك بمكحول بصاص ثم ان الناس أخذوه وادرجوه فى بوارى ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق وفيه يقول عمران بن حطان الرقاشى يمدحه فى ضربته من شعر له طويل

يا ضربة من تقى ما أراد بها

فاثروا وبقي داود اميرا الى ان استعمل الرشيد عمه روح بن حاتم المهلبي اميرا على افريقية وكانت امارة داود تسعة أشهر وفيها عزل الرشيد عمر بن عبد العزيز العمري عن المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام واستعمل عليها اسحق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وفيها ظهر من كان مستخفيا منهم طباطبا العلوي وهو ابراهيم بن اسمعيل بن علي بن الحسين بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وبقي نثر من الزنادقة لم يظهروا منهم يونس بن فروة ويزيد بن الفيض وفيها عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزا واحدا وسميت العواصم وامر بعمارة طرسوس على يدي فرج الخادم التركي ونزلها الناس وحج بالناس الرشيد وقسم بالحرمين عطاء كثيرا وقيل انه غزا الصائفة بنفسه وغزا الصائفة سليمان بن عبد الله البكائي وكان على مكة والطائف عبد الله بن قثم وعلى الكوفة موسى بن عيسى وعلى البصرة والبحرين واليمامة وعمان والاهواز وفارس محمد بن سليمان بن علي وكان على خراسان الفضل بن سليمان الطوسي وعلى الموصل عبد الملك وفيها أوقع عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس ببراز نفزة فاذلهم وقتل فيهم وفيها امر عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة وكان موضعه كنيسة واخرج عليه مائة الف دينار ﴿ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائة﴾

﴿ذكر وفاة عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس﴾

فيها مات عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك صاحب الاندلس في ربيع الآخر وقيل سنة اثنتين وسبعين ومائة وهو واضح وكان مولده بارض دمشق وقيل بالعلياء من ناحية تدمر سنة ثلاث عشرة ومائة وكان موته بقرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله وكان عهد الى ابنه هشام وكان هشام بمدينة ماردة والي عليها وكان ابنه سليمان بن عبد الرحمن وهو الاكبر بطليطلة والي عليها فلم يحضرا موت ابيهما وحضره عبد الله المعروف بالبلنسي واخذ البيعة لاخيه هشام وكتب اليه ينعي ابيه ويأمره بالامارة فسار الى قرطبة وكانت دولة عبد الرحمن ثلاثا وثلاثين سنة وأشهرا وكانت كنيته ابا المطرف وقيل ابا سليمان وقيل ابا زيد وكان له من الولد احد عشر ذكرا وتسع بنات وكانت امه بربرية من سبي افريقية وكان اصهب خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم اعور له ضفيرتان وكان فصيحا السنا شاعرا حليما عالما حازما سريع النهضة في طلب الخارجين عليه لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ولا ينفرد في الامور برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحذر سخيا جوادا يكثر لبس البياض وكان يقاس بالمنصور في حزمه وشدته وضبط المملكة * وبنى الرصافة بقرطبة تشبيها بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ولما سكنها رأى فيها نخلة منفردة فقال

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تنائت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى * وطول التنائي عن بني وعن اهلي
* نشأت بارض انت فيها غريبة * فمثلك في القصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي * يسح ويستمري السماكين بالوبل

وقصده بنو أمية من المشرق فمن المشهورين عبد الملك بن عمر بن مروان وهو قعد بني أمية وهو الذي كان سبب قطع الدعوة العباسية بالاندلس على ما تقدم وكان معه احد عشر ولدا له

﴿ذكر امارة ابنه هشام﴾

كان عبد الرحمن قد عهد الى ابنه هشام ولم يكن اكبر ولده فان سليمان كان اكبر منه وانما كان

الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا
فأجابه القاضي أبو الطيب
طاهر بن عبد الله الشافعي
اني لابرأ مما أنت قائله
عن ابن ملجم الملعون بهتانا
بضربة من شقي ما أراد بها
الا ليهدم للاسلام أركانا
اني لاذكره يوما فألعنه
دنيا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا
لعائن الله اسرارا واعلانا
فأنتما من كلاب النار حاميه
نص الشريعة برهانا
وتبيانا
وزاد بعضهم على هذه
الابيات بيتا آخر وهو
عليكما لعنة الجبار ما طلعت
شمس وما أوقدوا في الكون
نيرانا
معارضة ابيتي اللعين بن
حطان لعنه الله في ابن ملجم
أخزاه الله
قل لابن ملجم والاقدار
غالبة
هدمت ويلك للاسلام
أركانا
قتلت أفضل من يمشي على
قدم
واول الناس اسلاما
وايمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
سن الرسول لنا أمرا
وتبيانا

يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الامر فلهذا عهد اليه ولما توفى أبوه كان هو عاردة متوليا لها وناظرا فى امرها وكان اخوه سليمان وهو اكبر منه بمدينة طليطلة وكان يروم الامر لنفسه ويحسد اخاه هشاما على تقديم والده له عليه وأضمر له الغش والعصيان وكان اخوه عبد الله المعروف بالبلنسى حاضرا بقرطبة عند والده فلما توفى جدد عبد الله البيعة لاخيه هشام بعد ان صلى على والده وكتب الى اخيه هشام يعرفه موت والده والبيعة له فسار من ساعته الى قرطبة فدخلها فى ستة ايام واستولى على الملك وخرج عبد الله الى داره مظهر الطاعته وفى نفسه غير هذا وسنذكر ما كان منه ان شاء الله تعالى

﴿ذكر الصحصح الخارجى﴾

وفيها خرج الصحصح الخارجى بالجزيرة وكان عليها أبو هريرة فوجه عسكرا الى الصحصح فقهروه فهزمهم وسار الصحصح الى الموصل فلقيه عسكرها بباجرمى فقتل منهم كثيرا ورجع الى الجزيرة فغلب على ديار ربيعة فسير الرشيد اليه جيشا فلقوه بدورين فقتلوه وعزل الرشيد أبا هريرة عن الجزيرة

﴿ذكر قتل روح بن صالح﴾

وفيها استعمل الرشيد على صدقات بنى تغلب روح بن صالح الهمدانى وهو من قواد الموصل فجرى بينه وبين تغلب خلاف فجمع جمعا وقصدهم فبلغهم الخبر فاجتمعوا وساروا الى روح فبيتوه فقتل هو وجماعة من اصحابه فسمع حاتم بن صالح وهو بالكبر فجمع جمعا كثيرا وسار الى تغلب فبيتهم وقتل منهم خلقا كثيرا واسر منهم وفيها عزل الرشيد عبد الملك بن صالح الهاشمى عن الموصل واستعمل عليها اسحق بن محمد

﴿ذكر استعمال روح بن حاتم على افريقية﴾

وفيها استعمل الرشيد على افريقية روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة لما بلغه وفاة اخيه يزيد بن حاتم بها على ما ذكرناه فقدمها فى رجب وكان داود بن يزيد اخيه على افريقية فلما وصل عمه روح سار داود الى الرشيد فاستعمله قال روح كنت عاملا على فلسطين فأحضرنى الرشيد فوصلت وقد بلغه موت أخى يزيد فقال أحسن الله عزاءك فى أخيك وقد وليتك مكانه لتحفظ صنائعه وموالية فسار اليها ولم تزل البلاد معه آمنة ساكنة من فتنة لان أخاه يزيد كان قد أكثر القتل فى الخوارج بافريقية فذلوا ثم توفى روح بالقيروان ودفن الى جانب قبر أخيه يزيد وكانت وفاته فى رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ولما استعمل المنصور يزيد بن حاتم على افريقية استعمل أخاه روحا على السند فقيل له يا أمير المؤمنين لقد باعدت ما بين قبريهما فتوفى يزيد بالقيروان ثم وليها روح فتوفى بها ودفن الى جانب أخيه يزيد وكان روح أشهر بالشرق من يزيد ويزيد أشهر بالغرب من روح لطول مدة ولايته وكثرة خروج فيها والخارجين عليه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها قدم أبو العباس الفضل بن سليمان الطوسى من خراسان واستعمل الرشيد عليها جعفر بن محمد بن الاشعث فلما قدم خراسان سير ابنه العباس الى كابل فقاتل أهلها حتى فتحها ثم افتتح سنهار وغنم ما كان بها وفيها قتل الرشيد أبا هريرة محمد بن فروخ وكان على الجزيرة فوجه اليه الرشيد أبا حنيفة حرب بن قيس فاحضره الى بغداد وقتله وفيها أمر الرشيد باخراج الطالبيين من بغداد الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فخلا العباس بن الحسن بن عبد الله بن عباس وفيها خرج الفضل بن سعيد الحرورى فقتله أبو خالد المرورروذى * وفيها قدم روح بن حاتم افريقية وج

بالناس

صهر النبى ومولانا وناصره
أضحت مناقبه نورا
وبرهانا
وكان منه على رغم
الحسود له
مكان هرون من موسى
ابن عمرانا
وكان فى الحرب سيفا صارما
ذكرا
ليثا اذا ما لقى الاقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر
فقلت سبحان رب الناس
سبحانا
انى لاحسبه ما كان من
بشر
يخشى المعاد ولكن كان
شيطانا
أشقى مراد اذا عدت قبايلها
وأخسر الناس عند الله
ميزانا
كما فر الناقة الاولى التى
جلبت
على ثمود بأرض الحجر
خسرانا
قد كان يخبرهم ان سوف
يخضبها
قبل المنية ازمانا فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله
ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله فى شقى ظل مجترما
ونال ما ناله ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقى ما أراد بها
الا ليبلغ من ذى العرش
رضوانا
بل ضربة من غوى أورثته لظى

بالناس هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة﴾

ذكر خروج سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن على أخيهما هشام في هذه السنة وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائة وهو الصحيح خرج سليمان وعبد الله ابنا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام أمير الاندلس عن طاعة أخيهما هشام بالاندلس وكان هشام قد ملك بعد أبيه كما ذكرناه فلما استقر له الملك كان معه أخوه عبد الله المعروف بالبلنسي وكان هشام يؤثره ويبره ويقدمه فلم يرض عبد الله الا بالمشاركة في أمره ثم انه خاف من أخيه هشام فمضى هاربا الى أخيه سليمان وهو بطليطلة فلما خرج من قرطبة ارسل هشام جمعا في أثره ليردوه فلم يلحقوه فجمع هشام عساكره وسار الى طليطلة فحصر أخويه بها وكان سليمان قد جمع وحشد خلقا كثيرا فلما حصرهما هشام سار سليمان من طليطلة وترك ابنه وأخاه عبد الله يحفظان البلد وسار هو الى قرطبة ليملكها فعلم هشام الحال فلم يتحرك ولا فارق طليطلة بل أقام يحصرها وسار سليمان فوصل الى شقندة فدخلوا وخرج اليه أهل قرطبة مقاتلين ودافعين عن أنفسهم ثم ان هشاما سير في اثره ابنه عبيد الملك في قطعة من الجيش فلما قارب مضى سليمان هاربا فقصد مدينة ماردة فخرج اليه الوالي بها لهشام فحاربه فانهزم سليمان وبقي هشام على طليطلة شهرين واياما يحاصر الهاشم ثم عاد عنها وقد قطع اشجارها وسار الى قرطبة فاتاه أخوه عبد الله بغير أمان فاكرمه وأحسن اليه فلما دخلت سنة اربع وسبعين سير هشام ابنه معاوية في جيش كثيف الى تدمير وبها سليمان فحاربه وخربوا أعمال تدمير ودوخوا أهلها ومن بها وبلغوا البحر فخرج سليمان من تدمير هاربا فلجأ الى البرابر بناحية بلنسية فاعتصم بتلك الناحية الوعرة الممتلئ فعاد معاوية الى قرطبة ثم ان الحال استقر بين هشام وسليمان أن يأخذ سليمان أهله وأولاده وأمواله ويفارق الاندلس وأعطاه هشام ستين الف دينار مصالحة عن تركة أبيه عبد الرحمن فسار الى بلد البرابر فاقام بها

﴿ذكر خروج جماعة على هشام أيضا﴾

وفيها خرج بالاندلس أيضا سعيد بن الحسين بن يحيى الانصاري بشاغنت من اقاليم طرطوشة في شرق الاندلس وكان قد التجأ اليها حين قتل أبوه كما تقدم ودعا الى اليمانية وتعصب لهم فاجتمع له خلق كثير وملك مدينة طرطوشة وأخرج عامله يوسف القيسي فعارضه موسى بن فرتون وقام بدعوة هشام ووافقته مضر فاقتتلا فانهزم سعيد وقتل وسار موسى الى سرقسطة فملكها فخرج عليه مولى للحسين بن يحيى اسمه بحدر في جمع كثير فقاتله وقتل موسى وخرج أيضا مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة وخرج معه جمع كثير فملك مدينة سرقسطة ومدينة وشقة وتغلب على تلك الناحية وقوي امره وكان هشام مشغولا بمحاربة أخويه سليمان وعبد الله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها عزل الرشيد اسحق بن محمد عن الموصل واستعمل سعيد بن سلم الباهلي وعزل الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة وهو ابن أخي معن بن زائدة عن أرمينية واستعمل عليها أخاه عبيد الله بن المهدي وفيها غزا الصائفة اسحق بن سليمان بن علي وفيها وضع الرشيد على أهل السواد العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف وحج بالناس يعقوب بن المنصور وفيها مات الفضل بن صالح ابن علي بن عبد الله بن عباس وهو أخو عبد الملك وتوفي سليمان بن بلال مولى ابن أبي عتيق وتوفي أبو بزيد يدياح بن بزيد اللخمي الزاهد بمدينة القيروان وكان مجاب الدعوة

مخلدا قد أتى الرحمن غضبانا
كانه لم يرد قصدا بضربته
الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا
ولعمران بن حطان ولابيه حطان أخبار كثيرة قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان في باب أخبار الخوارج من الازارقة والاباضية والحمرية والصفرية والعجردية وغيرهم من فرق الخوارج الى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بفروان فادخل على المقتدر بالله بعث به ابن حمدان من هرموناه وقد كان خرج في أيامه أيضا المعروف بابي شعيب وقد رثى الناس أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه في ذلك الوقت والى هذه الغاية وذكروا مقتله وممن رثاه في ذلك الوقت أبو الاسود الدؤلي من أبيات

ألا أبلغ معاوية بن حرب
فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا
بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا
وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها
ومن قرأ المثاني والمئينا

اذا استقبلت وجه أبي حسين
رأيت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت
بانك خيرهم حسبا ودينا
وانطلق البرك الصريمي الى معاوية فطعنه بخنجر في أليته وهو يصلي فأخذ وأوقف بين يديه فقال له ويلك وما أنت وما خبرك قال لا تقتلني وأخبره قال انا تبا يعنا في هذه الليلة عليك وعلى علي وعلى عمرو فان أردت فاحبسني عندك فان كانا قتلا والا خليت سبيلي فطلبت قتل علي ولك علي ان أقتله وأن آتيك حتى أضع يدي في يدك فقال بعض الناس قتله يومئذ وقال بعضهم حبسه حتى جاءه خبر قتل علي فاطلقه وانطلق زاد ويه عمرو بن بكر التميمي الى عمرو بن العاص فوجد خارجة قاضي مصر جالسا على السرير يطعم الناس في مجلس عمرو وقيل بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض فضربه بالسيف فدخل عليه

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة﴾

فيها توفي محمد بن سليمان بن علي بالبصرة فارسل الرشيد من قبض تركته وكانت عظيمة من المال والمتاع والدواب فحملوا منه ما يصلح للخلافة وتركوا ما لا يصلح وكان من جملة ما اخذوا ستون الف ألف فلما قدموا بذلك عليه اطلق منه للندماء والمغنين شيأ كثيرا ورفع الباقي الى خزانته وكان سبب أخذ الرشيد تركته ان أخاه جعفر بن سليمان كان يسعى به الى الرشيد حسدا له ويقول انه لا مال له ولا ضيعة الا وقد أخذ أكثر من ثمنها ليتقوى به على ما تحدثه به نفسه يعني الخلافة وان أمواله حل طلق لامير المومنين وكان الرشيد يأمر بالاحتفاظ بكتبه فلما توفي محمد بن سليمان اخرجت كتبه الى جعفر أخيه واحتج عليه بها ولم يكن له أخ لابيه وأمه غير جعفر فاقربهما فلهذا قبضت أمواله وفيها مات الخيزران أم الرشيد فحمل الرشيد جنازتها ودفنها في مقابر قريش ولما فرغ من دفنها أعطى الخاتم الفضل بن الربيع وأخذه من جعفر بن يحيى بن خالد وفيها استقدم الرشيد جعفر بن محمد بن الاشعث من خراسان واستعمل عليها ابنه العباس بن جعفر وج بالناس الرشيد احرم من بغداد وفيها مات مورقاط ملك جليقية من بلاد الاندلس وولي بعده برمند بن قلوريه القسر ثم تبرأ من الملك وترهب وجعل ابن أخيه في الملك وكان ملك ابن أخيه سنة خمس وسبعين ومائة وفيها توفي سلام بن أبي مطيع (بتشديد اللام) وجويرية بن اسما بن عبيد البصري ومروان بن معاوية بن الحرث بن اسماء الفزاري أبو عبد الله وكان موته بمكة فجأة

﴿ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة﴾

فيها استعمل الرشيد اسحق بن سليمان على السند ومكران وفيها استقضى الرشيد يوسف بن أبي يوسف وأبو حي وفيها هلك روح بن حاتم وسار الرشيد الى الجودي ونزل بقردى وباذبدى من اعمال جزيرة ابن عمر فابتنى بها قصرا وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح وج بالناس الرشيد فقسم في الناس مالا كثيرا وفيها عزل علي بن مسهر عن قضاء الموصل وولى القضاء بها اسمعيل بن زياد الدولابي

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة﴾

في هذه السنة عقد الرشيد لابنه محمد ابن زبيدة بولاية العهد ولقبه الامين وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين وكان سبب البيعة ان خاله عيسى بن جعفر بن المنصور جاء الى الفضل بن يحيى بن خالد فسأله في ذلك وقال له انه ولدك وخلافته لك فوعده بذلك وسعى فيها حتى بايع الناس له بولاية العهد وفيها عزل الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر وولاها خالد الغطريف بن عطاء وغزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح وبلغ أقريطية وقيل غزاها عبد الملك نفسه فاصابهم برد شديد يسقط منه كثير من أيدي الجند وأرجلهم وفيها سار يحيى بن عبد الله بن حسن ابن علي الى الديلم فتحرك هناك وج بالناس هذه السنة هرون الرشيد

﴿ذكر ظفر هشام باخويه ومطروح﴾

وفيها فرغ هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس من اخويه سليمان وعبد الله واجلاهما عن الاندلس فلما خلا سره منهما انتدب لمطروح بن سليمان بن يقظان فسير اليه جيشا كثيفا وجعل عليهم اباعثمان عبيد الله بن عثمان فساروا الى مطروح وهو بسرقسطة فحصروه بها فلم يظفروا به فرجع أبو عثمان عنه ونزل بحصن طرسونة بالقرب من سرقسطة وبث سراياه على اهل سرقسطة يغيرون ويمنعون عنهم الميرة ثم ان مطروحا خرج في بعض الايام آخر النهار يتصيد وأرسل البازي على طائر فاقتنصه فنزل مطروح لبذبحه بيده ومعه صاحبان له قد انفرد بهما عن

اصحابه

اصحابه فقتلاه وأخذا رأسه واتيا به أبا عثمان فسار الى سرقسطة فكاتبه اهلها بالطاعة فقبل منهم وسار اليها فنزلها وأرسل رأس مطروح الى هشام

﴿ذكر غزاة هشام بالاندلس﴾

ثم ان أبا عثمان لما فرغ من مطروح أخذ الجيش وسار بهم الى بلاد الفرنج فقصد ألبة والقلاع فلقيه العدو فظفر بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح الله عليه وفيها سير هشام أيضا يوسف بن بخت فى جيش الى جليقية فلقى ملكهم وهو برمند الكبير فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت الجلالقة وقتل منهم عالم كثير وفيها انقاد أهل طليطلة الى طاعة الامير هشام فأمنهم وفيها سجن هشام أيضا ابنه عبد الملك لشئ بلغه عنه فبقى مسجونا حياة أبيه وبعض ولاية أخيه فتوفى محبوسا سنة ثمان وتسعين ومائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها خرج بخراسان حصين الخارجى وهو من موالى قيس بن ثعلبة من أهل أوق وكان على سجستان عثمان بن عمارة فارسل جيشا فلقيهم حصين فهزمهم ثم أتى خراسان وقصد باذغيس وبوشنج وهراة وكتب الرشيد الى العطريف فى طلبه فسير اليه العطريف داود بن يزيد فى اثنى عشر الفا فلقيهم حصين فى ستمائة فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا ثم سار فى خراسان الى ان قتل سنة سبع وسبعين ومائة * وفيها مات الليث بن سعد الفقيه بمصر ومحمد بن اسحق بن ابراهيم أبو العنبس الشاعر وفيها توفى المسيب بن زهير بن عمر بن مسلم الضبى وقيل سنة ست وسبعين وكان على شرط المنصور والمهدى وولاه الهدى خراسان وفيها ولد ادريس بن ادريس بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب

﴿ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة﴾

﴿ذكر ظهور يحيى بن عبد الله بالديلم﴾

فى هذه السنة ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالديلم واشتدت شوكته وكثر جموعه وأتاه الناس من الامصار فاغتم الرشيد لذلك فندب اليه الفضل بن يحيى فى خمسين الفا وولاه جرجان وطبرستان والرى وغيرها وحمل معه الاموال فكاتب يحيى بن عبد الله ولطف به وحذره وأشار عليه وبسط أمله ونزل الفضل بالطالقان بمكان يقال له اشب ووالى كتبه الى يحيى وكاتب صاحب الديلم وبذل له ألف الف درهم على ان يسهل له خروج يحيى بن عبد الله فاجاب يحيى الى الصلح على ان يكتب له الرشيد اما نا بخطه يشهد عليه فيه القضاة والفقهاء وجلة بنى هاشم ومشايخهم منهم عبد الصمد بن على فاجابه الرشيد الى ذلك وسر به وعظمت منزلة الفضل عنده وسير الامان مع هدايا وتحف فقدم يحيى مع الفضل بغداد فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأمر له بمال كثير ثم ان الرشيد حبسه فمات فى الحبس وكان الرشيد قد عرض كتاب امان يحيى على محمد بن الحسن الفقيه وعلى أبى البخترى القاضى فقال محمد الامان صحيح فحاجه الرشيد فقال محمد ومايصنع بالامان لو كان محاربا ثم ولى وكان آمنا وقال أبو البخترى هذا أمان منتقض من وجه كذا فمزقه الرشيد

﴿ذكر ولاية عمر بن مهران مصر﴾

وفيها عزل الرشيد موسى بن عيسى عن مصر ورد امرها الى جعفر بن يحيى بن خالد فاستعمل عليها جعفر عمر بن مهران وكان سبب عزله ان الرشيد بلغه ان موسى عازم على الخلاع فقال والله لا أعزله الا بأخس من على بابى فامر جعفرا فحضر عمر بن مهران وكان أحول مشوه الخلق وكان لباسه

عمرو وبه رمق فقال له خارجة والله ما اراد غيرك فقال عمرو ولكن الله اراد خارجة واوقف الرجل بين يدى عمرو فسأله عن خبره فقص عليه القصة واخبره ان عليا ومعاوية قد قتلا فى هذه الليلة فقال ان قتلا أولم يقتلا فلابد من قتلك فبكى فقيل له اجزعا من الموت مع هذا الاقدام فقال لا والله ولكن غما ان يفوز صاحبى بقتل على ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو فضرب عنقه وصاب وكان على رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى
فلا ورب مكة ما برواوما ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم
بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين

اشدد حيازيمك للموت
فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت
اذا حل بوديكا

وسمعا منه فى الوقت الذى قتل فيه فانه قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحية وانحل ازاره فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين وقد كان معاوية دس اناسا الى الكوفة

خسيسا وكان يردف غلامه خلفه فلما قال له الرشيد اتسير الى مصر أميرا فقال أتولاها على شرائط احداها ان يكون اذني الى نفسي اذا أصلحت البلاد انصرفت فاجابه الى ذلك فسار فلما وصل اليها اتى دار موسى فجلس في أخريات الناس فلما تفرقوا قال لك حاجة قال نعم ثم دفع اليه الكتب فلما قرأها قال هل يقدم أبو حفص ابقاه الله قال انا أبو حفص قال موسى لعن الله فرعون حيث قال اليس لي ملك مصر ثم سلم له العمل فتقدم عمر الى كاتبه ان لا يقبل هدية الا ما يدخل في الكيس فبعث الناس بهداياهم فلم يقبل دابة ولا جارية ولم يقبل الا المال والثياب فاخذها وكتب عليها اسماء اصحابها وتركها وكان أهل مصر قد اعتادوا المطل بالخراج وكسره فبدأ عمر برجل منهم فطالبه بالخراج فلواه فاقسم ان لا يؤديه الا بعد ينة السلام فبذل الخراج فلم يقبله منه وحمله الى بغداد فادى الخراج بها فلم يعطله احد فاخذ النجم الاول والنجم الثاني فلما كان النجم الثالث وقعت المطاولة والمطل وشكوا الضيق فاحضر تلك الهدايا وحسبها لاربابها وأمرهم بتعجيل الباقي فاسرعوا في ذلك فاستوفى خراج مصر عن آخره ولم يفعل ذلك غيره ثم انصرف الى بغداد

﴿ذكر الفتنة بدمشق﴾

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية وكان رأس المضرية أبو الهيذام واسمه عامر بن عمارة بن خزيم الناعم بن عمرو بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان المري أحد فرسان العرب المشهورين وكان سبب الفتنة ان عاملا للرشيد بسجستان قتل اخا لابي الهيذام فخرج أبو الهيذام بالشام وجمع جمعا عظيما وقال يرثي أخاه

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا * فان بها ما يدرك الطالب الوترا
ولسنا كمن ينعى أخاه بغيره * يعصرها من ماء مقلته عصرا
وانا أناس ما تفيض دموعنا * على هالك منا وان قصم الظهرا
ولكنني اشفي الفؤاد بغارة * الهب في قطري كتائبها جمرا

وقيل ان هذه الابيات لغيره والصحيح انها له ثم ان الرشيد احتال عليه باخ له كتب اليه فارغبه ثم شد عليه فكتفه واتى به الرشيد فمن عليه واطلقه وقيل كان اول ما هاجت الفتنة في الشام ان رجلا من بني القين خرج بطعام له يطحنه في الرحى بالبلقاء فمر بحائط رجل من لخم او جذام وفيه بطيخ وقثاء فتناول منه فشتمه صاحبه وتضاربا بالسواعد القينى فجمع صاحب البطيخ قوما من اهل اليمن ليضربوه اذا عاد فلما عاد ضربوه واعانه قوم آخرون فقتل رجل من اليمانية وطلبوا بدمه فاجتمعوا لذلك وكان على دمشق حينئذ عبد الصمد بن علي فلما خاف الناس ان يتفاقم ذلك اجتمع اهل الفضل والرؤساء ليصلحوا بينهم فاتوا بني القين فكلموهم فاجابوهم الى ما طلبوا فاتوا اليمانية فكلموهم فقالوا انصرفوا عنا حتى ننظر ثم سار وافبيتوا بني القين فقتلوا منهم ستمائة وقيل ثلثمائة فاستنجد بنو القين قضاعة وسليحا فلم ينجدوهم فاستنجدوا قيسا فاجابوهم وساروا معهم الى الصوالي من أرض البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وكثر القتال بينهم فالتقوا مرات وعزل عبد الصمد عن دمشق واستعمل عليها ابراهيم بن صالح بن علي فدام ذلك الشر بينهم نحو سنتين والتقوا بالثنية فقتل من اليمانية نحو ثمانمائة ثم اصطلحوا بعد شر طويل ووفد ابراهيم بن صالح على الرشيد وكان ميله مع اليمانية فوقع في قيس عند الرشيد فاعتذر عنهم عبد الواحد بن بشر

يشيعون موته واكثر الناس القول في ذلك حتى بلغ عليا فقال في مجلسه قد أكثرتم من نعي معاوية والله ما مات ولا يموت حتى يملك ما تحت قدمي وانما اراد ابن اكلة الاكباد ان يعلم ذلك مني فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عندي فيه وما يكون من أمره في المستقبل من الزمان ومر في كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن تلاه من يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق فقام قائم من الناس فقال يا أمير المؤمنين لقد وصفت امورا عظيمة آلله ان ذلك كائن قال علي والله ان ذلك لكائن ما كذبت ولا كذبت فقال آخرون متى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا خضبت هذه من هذه ووضع احدى يديه على لحيته والاخرى على رأسه فاكثر الناس من البكاء فقال لا تبكوا في وقتكم هذا فستبكون بعدي طويلا فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سرا في أمورهم واتخذوا عنده الايادي

النصرى من بنى نصر فقبل عذرهم و رجعوا واستخلف ابراهيم بن صالح على دمشق ابنه اسحق وكان ميله أيضا مع اليمانية فاخذ جماعة من قيس فحبسهم وضربهم وحلق لحاهم فنفر الناس ووثب غسان برجل من ولد قيس بن العبسى فقتلوه فجاء أخوه الى ناس من الزواقيل بحوران فاستنجدهم فانجدوه وقتلوا من اليمانية نفرا ثم سارت اليمانية بكليب بن عمرو بن الجنيد بن عبد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوه فجاءت أم الغلام بثيابه الى أبى الهيذام فالقتها بين يديه فقال انصرفى حتى ننظر فانى لا اخبط خبط العشواء حتى يأتى الامير ونرفع اليه دماءنا فان نظر فيها والا فامير المؤمنين ينظر فيها ثم أرسل اسحق فاحضر ابا الهيذام فحضر فلم ياذن له ثم ان ناسا من الزواقيل قتلوا رجلا من اليمانية وقتلت اليمانية رجلا من سايم ونهبت أهل تلفيثا وهم جيران محارب فجاءت محارب الى أبى الهيذام فركب معهم الى اسحق فى ذلك فوعدهم الجميل فرضى فلما انصرف أرسل اسحق الى اليمانية يغريهم ابى الهيذام فاجتمعوا وأتوا أبا الهيذام من باب الجابية فخرج اليهم فى نفر يسير فهزمهم واستولى على دمشق وأخرج أهل السجون عامة ثم ان أهل اليمانية استجمعت واستنجدت كلبا وغيرهم فامدوهم وبلغ الخبر أبا الهيذام فارسل الى المضرية فاتته الامداد وهو يقاتل اليمانية عند باب توما فانهزمت اليمانية ثم ان اليمانية أتت قرية لقيس عند دمشق فارسل أبو الهيذام اليهم الزواقيل فقاتلوهم فانهزمت اليمانية أيضا ثم لقيهم جمع آخر فانهزموا أيضا ثم أتاهم الصريخ أدركوا باب توما فاتوه فقاتلوا اليمانية فانهزمت أيضا فهزموهم فى يوم واحد أربع مرات ثم رجعوا الى أبى الهيذام ثم أرسل اسحق الى أبى الهيذام يامره بالكف ففعل وأرسل الى اليمانية قد كفتكم عنكم فدونكم الرجل فهو غار فاتوه من باب شرقى متسللين فاتى الصريخ أبا الهيذام فركب فى فوارس من أهله فقاتلهم فهزمهم ثم بلغه خبر جمع آخر لهم على باب توما فاتاهم فهزمهم أيضا ثم جمعت اليمانية أهل الاردن والخولان وكلبا وغيرهم واتى الخبر أبا الهيذام فارسل من يأتيه بخبرهم فلم يقف لهم على خبر فى ذلك وجاؤا من جهة أخرى كان آمنا منها لبناء فيها فلما انتصف النهار ولم يرشيأ فرق أصحابه فدخلوا المدينة ودخلها معهم وخلف طليعة فلما رآه اسحق قد دخل ارسل الى ذلك البناء فهدمه وأمر اليمانية بالعبور ففعلوا فجاءت الطليعة الى أبى الهيذام فاخبروه الخبر وهو عند باب الصغير ودخلت اليمانية المدينة وحملوا على ابى الهيذام فلم يبرح وامر بعض اصحابه ان يأتى اليمانية من ورائهم ففعلوا فلما رأتهم اليمانية تنادوا الكمين الكمين وانهزموا وأخذ منهم سلاحا وخيلا فلما كان مستهل صفر جمع اسحق الجنود فعسكر واعند قصر الحجاج وأعلم أبو الهيذام أصحابه فجاءته بنو القين وغيرهم واجتمعت اليمن الى اسحق فالتقى بعض العسكر فاقتتلوا فانهزمت اليمانية وقتل منهم ونهب أصحاب أبى الهيذام بعض دار ياوا حرقوا فيها ورجعوا وأغار هؤلاء فنهبوا وأحرقوا واقتتلوا غير مرة فانهزمت اليمانية أيضا فارسلت ابنة الضحاك بن رمل السكسكى وهى يمانية الى أبى الهيذام تطلب منه الامان فاجابها وكتب لها ونهب القرى التى لليمانية بنواحى دمشق واحرقها فلما رأت اليمانية ذلك أرسل اليه ابن خارجة الحرشى وابن عزة الخشنى وأتاه الاوزاع والاوصاب ومقرا وأهل كفرسوسية والحميريون وغيرهم يطلبون الامان فامنهم فسكن الناس وأمنوا وفرق أبو الهيذام أصحابه وبقى فى نفر يسير من أهل دمشق فطمع فيه اسحق فبذل الاموال للجنود ليواقع أبا الهيذام فارسل العذاء السكسكى فى جمع الى أبى الهيذام فقاتلوهم فانهزم العذا فرودامت الحرب بين أبى الهيذام وبين الجنود من الظهر الى المساء وحمل خيل أبى

فوالله ما مضت الايام قلائل حتى كان ذلك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب بعد ذكرنا لزهده ولمع من كلامه وجمل من أخباره ايضا أخبار معاوية بن أبى سفيان والله ولى التوفيق

﴿ذكر لمع من كلامه واخباره وزهده رضوان الله عليه﴾

لم يلبس عليه السلام فى ايامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربحا الا شيأ كان له بسرف مما تصدق به وحبسه والذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته اربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة وردها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا (وقيل) له من خيار العباد قال الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا واذا ابتلوا صبروا واذا غضبوا غفروا (وكان) يقول الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها الدنيا مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحيه ومتجر أولياءه اكتسبوا فيها

الهيذام على الجند فحالوا ثم تراجعوا وانصرفوا وقد جرح منهم أربعمائة ولم يقتل منهم أحد وذلك نصف صفر فلما كان الغد لم يقتتلوا الى المساء فلما كان آخر النهار تقدم اسحق فى الجند فقاتلهم عامة الليل وهم بالمدينة واستمد أبو الهيذام أصحابه وأصبحوا من الغد فاقتتلوا والجند فى اثنى عشر ألفا وجاءتهم اليمانية وخرج أبو الهيذام من المدينة فقال لاصحابه وهم قليلون انزلوا فنزلوا وقاتلوهم على باب الحابية حتى أزالوهم عنه ثم ان جمعا من أهل حمص أغاروا على قرية لابى الهيذام فارسل طائفة من أصحابه اليهم فقاتلوهم فانهزم أهل حمص وقتل منهم بشر كثير وأحرقوا قرى فى الغوطة لليمانية وأحرقوا دارياثم بقوانيفا وسبعين يوما لم تكن حرب فقدم السندى مستهل ربيع الآخر فى الجنود من عند الرشيد فاتته اليمانية تغريه بابى الهيذام وأرسل أبو الهيذام اليه يخبره انه على الطاعة فاقبل حتى دخل دمشق واسحق بدار الحجاج فلما كان الغد أرسل السندى قائدا فى ثلاثة آلاف وأخرج اليهم أبو الهيذام ألفا فلما رآهم القائد رجع الى السندى فقال أعط هؤلاء ما أرادوا فقد رأيت قوما الموت أحب اليهم من الحياة فصالح أبا الهيذام وأمن أهل دمشق والناس وسار أبو الهيذام الى حوران وأقام السندى بدمشق ثلاثة ايام وقدم موسى بن عيسى واليا عليها فلما دخلها اقام بها عشرين يوما واغتنم غرة أبى الهيذام فارسل من يأتيه به فكبسوا داره فخرج هو وابنه خريم وعبد له فقاتلوهم ونحامنهم وانهزم الجند وسمعت خيل ابى الهيذام فجاءته من كل ناحية وقصد بصرى وقاتل جنود موسى بطرف اللحاه فقتل منهم وانهزموا ومضى أبو الهيذام فلما أصبح أتاه خمسة فوارس فكاموه فاوصى أصحابه بما أراد وتركهم ومضى وذلك لعشر بقين من رمضان سنة سبع وسبعين ومائة وكان اولئك النفر قد اتوه من عند اخيه يأمره بالكف ففعل ومضى معهم وامر اصحابه بالتفرق وكان آخر الفتنة ومات ابو الهيذام سنة اثنتين وثمانين ومائة هذا ما أردنا ذكره على سبيل الاختصار (خريم) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء وحارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة ونشبة بضم النون وسكون الشين المعجمة وبعده باء موحدة وبغيض بالباء الموحدة وكسر الغين المعجمة وآخره ضاد معجمة وريث بالراء والياء تحتها نقطتان وآخره ثاء مثلثة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا عبد الملك بن عبد الواحد بجيش صاحب الاندلس بلاد الفرنج فبلغ ألبة والقلاع فغنم وسلم وفيها استعمل هشام ابنه الحكم على طليطلة وسيره اليها فضبطها واقام بها وولد له بها ابنه عبد الرحمن بن الحكم وهو الذى ولى الاندلس بعد أبيه وفيها استعمل الرشيد على الموصل الحاكم بن سليمان وفيها خرج الفضل الخارجى بنواحى نصيبين فاخذ من أهلها مالا وسار الى دارا وآمد وارزن فاخذ منهم مالا وكذلك فعل بالخلاط ثم رجع الى نصيبين وأتى الموصل فخرج اليه عسكرها فهزمهم على الزاب ثم عاد والتقاه فقتل الفضل وأصحابه وفيها مات الفرج بن فضالة وصالح بن بشر المرى القارئ وكان ضعيفا فى الحديث وفيها توفى عبد الملك بن محمد بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم أبو طاهر الانصارى وكان قاضيا ببغداد وفيها توفى نعيم بن ميسرة النحوى الكوفى وأبو الاحوص وأبو عوانة واسمه الوضاح مولى يزيد بن عطاء الليثى وكان مولده سنة اثنتين وتسعين

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة﴾

﴿ذكر غزو الفرنج بالاندلس﴾

فيها سير هشام صاحب الاندلس جيشا كثيفا واستعمل عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فدخلوا بلاد العدو فبلغوا اربونة وجرندة فبدأ بجرندة وكان بها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم

الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثلت لهم ببلائها البلاء وشوقت بسرورها الى السرور وراحت بفجيعة وابتكرت بعافية تحذيرا وترغيبا وتخويفا فذمها رجال غب الندامة وحمدها آخرون غب المكافأة ذكرتهم فذكروا تصاريفها وصدقتهم فصدقوا حديثها فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استدامت لك الدنيا بل متى غرتك من نفسها أبضاجع آبائك من البلى أم بمصارع امهاتك من الثرى كم قد عللت بكفك ومرضت بيدك من تبغى له الشفاء وتستوصف له الاطباء لم تنفعه بشفائك ولم تستعف له بطلبتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك غداة لا ينفعك بكاؤك ولا يغنى عنك احباؤك ولا تسمع فى مدح الدنيا أحسن من هذا (ومما) حفظ من كلامه فى بعض مقاماته فى صفة الدنيا أنه قال ألا ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة وان الآخرة قد دنت مقبلة ولهذه أبناء ولهذه أبناء

أسوارها وأبراجها وأشرف على فتحها فرحل عنها الى اربونة ففعل مثل ذلك وأوغل فى بلادهم ووطئ أرض شرطانية فاستباح حريمها وقتل مقاتلتها وجاس البلاد شهورا يخرب الحصون ويحرق ويغنم قد أجفل العدو من بين يديه هاربا وأوغل فى بلادهم ورجع سالما معه من الغنائم مالا يعلمه الا الله تعالى وهى من أشهر مغازى المسلمين بالاندلس

﴿ ذكر استعمال الفضل بن روح بن حاتم على افريقية ﴾

وفى هذه السنة وهى سنة سبع وسبعين استعمل الرشيد على افريقية الفضل بن روح بن حاتم وكان الرشيد لما توفى روح استعمل بعده حبيب بن نصر المهلبى فسار الفضل الى باب الرشيد وخطب ولاية افريقية فولاه فعاد اليها فقدم فى المحرم سنة سبع وسبعين ومائة فاستعمل على مدينة تونس ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح وكان غرا فاسخف بالجند وكان الفضل أيضا قد أوحشهم وأساء السيرة معهم بسبب ميلهم الى نصر بن حبيب الوالى قبله فاجتمع من بتونس وكتبوا الى الفضل يستعفون من ابن أخيه فلم يجبهم عن كتابهم فاجتمعوا على ترك طاعته فقال لهم قائد من الخراسانية يقال له محمد بن الفارسى كل جماعة لا رئيس لها فهى الى الهلاك أقرب فانظروا رجلا يدبر أمركم قالوا صدقت فاتفقوا على تقديم قائد منهم يقال له عبد الله بن الجارود يعرف بعبدويه الانبارى فقدموه عليهم وبايعوه على السمع والطاعة واخرجوا المغيرة عنهم وكتبوا الى الفضل يقولون انا لم نخرج يدا عن طاعته ولكنه اساء السيرة فاخرجناه فول علينا من نرضاه فاستعمل عليهم ابن عمه عبد الله بن يزيد بن حاتم وسيره اليهم فلما كان على مرحلة من تونس ارسل اليه ابن الجارود جماعة لينظروا فى أى شئ قدم ولا يحدثوا حدثا الا بامر فساروا اليه وقال بعضهم لبعض ان الفضل يخدعكم بولاية هذا ثم ينتقم منكم باخراجكم اخاه فعدوا على عبد الله بن يزيد فقتلوه وأخذوا من معه من القواد اسارى فاضطرب حينئذ عبد الله بن الجارود ومن معه الى القيام والجد فى ازالة الفضل فتولى ابن الفارسى الامر وصار يكتب الى كل قائد بافريقية ومتولى مدينة يقول له انا نظرنا فى صنيع الفضل فى بلاد امير المؤمنين وسوء سيرته فلم يسعنا الا الخروج عليه لنخرجه عنا ثم نظرنا فلم نجد احدا اولى بنصيحة امير المؤمنين لبعد صونه وعطفه على جنده منك فرأينا ان نجعل نفوسنا دونك فان ظفرنا جعلناك اميرنا وكتبنا الى امير المؤمنين نسأله ولايتك وان كانت الاخرى لم يعلم احدا ننا اردنا ذلك والسلام فافسد بهذا كافة الجند على الفضل وكثر الجمع عندهم فسير اليهم الفضل عسكرا كثيرا فخرجوا اليه فقاتلوه فانهزم عسكره وعاد الى القيروان منهزما وتبعهم اصحاب ابن الجارود فحاصروا القيروان يومهم ذلك ثم فتح اهل القيروان الابواب ودخل ابن الجارود وعسكره فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين ومائة واخرج الفضل من القيروان ووكل به وبمن معه من اهله ان يوصلهم الى قابس فساروا يومهم ثم ردهم ابن الجارود وقتل الفضل بن روح بن حاتم فلما قتل الفضل غضب جماعة من الجند واجتمعوا على قتال ابن الجارود فسير اليهم عسكرا فانهزم عسكره وعاد اليه بعد قتال شديد واستولى أولئك الجند على القيروان وكان ابن الجارود بمدينة تونس فسار اليهم وقد تفرقوا بعد دخول القيروان فوصل اليهم ابن الجارود فلقوه واقتتلوا فهزمهم ابن الجارود وقتل جماعة من اعيانهم فانهزموا فلحقوا بالاربس وقدموا عليهم العلاء بن سعيد الى بلد الزاب وساروا الى القيروان

﴿ ذكر ولاية هرثمة بن اعين بلاد افريقية ﴾

اتفق وصول يحيى بن موسى من عند الرشيد لما قصد العلاء ومن معه القيروان وكان سبب وصوله

فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقوضوا الدنيا تقويضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن راقب الخير سارع فى الخيرات الا وان لله عبادا يرون أهل الجنة فى الجنة منعمين مخلدين قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أنفسهم عفيفة وحاجتهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصارت لهم العقبى راحة طويلة اما الليل فصافوا أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون الى ربهم ويسعون فى فكاك رقابهم واما النهار فعلماء حكماء بررة أتقياء كانهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالطهم امر عظيم من ذكر النار ومن فيها (وقال لابنه الحسن) يا بنى استغن عن من شئت تكن نظيره وسل من شئت

ان الرشيد بلغه ما صنع ابن الجارود وافساده افريقية فوجه هرثمة بن اعين ومعه يحيى بن موسى لحمله عند اهل خراسان وامر ان يتقدم يحيى فيتلطف بابن الجارود ويستميله ليعاود الطاعة قبل وصول هرثمة فتقدم يحيى القيروان فجرى بينه وبين ابن الجارود كلام كثير ودفع اليه كتاب الرشيد فقال انا على السمع والطاعة وقد قرب منى العلاء بن سعيد ومعه البربر فان تركت القيروان وثب البربر فملكوها فاكون قد ضيعت بلاد امير المؤمنين ولكنى اخرج الى العلاء فان ظفرت فشأنكم والثغور وان ظفرت به انتظرت قدوم هرثمة فاسلم البلاد اليه وأسير الى أمير المؤمنين وكان قصده المغالطة فان ظفر بالعلاء منع هرثمة عن البلاد فعلم يحيى ذلك وخلا بابن الفارسى وعاتبه على ترك الطاعة فاعتذر وحلف انه عليها وبذل من نفسه المساعدة على ابن الجارود فسعى ابن الفارسى فى افساد حاله واستمال جماعة من اجناده فحاربوه وكثر جمعه وخرج الى قتال ابن الجارود فقال ابن الجارود لرجل من اصحابه اسمه طالب اذا تواقفنا فانى سأدعو ابن الفارسى لاعاتبه فاقصده انت وهو غافل فاقتله فاجابه الى ذلك وتواقف العسكران ودعا ابن الجارود محمد بن الفارسى وكلمه وحمل طالب عليه وهو غافل فقتله وانهزم اصحابه وتوجه يحيى بن موسى الى هرثمة بطرابلس واما العلاء ابن سعيد فانه لما علم الناس بقرب هرثمة منهم كثر جمعه واقبلوا اليه من كل ناحية وسار الى ابن الجارود فعلم ابن الجارود انه لا قوة له به فكتب الى يحيى بن موسى يستدعيه ليسلم اليه القيروان فسار اليه فى جند طرابلس فى المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فلما وصل قابسا تلقاه عامة الجند وخرج ابن الجارود من القيروان مستهل صفر وكانت ولايته سبعة أشهر وأقبل العلاء بن سعيد ويحيى بن موسى يستبقان الى القيروان كل منهما يريد ان يكون الذى كرله فسبقه العلاء ودخلها وقتل جماعة من أصحاب ابن الجارود وسار الى هرثمة وسار ابن الجارود أيضا الى هرثمة فسيره هرثمة الى الرشيد وكتب اليه يعلمه ان العلاء كان سبب خروجه فكتب الرشيد يأمره بارسال العلاء اليه فسيره فلما وصل لقيه صلة كثيرة من الرشيد وخلع فلم يلبث بعصر الا قليلا حتى توفى وأما ابن الجارود فانه اعتقل ببغداد وسار هرثمة الى القيروان فقدمها فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة فأمن الناس وسكنهم وبنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين ومائة وبنى سور مدينة طرابلس مما يلى البحر وكان ابراهيم بن الاغلب بولاية الزاب فاكثر الهدية الى هرثمة ولاطفه فولاه هرثمة ناحية من الزاب فحسن اثره فيها ثم ان عياض بن وهب الهوارى وكليب بن جميع الكلبى جمعا جموعا وأرادا قتال هرثمة فسير اليهما يحيى بن موسى فى جيش كثير ففرق جموعهما وقتل كثيرا من أصحابهما وعاد الى القيروان ولما رأى هرثمة ما بافريقية من الاختلاف واصل كتبه الى الرشيد يستعفى فأمره بالقدوم عليه الى العراق فسار عن افريقية فى رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا

﴿ذكر الفتنة بالموصل﴾

وفيها خالف العطاف بن سفيان الازدى على الرشيد وكان من فرسان أهل الموصل واجتمع عليه أربعة آلاف رجل وجبى الخراج وكان عامل الرشيد على الموصل محمد بن العباس الهاشمى وقيل عبد الملك بن صالح والعطاف غالب على الامر كله وهو يجبى الخراج وأقام على هذا سنتين حتى خرج الرشيد الى الموصل فهدم سورها بسببه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل الرشيد جعفر بن يحيى عن مصر واستعمل عليها اسحق بن سليمان وعزل حمزة

تكن حقيره وأعط من شئت تكن أميره (ودخل) عليه رجل من أصحابه فقال كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزقى وأنتظر أجلى قال وما تقول فى الدنيا قال وما أقول فى دار أولها غم وآخرها موت من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن حلالها حساب وحرامها عقاب قال فأى الخلق أنعم قال أجساد تحت التراب قد امنت العقاب وهى تنتظر الثواب (ودخل) ضمرة بن حمزة وكان من خواص على على معاوية وافدا فقال له صف لى عليا قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال معاوية لابد من ذلك فقال اما اذا كان لابد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يجتنب من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر وكان والله يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ولا نبتدئه لعظمه فى نفوسنا يبتسم عن مثل نظم الدر المنظوم يعظم أهل الدين

ابن مالك عن خراسان واستعمل عليها الفضل بن يحيى البرمكي مضافا الى ما كان اليه من الاعمال وهي الري وسجستان وغيرهما وفيها غزا الصائفة عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي وفيها في المحرم هاجت ريح شديدة وظلمة ثم عادت مرة ثانية في صفر وج بالناس الرشيد وفيها توفي عبد الواحد ابن زيد وقيل سنة ثمان وسبعين وفيها توفي شريك بن عبد الله النخعي وجعفر بن سليمان

﴿ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة﴾

﴿(ذكر الفتنة بمصر)﴾

في هذه السنة وثبت الحوفية بمصر على عاملهم اسحق بن سليمان وقاتلوه وامده الرشيد بهرثمة ابن أعين وكان عامل فلسطين فقاتلوا الحوفية وهم من قيس وقضاعة فاذعنوا بالطاعة وادوا ما عليهم للسلطان فعزل الرشيد اسحق عن مصر واستعمل عليها هرثمة مقدار شهر ثم عزله واستعمل عليها عبد الملك بن صالح

﴿(ذكر خروج الوليد بن طريف الخارجي)﴾

وفيها خرج الوليد بن طريف التغلبي بالجزيرة فغلبك ابراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين ثم قويت شوكة الوليد فدخل الى أرمينية وحصر خلاط عشرين يوما فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين ألفا ثم سار الى اذربيجان ثم الى حلوان وأرض السواد ثم عبر الى غرب دجلة وقصد مدينة بلد فافتدوا منه بمائة ألف وعاث في أرض الجزيرة فسير اليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وهو ابن أخي معن بن زائدة فقال الوليد

ستعلم يا يزيد اذا التقينا * بشط الزاب أي فتى يكون

فجعل يزيد يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فقالوا للرشيد انما يتجافى يزيد عن الوليد للرحم لانهما كلاهما من وائل وهوّنوا أمر الوليد فكتب اليه الرشيد كتاب مغضب وقال له لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب واقسم بالله ان أخرت مناجزته لاوجهن اليك من يحمل رأسك فلقي الوليد عشية خميس في شهر رمضان سنة تسع وسبعين فيقال جهد عطشا حتى رمى بخاتمه في فيه وجعل يلوكه ويقول اللهم انها شدة شديدة فاسترها وقال لاصحابه فداكم أبي وأمي انما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا فاذا انقضت حملتهم فاحملوا عليهم فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا فكان كما قال حملوا عليهم حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته ثم حمل عليهم فانكشفوا فيقال ان أسد بن يزيد كان شبيها بابيه جدا الا يفصل بينهما الا ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره منحرفة على جبهته فكان أسد يتمنى مثلها فهوت اليه ضربة فاخرج وجهه من الترس فاصابته في ذلك الموضع فيقال لو خطت على ضربة أبيه ما عدا واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه فاخذ رأسه فقال بعض الشعراء

وائل بعضهم يقتل بعضا * لا يفل الحديد الا الحديد

فلما قتل الوليد صبحتهم أخته ليلى بنت طريفة مستعدة عليها الدرع فجعلت تحمل على الناس فعرفت فقال يزيد دعوها ثم خرج اليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال اعزبي عزب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهي تقول ترثي الوليد

بتل تباثا رسم قبر كأنه * على علم فوق الجبال منيف
تضمن جودا حاتميا ونائلا * وسورة مقدام وقلب حصيف
ألا قاتل الله الجثي كيف أضمرت * فتى كان بالمعروف غير عفيف

ويرحم المساكين ويطعم في المسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة يكسو العريان وينصر اللهفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته وكأني به وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري الى تعرضت أم الي تشوقت هيهات هيهات لاحان حينك قد بتتك ثلاثا لا رجعة لي فيك عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق فقال له معاوية زدني شيأ من كلامه فقال ضرار كان يقول اعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اماله الطمع وان مال به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه القنوط قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان أسعده الرضا نسي التحفظ وان أماله الخوف فضحه الجزع وان أفاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة فضحه الفقر وان اجهده الجوع اقعده الضعف وان افرط به

خمس وثمانين ومائة

﴿ذكر غزو الفرنج بالاندلس﴾

في هذه السنة سير الحكم صاحب الاندلس جيشا مع عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فدخل البلاد وبث السرايا ينهبون ويقتلون ويحرقون البلاد وسير سرية فجاز واخليجا من البحر كان الماء قد جزر عنه وكان الفرنج قد جعلوا أموالهم وأهليهم وراء ذلك الخليج ظنا منهم ان أحدا لا يقدر ان يعبر اليهم فجاءهم ما لم يكن في حسابهم فغنم المسلمون جميع ما لهم وأسروا الرجال وقتلوا من هم فاكثروا وسبوا الحريم وعادوا سالمين الى عبد الكريم وسير طائفة أخرى فخربوا كثيرا من بلاد فرنسية وغنم أموال أهلها وأسروا الرجال فاخبره بعض الاسرى ان جماعة من ملوك الفرنج قد سبقوا المسلمين الى واد وعر المسلك على طريقهم فجمع عبد الكريم عساكره وسار على تعبية وجد السير فلم يشعر الكفار الا وقد خالطهم المسلمون فوضعوا السيف فيهم فانهزموا وغنم ما معهم وعاد سالما هو ومن معه

﴿ذكر ولاية علي بن عيسى خراسان﴾

وفيها عزل الرشيد منصور بن يزيد عن خراسان واستعمل عليها علي بن عيسى بن ماهان فوليها عشر سنين وفي ولايته خرج حمزة بن اترك الخارجي أيضا فجاء الى بوشنج فخرج اليه عمرويه بن يزيد الازدي وكان على هراة في ستة آلاف فقاتله فهزمه حمزة وقتل من أصحابه جماعة ومات عمرويه في الزحام فوجه اليه علي بن عيسى ابنه الحسين في عشرة آلاف فلم يحارب حمزة فعزله وسير عوضه ابنه عيسى بن علي فقاتل حمزة فهزمه حمزة فرده أبوه اليه أيضا فقاتله بباخرز وكان حمزة بنيسابور فانهزم حمزة وقتل أصحابه وبقي في أربعين رجلا فقصد قهستان، وأرسل عيسى أصحابه الى اوق وجوين فقتلوا من بها من الخوارج وقصد القرى التي كان أهلها يعينون حمزة فاحرقها وقتل من فيها حتى وصل الى زرنج فقتل ثلاثين ألفا ورجع وخلف بزرنج عبد الله بن العباس النسفي فجبى الاموال وسار بها فلقيه حمزة باسفزار فقاتله فصبر له عبد الله ومن معه من الصغد فانهزم حمزة وقتل كثير من أصحابه وجرح في وجهه واختفى هو ومن سلم من اصحابه في الكروم ثم خرج وسار في القرى يقتل ولا يبقي على احد وكان علي بن عيسى قد استعمل طاهر بن الحسين على بوشنج فسار اليه حمزة وانتهى الى مكتب فيه ثلاثون غلاما ففتلهم وقتل معلمهم وبلغ طاهرا الخبر فاتى قرية فيها قعد الخوارج وهم الذين لا يقاتلون ولا ديوان لهم فقتلهم طاهر وأخذ أموالهم وكان يشد الرجل منهم في شجرتين يجمعهما ثم يرسلهما فتأخذ كل شجرة نصفه فكتب القعد الى حمزة بالكف فكف وواعدهم وأمن الناس مدة وكانت بينه وبين أصحاب علي بن عيسى حروب كثيرة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها سار جعفر بن يحيى بن خالد الى الشام للعصبية التي بها ومعه القواد والعساكر والسلاح والاموال فسكن الفتنة واطفأ الثائرة وعاد الناس الى الامن والسكون وفيها اخذ الرشيد الخاتم من جعفر فدفعه الى يحيى بن خالد وفيها ولى جعفر خراسان وسجستان ثم عزله عنها بعد عشرين ليلة واستعمل عليها عيسى بن جعفر وولى جعفر بن يحيى الحرس وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب العطاف بن سفيان الازدي سار اليها بنفسه وهدم سورها واقسم ليقتلن من لقي من أهلها فافتاه القاضي ابو يوسف ومنعه من ذلك وكان العطاف قد سار عنها نحو ارمينية فلم يظفر به الرشيد ومضى الى الرقة فاتخذها وطنا وفيها عزل هرثمة بن اعين عن افريقية واستقدمه الى بغداد

واستخلفه

ثم عوذ بالله ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم الساب علي بن أبي طالب قالوا أما هذه فنعم قال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبني فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبني فاطرقوا فلما ولى قال لقائده كيف رأيتهم فقال

نظروا اليك بأعين مزورة
نظر التيوس الى شفار الجازر

فقال زدني فداك أبي وأمي فقال

خزر العيون منكسي اذقانهم
نظر الذليل الى العزيز القاهر

قال زدني فداك أبي وأمي قال ما عندي مزيد ولكن عندي

أحياؤهم تجني على اموالهم
والميتون فضيحة للغابر

وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد ابن علي بن الحسين بن علي ان عليا قال في صبيحة الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ ملاقيه مايفر منه والاجل تساق

واستخلفه جعفر بن يحيى على الحرس وفيها كانت بمصر زلزلة عظيمة سقط منها رأس منارة الاسكندرية وفيها خرج خراشة الشيبانى بالجزيرة فقتله مسلم بن بكار العقيلى وفيها خرجت المحمرة بجرجان وفيها عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان وواليها عبد الله بن خازم وولى سعيد بن سلم الجزيرة وغزا الصائفة محمد بن معاوية بن زفر بن عاصم وفيها سار الرشيد الى الحيرة وابتنى بها المنازل فاقطع أصحابه القطائع فتنازعهم أهل الكوفة وأساؤا مجاورته فعاد الى بغداد وحج بالناس هذه السنة موسى بن عيسى بن محمد بن على وفيها استعمل الرشيد على الموصل يحيى بن سعيد الحرشى فاساء السيرة فى أهلها وظلمهم وطالبهم بخراج سنين مضت فجلا اكثر أهل البلد وفى هذه السنة توفى المبارك بن سعيد الثورى أخو سفيان وسلمة الاحمر وسعيد بن خيثم وأبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد وعبد العزيز بن أبى حازم وتوفى وهو ساجد وأبو ضمرة أنس بن عياض الليثى المدنى وفيها أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربة وحصنها وسير اليها جندا من أهل خراسان وغيرهم فاقطعهم بها المنازل

﴿ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة﴾

﴿ذكر ولاية محمد بن مقاتل افريقية﴾

وفى هذه السنة استعمل الرشيد على افريقية محمد بن مقاتل بن حكيم العكى لما استعفى منها هرثمة ابن أعين على ماذكرناه سنة سبع وسبعين ومائة وكان محمد هذا رضيع الرشيد فقدم القيروان أول رمضان فتسلمها وعاد هرثمة الى الرشيد فلما استقر فيها لم يكن بالمحمود السيرة فاختلف الجند عليه واتفقوا على تقدم مخلد بن مرة الازدى واجتمع كثير من الجند والبربر وغيرهم فسير اليه محمد بن مقاتل جيشا فقاتلوه فانهزم مخلد واختفى فى مسجد فاخذ وذبح وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمى فى جمع كثير وسار والى القيروان فى رمضان سنة ثلاث وثمانين وخرج اليه محمد بن مقاتل العكى فى الذين معه فاقتتلوا بمنية الخيل فانهزم ابن العكى الى القيروان وسار تمام فدخل القيروان وآمن ابن العكى على ان يخرج عن أفريقية فسار فى رمضان الى طرابلس فجمع ابراهيم بن الاغلب التميمى جمعا كثيرا وسار الى القيروان منكرا لما فعله تمام فلما قاربها سار عنها الى تونس ودخل ابراهيم القيروان وكتب الى محمد بن مقاتل يعلمه الخبر ويستدعيه الى عمله فعاد الى القيروان فنقل ذلك على أهل البلد وبلغ الخبر الى تمام فجمع جمعا وسار الى القيروان ظنا منه ان الناس يكرهون محمدا ويساعدونه عليه فلما وصل قال ابن الاغلب لمحمد ان تماما انهزم منى وانا فى قلة فلما وصلت الى البلاد تجدد له طمع لعلمه ان الجند يخذلونك والرأى ان اسير أنا ومن معى من اصحابى فنقاتله ففعل ذلك وسار اليه فقاتله فانهزم تمام وقتل جماعة من اصحابه ولحق بمدينة تونس فسار ابراهيم بن الاغلب اليه ليحصره فطلب منه الامان فآمنه

﴿ذكر ولاية ابراهيم بن الاغلب افريقية﴾

لما استقر الامر لمحمد بن مقاتل ببلاد أفريقية وأطاعه تمام كره أهل البلاد ذلك وحملوا ابراهيم ابن الاغلب على ان كتب الى الرشيد يطلب منه ولاية أفريقية فكتب اليه فى ذلك وكان على ديار مصر كل سنة مائة ألف دينار تحمل الى أفريقية معونة فنزل ابراهيم عن ذلك وبذل ان يحمل كل سنة اربعين الف دينار فاحضر الرشيد ثقاته واستشارهم فيمن يوليه أفريقية وذكر لهم كراهة أهلها ولاية محمد بن مقاتل فاشار هرثمة بابراهيم بن الاغلب وذكر له ما رآه من عقله ودينه وكفايته وانه قام بحفظ أفريقية على ابن مقاتل فولاه الرشيد فى المحرم سنة أربع وثمانين

النفس اليه والهرب منه موافاتكم اطردت الايام أتحينها عن مكنون هذا الامر فابى الله عز وجل الا اخفاءه هيهات علم مكنون أما وصيتى فلا تشركوا به شيأ ومحمد لا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الحملة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كنا فى اعصار ودوى رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فحطها من الارض حيا وبقى من بعدى خبرها واستكنه بعد حركة كاظمة بعد نطق ليعظلكم هدوئى وخفوت اطرافى انه أوعظ لكم من نطق البليغ ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاق وغدا ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام الى يوم المرام كنت بالامس صاحبكم واليوم عظة لكم وغدا افارقكم ان أفق فانا ولى دمى وان أمت فالقيامة ميعادى والعفو اقرب للتقوى ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم

ومن خطبه قبل هذا وتزهيده فى هذه الدنيا قوله فى بعض مقاماته وخطبه ان الدنيا قد أدبرت

ومائة فانقمع الشر وضبط الامر وسير عساكره وكل من يتوثب على الولاة الى الرشيد فسكنت البلاد وابتنى مدينة سماها العباسية بقرب القيروان وانتقل اليها باهله وعبيده وخرج عليه سنة ست وثمانين ومائة رجل من ابناء العرب بمدينة تونس اسمه حديس فنزع السواد وكثر جمعه فبعث اليه ابن الاغلب عمران بن مخلد فى عساكر كثيرة وأمره ان لا يبقى على أحد منهم ان ظفر بهم فسار عمران والتقوا واقتتلوا وصار أصحاب حديس يقولون بغداذ بغداذ وصبر الفريقان فانهزم حديس ومن معه وأخذهم السيف فقتل منهم عشرة آلاف رجل ودخل عمران تونس ثم بلغ ابن الاغلب ان ادريس بن ادريس العلوى قد كثر جمعه باقاصى المغرب فاراد قصده فنهاه أصحابه وقالوا اتركه ماتركك فاعمل الحيلة وكاتب القيم بامره من المغاربة واسمه بهلول بن عبد الواحد واهدى اليه ولم يزل به حتى فارق ادريس وأطاع ابراهيم وتفرق جمع ادريس فكتب الى ابراهيم يستعطفه ويسأله الكف عن ناحيته ويذكر له قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه ثم ان عمران بن مخلد المقدم ذكره وكان من بطانة ابراهيم بن الاغلب وينزل معه فى قصره ركب يوما مع ابراهيم وجعل يحدثه فلم يفهم من حديثه شيأ لاشتغال قلبه بهم كان له فاستعاد الحديث من عمران فغضب وفارق ابراهيم وجمع جمعا كثيرا وثار عليه فنزل بين القيروان والعباسية وصارت القيروان وأكثر بلاد افريقية معه فخندق ابراهيم على العباسية وامتنع فيها ودامت الحرب بينهما سنة كاملة فسمع الرشيد الخبر فأنفذ الى ابراهيم خزانة مال فلما صارت اليه الاموال أمر مناديا ينادى من كان من جند أمير المومنين فليحضر لاخذ العطاء ففارق عمران أصحابه وتفرقوا عنه فوثب عليهم أصحاب ابراهيم فانهزموا فنادى ابراهيم بالامان والحضور لقبض العطاء فحضروا فاعطاهم وقلع أبواب القيروان وهدم فى سورها وأما عمران فسار حتى لحق بالزاب فاقام به حتى مات ابراهيم وولى بعده ابنه عبد الله فأمن عمران فحضر عنده وأسكنه معه فقيل لعبد الله ان هذا ثار بابيك ولا نأمنه عليك فقتله ولما انهزم عمران سكن الشر بافريقية وأمن الناس فبقى كذلك الى ان توفى ابراهيم فى شوال سنة ست وتسعين ومائة وعمره ست وخمسون سنة وامارته اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام

﴿ ذكر ولاية عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب افريقية ﴾

ولما توفى ابراهيم بن الاغلب ولى بعده ابنه عبد الله وكان عبد الله غائبا بطرابلس قد حصره بربر على ما تذكره سنة ست وتسعين ومائة فعهد اليه أبوه بالامارة وأمر ابنه زيادة الله بن ابراهيم ان يبايع لاخيه عبد الله بالامارة فكتب الى أخيه بموت أبيه وبالامارة ففارق طرابلس ووصل الى القيروان فاستقامت الامور ولم يكن فى ايامه شر ولا حرب وسكن الناس فعمرت البلاد وتوفى فى ذى الحجة سنة احدى ومائتين

﴿ ذكر من خالف بالانداس على صاحبها ﴾

وفى هذه السنة خالف بهلول بن مرزوق المعروف بابى الجاج فى ناحية الثغر من بلاد الانداس ودخل سرقسطة وملكها فقدم على بهلول فيها عبد الله بن عبد الرحمن عم صاحبها الحكم ويعرف بالبلنسى وكان متوجها الى الفرنج وخالف فيها عبيدة بن حميد بطليطلة وأمر الحكم القائد عمروس بن يوسف وهو بمدينة طلبيرة أن يحارب اهل طليطلة فكان يكثر قتالهم وضيق عليهم ثم ان عمروس بن يوسف كاتب رجالا من أهل طليطلة يعرفون ببنى مخشى واستمالهم فوثبوا على عبيدة بن حميد وقتلوه وحملوا رأسه الى عمروس فسير الرأس الى الحكم ونزل بنى مخشى عنده

وكان

وآذنت بوداع وان الآخرة قد اشرفت واقبلت باطلاع وان المضمار اليوم بالسباق غدا ألا انكم فى أيام امل وراءه اجل فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور اجله فقد حسن عمله فاعملوا الله فى الرغبة كما تعملون فى الرهبة ألا وانى لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ألا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم له الهدى يخزيه الضلال وقد أمر تم بالظعن ودللتم على الزاد فان اخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل وفضائل على ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه اكثر من ان يأتى عليه كتابنا هذا أو غيره من الكتب أو يبلغه اسهاب مسهب أو اطناب مطنب وقد أتينا على جمل من أخباره وزهده وسيره وأنواع من كلامه وخطبه فى كتابنا المترجم بكتاب حدائق الاذهان فى اخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام وفى كتاب مراهر الاخبار وظرائف الآثار للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة (قال المسعودى) والاشياء التى استحق بها اصحاب رسول

وكان بينهم و بين البربر الذين بمدينة طليرة ذحول فتسور البربر عليهم فقتلوهم فسير عمر وس رؤسهم مع رأس عبيدة الى الحكم وأخبره الخبر من باب آخر ففر من دخل منهم عدل به الى موضع آخر فقتلوه حتى قتل منهم سبعمائة رجل فاستقامت تلك الناحية

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها غزا الرشيد أرض الروم فافتتح حصن الصفصاف وفيها غزا عبد الملك بن صالح أرض الروم فبلغ انقرة وافتتح مطمورة وفيها توفي حمزة بن مالك وفيها غلبت المحمرة على خراسان وفيها احدث الرشيد في صدر كتبه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج بالناس الرشيد وفي هذه السنة كان الفداء بين الروم والمسلمين وهو أول فداء كان أيام بني العباس وكان القاسم بن الرشيد هو المتولي له وكان الملك فغفر وفرح بذلك الناس فنودي بكل أسير في بلاد الروم وكان النداء بالالامس على جانب البحر بينه و بين طرسوس اثنا عشر فرسخا وحضر ثلاثون ألفا من المرتزقة مع أبي سليمان فخرج الخادم متولي طرسوس وخلق كثير من اهل الثغور وغيرهم من العلماء والاعيان وكان عدة الاسرى ثلاثة آلاف وسبعمائة وقيل أكثر من ذلك وفيها توفي الحسن بن قحطبة وهو من قواد المنصور وهو ابوه وكان عمره أربعا وثمانين سنة وعبد الله بن المبارك المروزي توفي في رمضان بهيت وعمره ثلاث وستون سنة وعلي بن حمزة أبو الحسن الازدي المعروف بالكسائي المقرئ النحوي بالري وقيل مات سنة ثلاث وثمانين وفيها توفي مروان بن سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة الشاعر وكان مولده سنة خمس ومائة وفيها توفي أبو يوسف القاضي واسمه يعقوب ابن ابراهيم وهو أكبر أصحاب أبي حنيفة وفيها توفي يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان مولى عبد الله ابن خازم السلمي وكان يعقوب وزير المهدي وهاشم بن البريد و يزيد بن زريع وحفص بن ميسره الصنعاني من صنعاء دمشق (البريد بفتح الباء الموحدة وكسر الراء و بالياء تحتها نقطتان)

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة﴾

في هذه السنة بايع الرشيد لعبد الله المأمون بولاية العهد بعد الامين وولاه خراسان وما يتصل بها الى همدان ولقبه المأمون وسلمه الى جعفر بن يحيى وهذا من العجائب فان الرشيد قد رأى ما صنع أبوه وجده المنصور بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد وما صنع اخوه الهادي ليخلع نفسه من العهد فلم يعاجله الموت لخلعه ثم هو يبايع للمأمون بعد الامين وحبك الشئ يعمي و يصم وفيها حملت ابنة خاقان ملك الخزر الى الفضل بن يحيى فماتت ببرذعة فرجع من معها الى أبيها فاخبروه انها قتلت غيلة فتجهز الى بلاد الاسلام وغزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك ابن صالح فبلغ افسوس مدينة أصحاب الكهف وفيها سمت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن اليون وأقروا أمه ريني و تلقب اعطسة وحج بالناس موسى بن عيسى بن موسى وكان على الموصل هرثمة ابن أعين وفيها جاز سليمان بن عبد الرحمن صاحب الاندلس الى بلاد الانداس من الشرق وتعرض لحرب ابن أخيه الحكم بن هشام بن عبد الرحمن صاحب البلاد فسار اليه الحكم في جيوش كثيرة وقد اجتمع الى سليمان كثير من أهل الشقاق ومن يريد الفتنة فالتقيا واقتتلا واشتدت الحرب فانهزم سليمان واتبعه عسكر الحكم وعادت الحرب بينهم ثانية في ذي الحجة فانهزم فيها سليمان واعتصم بالوعر والجبال فعاد الحكم ثم عاد سليمان فجمع برابر وأقبل الى جانب استجة فسار اليهم الحكم فالتقوا واقتتلوا سنة ثلاث وثمانين ومائة واشتد القتال فانهزم سليمان واحتمى بقرية فحصره الحكم وعاد سليمان منهزما الى ناحية قريش وفيها كان بقرطبة سيل عظيم فغرق كثيرا من ربضها

الله صلى الله عليه وسلم الفضل هي السبق الى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقربى منه والقناعة وبذل النفس له والعلم بالكتاب والتنزيل والجهاد في سبيل الله والورع والزهد والقضاء والحكم والعفة والعلم وكل ذلك لعلي عليه السلام منه النصيب الاوفر والحظ الاكبر الى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه أنت اخي وهو صلى الله عليه وسلم لا ضد له ولا ند وقوله صلوات الله عليه أنت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقوله عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم اليه أنس الطائر اللهم ادخل الي أحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطائر فدخل عليه علي الى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق في غيره ولكل فضائل ممن تقدم وتاخر وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم مخبر عن بواطنهم

القبلى وخرب كثيرمنه و بلغ السيل شقندة وفى هذه السنة مات جعفر الطيالسى المحدث وعمار بن محمد بن أخت سفيان الثورى وعبد العزيز بن محمد بن ابى عبيد الدراوردى مولى جهينة وكان ابوه من دارابجرد فاستثقلوا نسبته اليها فقالوا دراوردى وفيها توفى دراج أبو السمح واسمه عبد الله بن السمح وقيل عبد الرحمن بن السمح بن أسامة التجيبى المصرى وكان مولده سنة خمس وعشرين ومائة وعفيف بن سالم الموصلى

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة﴾

﴿(ذكر غزو الخزر بلاد الاسلام)﴾

وفيها خرج الخزر بسبب ابنة خاقان من باب الابواب فاوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة وسبوا أكثر من مائة الف رأس وانتهكوا أمرا عظيما لم يسمع بمثله فى الارض فولى الرشيد ارمينية يزيد بن مزيد مضافا الى اذربيجان ووجهه اليهم وأنزل خزيمة بن خازم نصيبين رد الاهل ارمينية وقيل ان سبب خروجهم ان سعيد بن سلم قتل المنجم السلمى فدخل ابنه الخزر واستجاشهم على سعيد فخرجوا ودخلوا ارمينية من الثلمة فانهزم سعيد وأقاموا نحو سبعين يوما فوجه الرشيد خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد فاصلحا ما أفسد سعيد وأخرجا الخزر وسدا الثلمة

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

وفيها استقدم الرشيد علىّ بن عيسى من خراسان ثم رده عليها من قبل ابنه المأمون وأمره بحرب أبى الخصيب وفيها خرج بنسا من خراسان أبو الخصيب وهيب بن عبد الله النسائى وحج بالناس العباس بن الهادى وفيها مات موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ببغداد فى حبس الرشيد وكان سبب حبسه ان الرشيد اعتمر فى شهر رمضان من سنة تسع وسبعين ومائة فلما عاد الى المدينة على ساكنها الصلاة والسلام دخل الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم يزوره ومعه الناس فلما انتهى الى القبر وقف فقال السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم افتخارا على من حوله فدنا موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا أبت فتغير وجه الرشيد وقال هذا الفخر يا أبا الحسن جدا ثم أخذه معه الى العراق فحبسه عند السندى بن شاهك وتولى حبسه أخت السندى بن شاهك وكانت تتدين فحكت عنه انه كان اذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه الى ان يزول الليل ثم يقوم فيصلى حتى يصلى الصبح ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يقعد الى ارتفاع الضحى ثم يرقد و يستيقظ قبل الزوال ثم يتوضأ و يصلى حتى يصلى العصر ثم يذكر الله حتى يصلى المغرب ثم يصلى ما بين المغرب والعتمة فكان هذا دأبه الى ان مات وكانت اذا رأته قالت خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح وكان يلقب الكاظم لانه كان يحسن الى من يسىء اليه كان هذا عادته أبدا ولما كان محبوسا بعث الى الرشيد رسالة أنه لن ينقضى عنى يوم من البلاء الا ينقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى ينقضيا جميعا الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون وفيها كانت بالاندلس فتنة وحرب بين قائد كبير يقال له أبو عمران و بين بهلول بن مرزوق وهو من أعيان الاندلس وكان عبد الله البلنسى مع أبى عمران فانهزم أصحاب بهلول وقتل كثير منهم وفيها توفى يونس بن حبيب النحوى المشهور أخذ العلم عن أبى عمرو ابن العلاء وغيره وكان عمره قد زاد على مائة سنة وفيها مات موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس ومحمد بن صبيح أبو العباس المذكر المعروف بابن السماك وهشيم بن بشير الواسطى توفى فى شعبان وكان ثقة الا انه كان يصحف ويحيى بن زكريا بن أبى زائدة قاضى المدائن

بموافقتها لظواهرهم بالايمان وبذلك نزل التنزيل وتولى بعضهم بعضا فلما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى حدثت امور تنازع الناس فى صحتها ولا يقطع عليهم بها واليقين من امورهم ما تقدم وما روى مما كان فى احداثهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن بل هو ممكن ونحن نعتقد فيهم ما تقدم والله أعلم بما حدث والله ولى التوفيق

(ذكر خلافة الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه)

ثم بويع الحسن بن على بن أبى طالب بالكوفة بعد وفاة على أبيه يومين فى شهر رمضان من سنة أربعين ووجه عماله الى السواد والجبل وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم على حسب ما ذكرنا ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن على لخمس بقين من شهر ربيع فى سنة احدى وأربعين وكانت وفاة الحسن وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة بالسم ودفن بالبقيع مع أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ولى التوفيق

بها وكان عمره ثلاثا وستين سنة ويوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون (صبيح بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة وبشر بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة﴾

وفيها ولى الرشيد حماد البربري اليمن ومكة وولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبي السند ويحيى الحرشي الجبل ومهرويه الرازي طبرستان وقام بامر افريقية ابراهيم بن الاغلب فولاه اياها الرشيد وفيها خرج أبو عمرو الشاري فوجه اليه زهيرا القصاب فقتله بشهرزور وفيها طلب أبو الخصيب الامان فامنه علي بن عيسى بن ماهان وحج بالناس ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي وكان على الموصل وأعمالها يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وفيها سار عبد الله بن عبد الرحمن البلنسي الى مدينة أشقة من الاندلس فنزل بها مع أبي عمران ومع العرب فسار اليهم بهلول بن مرزوق وحاصرهم فيها فتفرق العرب عنهم ودخل بهلول مدينة أشقة وسار عبد الله الى مدينة بلنسية فاقام بها وفيها توفي المعافى بن عمران الموصلي الازدي وقيل سنة خمس وثمانين وفيها توفي عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن الخطاب الذي يقال له العابد وعبد السلام بن شعيب بن الحجاب الازدي وعبد الاعلى بن عبد الله الشامي المصري من بني شامة بن لؤي وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي أبو محمد

﴿ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة﴾

في هذه السنة قتل أهل طبرستان مهرويه الرازي وهو والي الرشيد مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي وفيها قتل عبد الرحمن الانباري ابان بن قطبة الخارجي بمرج القلعة وفيها مات حمزة الخارجي بباذغيس فقتل عيسى بن علي بن عيسى من أصحابه عشرة آلاف وبلغ عيسى كابل وزابلستان وفيها غدر أبو الخصيب بابنه وغلب على ابيورد وطوس ونيسابور وحصر مرو ثم انهزم عنها وعاد الى سرخس وعاد أمره قويا وفيها استأذن جعفر بن يحيى في الحج والمجاورة فاذن له فخرج في شعبان واعتمر في رمضان وأقام بجدة مرابطا الى ان حج وفيها جمع الحكم صاحب الاندلس عساكره وسار الى عمه سليمان بن عبد الرحمن وهو بناحية قريش فقاتله فانهزم سليمان وقصد ماردة فتبعه طائفة من عسكر الحكم فاسروه فلما حضر عند الحكم قتله وبعث برأسه الى قرطبة وكتب الى أولاد سليمان وهم بسرقسطة كتاب أمان واستدعاهم فحضروا عنده بقرطبة وفيها وقعت في المسجد الحرام صاعقة فقتلت رجلين وحج بالناس فيها منصور بن محمد بن عبد الله بن علي وفيها مات عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس ولم يكن سقط له سن وقيل كانت أسنانه قطعة واحدة من أسفل وقطعة واحدة من فوق وهو قعدد بني عبد مناف لانه كان في القرب الى عبد مناف بمنزلة يزيد بن معاوية وبين موته وما يزيد على مائة وعشرين سنة وفيها ملك الفرنج لعنهم الله مدينة برشلونة بالاندلس وأخذوها من المسلمين ونقلوا حماة ثغورهم اليها وتاخر المسلمون الى ورائهم وكان سبب ملكهم اياها اشتغال الحكم صاحب الاندلس بمحاربة عميه عبد الله وسليمان على ما تقدم وفيها سار الرشيد من الرقة الى بغداد على طريق الموصل وفيها مات يقطين بن موسى ببغداد وفيها أيضا توفي يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وهو ابن أخي معن بن زائدة بمدينة برذعة وولي مكانه أسد بن يزيد وكان يزيد ممدحا جوادا كريما شجاعا وأكثر الشعراء مراثيه ومن أحسن ما قيل في هذه المراثي ما قاله أبو محمد التميمي يرثيه به فائبته لجودته

* أحقا انه أودى يزيد * تبين أيها لناعي المشيد
أتدري من نعيت وكيف فاهت * بشقتاك كان بها الصعيد

﴿ذكر لمع من أخباره وسيره رضي الله عنه﴾

حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال دخل الحسين على عمي الحسن بن علي لما سقي السم فقام لحاجة الانسان ثم رجع فقال لقد سقيت السم عدة مرار فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه بعود في يدي فقال له الحسين يا أخي من سقاك قال وما تريد بذلك فان كان الذي أظنه فالله حسيبه وان كان غيره فما أحب ان يؤخذ بري ء فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثا حتى توفي رضي الله عنه (وذكر) أن امرأته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي سقته السم وقد كان معاوية دس اليها انك ان احتلت في قتل الحسن وجهت اليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد فكان ذلك الذي بعثها على سمه فلما مات وفى لها معاوية بالمال وارسل اليها انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه (وذكر) ان الحسن قال عند موته لقد حاقت شربته وبلغ امنيته

أحامي المجد والاسلام أودى * فما للارض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الاسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد
وهل مالت سيوف بني نزار * وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن * بدرتها وهل يخضر عود
أماهدت لمصرعه نزار * بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه اذ حل فيه * طريف المجد والحسب التليد
أما والله ما تنفك عيني * عليك بدمعها أبدا تجود
فان تجمد دموع لئيم قوم * فليس دموع ذي حسب جمود
أبعد يزيد تختزن البواكي * دموعا أو يصان لها خدود
لتبكك قبة الاسلام لما * وهت أطنابها ووهى العمود
ويبكاك شاعر لم يبق دهر * له نسبا وقد كسد القصيد
فمن يدعو الامام لكل خطب * ينوب وكل معضلة تؤود
ومن يحمي الخميس اذا تعايا * بحيلة نفسه البطل النجيد
فان يهلك يزيد فكل حي * فريس للمنية أو طريد
ألم تعجب له أن المنايا * فتكن به وهن له جنود
قصدن له وكن يحدن عنه * اذا ما الحرب شب لها وقود
لقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

وكان الرشيد اذا سمع هذه المرثية بكى وكان يستجيدها ويستحسنها وفيها توفي محمد بن ابراهيم الامام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ببغداد وعبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير والمغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن عياش المخزومي ويعرف بالحزامي وكان مولده سنة أربع وعشرين ومائة ومحاج الصواف وهو ابن أبي عثمان ميسرة (عياش بالشين المعجمة والياء المثناة من تحت الحزامي بالحاء المهملة والزاي)

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة﴾

﴿(ذكر اتفاق الحكم صاحب الاندلس وعمه عبد الله)﴾

في هذه السنة اتفق الحكم بن هشام بن عبد الرحمن أمير الاندلس وعمه عبد الله بن عبد الرحمن البلنسي وسبب ذلك ان عبد الله لما سمع بقتل أخيه سليمان عظم عليه وخاف على نفسه ولزم بلنسية ولم يفارقها ولم يتحرك لاثارة فتنة وأرسل الى الحكم يطلب المسالمة والدخول في طاعته وقيل بل الحكم أرسل اليه رسلا وكتب اليه يعرض عليه المسالمة ويؤمنه ويبذل له الارزاق الواسعة ولاولاده فاجاب عبد الله الى الاتفاق واستقرت القاعدة بينهم على يدي يحيى بن يحيى صاحب مالك وغيره من العلماء وزوج الحكم اخواته من أولاد عمه عبد الله وسار اليه عبد الله فاكرمه الحكم وعظم محله واجرى له ولاولاده الارزاق الواسعة والصلات السنية وقيل ان المراسلة في الصلح كانت هذه السنة واستقر الصلح سنة سبع وثمانين ومائة

﴿(ذكر حج الرشيد وأمر كتاب ولاية العهد)﴾

في هذه السنة حج بالناس هرون الرشيد وسار الى مكة من الانبار فبدأ بالمدينة فاعطى فيها ثلاثة أعطية أعطى هو عطاه ومحمد الامين عطاه وعبد الله المأمون عطاه وسار الى مكة فاعطى أهلها

والله ما وفى بما وعد ولا صدق فيما قال وفي فعل جعدة يقول النجاشي الشاعر وكان من شيعة علي في شعر له طويل

جعدة بكيه ولا تسأمي
بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله
في الارض من حاف ومن ناعل
كان اذا شبت له ناره
يرفعها بالسند العاقل
كيما يراها بائس مرمل
وفرد قوم ليس بالآهل
يغلي بنيه اللحم حتى اذا
أنضجه لم يغل كل آكل
اعني الذي اسلمناه لكه
للرمن المسخرج الماحل

وفي ذلك يقول آخر من شيعة علي رضي الله عنه

تأس فكم لك من سلوة
تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبي وقتل الوصي
وقتل الحسين وسم الحسن

(قال المسعودي رحمه الله) ووجدت في كتاب الاخبار لابي الحسن علي ابن محمد بن سليمان النوفلي عن صالح بن علي بن عطية الاصم قال حدثنا عبد الرحمن بن العباس الهاشمي عن أبي عون صاحب الدولة عن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس عن أبيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال كنت عند

فبلغ

To: www.al-mostafa.com

فبلغ ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار وكان الرشيد قد ولى الامين العراق والشام والى آخر المغرب وضم الى المأمون من همذان الى آخر المشرق ثم بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون ولقبه المؤتمن وضم اليه الجزيرة والثغور والعواصم وكان فى حجر عبد الملك بن صالح وجعل خلعه واثباته الى المأمون ولما وصل الرشيد الى مكة ومعه أولاده والفقهاء والقضاة والقواد كتب كتابا أشهد فيه على محمد الامين وأشهد فيه من حضر بالوفاء للمأمون وكتب كتابا للمأمون أشهدهم عليه فيه بالوفاء للامين وعلق الكتابين فى الكعبة وجدد العهود عليهما فى الكعبة ولما فعل الرشيد ذلك قال الناس قد ألقى بينهم شرا وحربا وخافوا عاقبة ذلك فكان ما خافوه ثم ان الرشيد فى سنة تسع وثمانين شخص الى قرماسين ومعه المأمون وأشهد على نفسه من عنده من القضاة والفقهاء ان جميع ما فى عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع وغير ذلك للمأمون وجدد له البيعة عليهم وأرسل الى بغداد فجدد له البيعة على محمد الامين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سار على بن عيسى بن ماهان من مرو الى نسا لحرب أبى الخصيب فحاربه فقتله وسبى نساءه وذراريه واستقامت خراسان وفيها توفى خالد بن الحرث وبشر بن المفضل وأبو اسحق ابراهيم بن محمد الفزارى وفيها مات عبد الله بن صالح بن عبد الله بن عباس بسلمية فى ربيع الاول وفيها توفى على بن عباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى رجب وعمره خمس وستون سنة وستة أشهر وهو ابن أخى السفاح والمنصور وفيها توفى عمر بن يونس منصرفه من الحج باليمامة وفيها توفى عباد بن عباد بن العوام الفقيه ببغداد وتوفى شقران بن على الزاهد بالاندلس وكان فقيها وفيها توفى راشد مولى عيسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان قد دخل المغرب مع ادريس بن عبد الله بن الحسن وقام بعده بامر البربر أبو خالد يزيد بن الياس

﴿ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة﴾

﴿ذكر ايقاع الرشيد بالبرامكة﴾

وفى هذه السنة أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى وكان سبب ذلك ان الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدى وكان يحضرها اذا جلس للشرب فقال لجعفر أزوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تقربها فانى لا أطيق الصبر عنها فاجابه الى ذلك فزوجها منه وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان فجامعها جعفر فحملت منه فولدت له غلاما فخافت الرشيد فسيرته مع حواضن له الى مكة فاعطته الجواهر والنفقات ثم ان عباسة وقع بينها وبين بعض جواريها شر فانهت الى الرشيد فج هرون هذه السنة وبحث عن الامر فعلمه وكان جعفر يصنع للرشيد طعاما بعسفان اذا حج فصنع ذلك ودعاه فلم يحضر عنده فكان ذلك أول تغير أمرهم وقيل كان سبب ذلك ان الرشيد دفع يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على الى جعفر بن يحيى بن خالد فحبسه ثم دعا به ليلة وسأله عن بعض أمره فقال له اتق الله فى أسرى ولا تتعرض ان يكون غدا خصمك محمد صلى الله عليه وسلم فوالله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا فرق له وقال اذهب حيث شئت من بلاد الله قال فكيف اذهب ولا آمن ان أوخذ فوجه معه من أدّاه الى مأمنه وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له من خواص جعفر فرفعه الى الرشيد فقال ما أنت وهذا فعله عن أمرى ثم أحضر جعفرا للطعام فجعل يلقمه ويحادثه ثم سأله عن يحيى فقال هو بحاله فى الحبس فقال بحياتى فقطن جعفر فقال لا وحياتك وقص عليه أمره وقال علمت انه

وسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل على بن أبى طالب فلما رآه اسفر فى وجهه فقلت يا رسول الله انك لتسفر فى وجه هذا الغلام فقال ياعم رسول الله والله أشد حبا له منى ولم يكن نبى الا وذريته الباقية بعده من صلبه وان ذريتى بعدى من صلب هذا انه اذا كان يوم القيامة دعى الناس باسمائهم واسماء امهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وشيعته فانهم يدعون باسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم ولما دفن الحسن رضى الله عنه وقف محمد بن الحنفية اخوه على قبره فقال لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك بالتقوى أكف الحق وارضعتك ثدى الايمان وربيت فى حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت النفس غير سخية بفراقك رحمك الله أبا محمد

(ووجدت) فى وجه آخر من الروايات فى أخبار أهل البيت ان محمدا وقف

لا مكروه عنده فقال نعم ما فعلت ما عدوت ما في نفسي فلما قام عنه قال تقاني الله ان لم أقتلك فكان من أمره ما كان وقيل كان من الاسباب ان جعفرا ابتنى دارا غرم عليها عشرين ألف ألف درهم فرفع ذلك الى الرشيد وقيل هذه غرامته على دار فاطمة بنفقاته وصلاته وغير ذلك فاستعظمه وكان من الاسباب أيضا مالا تمدته العامة سببا وهو أقوى الاسباب ما سمع من يحيى بن خالد وهو يقول وقد تعلق باستار الكعبة في محنته هذه اللهم ان كان رضاك ان تسلبني نعمك عندي فاسلبنيها اللهم ان كان رضاك ان تسلبني مالي وأهلي وولدي فاسلبنيه الا الفضل ثم ولي فلما كان عند باب المسجد رجع فقال مثل ذلك وجعل يقول اللهم انه سبح بمثلي ان يستثني عليك اللهم والفضل وسمع أيضا يقول في ذلك المقام اللهم ان ذنوبي جمة عظيمة لا يحصيها غيرك اللهم ان كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي بذلك في الدنيا وان أحاط ذلك بسمعي وبصري وولدي ومالي حتى يبلغ رضاك ولا تجعل عقوبتي في الآخرة فاستجيب له فلما انصرفوا من الحج ونزلوا الانبار ونزل الرشيد العمر نكبهم وكان أول ما ظهر من فساد حالهم ان علي بن عيسى بن ماهان سعى بموسى بن يحيى بن خالد واتهمه في أمر خراسان وأعلم الرشيد انه يكاتبهم ليسير اليهم ويخرجهم عن الطاعة فحبسه ثم أطلقه وكان يحيى بن خالد يدخل على الرشيد بغير اذن فدخل عليه يوما وعنده جبرئيل بن بختيشوع الطبيب فسلم فرد الرشيد رد اضعيفا ثم أقبل الرشيد على جبرئيل فقال ايدخل عليك منزلك احد بغير اذن فقال لا قال فما بالي أدخل علينا بغير اذن فقال يحيى يا أمير المؤمنين ما ابتدأت ذلك الساعة ولكن أمير المؤمنين خصني به حتى ان كنت لادخل وهو في فرشه مجردا وما علمت ان أمير المؤمنين كره ما كان يحب فاذا قد علمت فاني سأكون في الطبقة التي تجعلني فيها فاستحيى هرون وقال ما أردت ما تكره وكان يحيى اذا دخل على الرشيد قام له الغلمان فقال الرشيد لمسرور مر الغلمان لا يقومون ليحيى اذا دخل الدار فدخلها فلم يقوموا فتغير لونه وكانوا يعتادون ذلك اذا رأوه أعرضوا عنه فلما رجع الرشيد من الحج نزل العمر الذي عند الانبار سلخ المحرم وأرسل مسرورا الخادم ومعه جماعة من الجند الى جعفر ليلا وعنده ابن بختيشوع الطبيب وأبو زكار المغني وهو في لهوه وأبو زكار يغني

فلا تبعد فكل فتى سيأتي * عليه الموت يطرق أو يغادي
وكل ذخيرة لا بد يوما * وان كرمت تصير الى نفاد

قال مسرور فقلت له يا أبا الفضل الذي جئت له هو والله ذاك قد طرقك أجب أمير المؤمنين فوقع على رجلي يقبلها وقال حتى ادخل فاوصي فقلت أما الدخول فلا سبيل اليه وأما الوصية فاصنع ما شئت فاوصى بما أراد وأعتق مماليكه وأتتني رسل الرشيد تستحثني فمضيت به اليه فاعلمته وهو في فراشه فقال ائتني برأسه فأتيت جعفرا فاخبرته فقال الله الله والله ما أمرك الا وهو سكران وادفع حتى أصبح أو راجعه في ثانية فعدت لاراجعه فلما سمع حسي قال يا ماص بظر امه ائتني برأسه فرجعت اليه فاخبرته فقال آمره فرجعت فخذفني بعمود كان في يده وقال نفيت من المهدي ان لم تاتني برأسه لاقتلنك قال فخرجت فقتلته وحملت رأسه اليه وأمر بتوجيه من احاط بيحيى وولده وجميع اسبابه وحول الفضل بن يحيى ليلا فحبس في بعض منازل الرشيد وحبس يحيى في منزله وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك وأرسل من ليلته الى سائر البلاد في قبض اموالهم وركلائهم ورقيقهم واسبابهم وكل ما لهم فلما اصبح ارسل جيفة جعفر الى بغداد وأمر ان ينصب رأسه لي جسر ويقطع بدنه قطعتين تنصب كل قطعة على جسر ولم يتعرض الرشيد لمحمد بن خالد بن برمك وولده وأسبابه لانه علم براءته مما دخل فيه اهله وقيل

على قبره فقال أبا محمد لئن طابت حياتك لقد فجع مماتك وكيف لا تكون كذلك وأنت خامس أهل الكساء وابن محمد المصطفى وابن علي المرتضى وابن فاطمة الزهراء وابن شجرة طوبى ثم انشا يقول رضي الله عنه

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي
وخدك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه
وقد ضمن الاحشاء منك لهيب
سابكيك ما ناحت حمامة أيكة
وما اخضر في دوح الحجاز قضيب
غريب واكناف الحجاز تحوطه
الا كل من تحت التراب غريب

(ووجدت) في بعض كتب التواريخ في أخبار الحسن ومعاوية ان بخلافة الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة لان أبا بكر الصديق رضي الله عنه تقلدها سنتين وثلاثة اشهر وثمانية أيام وعمر رضي الله عنه عشر سنين

كان يسعى بهم ثم حبس يحيى وبنيه الفضل ومحمدا وموسى محبسا سهلا ولم يفرق بينهم وبين عدة من خدمهم ولا ما يحتاجون اليه من جارية وغيرها ولم تزل حالهم سهلة حتى قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح فعمهم بسخطه وجدد له ولهم التهمة عند الرشيد فضيق عليهم ولما قتل جعفر بن يحيى قيل لابيه قتل الرشيد ابنك قال كذلك يقتل ابنه قيل وقد أخرب ديارك قال كذلك تخرب دياره فلما بلغ ذلك الرشيد قال قد خفت ان يكون ما قاله لانه ما قال شيأ الا ورأيت تاويله قال سلام الابرش دخلت على يحيى بن خالد وقت قبضه وقد هتكت الستور وجمع المتاع فقال هكذا تقوم القيامة قال فحدثت الرشيد فاطرق مفكرا وكان قتل جعفر ليلة السبت مستهل صفر وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وكانت الوزارة اليهم سبع عشرة سنة ولما نكبوا قال الرقاشي وقيل ابو نواس

الان استرحنا واستراحت ركابنا * وامسك من يجدي ومن كان يجتدي
فقل للطايا قد امنت من السرى * وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد
وقل للمطايا بعد فضل تمطلي * وقل للرزايا كل يوم تجددي
ودونك سيفا برمكيا مهندا * أصيب بسيف هاشمي مهند

وقال يحيى بن خالد لما نكب الدنيا دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا اسوة وفينا لمن بعدنا عبرة ووقع يحيى على قصة محبوس العدوان اوبقه والتوبة تطلقه وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكمة به تتصل شذورها وبنظم منثورها قال ثمامة قلت لجعفر ما البيان قال ان يكون الاسم محيطا بمعناك مخبرا عن مغزاك مخرجا من الشركة غير مستعان عليه بالفكرة

﴿ذكر القبض على عبد الملك بن صالح﴾

وفي هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وكان سبب ذلك انه كان له ولد اسمه عبد الرحمن وبه كان يكنى وكان من رجال الناس فسعى بابيه هو وقامة كاتب أبيه وقالا للرشيد انه يطلب الخلافة ويطمع فيها فاخذه وحبسه عند الفضل بن الربيع وأحضره يوما حين سخط عليه وقال له كفرا بالنعمة وجحودا لجليل المنة والتكرمة فقال يا امير المؤمنين لقد بؤت اذا بالندم وتعرضت لاستحلال النقم وماذا لك الا بغي حاسد ناسي فيك مودة القرابة وتقديم الولاية انك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله على أمته وأمينه على عترته لك عليها فرض الطاعة وأداء النصيحة ولها عليك العدل في حكمها والغفران لذنوبها والتثبت في حادثها فقال له الرشيد اتضع من لسانك وترفع من جنانك هذا كاتبك قامة يخبر بغلك وفساد نيتك فاسمع كلامه فقال عبد الملك اعطاك ما ليس في عقده ولعله لا يقدر ان يعضهني او يبهتني بما لم يعرفه مني فاحضر قامة فقال له الرشيد تكلم غير هائب ولا خائب فقال أقول انه عازم على الغدر بك والخلاف عليك فقال عبد الملك كيف لا يكذب علي من خلقي من يبهتني في وجهي فقال الرشيد فهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بعتوك وفساد نيتك ولو أردت ان احتج عليك لم اجد اعدل من هذين الاثنين لك فلم تدفعهما عنك فقال عبد الملك هو مأمور أو عاق مجبور فان كان مأمورا فمعذور وان كان عاقا فقاجر كفور اخبر الله عز وجل بعداوته وحذر منه بقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فنهض الرشيد وهو يقول ما امرك الا قد وضح ولكني لا اعجل حتى اعلم الذي يرضى الله عز وجل فيك فانه الحكم بيني وبينك فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبامير المؤمنين حاكما فاني اعلم انه لن يؤثر هواه على رضاربه واحضره الرشيد يوما آخر فكان مما

واحدى عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعثمان رضي الله عنه احدى عشرة سنة واحدى عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعلي رضي الله عنه أربع سنين وتسعة اشهر ويوما والحسن رضي الله عنه ثمانية اشهر وعشرة ايام فذلك ثلاثون سنة

(وحدث) محمد بن جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي عن علي بن مجاهد عن محمد بن اسحق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال فوالله اني لفي المسجد اذ كبر معاوية في الخضراء فكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير اهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة ابن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت سرك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذي بلغك فسررت به قال موت الحسن بن علي فقالت انا لله وانا اليه راجعون ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية نعما والله ما فعلت انه كان كذلك اهلا أن يبكى عليه ثم بلغ الخبر ابن عباس رضي الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال علمت يا ابن

عباس ان الحسن نوفى
قال لذلك كبرت قال نعم
قال والله ما مسوته بالذى
يؤخر أجلك ولا حفرته
بساده حفرتك ولئن أصبنا
به فقد أصبنا بسيد المرسلين
وامام المتقين ورسول رب
العالمين ثم بعد بسيد
الاوصياء فجبر الله تلك
المصيبة ورفع تلك العبرة
فقال ويحك يا ابن عباس
ما كلمتك الا وجدتك معدا
(وفى نسخة) انه لما صالح
الحسن معاوية كبر معاوية
فى الخضراء وكبر أهل
الخضراء ثم كبر أهل
المسجد بتكبير اهل
الخضراء فخرجت فاختة
بنت قرظة من خوخه لها
فقالت سرك الله يا أمير
المؤمنين ما هذا الذى بلغك
قال أتانى البشير بصلح
الحسن وانقياده فذكرت
قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ابنى هذا سيد أهل
الجنة وسيصلح الله به بين
فئتين عظيمتين من المؤمنين
فالحمد لله الذى جعل فئتى
احدى الفئتين ولما صالح
الحسن معاوية لما ناله من
اهل الكوفة وما نزل به أشار
عمرو بن العاص على معاوية
وذلك بالكوفة أن يأمر
الحسن فيقوم فيخطب
الناس فكره ذلك معاوية
وقال ما أريد أن يخطب قال

قال له أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال اما والله لكأنى انظر الى شؤبوبها قد هم وعارضها قد بلع وكأنى بالوعيد قد أورى زنادا يسطع فأقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم فهلا مهلا بنى هاشم فبى والله سهل لكم الوعر وصنا لكم الكدر والقت اليكم الامور أزمتها فنذارا لكم نذارا قبل حلول داهية خبوط بالليد ابوط بالرجل فقال عبد الملك اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك من رعيته التى استرعاك ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب فقد تحملت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة وشددت أواخى ملكك بأثقل من ركنى بلم وتركت عدوك مشتغلا فالله الله فى دمى الى رحمك ان تقطعه بعد ان وصلته بظن أوضح الكتاب بعضه أو يبغى باغ ينهس اللهم اللحم ويلغ الدم فقد والله سهلت لك الوعور وذللت لك الامور وجمعت على طاعتك القلوب فى الصدور فكم ليل تمام فيك كايدته ومقام ضيق قمته كنت كما قال اخو بنى جعفر بن كلاب يعنى لبيدا

ومقام ضيق فرجته * بلسان ولسان وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامى ورحل

فقال له الرشيد والله لولا ابقائى على بنى هاشم لضربت عنقك ثم اعاده الى محبسه فدخل عبد الله ابن مالك على الرشيد كأن على شرطته فقال له والله العظيم يا أمير المؤمنين ما علمت عبد الملك الا ناصحا فما لام حبسته فقال بلغنى عنه ما أوحشنى ولم آمنه ان يضرب بين ابنى هذين يعنى الامين والمأمون فان كنت ترى ان نطلقه من الحبس اطلقناه فقال اما اذا حبسته فلست ارى فى قرب المدة ان تطلقه ولكن تحبسه محبسا كريما قال فانى افعل فامر الفضل بن الربيع ان يمضى اليه وينظر ما يحتاج اليه فيوظفه له ففعل ولم يزل عبد الملك محبوسا حتى مات الرشيد فاخرجه الامين واستعمله على الشام فاقام بالرقة وحمل لمحمد الامين عهد الله لئن قتل وهو حى لا يعطى المأمون طاعة ابدا فمات قبل الامين وكان ما قال للامين ان خفت فالجأ الى فو الله لاصونك وقال الرشيد يوما لعبد الملك ما انت لصالح قال فلم انا قال لمروان الجعدى قال ما ابالى اى الفحلين غلب على وارسل الرشيد يوما الى يحيى بن خالد بن برمك ان عبد الملك اراد الخروج على ومنازعتى فى الملك وعلمت ذلك فاعلمنى ما عندك فيه فانك ان صدقتنى اعدتك الى حالك فقال والله ما اطلعت من عبد الملك على شئ من هذا ولو اطلعت عليه لكنت صاحبه دونك لان ملكك كان ملكى وسلطانك كان سلطانى والخير والشر كان فيه على وكيف يطمع عبد الملك فى ذلك منى وهل كان اذا فعلت به ذلك يفعل معى اكثر من فعلك واعيذك بالله ان تظن بى هذا الظن ولكنه كان رجلا محتملا يسرنى ان يكون فى اهلك مثله فوليته لما حمدت أثره ومذهبه وملت اليه لادبه واحتماله فلما اتاه الرسول بهذا اعاده عليه فقال له ان انت لم تقر عليه قتلت الفضل ابنك فقال له انت مسلط علينا فافعل ما اردت فاخذ الرسول الفضل فاقامه فودع اباه وقال له الست راضيا عنى قال بلى فرضى الله عنك ففرق بينهما ثلاثة أيام فلم يجد عندهما فى ذلك شيأ جمعهما

(ذكر غزو الروم)

وفى هذه السنة دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم فى شعبان فاناخ على قرة وحصرها ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الاشعث فحصر حصن سنان حتى جهد أهلها فبعث اليه الروم ثلاثمائة وعشرين أسيرا من المسلمين على ان يرحل عنهم فاجابهم ورحل عنهم فصالحوا مات على بن عيسى فى هذه الغزاة بارض الروم وكان يملك الروم حينئذ امرأة اسمها رينى فخلعتها الروم

وملكت نقفور وتزعم الروم انه من أولاد جفنة بن غسان وكان قبل ان يملك يلي ديوان الخراج وماتت ريني بعد خمسة أشهر من خلعها فلما استوثقت الروم لنقفور كتب الى الرشيد من نقفور ملك الروم الى هرون ملك العرب أما بعد فان الملكة التي كانت قبلي اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل اضعافها اليها لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من أموالها وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك والا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يقدر احد ان ينظر اليه دون ان يخاطبه وتفرق جلساؤه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هرون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا بن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام ثم سار من يومه حتى نزل على هرقلة ففتح وغنم وأحرق وخرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقة نقض نقفور العهد وكان البرد شديدا فامن رجعة الرشيد اليه فلما جاءه الخبر بنقضه ما جسر احد على اخباره الرشيد خوفا على انفسهم من العود في مثل ذلك البرد واشفاقا من الرشيد فاحتيل له بشاعر من أهل جنده وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف وقيل هو الحجاج بن يوسف التيمي فقال أبياتا منها

نقض الذي أعطيته نقفور * فعليه دائرة البوار تدور
ابشر أمير المؤمنين فانه * فتح أتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا * بالنصر فيه لواؤك المنصور

في أبيات غيرها فلما سمع الرشيد ذلك قال أوقد فعل ذلك نقفور وعلم ان الوزراء قد احتالوا له في ذلك فرجع الى بلاد الروم في أشد زمان وأعظم كلفة حتى بلغ بلادهم فاقام بها حتى شفي واشتفى وبلغ ما أراد وقيل كان فعل نقفور وهذه الابيات سبب السير الرشيد وفتح هرقلة على ما ذكره سنة تسعين ومائة ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر قتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك ﴾

وفيها قتل الرشيد ابراهيم بن عثمان بن نهيك وسبب قتله انه كان كثيرا ما يذكر جعفر بن يحيى والبرامكة ويبكي عليهم الى ان خرج من المكان الى حد طالبي الثار فكان اذا شرب النبيذ مع جواريه أخذ يغني ويقول واجعفراه واسيداه والله لاقتلن قاتلك ولاثارن بدمك فلما كثر هذا منه جاء ابنه فاعلم الرشيد هو وخصي كان لابراهيم فاحضر ابراهيم وسقاه نبيذا فلما أخذ منه النبيذ قال له اني قد ندمت على قتل جعفر بن يحيى ووددت اني خرجت من ملكي وانه كان بقي لي فما وجدت طعم النوم مذ فارقته فلما سمعها ابراهيم أسبل دموعه وقال رحم الله أبا الفضل والله ياسيدي لقد اخطأت في قتله وأوطأت العشوة في أمره وأين يوجد في الدنيا مثله فقال الرشيد قم عليك لعنة الله يا ابن اللخناء وقام وما يعقل فما كان بين هذا وبين ان دخل عليه ابنه وضربه بالسيف الا ليال قلائل

﴿ ذكر ملك الفرنج مدينة طليلة بالاندلس ﴾

في هذه السنة ملك الفرنج مدينة طليلة بالاندلس وسبب ذلك ان الحكم صاحب الاندلس استعمل على ثغور الاندلس قائدا كبيرا من اجناده اسمه عمروس بن يوسف فاستعمل ابنه يوسف على طليلة وكان قد انهزم من الحكم أهل بيت من الاندلس أولو قوة وبأس لانهم خرجوا عن

عمر ولكني أريد أن يبدو عيه في الناس بانه يتكلم في امور لا يدري ما هي ولم يزل به حتى أطاعه فخرج معاوية فخطب الناس وأمر رجلا ان ينادي يا حسن بن علي فقام اليه فقال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد في بديهته ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل ان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم قال في كلامه ذلك يا أهل الكوفة لم تذهب نفسي عنكم الا لثلاث خصال أذهلت مقتلكم لابي وسلبكم نقلي وطعنكم في بطني واني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورحله وطعنوا بالخنجر في جوفه فلما تيقق ما نزل به انقاد الى الصلح وقد كان علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه اعتل فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة فصعد المنبر فحمد الله واثنى

عليه ثم قال ان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا فهو الذى بعث محمدا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد الا نقصه الله من عمله مثله ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين * ومن خطب الحسن رضى الله عنه فى أيامه فى بعض مقاماته أنه قال نحن حزب الله المفلحون وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقربون واهل بيته الطاهرون الطيبون وأحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى كتاب الله فيه تفصيل كل شئ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعول عليه فى كل شئ لا يخطئنا تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعونا فاطاعتنا مفروضة اذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الامر مقرونة فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم واحذركم الاصغاء لهتاف الشيطان انه لكم عدو مبين فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار

طاعته فالتحقوا بالمشركين فقوى أمرهم واشتدت شوكتهم وتقدموا الى مدينة تطيلة فحصروها وملكوها من المسلمين فاسروا أميرها يوسف بن عمروس وسجنوه بصخرة قيس واستقر عمروس ابن يوسف بمدينة سرقسطة ليحفظها من الكفار وجمع العساكر وسيرها مع ابن عمه فالتقى المشركين وقاتلهم ففض جمعهم وهزمهم وقتل أكثرهم ونجا الباقون منكوبين وسار الجيش الى صخرة قيس فحصروها وافتتحوها ولم يقدر المشركون على منعها منهم لما نالهم من الوهن بالهزيمة ولما فتحها المسلمون خلصوا يوسف بن عمروس أمير الثغر وسيروه الى أبيه وعظم أمر عمروس عند المشركين وبعد صوته فيهم وأقام فى الثغر أميرا عليه

﴿ذكر ايقاع الحكم باهل قرطبة﴾

كان الحكم فى صدر ولايته تظاهر بشرب الخمر والانهماك فى اللذات وكانت قرطبة دار علم وبها فضلاء فى العلم والورع منهم يحيى بن يحيى الليثى راوى موطأ مالك عنه وغيره فشار أهل قرطبة وأنكروا فعله ورجموه بالحجارة وأرادوا قتله فامتنع منهم بمن حضر من الجند وسكن الحال ثم بعد أيام اجتمع وجوه أهل قرطبة وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشى المروانى عم هشام ابن حمزة وأخذوا له البيعة على أهل البلد وعرفوه ان الناس قد ارتضوه كافة فاستنظرهم ليلة ليرى رأيه ويستخير الله سبحانه وتعالى فانصرفوا وحضر عند الحكم وأطلعه على الحال وأعلمه انه على بيعته فطلب الحكم تصحيح الحال عنده فاخذ معه بعض ثقات الحكم وأجلسه فى قبة فى داره واخفى أمره وحضر عنده القوم يستعلمون منه هل تقلد أمرهم أم لا فاراهم المخافة على نفسه وعظم الخطب عليهم وسألهم تعداد أسمائهم ومن معهم فذكروا له جميع من معهم من أعيان البلد وصاحب الحكم يكتب اسماءهم فقال لهم محمد بن القاسم يكون هذا الامر يوم الجمعة ان شاء الله فى المسجد الجامع ومشى الى الحكم مع صاحبه فاعلماه جلية الحال وكان ذلك يوم الخميس فما أتى عليه الليل حتى حبس الجماعة المذكورين عن آخرهم ثم أمر بهم بعد أيام فصلبوا عند قصره وكانوا اثنين وسبعين رجلا منهم أخو يحيى بن يحيى وابن أبى كعب وكان يومهم يوما شنيعا فتمكنت عداوة الناس للحكم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة هاجت العصبية بالشام بين المضرية واليمانية فارسل الرشيد فاصلح بينهم وفيها زلزلت المصيصة فانهدم سورها وانضب ماؤها ساعة من الليل وفيها خرج عبد السلام بامد فحكم فقتله يحيى بن سعيد العقيلى وفيها اغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة وهبه لله وجعله قربانا له وولاه العواصم وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن العباس بن محمد بن على وفيها توفى الفضيل بن عياض الزاهد وكان مولده بسمرقند وانتقل الى مكة فمات بها وفيها توفى المعمر بن سليمان بن طرخان التيمى أبو محمد البصرى وكان مولده سنة ست أو سبع ومائة وعمر بن عبيد الطنافسى الكوفى وفيها توفى أبو مسلم معاذ الهراء النحوى وقيل كنيته أبو على وعنه أخذ الكسائى النحو وولد أيام يزيد بن عبد الملك

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة﴾

فى هذه السنة غزا ابراهيم بن جبرئيل الصائفة فدخل أرض الروم من درب الصفصاف فخرج اليه نقفور ملك الروم فاتاه من ورائه امر صرفه عنه ولقى جمعا من المسلمين فجرح ثلاث جراحات وقتل من الروم فيما قيل اربعون الفا وسبعمائة وفيها رابط القاسم بن الرشيد بدابق وحج بالناس فيها الرشيد فقسم اموالا كثيرة وهى آخر حجة حجها فى قول بعضهم وفيها توفى جرير بن عبد

الحميد الضبي الرازي وله ثمان وسبعون سنة وفيها توفي العباس بن الاحنف الشاعر وقيل سنة ثلاث وتسعين ومات ابوه الاحنف سنة خمسين ومائة وفيها توفي شهيد بن عيسى بالاندلس وعمره ثلاث وتسعون سنة وكان دخوله الاندلس مع عبد الرحمن بن معاوية (شهيد بضم الشين المعجمة وفتح الهاء)

﴿ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة﴾

﴿(ذكر مسير هرون الرشيد الى الري)﴾

وفي هذه السنة سار الرشيد الى الري وسبب ذلك ان الرشيد لما استعمل علي بن عيسى بن ماهان على خراسان ظلم أهلها وأساء السيرة فيهم فكتب كبراء أهلها واشرافها الى الرشيد يشكون سوء سيرته وظلمه واستخفافه بهم وأخذ اموالهم وقيل للرشيد ان علي بن عيسى قد أجمع على الخلاف فسار الى الري في جمادى الاولى وصحبه ابناه عبد الله المأمون والقاسم وكان قد جعله ولي عهد بعد المأمون وجعل أمره الى المأمون ان شاء أقره وان شاء خلعه وأحضر القضاة والشهود وأشهدهم ان جميع ما في عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع وغير ذلك للمأمون وليس له فيه شيء واقام الرشيد بالري أربعة أشهر حتى اتاه علي بن عيسى من خراسان فلما قدم عليه اهدى له الهدايا الكثيرة والاموال العظيمة واهدى لجميع من معه من اهل بيته وولده وكتابه وقواده من الطرف والجواهر وغير ذلك ورأى الرشيد خلاف ما كان يظن فرده الى خراسان ولما أقام الرشيد بالري سير حسينا الخادم الى طبرستان وكتب معه امانا الشروين أبي قارن وامانا لوند اهرمز جد مازيار وامانا لمرزبان بن جستان صاحب الديلم فقدم جستان ووند اهرمز فاكرمهما واحسن اليهما وضمن وند اهرمز السمع والطاعة واداء الخراج عن شروين ورجع الرشيد الى العراق ودخل بغداد في آخر ذي الحجة فلم ير بالجسر اهر باحراق جثة جعفر بن يحيى ولم ينزل بغداد ومضى من فوره الى الرقة ولما جاز بغداد قال والله اني لاطوي مدينة ما وضع بشرق ولا غرب مدينة أعين ولا أيسر منها وانهم لدار مملكة بني العباس ما بقوا وحافظوا عليها ولا رأى أحد من آبائي سوأ ولا نكبة منها وانهم الدار هي ولكني اريد المناخ على ناحية اهل الشقاق والنفاق والبغض لائمة الهدى والحب لشجرة اللعنة بني امية مع ما فيها من المفارقة والمناقصة ومخيفي السبيل ولولا ذلك ما فارقت بغداد فقال العباس بن الاحنف في طي الرشيد بغداد

ما انخنا حتى ارتحلنا فسافت * شرق بين المناخ والارتحال
سألونا عن حالنا اذ قدمنا * فقرأنا وداعهم بالسؤال

﴿(ذكر الفتنة بطرابلس الغرب)﴾

في هذه السنة كثر شغب اهل طرابلس الغرب على ولاتهم وكان ابراهيم بن الاغلب اميرا فريقية قد استعمل عليهم عدة ولاة فكانوا يشكون من ولاتهم فيعزلهم ويولي غيرهم فاستعمل عليهم هذه السنة سفيان بن المضاء وهي ولايته الرابعة فاتفق اهل البلد على اخراجه عنهم واعادته الى القيروان فزحفوا اليه فاخذ سلاحه وقاتلهم هو وجماعة ممن معه فاخرجوه من داره فدخل المسجد الجامع فقاتلوه فيه فقتلوا اصحابه ثم أمنوه فخرج عنهم في شعبان من هذه السنة فكانت ولايته سبعا وعشرين يوما واستعمل الجند لذين بطرابلس على البلد واهله ابراهيم بن سفيان التميمي ثم وقع بين الابناء بطرابلس أيضا وبين قوم يعرفون ببني أبي كنانة وبني يوسف حروب كثيرة وقتال حتى فسدت طرابلس فبلغ ذلك ابراهيم بن الاغلب فارسل جماعة من الجند وامرهم ان يحضروا الابناء وبني أبي كنانة وبني يوسف فاحضروهم عنده بالقيروان في ذي الحجة فلما

ايكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون فتلقون للرماح ازرا وللسيوف جزرا وللعمد خطأ وللسهام غرضا ثم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا والله أعلم

﴿ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان﴾

بويع معاوية في شوال سنة احدى وأربعين ببيت المقدس فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفي في رجب سنة احدى وستين وله ثمانون سنة ودفن بدمشق بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس

﴿ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله﴾

وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدي الكندي وهو أول من قتل صبرا في الاسلام حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق

قدموا عليه يسألونه العفو عنهم فى الذى فعلوه فعفا عنهم فعادوا الى بلدهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها كان الفداء بين المسلمين والروم فلم يبق بارض الروم مسلم الا فودى وحج بالناس العباس بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وفيها ولى الرشيد عبد الله بن مالك طبرستان والرى ودنباوند وقومس وهمذان وهو متوجه الى الرى فقال ابو العتاهية فى مسيره اليها وكان الرشيد ولد بها

ان أمين الله فى خلقه * حسن به البر الى مولده
ليصلح الرى واقطارها * ويعطر الخير بها من يده

وفيها مات محمد بن الحسن الشيبانى الفقيه صاحب أبى حنيفة وحميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسى أبو عوف وسابق بن عبد الله الموصلى وكان من الصالحين البكائين من خشية الله تعالى

﴿ثم دخلت سنة تسعين ومائة﴾

﴿ذكر خلع رافع بن الليث بن نصر بن سيار﴾

وفى هذه السنة ظهر رافع بن الليث بن نصر بما وراء النهر مخالفا للرشيد بسمرقند وكان سبب ذلك ان يحيى بن الاشعث بن يحيى الطائى تزوج ابنة لعمه أبى النعمان وكانت ذات يسار ولسان ثم تركها بسمرقند واقام ببغداد واتخذ السرارى فلما طال ذلك عليها ارادت التخلص منه وبلغ رافعا خبرها فطمع فيها وفى مالها وقد سأله اليها من قال لها انه لا سبيل الى الخلاص من زوجها الا ان يشهد عليها انها اشركت بالله ثم تتوب فيفسخ نكاحها وتحل للازواج ففعلت ذلك وتزوجها رافع فبلغ الخبر يحيى بن الاشعث فشكا الى الرشيد وكتب الى على بن عيسى بن ماهان يأمره ان يفرق بينهما وان يعاقب رافعا ويجلده الحد ويقيده ويطوف به فى سمرقند على حمار ليكون عظة لغيره ففعل به ذلك ولم يحده وطلقها رافع وحبس بسمرقند فهرب من الحبس فلحق بعلى بن عيسى ببلخ فاراد ضرب عنقه فشفع فيه عيسى بن على بن عيسى وامره بالانصراف الى سمرقند فرجع اليها ووثب بعامل على بن عيسى عليها فقتله واستولى عليها فوجه اليه ابنه فلقيه فهزمه رافع فاخذ على بن عيسى فى جمع الرجال والتأهب لمحاربته وانقضت السنة

﴿ذكر فتح هرقلة﴾

وفى هذه السنة فتح الرشيد هرقلة واخربها وكان سبب مسيره اليها ما ذكرناه سنة سبع وثمانين ومائة من غدر نقفور وكان فتحها فى شوال وكان حصرها ثلاثين يوما وسبى أهلها وكان قد دخل البلاد فى مائة الف وخمسة وثلاثين الفا من المرتزقة سوى الاتباع والمتطوعة ومن لا ديوان له واناخ عبد الله بن مالك على ذى الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائرا فى أرض الروم فى سبعين الفا يخرب وينهب ويفتح الله عليه وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف ومقلونية واستعمل حميد بن معيوف على سواحل الشام ومصر فبلغ قبرس فهدم واحرق وسبى من أهلها سبعة عشر ألفا فاقدمهم الرافقة فبيعوا بها وبلغ فداء استف قبرس الفى دينار ثم سار الرشيد الى طوانة فنزل بها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر ويعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير وعن رأس ولده دينارين وعن طارقته كذلك وكتب نقفور الى الرشيد فى جارية من سبى هرقلة كان خطبها الولد فأرسلها اليه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وخرج فى هذه السنة حارجى من ناحية عبد القيس يقال له سيف بن بكير فوجه اليه الرشيد محمد

أنشأت ابنته تقول ولا
عقب له من غيرها
ترفع أيها القمر المنير
لعل ان ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب
ليقتله كذا زعم الامير
ويصلبه على باب دمشق
وتأكل من محاسنه النسور
تحيرت الخمائر بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير
الا يا حجر حجر بنى عدى
تلقتك السلامة والسرور
أحاف عليك ما أردى عليا
وشيخا فى دمشق له زئير
ألا بالبيت حرامات موتا
ولم ينحر كما نحر البعير
فان تهلك فكل عميد قوم
الى هلك من الدنيا يصير
ولما صار الى مرج عذراء
على اثنى عشر ميلا من
دمشق تقدم البريد
بأخبارهم لى معاوية
فبعث برجل أعور فلما
أشرف على حجر وأصحابه
قال رجل منهم ان صدق
الرجز فانه سيقتل منا
النصف ويهرب الباقون
فقيل له وكيف ذلك قال
أما ترون الرجل المقبل
مصابا باحدى عينيه فلما
وصل اليهم قال لحجر
أمير المؤمنين أمرنى بقتلك
يا رأس الضلال ومعدن
الكفر والطغيان
والمتولى لابى تراب وقتل

ابن يزيد بن مزيد فقتله بعين النورة وفيها انقض أهل قبرس العهد فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى أهلها وجح بالناس عيسى بن موسى الهادى وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون وقيل بل أسلم أبوه سهل على يد المهدى وكان محبوسا وقيل أسلم الفضل وأخوه الحسن على يد يحيى بن خالد فاختاره يحيى لخدمة المأمون فلهذا كان الفضل يرعى البرامكة ويثنى عليهم ولقب بذى الرياستين لانه تقلد الوزارة والسيف وكان يتشيع وهو الذى اشار على المأمون بالعهد لعلى بن موسى الرضا عليه السلام وكان على الموصل هذه السنة خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ولما دخل الموصل انكسر لواؤه فى باب المدينة فتطير منه وكان معه أبو الشيص الشاعر فقال فى ذلك

ما كان منكسر اللواء لطيرة * تخشى ولا أمر يكون موبلا
لكن هذا الريح أضعف ركنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسرى عن خالد وفيها غزا الرشيد الصائفة واستخلف المأمون بالرقة وفوض اليه الامور وكتب الى الآفاق بذلك ودفع اليه خاتم المنصور تيمنا به ونقشه الله ثقتى آمنت به وفيها خرجت الروم الى عين زربة والكنيسة السوداء واغاروا فاستنقذ أهل المصيصة ما كان معهم من الغنيمة وفيها توفى اسد بن عمرو بن عامر أبو المنذر البجلى الكوفى صاحب أبى حنيفة وفيها توفى يحيى بن خالد بن برمك محبوسا بالرافقة فى المحرم وعمره سبعون سنة وعمر بن على بن عطاء بن مقدم المقدمى البصرى

﴿ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائة﴾

﴿(ذكر الفتنة من أهل طليطلة وهو وقعة الحفرة)﴾

فى هذه السنة أوقع الامير الحكم بن هشام الاموى صاحب الاندلس باهل طليطلة فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان أهلها وسبب ذلك ان أهل طليطلة كانوا قد طمعوا فى الامراء وخلعوهم مرة بعد أخرى وقويت نفوسهم بحصانة بلدهم وكثرة أموالهم فلم يكونوا يطيعوا أمراءهم طاعة مرضية فلما اعيا الحكم شأنهم أعمل الحيلة فى الظفر بهم فاستعان فى ذلك بعمروس بن يوسف المعروف بالمولد وكان قد ظهر فى هذا الوقت بالثغر الاعلى فاظهر طاعة الحكم ودعا اليه فاطمأن اليه بهذا السبب وكان من أهل مدينة وشقة فاستحضره فحضر عنده فاكرمه الحكم وبالغ فى اكرامه وأطلعه على عزمه فى أهل طليطلة وواطأه على التدبير عليهم فولاه طليطلة وكتب الى أهلها يقول انى قد اخترت لكم فلانا وهو منكم لتطمئن قلوبكم اليه وأعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا ومواليانا ولتعرفوا جميل رأينا فيكم فمضى عمروس اليهم ودخل طليطلة فانس به اهلها واطمأنوا اليه وأحسن عشرتهم وكان أول ما عمل عليهم من الحيلة ان أظهر لهم موافقتهم على بغض بنى أمية وخلع طاعتهم فمالوا اليه ووثقوا بما يفعله ثم قال لهم ان سبب الشر بينكم وبين أصحاب الامير انما هو اختلاطهم بكم وقد رأيت ان أبنى بناء اعتزل فيه أنا وأصحاب السلطان رفقا بكم فاجابوه الى ذلك فبنى فى وسط البلد ما أراد فلما مضى لذلك مدة كتب الامير الحكم الى عامل له على الثغر الاعلى سرا يأمره أن يرسل اليه يستغيث من جيوش الكفرة وطلب النجدة والعساكر ففعل العامل ذلك فحشد الحكم الجيوش من كل ناحية واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن وحشد معه قواده ووزراءه فسار الجيش واجتاز بمدينة طليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها فاتاه وهو عندها الخبر من ذلك العامل ان عساكر الكفرة قد تفرقت وكفى الله شرها فتفرق العسكر وعزم عبد الرحمن على العود الى قرطبة فقال عمروس عند ذلك لاهل طليطلة قد ترون نزول ولد الحكم الى جانبى وانه يلزمنى الخروج اليه وقضاء حقه فان نشطتم لذلك والا سرت

أصحابك الا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتتبرؤن منه فقال حجر وجماعة ممن كان معه ان الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب الينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه الى البراءة من على فلما قدم حجر ليقتل قال دعونى أصلى ركعتين فجعل يطول فى صلاته فقيل له اجزعا من الموت فقال لا ولكنى ما تطهرت للصلاة قط الا صليت وما صليت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع وانى لأرى قبرا محفورا وسيفا مشهورا وكفنا منشورا ثم قدم فنحر وألحق به من وافقه على قوله من أصحابه وقيل ان قتلهم كان فى سنة خمسين وذكر أن عدى ابن حاتم الطائى دخل على معاوية فقال له معاوية مافعلت الطرفات يعنى اولاده قال قتلوا مع على قال ما أنصفك على قتل أولادك وبقاء أولاده فقال عدى ما أنصفك على اذ قتل وبقيت بعده فقال معاوية أما انه قد بقى قطرة من دم عثمان ما يمحوها

اليه وحدى فخرج معه وجوه أهل طليطلة فاكرمهم عبد الرحمن واحسن اليهم وكان الحكم قد ارسل مع ولده خادما له ومعه كتاب لطيف الى عمروس فاتاه الخادم وصافحه وسلم الكتاب اليه من غير ان يحادثه فلما قرأ عمروس الكتاب رأى فيه كيف تكون الحيلة على أهل طليطلة فاشار الى أعيان أهلها بان يسألوا عبد الرحمن الدخول اليهم ليرى هو وأهل عسكره كثرتهم وصنعتهم وقوتهم فظنوه ينصحهم ففعلوا ذلك وادخلوا عبد الرحمن البلد ونزل مع عمروس فى داره واتاه أهل طليطلة ارسالا يسلمون عليه واشاع عمروس ان عبد الرحمن يريد ان يتخذهم وليمة عظيمة وشرع فى الاستعداد لذلك ووعدهم يوما ذكره وقرر معهم انهم يدخلون من باب ويخرجون من آخر ليقل الزحام ففعلوا ذلك فلما كان اليوم المذكور اتاه الناس افواجا فكان كلما دخل فوج أخذوا وحملوا الى جماعة من الجند على حفرة كبيرة فى ذلك القصر فضربت رقابهم عليها فلما تعالى النهار أتى بعضهم فلم ير احدا فقال أين الناس فقيل انهم يدخلون من هذا الباب ويخرجون من الباب الآخر فقال ما لقيني منهم أحد وعلم الحال وصاح واعلم الناس هلاك أصحابهم فكان سبب نجاة من بقى منهم فذلت رقابهم بعدها وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم وايام ولده عبد الرحمن ثم انجبرت مصيبتهم وكثروا فلما هلك عبد الرحمن وولى ابنه محمد عاجلوه بالخلع على ما نذكره

﴿ ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم وما فعله باهل قرطبة ﴾

وفيها عصى اصبغ بن عبد الله ووافقه أهل مدينة ماردة من الاندلس على الحكم واخرجوا عامله واتصل الخبر بالحكم فسار اليها وحاصرها فبينما هو مجد فى الحصار اتاه الخبر عن أهل قرطبة انهم اعلنوا بالعصيان له فرجع مبادرا فوصل الى قرطبة فى ثلاثة أيام وكشف عن الذين اثاروا الفتنة فصلبهم منكسين وضرب اعناق جماعة فارتدع الباقون بذلك واشتدت كراهيتهم له ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون ومرة يعصون الى سنة اثنتين وتسعين فضعف امر اصبغ لان الحكم تابع ارسال الجيوش اليه واستعمال جماعة من أعيان أهل ماردة وثقاته من أصحابه فمالوا اليه وفارقوا اصبغ حتى أخوه فحير اصبغ وضعفت نفسه فارسل يطلب الامان فامنه الحكم ففارق ماردة وحضر عند الحكم واقام عنده بقرطبة

﴿ ذكر غزو الفرنج بالاندلس ﴾

فى هذه السنة تجهز لذريق ملك الافرنج بالاندلس وجمع جموعه ليسير الى مدينة طرطوشة ليحاصرها فبلغ ذلك الحكم فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن فاجتمعوا فى جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة فساروا فلقوا الافرنج فى أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد المسلمين شيأ فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعه فانزل الله تعالى نصره على المسلمين فانهزم الكفار وكثر القتل فيهم والاسر ونهبت أموالهم وأثقالهم وعاد المسلمون ظافرين غانمين

﴿ ذكر عصيان حزم على الحكم ﴾

فى هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة ووافقه غيره وقصدوا الشبونة وكان الحكم يسمى حزما فى كتبه النبطى فلما سمع الحكم خبره سير اليه ابنه هشاما فى جمع كثير فأذله ومن معه وقطع الاشجار وضيق عليهم حتى اذعنوا لطلب الامان فآمنه

﴿ ذكر عزل على بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاية هرثمه ﴾

وفيها عزل الرشيد على بن عيسى بن ماهان عن خراسان وكان سبب ذلك ما ذكرناه من قتل ابنه عيسى فلما قتل جزع عليه أبوه فخرج عن بلخ الى مرو مخافة عليها أن يسير اليها رافع بن الليث

الادم شريف من أشراف اليمن فقال عدى والله ان قلوبنا التى أبغضناك بها لفى صدورنا وان أسيافنا التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر فترا لندنين اليك من الشر شبرا وان حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم لاهون علينا من أن نسمع المساءة فى على فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف فقال معاوية هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عدى محادثا له كانه ما خاطبه بشئ (وذكر) ان معاوية ابن أبى سفيان تنازع اليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فقال عمرو لاسامة كانك تنكرنى فقال اسامة ما يسرنى نسبك بولائى فقام مروان بن الحكم فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب اسامة فقام سعيد بن العاص فجلس الى جانب مروان فقام الحسين فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب سعيد فقام عبد الله ابن جعفر فجلس الى جانب الحسين وقام عبد الرحمن

ليأخذها وكان ابنه عيسى قد دفن في بستان في داره بمبلغ أموال عظيمة قيل كانت ثلاثين ألف ألف ولم يعلم بها أبوه ولم يطلع عليها الا جارية له فلما سار علي بن عيسى الى مرو أطلعت الجارية على ذلك بعض الخدم وتحدث به الناس واجتمعوا ودخلوا البستان ونهبوا المال وبلغ الرشيد الخبر فقال خرج عن بلخ من غير أمري وخلف مثل هذا المال وهو يزعم انه قد باع حلي نسائه فيما انفق على محاربة رافع فعزله واستعمل هرثمة بن أعين وكان قد تقدم الرشيد عليه ما كان يبلغه من سوء سيرته واهانته اعيان الناس وان تخفافه بهم فمن ذلك أنه دخل عليه يوما الحسين بن مصعب والد طاهر بن الحسين وهشام بن فرخسرو فسلما عليه فقال للحسين لا سلم الله عليك يا ملحد ابن الملحد والله اني لا عرف ما أنت عليه من عداوة الاسلام والطعن في الدين ولم انتظر بقتلك الا امر الخليفة أ لست المرجف في منزلي هذا بعد أن ثلمت من الخمر وزعمت أنك جاءتك كتب من بغداد بعزلي اخرج الى سخط الله لعنك الله فعن قريب ما يكون منها فاعتذر اليه فلم يقبل عذره وامر باخراجه فأخرج وقال لهشام بن فرخسرو صارت دارك دار الندوة يجتمع اليك السفهاء تطعن على الولاة سفك الله دمي ان لم اسفك دمك فاعتذر اليه فلم يعذره فأخرجه فاما الحسين فسار الى الرشيد فاستجار به وشكا اليه فاجاره واما هشام فانه قال لبنت له اني أخاف الامير على دمي وانا مفض اليك بامر ان أنت اظهرته قتلت وان أنت كتمتيه سلمت قالت وما هو قال قد عزمت على ان اظهر ان الفالج قد أصابني فاذا كان في السحر فاجمعي جواريك واقصدي فراشي وحركيني فاذا رأيت حركتي ثقلت فصيحي أنت وجواريك واجمعي اخوتك فأعلمهم علتي ففعلت ما امرها وكانت عاقلة فاقام مطروحا على فراشه حينا لا يتحرك الى أن جاء هرثمة واليا فركب الى لقائه فرآه على بن عيسى بن ماهان فقال الى اين فقال ألتقي الامير أيا حاتم قال ألم تكن عليلا فقال وهب الله العافية وعزل الطاغية في ليلة واحدة فعلى هذا تكون ولاية هرثمة ظاهرا وقيل بل كانت ولايته سرا لم يطلع الرشيد عليها أحدا وقيل انه لما أراد عزل علي بن عيسى استدعى هرثمة واسر اليه ذلك وقال له ان علي بن عيسى قد كتب يستمدني بالعساكر والاموال فاظهر للناس انك تسير اليه نجدة له وكتب له الرشيد كتابا بولايته بخط يده وامر كتابه ان يكتبوا له الى علي بن عيسى بانه قد سير هرثمة نجدة له فسار هرثمة ولا يعلم بامره أحد حتى ورد نيسابور فلما وردها استعمل أصحابه على كورها وسار مجدا يسبق الخبر فاتى مرو والتقاه علي بن عيسى فاحترمه هرثمة وعظمه حتى دخل البلد ثم قبض عليه وعلى أهله واصحابه واتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف وكانت خزائنه واثاثه على ألف وخمسمائة بعير فاخذ الرشيد ذلك كله وكان وصول هرثمة الى خراسان سنة اثنتين وتسعين فلما فرغ هرثمة من اخذ أموالهم اقامهم لمطالبة الناس وكتب الى الرشيد بذلك وسير علي بن عيسى اليه على بعير بغير وطاء ولا غطاء

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها خرج خارجي يقال له بزوان بن سيف بناحية حولايا وتنقل في السواد فوجه اليه طوق بن مالك فهزمه طوق وجرحه وقتل عامة أصحابه وفيها خرج أبو الوليد بالشام فسير الرشيد في طلبه يحيى بن معاذ وعقد له على الشام وفيها ظفر حماد البربري بهيصم اليماني وفيها أرسل أهل نسف الى رافع بن الليث يسألونه أن يوجه اليهم من يمنعهم على قتل عيسى بن علي بن عيسى وعلي بن عيسى فارسل اليهم جمعا فقتلوا عيسى وحده في ذي القعدة وفيها غزا يزيد بن مخلد الهبيري أرض الروم في عشرة آلاف فاخذت الروم عليه المضيق فقتلوه وخمسين رجلا وسلم الباقون وكان ذلك على

ابن الحكم فجلس الى جانب ابن عامر فقام عبد الرحمن ابن العباس فجلس الى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال لا تجلوا انا كنت شاهدا اذ أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الامويون عليه فقالوا ألا كنت أصلحت بيننا قال دعوني فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلي وان الحرب أولها نجوى وأوسطها شكوى وآخرها بلوى وتمثل بأبيات امرئ القيس المتقدمة في هذا الكتاب في أخبار عمر رضي الله عنه وأولها

الحرب أول ما تكون فتية
تدنو بزينتها لكل جهول

ثم قال ما في القلوب يشب الحروب والامر الكبير يدفعه الامر الصغير وتمثل قد يلحق الصغير بالجليل
واغما القرم من الافيل
وتسحق النخل من الفسيل

(قال المسعودي) ولما هم معاوية بالحاق زياد بأبي سفيان أبيه وذلك في سنة أربعين شهد عبد زياد بن أسماء الحرمازي ومالك ابن ربيعة الساعدي والمنذر

مرحلتين من طرسوس وفيها استعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن أعين قبل ان يوليه خراسان وضم اليه ثلاثين ألفا من أهل خراسان ورتب الرشيد بدرب الحدث عبد الله بن مالك وبمرعش سعيد بن سلم بن قتيبة فاغارت الروم عليها فاصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرك سعيد من موضعه وبعث محمد بن يزيد بن مزيد الى طرسوس وأقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة أيام من رمضان وعاد الى الرقة وأمر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور وأخذ أهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم وأمر هرثمة ببناء طرسوس وتعميرها ففعل وتولى ذلك فرخ الخادم بأمر الرشيد وسير اليها جندا من أهل خراسان ثلاثة آلاف ثم اشخص اليهم ألفا من أهل المصيصة وألفا من أهل انطاكية وتم بناؤها سنة اثنتين وتسعين ومائة وبنى مسجدها وحج بالناس هذه السنة الفضل بن العباس بن محمد بن علي وكان أميرا على مكة وكان على الموصل محمد بن الفضل ابن سليمان وفيها توفي الفضل بن موسى السيناني أبو عبد الله المروزي مولى بني قطيعة وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة (السيناني بكسر السين المهملة وبالياء المثناة من تحت وبالنون قبل الالف ثم بنون بعده منسوب الى سينان وهي قرية من قرى مرو)

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر مسير الرشيد الى خراسان﴾

فيها سار الرشيد من الرقة الى بغداد يريد خراسان لحرب رافع بن الليث وكان مريضا واستخلف على الرقة ابنه القاسم وضم اليه خزيمة بن خازم وسار من بغداد الى النهروان لخمس خلون من شعبان واستخلف على بغداد ابنه الامين وأمر المأمون بالمقام ببغداد فقال الفضل بن سهل للمأمون حين أراد الرشيد المسير الى خراسان لست تدري ما يحدث بالرشيد وخراسان ولا يتك ومحمد الامين المقدم عليك وان احسن ما يصنع بك أن يخلعك وهو ابن زبيدة وأخواله بنو هاشم وزبيدة وأموالها فاطلب الى أمير المؤمنين ان تسير معه فطلب اليه ذلك فاجابه بعد امتناع فلما سار الرشيد سايره الصباح الطبري فقال له يا صباح لا اظنك ترانى أبدا فدعا فقال ما أظنك تدري ما أجد قال الصباح لا والله فعدل عن الطريق واستظل بشجرة وامر خواصه بالبعد فكشف عن بطنه فاذا عليه عصابة حرير فقال هذه علة اكتمها الناس كلهم ولكل واحد من ولدي على رقيب فسرور رقيب المأمون وجبرائيل بن بختيشوع رقيب الامين ومامنهم احد الا وهو يحصي أنفاسي ويستطيل دهري وان اردت أن تعلم ذلك فالساعة ادعو بدابة فيأتوني بدابة اعجف قطوف لتزيدني علتي فاكتم على ذلك فدعا له بالبقاء ثم طلب الرشيد دابة فجاؤا بها على ما وصف فنظر الى الصباح وركبها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها تحركت الخرمية بناحية اذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبد الله بن مالك في عشرة آلاف فقتل وسبى وأسر وافاء بقرماسين فامره بقتل الاسرى وبيع السبي وفيها قدم يحيى بن معاذ على الرشيد بابي النداء فقتله وفيها فارق جماعة من القواد رافع بن الليث وصاروا الى هرثمة منهم عجيف بن عنبسة وغيره وفيها استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن نصر بن مالك ففتح مطمورة وفيها كان الفداء بالبذندون وفيها خرج ثروان الحروري بطف البصرة فقاتل عامل السلطان بها وفيها مات عيسى بن جعفر بن المنصور بالدسكرة وهو يريد اللحاق بالرشيد وفيها قتل الرشيد الهيصم الكناني وحج بالناس هذه السنة العباس بن عبد الله بن جعفر بن المنصور وفيها كان وصول هرثمة الى خراسان كما تقدم وحصر هرثمة رافع بن الليث بسمرقند وضايقه واستقدم

ابن الزبير بن العوام ان أبا سفيان أخبره انه وان أبا سفيان قال لعلي عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب أما والله لولا خوف شخص يراني ياعلي من الاعادي لبين أمره صخر بن حرب ولم يكن المحجم عن زياد ولكني أخاف صروف كف لها نقم ونفي عن بلادي فقد طالت محاولتي تثقيفا وتركي فيهم غمر الفؤاد ثم زاده يقينا الى ذلك شهادة أبي مريم السلولي وكان أخبر الناس بهذه الامر وذلك انه جمع بين أبي سفيان وسمية أم زياد في الجاهلية على زنا وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف تؤدي الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع الذي ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر في محلة يقال لها حارة البغايا وكان سبب ادعاء معاوية فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن عليا كان ولاه فارس حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب زيادا ببعضهم بعضا حتى غلب عليها وما زال يتنقل في كورها حتى صلح أمر فارس ثم ولاه على اصطخر

طاهر بن الحسين فحضر عنده وخلت خراسان لخزة الخارجي حتى دخلها وصار يقتل ويجمع الاموال ويحملها اليه عمال هراة وسجستان فخرج اليه عبد الرحمن النيسابوري فاجتمع اليه نحو عشرين ألفا فسار الى خزة فقاتله قتالا شديدا فقتل من أصحاب خزة خلقا وسار خلفه حتى بلغ هراة وكان ذلك سنة أربع وتسعين فكتب اليه المأمون فرده وادام هرثمة على حصار سمرقند حتى فتحها على ما نذكره ان شاء الله تعالى وقتل رافع بن الليث وجماعة من أقربائه واستعمل على ماوراء النهر ابن يحيى فعاد وكان قتله رافعا سنة خمس وتسعين وفي هذه السنة توفي عبد الله بن ادريس بن يزيد الاودي الكوفي ويوسف بن أبي يوسف القاضي وفيها كان الفداء الثاني بين المسلمين والروم وكان القيم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي وكان عدة الاسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسير

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر موت الفضل بن يحيى﴾

في هذه السنة مات الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في الحبس بالرقة وكانت علته انه أصابه ثقل في لسانه وشقه فعولج أشهرا فبرأ وكان يقول ما أحب أن يموت الرشيد لان أمري قريب من أمره فلما صح من علته وتحدث عادته العلة واشتدت عليه وانعقد لسانه وطرفه مات في المحرم وصلى عليه اخوانه في القصر الذي كانوا فيه ثم أخرج فصلى عليه الناس وجزع الناس عليه وكان موته قبل الرشيد بخمسة أشهر وهو ابن خمس وأربعين سنة وكان من محاسن الدنيا لم ير في العالم مثله ولاشتهار أخباره وأخبار أهله وحسن سيرتهم لم نذكرها وفيها مات سعيد الطبري المعروف بالجوهري وفيها كانت وقعة بين هرثمة وأصحاب رافع كان الظفر لهرثمة وافتتح بخارا وأسر بشيرا أخا رافع فبعث به الى الرشيد

﴿ذكر موت الرشيد﴾

وفي هذه السنة مات الرشيد أول جمادى الآخرة لثلاث خلون منه وكانت قد اشتدت علته بالطريق بجرجان فسار الى طوس فمات بها قال جبرئيل بن بختيشوع كنت مع الرشيد بالرقة وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة اتعرف حاله في ليلته ثم يحدثني وينبسط الي ويسألني عن أخبار العامة فدخلت عليه يوما فسلمت عليه فلم يكد يرفع طرفه ورأيته عابسا مفكرا مهموما فوقفت مليا من النهار وهو على تلك الحال فلما طال ذلك أقدمت فسألته عن حاله وما سببه فقال ان فكري وهمي لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه قد أفزعتني وملأت صدري فقلت فرجت عني يا أمير المؤمنين ثم قبلت يده ورجله وقلت الرؤيا انما تكون لخاطر أو بخارات رديئة وتهاويل السوداء وهي أضغاث أحلام قال فاني اقصها عليك رأيت كاني جالس على سريري هذا اذ بدت من تحتي ذراع أعرفها وكف أعرفها لا أفهم اسم صاحبها وفي الكف تربة حمراء فقال لي قائل أسمعه ولا أرى شخصه هذه التربة التي تدفن فيها فقلت واين هذه التربة قال طوس وغابت اليد وانقطع الكلام فقلت أحسبك لما أخذت مضجعك فكرت في خراسان وما ورد عليك منها وانتقاض بعضها فذلك الفكر أوجب هذه الرؤيا فقال كان ذلك فامرته باللهو والانبساط ففعل ونسينا الرؤيا وطالت الايام ثم سار الى خراسان لحرب رافع فلما صار ببعض الطريق ابتدأت به العلة فلم تزل تزيد حتى دخلنا طوس فبيناهو يمرض في بستان في ذلك القصر الذي هو فيه اذ ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملا يقوم ويسقط فاجتمعنا نسأله فقال اتذكرون رؤياي بالرقة في طوس ثم رفع

وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بسر بن أرطاة عبيد الله وسلمان ولديه وكتب اليه يقسم ليقتلنهما ان لم يرجع ويدخل في طاعة معاوية ويرده على عمله فتقدم زياد على معاوية وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يمد اليه أحد يدا الا الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية فخذها لنفسك قبل التوطين قال زياد فأشر علي قال أرى أن تنقل أصلك الى أصله وتصل حبلك بحبله وتعير الناس منك اذنا صماء فقال زياد يا ابن شعبة أأغرس عودا في غير منبته ولا مدرة فتحيه ولا عرق فيسقيه ثم ان زيادا عزم على قبول الدعوى وأخذ برأي ابن شعبة وأرسلت اليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها فأتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه وقالت أنت أخي أخبرني بذلك أبو مريم ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام أبو مريم السلولي فقال أشهد أن أبا سفيان

رأسه الى مسرور فقال جئني من تربة هذا البستان فاتاه بها في كفه حاسرا عن ذراعيه فلما نظر اليه قال هذه والله الذراع التي رأيتها في منامي وهذه الكف بعينها وهذه التربة الحمراء ما خرمت شيأ وأقبل على البكاء والنحيب ثم مات بعد ثلاثة قال أبو جعفر لما سار الرشيد عن بغداد الى خراسان بلغ جرجان في صفر وقد اشتدت علته فسير ابنه المأمون الى مرو وسير معه من القواد عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ واسد بن يزيد والعباس بن جعفر بن محمد بن الاشعث والسندي الحرشي ونعيم ابن حازم وسار الرشيد الى طوس واشتد به الوجع حتى ضعف عن الحركة فلما أثقل أرجف به الناس فبلغه ذلك فامر بركوب ليركبه ليراه الناس فاتي بفرس فلم يقدر على النهوض فاتي ببرذون فلم يطق النهوض فاتي بحمار فلم ينهض فقال ردوني ردوني صدق والله الناس ووصل اليه وهو بطوس بشير بن الليث أخو رافع اسيرا فقال الرشيد والله لو لم يبق من أجلي الا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت اقتلوه ثم دعا بقصاب فامر به ففصل اعضاءه فلما فرغ منه اغمي عليه وتفرق الناس عنه فلما ايس من نفسه أمر بقبره فحفر في موضع من الدار التي كان فيها وانزل اليه قوما فقرؤا فيه القرآن حتى ختموا وهو في محفة على شفير القبر يقول ابن آدم تصير الى هذا وكان يقول في تلك الحال واسوأتاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الهيثم بن عدي لما حضرت الرشيد الوفاة غشي عليه ففتح عينيه منها فرأى الفضل بن الربيع على رأسه فقال يا فضل

احين دنا ما كنت أرجو دنوه * رمتني عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحوما وكنت محسدا * فصبرا على مكروه أمن العواقب
سأبكي على الوصل الذي كان بيننا * وأندب أيام السرور الذواهب

قال سهل بن صاعد كنت عند الرشيد وهو يجود بنفسه فدعا بلحفة غليظة فاحتبى بها وجعل يقاسي ما يقاسي فنهضت فقال اقعد فقعدت طويلا لا يكلمني ولا أكلمه فنهضت فقال أين يا سهل فقلت ما يتسع قلبي يا أمير المؤمنين بعافي من المرض ما يعافى فلو اضطجعت يا أمير المؤمنين فضحك ضحكا صحيحا ثم قال يا سهل اذكر في هذه الحال قول الشاعر

واني من قوم كرام يزيدهم * شماسا وصبرا شدة الحدثان

ثم مات وصلى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل بن الربيع واسمعيل بن صبيح ومسرور وحسين ورشيد وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما وقيل ملك ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوما وكان عمره سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام وكان جميلا وسيما أبيض جعدا قد وخطه الشيب قال وكان في بيت المال لما توفي تسعمائة ألف ألف ونيف

﴿ذكر ولاة الامصار أيام الرشيد﴾

(ولاة المدينة) اسحق بن علي عبد الملك بن صالح بن علي محمد بن عبد الله موسى بن عيسى ابن موسى ابراهيم بن محمد بن ابراهيم علي بن عيسى بن موسى محمد بن ابراهيم عبد الله بن مصعب بكار بن عبد الله بن مصعب محمد بن علي ابو البختري وهب بن منبه (ولاة مكة) العباس بن محمد ابن ابراهيم سليمان بن جعفر بن سليمان موسى بن عيسى بن موسى عبد الله بن محمد بن ابراهيم عبد الله بن قثم بن العباس عبيد الله بن قثم عبد الله بن محمد بن عمران عبيد الله بن محمد بن ابراهيم العباس بن موسى بن عيسى علي بن موسى بن عيسى محمد بن عبد الله العثماني حماد البربري سليمان بن جعفر بن سليمان الفضل بن العباس بن محمد احمد بن اسمعيل بن علي (ولاة الكوفة) موسى بن عيسى بن موسى محمد بن ابراهيم عبيد الله بن محمد بن ابراهيم يعقوب بن ابي جعفر

قدم علينا بالطائف وأنا خمار في الجاهلية فقال ابغني بغيا فاتيته لم وقلت لم أجد الا جارية الحرث بن كلدة سمية فقال ائتني بها على دفرها وقذرها فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شافعا فقال أبو مريم لو كنتم أعفيتموني لكان أحب الي وانما شهدت بما عاينت ورأيت والله لقد أخذ بكم درعها وأغلقت الباب عليهما وقعدت دهشانا فلم البث أن خرج علي يمسح جبينه فقلت مه يا أبا سفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم ولولا استرخاء من ثديها ودفر من فيها فقام زياد فقال أيها الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست أدري حق ذلك من باطله وانما كان عبد نبيا مبرورا أو وليا مشكورا والشهود أعلم بما قالوا فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن أسد بن علاج الثقفي وكانت صفية مولاة سمية فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للعراش وللعاهر الحجر وقضيت أنت ان الولد للعاهر وان الحجر للفراش مخالفة

موسى بن عيسى بن موسى العباس بن عيسى بن موسى اسحق بن الصباح الكندى موسى بن عيسى بن موسى العباس بن عيسى بن موسى موسى بن عيسى بن موسى جعفر بن ابى جعفر (ولاة البصرة) محمد بن سليمان بن على سليمان بن ابى جعفر عيسى بن جعفر بن ابى جعفر خزيمة بن خازم عيسى بن جعفر جرير بن يزيد جعفر بن سليمان جعفر بن ابى جعفر عبد الصمد بن على مالك بن على الخزاعى اسحق بن سليمان بن على سليمان بن ابى جعفر عيسى بن جعفر الحسن بن جميل مولى أمير المؤمنين عيسى بن جعفر بن ابى جعفر جرير بن يزيد عبد الصمد بن على اسحق بن عيسى بن على (ولاة خراسان) أبو العباس الطوسى جعفر بن محمد بن الاشعث العباس بن جعفر الغطريف بن عطاب سليمان بن راشد على الخراج حمزة بن مالك الفضل بن يحيى بن خالد منصور بن يزيد بن منصور جعفر بن يحيى وخليفته بها على ابن عيسى بن ماهان هرثمة بن أعين العباس بن جعفر للمأمون بها على بن الحسين بن قحطبة

﴿ذكر نسائه وأولاده﴾

قيل تزوج زبيدة وهى ام جعفر بنت جعفر بن المنصور واعرس بها سنة خمس وستين ومائة فولدت محمد الامين ومات سنة ست وعشرين ومائتين وتزوج امة العزيز ام ولد الهادى فولدت له على بن الرشيد وتزوج ام محمد بنت صالح المسكين وتزوج العباسة بنت سليمان بن المنصور وتزوج عزيزة ابنة خاله الغطريف وتزوج العثمانية وهى ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وجدة ابيها فاطمة بنت الحسين بن على ومات الرشيد عن أربع مهائر زبيدة وام محمد بنت صالح وعباسة والعثمانية وكان قد ولد له من الذكور محمد الامين من زبيدة وعبد الله المأمون لام ولد اسمها مراجل والقاسم المؤتمن وابو اسحق محمد المعتصم وصالح وأبو عيسى محمد وأبو يعقوب محمد وأبو العباس محمد وابو سليمان محمد وأبو على محمد وأبو محمد وهو اسمه وابو أحمد محمد كلهم لامهات اولاد وله من البنات سكينة وأم حبيب وأروى وام الحسن وام محمد وهى حمدونة وفاطمة وأم ابيها وأم سلمة وخديجة وام القاسم ورملة وام جعفر وام على والعالية وريطة كلهن لامهات أولاد

﴿ذكر بعض سيرته﴾

قيل كان الرشيد يصلى كل يوم مائة ركعة الى ان فارق الدنيا الا من مرض وكان يتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم بعد زكاته وكان اذا حج حج معه مائة من الفقهاء وابنائهم فاذا لم يحج حج ثلثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الطاهرة وكان يطلب العمل بآثار المنصور الا فى بذل المال فانه لم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال وكان لا يضيع عنده احسان محسن ولا يؤخر ذلك وكان يحب الشعر والشعراء ويميل الى أهل الادب والفقه ويكره المراء فى الدين وكان يحب المديح لاسيما من شاعر فصيح ويجزل العطاء عليه ولما مدحه مروان بن ابى حفصة بقصيدته التى منها

وسدت بهرون الثغور فاحكمت * به من امور المسلمين المرائر

أعطاه خمسة آلاف دينار وخلعة وعشرة من الرقيق الرومى وبرذونا من خاص مركبه وقيل كان مع الرشيد ابن أبى مريم المدينى وكان مضحاكا فكها يعرف أخبار أهل الحجاز والقاب الاشراف ومكايد المجان فكان الرشيد لا يصبر عنه واسكنه فى قصره فجاءه ذات ليلة وهو نائم فقام الرشيد الى صلاة الفجر فكشف اللحاف عنه وقال كيف أصبحت فقال ما أصبحت بعد اذهب الى عملك قال قم الى الصلاة قال هذا وقت صلاة أبى الجرود وأنا من أصحاب أبى يوسف فضى

لكتاب الله تعالى وانصرافا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة أبى مريم على زنا أبى سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئا وقوعها فقال يونس هل الا الى الله ثم أقع قال نعم وأستغفر الله فقال عبد الرحمن بن أم الحكم فى ذلك ويقال انه ليزيد بن مقرع الحميرى

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليمانى
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زانى
فأشهد ان رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان
وفى زياد واخوته يقول خالد النجارى
ان زيادا ونافعا وأبا بكرة عندى من أعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا من رحم أنثى مخالفى النسب
ذا قرشى فيما يقول وذا مولى وذا ابن عمه عربى

ولما قتل على كرم الله وجهه كان فى نفس معاوية من يوم صفين على هاشم ابن عتبة بن أبى وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم احن فلما استعمل معاوية زيادا على العراق

الرشيد يصلي وقام ابن أبي مريم وأتى الرشيد فرآه يقرأ في الصلاة (ومالي لا أعبد الذي فطرني) فقال ما أدري والله فما لك الرشيد ان ضحك ثم قال وهو مغضب في الصلاة أيضا قال ما صنعت قال قطعت علي صلاتي قال والله ما فعلت انما سمعت منك كلاما غمني حين قلت ومالي لا أعبد الذي فطرني فقلت لا أدري فعاد الرشيد لضحكه ثم قال له اياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدهما وقيل استعمل يحيى بن خالد رجلا على بعض أعمال الخراج فدخل على الرشيد يودعه وعنده يحيى وجعفر فقال لهما الرشيد أوصياه فقال يحيى وقر واعمر وقال جعفر انصف وانتصف فقال الرشيد اعدل وأحسن وقيل حج الرشيد مرة فدخل الكعبة فرآه بعض الحجبة وهو واقف على اصابعه يقول يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك ردا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا يا من لا تضره الذنوب ولا تخفى عليه الغيوب ولا تنقصه مغفرة الخطايا يا من كبس الارض على الماء وسد الهواء بالسماء واختار لنفسه أحسن الاسماء صل على محمد وعلى آل محمد وخر لي في جميع أموري يا من خشعت له الاصوات بانواع اللغات يسألونه الحاجات ان من حاجتي اليك أن تغفر لي ذنوبي اذا توفيتني وصيرت في لحدي وتفرق عني أهلي وولدي اللهم لك الحمد حمدا يفضل كل حمد كفضلك على جميع الخلق اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون له رضا وصل عليه صلاة تكون له ذخرا واجزه عنا الجزاء الاوفى اللهم احينا سعداء وتوفنا شهداء واجعلنا سعداء مرزوقين ولا تجعلنا أشقياء مرجومين وقيل دخل ابن السماك على الرشيد فبينما هو عنده اذ طلب ماء فلما أراد شربه قال له ابن السماك مهلا يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها قال بنصف ملكي قال اشرب فلما شرب قال اسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها قال بجميع ملكي قال ان ملكا لا يساوي شربة ماء وخروج بولة لجدير أن لا ينافس فيه فبكى الرشيد وقيل كان الفضيل بن عياض يقول ما من نفس أشد علي موتا من هرون الرشيد ولوددت ان الله زاد من عمري في عمره فعظم ذلك على أصحابه فلما مات وظهرت الفتن وكان من المأمون ما حمل الناس عليه من القول بخلق القرآن قالوا الشيخ اعلم بما تكلم به وقال محمد بن منصور البغدادي لما حبس الرشيد أبا العتاهية جعل عليه عينا يأتيه بما يقول فرآه يوما قد كتب على الحائط

اما والله ان الظلم لوم * ومازال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

فاخبر بذلك الرشيد فبكى واحضره واستحله وأعطاه ألف دينار وقال الاصمعي صنع الرشيد يوما طعاما كثيرا وزخرف مجالسه وأحضر أبا العتاهية فقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدا لك سالما * في ظل شاهقة القصور

فقال أحسنت ثم قال ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيـ * ـت لدى الرواح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقعت * في ظل حشرجة الصدور

كتب اليه أما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده الى عنقه ثم ابعث به الي فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق وقد كان زياد طرقه بالليل في منزله بالبصرة فادخل الى معاوية وعنده عمرو ابن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص هل تعرف هذا قال لا قال هذا الذي يقول أبوه يوم صفين

اني شريت النفس لما اعتلا
وأكثر اللوم وما أقلا
أعور يبغي أهله محلا
قد عالج الحياة حتى ملا
لابد أن يفل أو يفلا

أسلمهم بذي الكعوب سلا
لا خير عندي في كريم ولي

فقال عمرو متمثلا

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك يا أمير المؤمنين الضب الضب فاضبب أوداجه على أسباجه ولا ترده الى أهل العراق فانه لا يصبر على النفاق وهم أهل غدر وشقاق وحزب ابليس ليوم هيجانه وان له هوى سيؤديه ورأيا سيطغيه وبطانة ستقويه وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال عبد الله يا عمرو ان اقتل

فهنالك تعلم موقفنا * ما كنت الا فى غرور

فبكر الرشيد وقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته فقال دعه فانه رآنا فى عمى فكره ان يزيدنا

﴿خلافة الامين﴾

وفى هذه السنة بويع الامين بالخلافة فى عسكر الرشيد صبيحة الليلة التى توفى فيها وكان المأمون حينئذ بمرو فكتب حمويه مولى المهدى صاحب البريد الى نائبه ببغداد وهو سلام أبو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد فدخل أبو مسلم على الامين فعزاه وهنأه بالخلافة فكان أول الناس فعل ذلك وكتب صالح بن الرشيد الى أخيه الامين يخبره بوفاة الرشيد مع رجاء الخادم وأرسل معه الخاتم والقضيب والبردة فلما وصل رجاء انتقل الامين من قصره بالخلد الى قصر الخلافة وصلى بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فنعى الرشيد وعزى نفسه والناس ووعدهم الخير وأمن الابيض والاسود وفرق فى الجند الذين ببغداد رزق أربعة وعشرين شهرا ودعا الى البيعة فبايعه جلة أهل بيته وكل عم ابيه وأمر سليمان بن المنصور بأخذ البيعة على القواد وغيرهم فامر السندى أيضا بمبايعة من عداهم

﴿ذكر ابتداء الاختلاف بين الامين والمأمون﴾

فى هذه السنة ابتدأ الاختلاف بين الامين والمأمون ابنى الرشيد وكان سبب ذلك ان الرشيد لما سار نحو خراسان وأخذ البيعة للمأمون على جميع من فى عسكره من القواد وغيرهم وأقره بجميع ما معه من الاموال وغيرها على ما سبق ذكره عظم على الامين ذلك ثم بلغه شدة مرض الرشيد فارسل بكر بن المعتمر وكتب معه كتبا وجعلها فى قوائم صناديق المطبخ وكانت منقورة وألبسها جلود البقر وقال لا تظهرن أمير المؤمنين ولا غيره على ذلك ولو قتلت فاذا مات فادفع الى كل انسان منهم ما معك فلما قدم بكر بن المعتمر طوس بلغ هرون قدومه فدعا به وسأله عن سبب قدومه فقال بعثنى الامين لآتيه بخبرك قال فهل معك كتاب قال لا فامر بما معه ففتش فلم يصيبوا شيأ فامر به فضرب فلم يقر بشئ فحبسه وقيده ثم أمر الفضل بن الربيع بتقريره فان أقر والا ضرب عنقه فقرره فلم يقر بشئ ثم غشى على الرشيد فصاح النساء فامسك الفضل عن قتله وحضر عند الرشيد فأفاق وهو ضعيف قد شغل عن بكر وغيره ثم مات وكان بكر قد كتب الى الفضل يسأله ان لا يعجل فى أمره بشئ فان عنده أشياء يحتاج الى عملها فاحضره الفضل واعلمه بموت الرشيد وسأله عما عنده فخاف أن يكون الرشيد حيا فلما تيقن موته اخرج الكتب التى معه وهى كتاب الى أخيه المأمون يأمره بترك الجزع وأخذ البيعة على الناس لهما ولاخيهما المؤتمن ولم يكن المأمون حاضرا كان بمرو وكتاب الى أخيه صالح يأمره بتسيير العسكر واستصحاب ما فيه وان ينصرف هو ومن معه برأى الفضل وكتاب الى الفضل يأمره بالحفظ والاحتياط على ما معه من الحرم والاموال وغير ذلك وأقر كل من كان اليه عمل على عمله كصاحب الشرطة والحرس والحجابة فلما قرؤا الكتب تشاوروا هم والقواد فى اللحاق بالامين فقال الفضل بن الربيع لا أدع ملكا حاضرا لآخر ما أدرى ما يكون من أمره وأمر الناس بالرحيل فرحلوا محبة منهم لاهلهم ووطنهم وتركوا العهود التى كانت أخذت عليهم للمأمون فلما بلغ المأمون ذلك جمع من عنده من قواد أبيه وهم عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وشبيب بن حميد بن قحطبة والعلاء مولى هرون وهو على حجابته والعباس بن المسيب بن زهير وهو على شرطته وأيوب بن أبى سمير وهو على كتابته وعبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح وذو الرياستين وهو أعظمهم عنده قدرا وأخصهم به

رجل اسلمه قومه وادركه يوم أفلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك الى النزال وأنت تلوذ بشمال النطاف وعقائق الرصاف كالامة السوداء والنجبة القوداء لا تدفع يد لامس فقال عمرو أما والله لقد وقعت فى لهاذم شذقم للاقران ذى لبد ولا أحسبك منفلتا من مخالب أمير المؤمنين فقال عبد الله أما والله يا ابن العاص انك لبطر فى الرخاء جبان عند اللقاء غشوم اذا وليت هياب اذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشول لا يستعجل فى المده ولا يرتجى فى الشدة أفلا كان هذا منك اذ عمرك أقوام لم يعنفوا صغارا ولم يمزقوا كبارا لهم أيد شداد وألسنة حداد يدعمون العوج ويذهبون الحرج يكثرون القليل ويشفون الغليل ويعزون الذليل فقال عمرو أما والله لقد رأيت اباك يوم تحقق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه كانما انطبق عليه ضمد فقال عبد الله يا عمر وانا قد بلونا لسانك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبا غادرا خلوت بأقوام

واستشارهم فاشاروا أن يلحقهم فى ألفى فارس جريدة فيرهم فخلا به ذو الرياستين وقال ان فعلت ما أشار به هؤلاء جعلوك هدية الى أخيك ولكن الرأى ان تكتب اليهم كتابا وتوجه رسولا يذكرهم البيعة ويسألهم الوفاء ويحذرهم الحنث ومافيه دنيا وآخرة ففعل ذلك ووجه سهل ابن صاعد ونوفلا الخادم ومعهما كتاب فلحقا الجند والفضل بنيسابور فأوصلا الى الفضل كتابه فقال انما أنا واحد من الجند وشد عبد الرحمن بن جبلة الانبارى على سهل بالرمح ليطعنه فامره على جنبه وقال له قل لصاحبك لو كنت حاضرا لوضعته فيك وسب المأمون فرجعا اليه بالخبر فقال ذو الرياستين اعداء استرحت منهم ولكن افهم عنى ان هذه الدولة لم تكن قط أعز منها أيام المنصور فخرج عليه المقنع وهو يدعى الربوبية وقيل طلب بدم أبى مسلم فضعضع العسكر بخروجه بخراسان وخرج بعده يوسف البرم وهو عند المسلمين كافر فتضعضعوا أيضا له فاخبرنى أنت أيها الامير كيف رأيت الناس عند ما ورد عليهم خبر رافع قال رأيتهم اضطربوا اضطرابا شديدا قال فكيف بك وأنت نازل فى اخوالك وبيعتك فى اعناقهم كيف يكون اضطراب أهل بغداد اصبر وأنا اضمن لك الخلافة قال المأمون قد فعلت وجعلت الامر اليك فقم به قال ذو الرياستين والله لاصدقنك ان عبد الله بن مالك ومن معه من القواد ان قاموا لك بالامر كانوا أنفع لك منى برياستهم المشهورة وبما عندهم من القوة فمن قام بالامر كنت خادما له حتى تبلغ أملك وترى رأيك وقام ذو الرياستين واتاهم فى منازلهم وذكرهم مايجب عليهم من الوفاء قال فكانى حثتهم بجيفة على طبق فقال بعضهم هذا الايحل اخرج وقال بعضهم من الذى يدخل بين امير المؤمنين وأخيه فجئت وأخبرته فقال قم بالامر قال قلت له قرأت القرآن وسمعت الاحاديث وتفقهت فى الدين فارى ان تبعث الى من بحضرتك من الفقهاء فتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السنة وتقعد على الصوف وترد المظالم ففعل ذلك جميعه واكرمه القواد والملوك وابناء الملوك وكان يقول للتميمى نقيمك مقام موسى بن كعب وللربعى نقيمك مقام أبى داود وخالد بن ابراهيم ولليمانى نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم وكل هؤلاء نقباء الدولة العباسية ووضع عن خراسان ربع الخراج فحسن ذلك عند اهلها وقالوا ابن أختنا وابن عم نبينا وأما الامين فلما سكن الناس ببغداد أمر ببنا ميدان حول قصر المنصور بعد بيعته بيوم فقال شاعرهم

بنى أمين الله ميدانا * وصير الساحة بستانا
وكانت الغزلان فيه بانا * تهدى اليه فيه غزلانا

وأقام المأمون يتولى ما كان بيده من خراسان والرى وأهدى الى الامين وكتب اليه وعظمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة دخل هرثمة بن اعين حائط سمرقند فارسل رافع بن الليث الى الترك فاتوه وصار هرثمة بين رافع والترك ثم ان الترك انصرفوا فضعف رافع وفيها قدمت زبيدة امرأة الرشيد من الرقة الى بغداد فلقيها ابنها الامين بالانبار ومعه جمع من بغداد من الوجوه وكان معه أخوه ابن الرشيد وفيها قتل نقفور ملك الروم فى حرب برجان وكان ملك سبع سنين وملك بعده ابنه استبراق وكان مجروحا فبقى شهرين ومات فملك بعده ميخائيل بن جورجس خنثه على أخته وفيها عزل الامين أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة وأقره على قنسرين والعواصم واستعمل على الجزيرة خزيمة بن خازم وحج بالناس هذه السنة داود بن عيسى بن موسى بن محمد وهو أمير مكة وفيها توفى صقلاب بن زياد الاندلسى وهو من أصحاب مالك وكان فقيها زاهدا وفى هذه السنة مات مروان

ابن

لا يغرنك فونك وجند لا يسأمونك ولو رمت المنطق فى غير أهل الشام بلحظ اليك عقلك والتلجلج لسانك ولا اضطرب فخذاك اضطراب القعود الذى أثقله حمله فقال معاوية ايها عنكما وأمر باطلاق عبد الله فقال عمرو لمعاوية أمرتك أمرا حازما فعصيتنى وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

أليس أبوه يا معاوية الذى
أعان عليا يوم خز الغلاصم
فلم ينتقى حتى جرت من دمائنا
بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه
ويوشك أن تقرع به سن نادم

فقال عبد الله يجيبه معاوى ان المرء عمرا أبت له
ضغينة صدر غشها غير نائم
يرى لك قتلى يا ابن هند وانما
يرى ما يرى عمرو مولاك الاعاجم
على انهم لا يقتلون أسيرهم
اذا امتنعت منه عهود المسالم

وقد كان منا يوم صفين نقرة
عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذى مضى
ولا ما جرى الا كاضغاث حالم
فان تعف عنى تعف عن ذى قرابة
وان ترقتلى تستحل محارمى

ابن معاوية الفزارى وقيل سنة أربع وتسعين فى ذى الحجة وفيها توفى اسمعيل بن علية وأبو بكر بن عياش وله ست وتسعون سنة (عياش بالياء المثناة من تحت والشين المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة﴾

﴿(ذكر خلاف أهل حمص على الامين)﴾

فى هذه السنة خالف اهل حمص على الامين وعلى عاملهم اسحق بن سليمان فانتقل عنهم الى سلمية فعزله الامين واستعمل مكانه عبد الله بن سعيد الحرشى فقتل عدة من وجوههم وحبس عدة وألقى النار فى نواحيها فسألوا الامان فاجابهم ثم هاجوا بعد ذلك فقتل عدة منهم

﴿(ذكر ظهور الخلاف بين الامين والمأمون)﴾

وفى هذه السنة أمر الامين بالدعاء على المنابر لابنه موسى وكان السبب فى ذلك أن الفضل بن الربيع لما قدم العراق من طوس ونكث عهد المأمون أفكر فى أمره وعلم ان المأمون ان افضت اليه الخلافة وهو حى لم يبق عليه فسعى فى اغراء الامين وحثه على خلع المأمون والبيعة لابنه موسى بولاية العهد ولم يكن ذلك فى عزم محمد الامين فلم يزل الفضل يصغر عنده امر المأمون ويزين له خلعه وقال له ما تنتظر بعبد الله والقاسم فان البيعة كانت لك قبلهما وانما أدخل فيها بعدك ووافقه على هذا على بن عيسى بن ماهان والسندى وغيرهما فرجع الامين الى قولهم ثم انه احضر عبد الله بن خازم فلم يزل فى مناظرته حتى انقضى الليل وكان مما قال عبد الله انشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تكون اول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه وردر أى الخليفة قبله فقال اسكت فعبد الملك كان أفضل منك رأيا وأكمل نظرا يقول لا يجتمع فحلان فى اجمة ثم جمع القواد وعرض عليهم خلع المأمون فاجابوا ذلك وربما ساعده قوم حتى بلغ الى خزيمة بن خازم فقال يا أمير المؤمنين لم ينصحك من كذبك ولم يغشك من صدقك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك فان الغادر مخذول والناكث مفلول فاقبل الامين على على ابن عيسى بن ماهان فتبسم وقال لكن شيخ الدعوة ونائب هذه الدولة لا يخالف على امامه ولا يوهن طاعته ثم رفعه الى موضع لم يرفعه اليه قبلها لانه كان هو والفضل بن الربيع يعيبانه على الخلع ويلح الامين فى خلع المأمون حتى انه قال يوما للفضل بن الربيع يا فضل أحياة مع عبد الله لا بد من خلعه والفضل يغريه ويقول فتى ذلك اذا غلب على خراسان وما فيها فاول ما فعله ان كتب الى جميع العمال بالدعاء لابنه موسى بالامرة بعد الدعاء للمأمون وللمؤتمن فلما بلغ ذلك المأمون مع عزل المؤتمن عما كان بيده وأسقط اسم الامين من الطرز وقطع البريد عنه وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار لما بلغه حسن سيرة المأمون طلب الامان فاجابه الى ذلك فحضر عند المأمون وأقام هرثمة بسمرقند ومعه طاهر بن الحسين ثم قدم هرثمة على المأمون فاكرمه وولاه الحرس فانكر ذلك كله الامين فكان مما وتر عليه ان كتب الى العباس بن عبد الله بن مالك وهو عامل المأمون على الرى يأمره ان ينفذ بغرائب غروس الرى يريد امتحانه فبعث اليه بما امره وكتم ذلك عن المأمون وذى الرياستين فبلغ المأمون فعزله بالحسن بن على المأمونى ثم وجه الامين الى المأمون أربعة انفس وهم العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن على وعيسى بن جعفر بن المنصور وصالح صاحب المصلى ومحمد بن عيسى بن نهيك يطلب اليه ان يقدم ابنه موسى على نفسه ويحضر عنده فقد استوحش لبعده فبلغ الخبر المأمون فكتب الى عماله بالرى ونيسابور وغيرهما يأمرهم باظهار العدة والقوة ففعلوا ذلك وقدم الرسل على المأمون وابلغوه الرسالة وكان ابن ماهان أشار

فقال معاوية
أرى العفو عن عليا قريش
وسيلة
الى الله فى يوم العصيب
القماطر
ولست أرى قتل العداة
ابن هاشم
بادراك ثارى فى لؤى وعامر
بل العفو عنه بعد ما بان
جرمه
وزلت به احدى الجدود
العواثر
فكان أبوه يوم صفين جمرة
علينا فأردته ورماح شهابز
وحضر عبد الله بن هاشم
ذات يوم مجلس معاوية
فقال معاوية من يخبرنى
عن الجود والنجدة والمروءة
فقال عبد الله يا أمير المؤمنين
أما الجود فابتذال المال
والعطية قبل السؤال وأما
النجدة فالجراءة على
الاقدام والصبر عند ازوراد
الاقدام وأما المروءة
فالصلاح فى الدين والاصلاح
للمال والمحاماة عن الجار
ولما صرف على رضى الله
عنه قيس بن سعد بن عبادة
عن مصر وجه مكانه محمد
ابن أبى بكر فلما وصل اليها
كتب الى معاوية كتابا فيه
من محمد بن أبى بكر الى
الغاوى معاوية بن صخر
أما بعد فان الله بعظمته
وسلطانه خلق خلقه

بذلك وأخبر الامين ان أهل خراسان معه فلما سمع المأمون هذه الرسالة استشار الفضل بن سهل فقال له احضر هشاما والد علي وأحمد ابني هشام واستشره فاحضره واستشاره فقال له انما أخذت البيعة علينا على ان لا نخرج من خراسان فتى فعلت ذلك فلا بيعة لك في اعناقنا والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومتى هممت بالمسير اليه تعلقت بك يميني فاذا قطعت تعلقت بيساري فاذا قطعت تعلقت بلساني فاذا ضربت عنقي كنت أديت ما علي فقوي عزم المأمون على الامتناع فاحضر العباس وأعلمه انه لا يحضر وانه لا يقدم موسى على نفسه فقال العباس بن موسى ما عليك أيها الامير من ذلك فهذا جدي عيسى بن موسى قد خلع فاضره فصاح به ذو الرياستين اسكت ان جدك كان أسيرا في أيديهم وهذا بين أخواله وشيعته ثم قاموا فخلا ذو الرياستين بالعباس بن موسى واستمالاه ووعده امرة الموسم ومواضع من مصر فاجاب الى بيعة المأمون وسعى المأمون ذلك الوقت بالامام فكان العباس يكتب اليهم بالاخبار من بغداد ورجع الرسل الى الامين فأخبروه بامتناع المأمون وألح الفضل وعلي بن عيسى على الامين في خلع المأمون والبيعة لابنه موسى بن الامين وكان الامين قد كتب الى المأمون يطلب منه ان ينزل عن بعض كور خراسان وان يكون له عنده صاحب البريد يكاتبه بالاخبار فاستشار المأمون خواصه وقواده فاشاروا باحتمال هذا الشر والاجابة اليه خوفا من شر هو أعظم منه فقال لهم الحسن بن سهل أتعلمون ان الامين طلب ما ليس له قالوا نعم ويحتمل ذلك لضرر منعه قال فهل تثقون بكفه بعد اجابته فلا يطلب غيرها قالوا لا قال فان طلب غيرها فاتركون قالوا نمنعه قال فهذا خلاف ما سمعناه من قول الحكماء استصلح عاقبة أمرك باحتمال ما عرض من مكروه في يومك ولا تلتمس هدنة يومك باخطار أدخلته على نفسك في غدك فقال المأمون لذي الرياستين ما تقول أنت فقال اسعدك الله هل تأمن ان يكون الامين طالبك بفضل قوتك ليستظهر بها عليك بل انما أشار الحكماء بحمل ثقل ترجون به صلاح العاقبة فقال المأمون بايثار دعة العاجل صار الى فساد العاقبة في دنياه وآخرته فامتنع المأمون من اجابته الى ما طلب وأنفذ المأمون نقته الى الحد ولا يمكن أحدا من العبور الى بلاده الا معه نقة من ناحيته وحصر أهل خراسان ان يستمالوا برغبة أو رهبة وضبط الطرق بثقات أصحابه فلم يمكنوا من دخول خراسان الا من عرفوه وأتى بجواز أو كان تاجرا معروفا وفتشت الكتب وقيل لما أراد الامين ان يكتب الى المأمون يطلب بعض كور خراسان قال له اسمعيل بن صبيح يا أمير المؤمنين ان هذا مما يقوي التهمة وينبه على الحذر ولكن اكتب اليه فاعلمه حاجتك وما تحب من قربه والاستعانة به على ما ولاك الله واسأله القدوم عليك لترجع الى رأيه فيما تفعل واكتب اليه بذلك وسير الكتاب مع نفر وأمرهم ان يبلغوا الجهد في احضاره وسيروا معهم الهدايا الكثيرة فلما حضر الرسل عنده وقرأ الكتاب أشاروا عليه باجابة الامين وأعلموه ما في اجابته من المصلحة العامة والخاصة فاحضر ذا الرياستين وأقرأه الكتاب واستشاره فاشار عليه بلازمة خراسان وخوفه من القرب من الامين فقال لا يمكنني مخالفته واكثر القواد والاموال معه والناس مائلون الى الدرهم والدينار لا يرغبون في حفظ عهد ولا امانة ولست في قوة حتى امتنع وقد فارق جبغويه الطاعة والتوى خاقان ملك التبت وملك كابل قد استعد للغارة على ما يليه وملك اتراد بنده قد منع الصريبة وما لي بواحد من هذه الامور يد ولا أرى الا تخليه ما أنا فيه واللحاق بخاقان ملك الترك والاستجاره به لعلي آمن على نفسي فقال ذو الرياستين ان عاقبة الغدر شديدة وتبعة البغي غير مأمونة ورب مقهور قد عاد قاهرا وليس النصر

بلا عبث منه ولا ضعف في قوته ولا حاجة به الى خلقهم لكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم غويا ورشيدا وشقيا وسعيدا ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فانتخبه لعلمه واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا فكان أول من أجاب واناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب صدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه وسلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقا لا نظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له في فعله وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو أصدق الناس نية وأفضل الناس ذرية وخير الناس زوجة وأفضل الناس ابن عم اخوه الشاري بنفسه يوم موته وعمه سيد الشهداء يوم أحد وأبوه الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حوزته وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل وتجهدان في

بالكثرة والقلة والموت أيسر من الذل والضيم وما أرى ان تصير الى أخيك متجردا من قوادك وجندك كالرأس الذى فارق بدنه فتكون عنده كبعض رعيته يجرى عليك حكمه من غير ان تبدى عذرا فى قتال واكتب الى جبغوية وخاقان فولهما بلادهما وابعث الى ملك كابل بعض هداياخراسان وادعه واترك لملك اترادبنده ضريبته ثم اجمع اطرافك وضم جندك واضرب الخيل بالخيل والرجال بالرجال فان ظفرت والا لحقت بخاقان فعرف المأمون صدقه ففعل ما أشار به فرضى أولئك الملوك العصاة وضم جنده وجمعهم عنده وكتب الى الامين أما بعد فقد وصل كتاب أمير المؤمنين وانما أنا عامل من عماله وعون من أعوانه أمرنى الرشيد بلزوم الثغر ولعمرى ان مقامى به أردّ على أمير المؤمنين واعظم غناء للمسلمين من الشخوص الى أمير المؤمنين فان كنت مغتبطا بقربه مسرورا بمشاهدة نعمة الله عنده فان رأى أمير المؤمنين ان يقرنى على عملى ويعفينى من الشخوص فعل ان شاء الله فلما قرأ الامين كتاب المأمون علم انه لا يتابعه على ما يريده فكتب اليه يسأله ان ينزل عن بعض كور خراسان كما تقدم ذكره فلما امتنع المأمون أيضا من اجابته الى ما طلب أرسل جماعة لينا ظروه فى منع ما طلب منه فلما وصلوا الى الرى منعوا ووجدوا تدبيره محكما وحفظوا فى حال سفرهم واقامتهم من ان يخبروا ويستخبروا وكانوا معدين لوضع الاخبار فى العامة فلم يمكنهم ذلك فلما رجعوا أخبروا الامين بما رأوا وقيل ان الامين لما عزم على خلع المأمون وزين له ذلك الفضل وابن ماهان دعا يحيى بن سليم وشاوره فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين كيف تفعل ذلك مع ما قد أكد الرشيد من بيعته وأخذ الشرائط والايمان فى الكتاب الذى كتبه فقال الامين ان رأى الرشيد كان فلتة شبهها عليه جعفر بن يحيى فلا ينفعنا ما نحن فيه الا بخلعه وقلعه واحتشاشه فقال يحيى اذا كان رأى أمير المؤمنين خلعه فلا تجاهره فيستنكر الناس ذلك ولكن تستدعى الجند بعد الجند والقائد بعد القائد وتؤنسهم بالالطاف والهدايا وتفرق نقاته ومن معه وترغبهم بالاموال فاذا وهنت قوته واستفرغت رجاله أمرته بالقدوم عليك فان قدم صار الى الذى تريد منه وان أبى كنت قد تناولته وقد كل حده وانقطع عزه فقال الامين أنت مهذار خطيب ولست بذى رأى مصيب قم فالحق بعدادك وأقلامك وكان ذو الرياستين الفضل بن سهل قد اتخذ قوما يثق بهم ببغداد يكاتبونه بالاخبار وكان الفضل بن الربيع قد حفظ الطرق وكان أحد أولئك النفر اذا كاتب ذا الرياستين بما تجدد ببغداد يسير الكتاب مع امرأة وجعله فى عودا كفاف وتسير كالمجتازة من قرية الى قرية فلما ألح الفضل بن الربيع فى خلع المأمون أجابه الامين الى ذلك وبايع لولده موسى فى صفر وقيل فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين ومائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسماه الناطق بالحق ونهى عن ذكر المأمون والمؤتمن على المنابر وأرسل الى الكعبة بعض الحجبة فاتاه بالكتابين اللذين وضعهما الرشيد فى الكعبة ببيعة الامين والمأمون فاحضرهما عنده فمزقهما الفضل فلما أتت الاخبار الى المأمون بذلك قال لذى الرياستين هذه امور أخبر الرأى عنها وكفانا ان نكون مع الحق فكان أول ما دبره ذو الرياستين حين بلغه ترك الدعاء للمأمون وصح عنده ان جمع الاجناد الذين كان اتخذهم بجنبات الرى مع الاجناد الذين كانوا بها وأمدهم بالاقوات وغيرها وكانت البلاد عندهم قد اجدبت فاكثر عندهم ما يريدونه حتى صاروا فى ارغد عيش واقاموا بالحد لا يتجاوزونه ثم أرسل اليهم طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن اسعد أبا العباس الخزاعى أميرا فيمن ضم اليه من قواده وأجناده فسار مجدا حتى ورد الرى فنزلها فوضع المسالح والمواصل فقال بعض شعراء خراسان

اطفاء نور الله تجمعان على
ذلك الجموع وتبذ لان فيه
المال وتؤلبان عليه القبائل
على ذلك مات أبوك وعليه
خلفته والشهيد عليك من
تدنى ويلجأ اليك من بقية
الاحزاب ورؤساء النفاق
والشاهد العلى مع فضله
المبين القديم أنصاره الذين
معه الذين ذكرهم الله
بفضلهم وأثنى عليهم من
المهاجرين والانصار وهم
معه كتائب وعصائب
يرون الحق فى اتباعه
والشقاء فى خلافه فكيف
يالك الويل تعدل نفسك
بعلى وهو وارث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وآله
ووصيه وأبو ولده أول الناس
له اتباعا وأقربهم به عهدا
يخبره بسره ويطلعه على
أمره وأنت عدوه وابن
عدوه فتمتع فى دنياك
ما استطعت بباطلك
وليمدك ابن العاص فى
غوايتك فكان أجلك قد
انقضى وكيدك قد وهى ثم
يتبين لك لمن تكون العاقبة
العليا واعلم انك انما تكايد
ربك الذى آمنك كيده
ويئست من روحه فهو لك
بالمرصاد وأنت منه فى غرور
والسلام على من اتبع
الهدى (فكتب اليه
معاوية) من معاوية بن صخر

رمى اهل العراق ومن عليها * امام العدل والملك الرشيد
باحزم من نشا رأيا وحزما * وكيدا انافذا اما يكيد
بداهية تؤد خنيفقيق * يشيب لهول صولتها الوليد

فاما الامين فانه وجه عصمة بن حماد بن سالم الى همذان فى ألف رجل وأمره ان يوجه مقدمته الى ساوة ويقيم بهمذان وجعل الفضل بن الربيع وعلى بن عيسى يبعثان الامين ويغريانه بحرب المأمون ولما بايع الامين لولده موسى جعله فى حجر على بن عيسى وجعل على شرطه محمد بن عيسى ابن نهيك وعلى حرسه عثمان بن عيسى بن نهيك وعلى رسائله على بن صالح صاحب المصلى

﴿ذكر خلاف أهل تونس على ابن الاغلب﴾

فى هذه السنة عصى عمران بن مجالد الربعى وقريش بن التونسى بتونس على ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية واجتمع فيها خلق كثير وحصر ابراهيم بن الاغلب بالقصر وجمع من أطاعه وخالف عليه أيضا أهل القيروان فى جمادى الآخرة فكانت بينهم وقعة وحرب قتل فيها جماعة من رجال ابن الاغلب وقدم عمران بن مجالد فيمن معه فدخل القيروان عاشر رجب وقدم قريش من تونس اليه فكانت بينهم وبين ابن الاغلب وقعة فى رجب فانهزم أصحاب ابن الاغلب ثم التقوا فى العشرين منه فانهزموا ثانية أيضا ثم التقوا ثالثة فيه أيضا فكان الظفر لابن الاغلب وأرسل عمران بن مجالد الى أسد بن الفرات الفقيه ليخرج معهم فامتنع فاعاد الرسول يقول له تخرج معنا والا أرسلت اليك من يجر برجلك فقال أسد للرسول قل له والله ان خرجت لاقولن للناس ان القاتل والمقتول فى النار فتركه

﴿ذكر عصيان أهل ماردة وغزو الحكم بلاد الفرنج﴾

فى هذه السنة عاود أهل ماردة الخلاف على الحكم بن هشام أمير الاندلس وعصوا عليه فسار بنفسه اليهم وقاتلهم ولم تزل سراياه وجيوشه تتردد الى مقاتلتهم هذه السنة وسنة خمس وسنة ست وتسعين ومائة وطمع الفرنج فى ثغور المسلمين وقصدوها بالغارة والقتل والنهب والسبى وكان الحكم مشغولا باهل ماردة فلم يتفرغ للفرنج فاتاه الخبر بشدة الامر على أهل الثغور وما بلغ العدو منهم وسمع ان امرأة مسلمة أخذت سبية فنادت واغوثاه ياحكم فعظم الامر عليه وجمع عسكره واستعد وحشد وسار الى بلد الفرنج سنة ست وتسعين ومائة واثخن فى بلادهم وافتتح عدة حصون وخرب البلاد ونهبها وقتل الرجال وسبى الحريم ونهب الاموال وقصد الناحية التى كانت بها تلك المرأة فامر لهم من الاسرى بما يفادون به أسراهم وبالغ فى الوصية فى تخليص تلك المرأة فتخلصت من الاسر وقتل باقى الاسرى فلما فرغ من غزاته قال لاهل الثغور هل أغاثكم الحكم فقالوا نعم ودعوا له وأثنوا عليه خيرا وعاد الى قرطبة مظفرا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها وثبت الروم على ملكهم ميخائيل فهرب وترهب وكان ملك نحو سنتين وملك بعده ألیون القائد وكان على الموصل ابراهيم بن العباس استعمله الامين وفى هذه السنة قتل شقيق البلخى الزاهد فى غزاة كولان من بلاد الترك وفيها مات الوليد بن مسلم صاحب الاوزاعى وقيل سنة خمس وتسعين وكان مولده سنة عشر ومائة وفيها مات حفص بن غياث النخعى قاضى الكوفة وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة (غياث بالغين المعجمة) وفيها توفى عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى وكان مولده سنة ست عشرة ومائة وكان قد اختلط فى آخر عمره وكان حديثه صحيحا الى ان

اختلط

الى الزارى على أبيه محمد بن أبى بكر أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر فيه ما الله أهله فى عظمته وقدرته وسلطانه وما اصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير لك فيه تضعيف ولابيك فيه تعنيف ذكرت فيه فضل ابن أبى طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته اياه فى كل هول وخوف فكان احتجاجك على وعيبك لى بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد باصرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقدكنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبى طالب وحقه لازما للناس مبرورا علينا فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته فابلج حجته وقبضه الله اليه صلوات الله عليه كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه على أمره على ذلك اتفقا واتسقا ثم انهما دعواه الى بيعتهما فابطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به الهموم وأرادا به العظيم ثم انه بايع لهما وسلم لهما وأقاما لا يشركانه فى أمرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار

اختلط وفيها توفى سيبويه النحوى واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشير وقيل كان توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة قيل وكان عمره قد زاد على أربعين سنة وقيل كان عمره اثنتين وثلاثين سنة وفيها توفى يحيى بن سعيد بن ابان بن سعيد بن العاص وعمره أربع وسبعون سنة

﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر قطع خطبة المأمون﴾

فى هذه السنة أمر الامين باسقاط ما كان ضرب لاخيه المأمون من الدراهم والدنانير بخراسان فى سنة أربع وتسعين ومائة لانها لم يكن عليها اسم الامين وامر فدعى لموسى بن الامين على المنابر ولقبه الناطق بالحق وقطع ذكر المأمون لقول بعضهم وكان موسى طفلا صغيرا ولابنه الآخر عبد الله ولقبه القائم بالحق

﴿ذكر محاربة على بن عيسى وطاهر﴾

ثم ان الامين أمر على بن عيسى بن ماهان بالمسير لحرب المأمون وكان سبب مسيره دون غيره ان ذا الرياستين كان له عين عند الفضل بن الربيع يرجع الى قوله ورأيه فكتب ذو الرياستين الى ذلك الرجل يأمره أن يشير بانفاذ ابن ماهان لحربهم وكان مقصوده ان ابن ماهان لما ولى خراسان أيام الرشيد أساء السيرة فى أهلها فظلمهم فعزله الرشيد لذلك ونفر أهل خراسان عنه وأبغضوه فاراد ذو الرياستين ان يزداد اهل خراسان جدا فى محاربة الامين وأصحابه ففعل ذلك الرجل ما أمر ذو الرياستين فامر الامين ابن ماهان بالمسير وقيل كان سببه ان عليا قال للامين ان أهل خراسان كتبوا اليه يذكرون أنه ان قصدهم هو أطاعوه وانقادوا له وان كان غيره فلا فامره بالمسير وأقطعه كور الجبل كلها نهاوند وهمذان وقم واصبهان وغير ذلك وولاه حربها وخراجها وأعطاه الاموال وحكمه فى الخزائن وجهز معه خمسين ألف فارس وكتب الى أبى دلف القاسم ابن ادريس بن عيسى العجلى وهلال بن عبد الله الحضرمى بالانضمام اليه وامده بالاموال والرجال شيأ بعد شئ فلما عزم على المسير من بغداد ركب الى باب زبيدة أم الامين ليودعها فقالت له يا على ان أمير المؤمنين ان كان ولدى واليه انتهت شفقتى فانى على عبد الله منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى وانما ابنى ملك نافس أخاه فى سلطانه الكريم يأكل لحمه ويقيه غيره فاعرف لعبد الله حق ولادته واخوته ولا تجبهه بالكلام فانك لست بنظيره ولا تقتسره اقتسار العبيد ولا توهنه بقيد ولا غل ولا تمنع عنه جارية ولا خادما ولا تعنف عليه فى السير ولا تساوه فى المسير ولا تركب قبله وخذ بركابه وان شتمك فاحتمل منه ثم دفعت اليه قيدا من فضة وقالت ان صار اليك فقيده بهذا القيد فقال لها سأفعل مثل ما أمرت ثم خرج على بن عيسى فى شعبان وركب الامين بشيعته ومعه القواد والجنود وذكر مشايخ بغداد انهم لم يروا عسكرا أكثر رجالا وأفره كراعا وأتم عدة وسلاحا من عسكره ووصاه الامين وأمره ان قاتله المأمون ان يحرص على اسره ثم سار فلقيه القوافل عند جلولاء فسألهم فقالوا له ان طاهرا مقيم بالرى يعرض أصحابه ويرم آلته والامداد تأتيه من خراسان وهو يستعد للقتال فيقول انما طاهر شوكة من اغصانى وما مثل طاهر يتولى الجيوش ثم قال لاصحابه ما بينكم وبين ان ينقصف انقصاف الشجر من الريح العاصف الا ان يبلغه عبورنا عقبة همذان فان السحال لا تقوى على النطاح والبغال لا صبر لها على لقاء الاسد وان اقام تعرض لحد السيف واسنة الرماح واذا قاربنا الرى ودنونا منهم فت ذلك فى اعضادهم ثم انفذ الكتب الى ملوك الديلم وطبرستان وما والاهما من الملوك يعدهم الصلات

بسيرها فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الاقاصى من أهل المعاصى فطلبتماله الغوائل وأظهرتما عداوتكما حتى بلغتما فيه منا كما فخذ حذرك يا ابن أبى بكر وقس شبرك بفترك يقصر عن أن توازى أو تساوى من زن الجبال بحلمه لا يلين عن قسر قناته ولا يدرك ذو مقال أناته مهد مهاده وبنى لملكه وشاده فان يك ما نحن فيه صوابا فابوك استبد به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبى طالب ولسلمنا اليه ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فاخذنا بمثله فعب أباك بما بدا لك أودع ذلك والسلام على من أناب (ومما كتب به معاوية الى على) أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نرد به ما مضى ونصلح به ما بقى وقد كنت سألتك الشأم على ان لا تلزمنى لك طاعة وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من القتال الا ما أخاف وقد والله رقت

الاجناد وذهبت الرجال
ونحن بنو عبد مناف وليس
لبعضنا على بعض فضل
يستذل به عزيز و يسترق
به حر والسلام (فكتب اليه
علي كرم الله وجهه) من
علي بن أبي طالب الى
معاوية بن أبي سفيان أما
بعد فقد جاءني كتابك
تذكر فيه انك لو علمت ان
الحرب تبلغ بنا وبك
ما بلغت لم يجنها بعضنا على
بعض وأنا وإياك نلتمس
منها غاية لم نبلغها بعد فاما
طلبك مني الشأم فاني لم
أكن لأعطيك اليوم
ما منعتك أمس وأما
استواؤنا في الخوف
والرجاء فلست بأمضى على
الشك مني على اليقين
وليس أهل الشأم على
الدنيا بأحرص من أهل
العراق على الآخرة وأما
قولك نحن بنو عبد مناف
فكذلك نحن وليس أمية
كهاشم ولا حرب كعبد
المطلب ولا أبو سفيان
كأبي طالب ولا الطليق
كالمهاجر ولا المبطل كالمحق
وفي أيدينا فضل النبوة التي
فتلنا بها العزيز و بعنا بها
الحر والسلام (وحدث)
أبو جعفر محمد بن جرير
الطبري عن محمد بن حميد
الرازي عن أبي مجاهد عن
محمد بن اسحق بن أبي

واهدى لهم التيجان والاسورة وغيرها وامرهم أن يقطعوا طريق خراسان فاجابوه الى ذلك
وسار حتى اتى اوّل اعمال الرى وهو قليل الاحتيال فقال له جماعة من اصحابه لو أركبت العيون
وعملت خندقا لاصحابك وبعثت الطلائع لامنت البيات وفعلت الرأى فقال مثل طاهر
لا يستعدّله وان حاله يؤول الى امرين اما ان يتحصن بالرى فيبيته اهلها فيكفونا امره واما ان يرجع
و يتركها اذا قربت خيلنا منه فقالوا له لو كان عزمه تركها والرجوع لفعل فانا قد قربنا منه فلم
يفعل ولما صار بينه و بين الرى عشرة فراسخ استشار طاهر اصحابه فاشاروا عليه ان يقيم بالرى
و يدافع القتال الى ان يأتيه من خراسان المدد وقائد يتولى الامور دونه وقالوا له ان مقامك ارفق
باصحابك واقدر لهم على الميرة واكن من البرد فتعتصم بالبيوت وتقدر على المطاولة فقال طاهر ان
الرأى ليس ما رأيتم ان أهل الرى لعلى هاتبون ومن سطوته مشفقون ومعه من اعراب البوادى
وصعاليك الجبال والقرى كثير ولست آمن ان اقمت بالرى أن يثب أهلها بنا خوفا من علي وما
الرأى الا ان نسير اليه فان ظفرنا والا عوّلنا عليها فقاتلناه فيها الى ان يأتينا مدد فنادى طاهر في
أصحابه فخرج من الرى في أقل من أربعة آلاف فارس وعسكر على خمسة فراسخ فاتاه احمد بن
هشام وكان على شرطة طاهر فقال له ان أتانا علي بن عيسى فقال أنا عامل امير المؤمنين واقررناله
بذلك فليس لنا ان نحاربه فقال طاهر لم يأتني في ذلك شيء فقال دعني وما أريد فقال افعل فصعد
المنبر فخلع محمدا ودعا للمأمون بالخلافة وسار واعنهما وقال له بعض اصحابه ان جندك قد هابوا هذا
الجيش فلو أخرت القتال الى ان يشامهم اصحابك و يأنسوا بهم و يعرفوا وجه المأخذ في قتالهم
فقال اني لا أوتى من قلة تجربة وحزم ان اصحابي قليل والقوم عظيم سوادهم كثير عددهم
فان أخرت القتال اطلعوا على قلتنا واستمالوا من معي برغبة ورهبة فيخذلني أهل الصبر والحفاظ
ولكن الف الرجال بالرجال والحم الخيل على الخيل واعتمد على الطاعة والوفاء واصبر صبر محتسب
للخير حريص على الفوز بالشهادة فان نصرنا الله فذلك الذي نريده ونرجوه وان تكن الاخرى
فلست باوّل من قاتل وقتل وما عند الله أجزل وافضل وقال علي لاصحابه بادروهم فانهم قليلون ولو
وجدوا حرارة السيوف وطعن الرماح لم يصبروا عليها وعبا جنده ميمنة وميسرة وقلبا وعبا عشر
رايات مع كل راية مائة رجل وقدّمها راية راية وجعل بين كل رايتين غلوة سهم وأمر أمراءها اذا
قاتلت الراية الاولى وطال قتالهم ان تتقدم التي تليها وتتأخر هي حتى تستريح وجعل أصحاب
الجواشن امام الرايات ووقف في شجعان أصحابه وعبا طاهر أصحابه كراديس وسار بهم يحرضهم
و يوصيهم و يرجيهم وهرب من اصحاب طاهر نفر الى علي فجلد بعضهم واهان الباقين فكان ذلك
مما ألب الباقين على قتاله وزحف الناس بعضهم الى بعض فقال احمد بن هشام لطاهر ألا تذكر
علي بن عيسى البيعة التي أخذها وعلينا للمأمون خاصة معاشر أهل خراسان قال افعل فاخذ
البيعة فعلقها على رمح وقام بين الصفين وطلب الامان فأمنه علي بن عيسى فقال له ألا تتقي الله عز
وجل اليس هذه نسخة البيعة التي أخذتها انت خاصة اتق الله فقد بلغت باب قبرك فقال علي من
اتاني به فله ألف درهم فشتمه أصحاب أحمد وخرج من أصحاب علي رجل يقال له حاتم الطائي
فحمل عليه طاهر وأخذ السيف بيديه وضربه فصرعه فلذلك سمي طاهر ذا اليمينين ووثب أهل الرى
فاغلقوا باب المدينة فقال طاهر لاصحابه اشتغلوا بمن اماميكم عمن خلفكم فانه لا ينجيكم الا الجد
والصدق ثم اقتتلوا قتالا شديدا وحملت ميمنة علي على ميسرة طاهر فانهزمت هزيمة منكرة
وميسرته على ميمنة طاهر فازالتها أيضا عن موضعها فقال طاهر احملوا جدكم وبأسكم على القلب

احملوا

واحملوا حملة خارجية فانكم متى فضضتم منهم راية واحدة رجعت أوائلها على اواخرها فصبر أصحابه صبرا صادقا وحملوا على اوّل رايات القلب فهزموهم واكثروا فيهم القتل ورجعت الرايات بعضها على بعض فانقضت ميمنة على ورأى ميمنة طاهر وميسرته ما فعل اصحابهم فرجعوا على من بازائهم فهزموهم وانتهت الهزيمة الى على فجعل ينادى اصحابه اين اصحاب الخواص والحواثر والاسورة والاكاليل الى الكرة بعد الفرة فرماه رجل من اصحاب طاهر بسهم فقتله وقيل داود سياه هو الذى حمل رأسه الى طاهر وشدّت يداه الى رجليه وحمل على خشبة الى طاهر فأمر به فألقى فى بئر فاعتق طاهر من كان عنده من غلمانه شكرا لله تعالى وتمت الهزيمة ووضع أصحاب طاهر فيهم السيوف وتبعوهم فرسخين واقاموهم فيها اثنتى عشرة مرة فى كل ذلك ينهزم عسكر الامين واصحاب طاهر يقتلون ويأسرون حتى حال الليل بينهم وغنموا غنيمة عظيمة ونادى طاهر من القى سلاحه فهو آمن فطرحوا أسلحتهم ونزلوا عن دوابهم ورجع طاهر الى الرى وكتب الى المأمون وذى الرياستين بسم الله الرحمن الرحيم كتابى الى أمير المؤمنين ورأس على بن عيسى بين يدى وخاتمه فى اصبعى وجنده مصرفون تحت أمرى والسلام فورد الكتاب مع البريد فى ثلاثة ايام وبينهما نحو من خمسين ومائتى فرسخ فدخل ذو الرياستين على المأمون فهناه بالفتح وأمر الناس فدخلوا عليه فسلموا عليه بالخلافة ثم وصل رأس على بعد الكتاب بيومين فطيف به فى خراسان ولما وصل الكتاب بالفتح كان المأمون قد جهز جيشا كثيرا ليسيره نجدة لطاهر فاتاه الخبر بالفتح وأما الامين فانه أتاه نعى على بن عيسى وهو يصطاد السمك فقال للذى اخبره ويلك دعنى فان كوثرا قد اصطاد سمكتين وانا ما صدت شيأ بعد ثم بعث الفضل الى نوفل الخادم وهو وكيل المأمون على ملكه بالسواد والناظر فى أمر أولاده ببغداد وكان للمأمون معه الف الف درهم كان قد وصله بها الرشيد فاخذ جميع ما عنده وقبض ضياعه وغلاته فقال بعض شعراء بغداد فى ذلك

اضاع الخلافة غش الوزير * وفسق الامير وجهل المشير
فضل وزير وبكر مشير * يريدان ما فيه حتف الاسير
وما ذاك الا طريق غرور * وشر المسالك طرق الغرور

فى عدة أبيات تركتها لما فيها من القذف الفاحش ولقد عجبت لابى جعفر حيث ذكرها مع ورعه وندم الامين على ذلك وغدره ومشى القواد بعضهم الى بعض فى النصف من شوّال فاتفقوا على طلب الارزاق والشغب فعلموا ذلك ففرق فيهم مالا كثيرا بعد أن قاتلهم عبد الله بن خازم فمنعه الامين

﴿ذكر توجيه عبد الرحمن بن جبلة﴾

لما اتصل بالامين قتل على بن عيسى وهزيمة عسكره وجه عبد الرحمن بن جبلة الانبارى فى عشرين ألف رجل نحو همذان واستعمله عليها على ما يفتحه من ارض خراسان وأمره بالجد وامده بالاموال فسار حتى نزل همذان وحصنها ورمم سورها وأتاه طاهر الى همذان فخرج اليه عبد الرحمن على تعبية فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان وكثر القتل والجراح فيهم ثم انهزم عبد الرحمن ودخل همذان فاقام بها أياما حتى قوى أصحابه واندمل جراحهم ثم خرج الى طاهر فلما رآهم قال لاصحابه ان عبد الرحمن يريد ان يتراءى لكم فاذا قربتم منه قاتلكم فان هزمتموه ودخل المدينة قاتلكم على خندقها وان هزمكم اتسع له المجال ولكن قفوا قريبا من عسكرنا وخندقنا فان قرب منا قاتلناه فوقفوا فظن عبد الرحمن ان الهيبة منعتهم فتقدم اليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان وكثر القتل فى أصحاب عبد الرحمن وجعل يطوف عليهم ويحرضهم ويأمرهم بالصبر

نجيح قال لما جاء معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية فى على وشرع فى سبه فزحف سعد ثم قال أجلستنى معك على سريرك ثم شرعت فى سب على والله لان يكون فى خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحب الىّ من ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لان أكون صهر الرسول صلى الله عليه وسلم لى من الولد ما على أحب الى من يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ما قاله يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه أحب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ما قال له فى غزوة تبوك الا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبى بعدى أحب الى من أن

ثم ان رجلا من أصحاب طاهر حمل على صاحب علم عبد الرحمن فقتله وزحمهم أصحاب طاهر فانهزموا ووضع فيهم أصحاب طاهر السيوف يقتلونهم حتى انتهوا الى المدينة وأقام طاهر على بابها محاصرا لها فاشتد بهم الحصار وضجر أهل المدينة فخاف عبد الرحمن ان يثب به أهل المدينة مع ما فيه أصحابه من الجهد فارسل الى طاهر يطلب الامان لنفسه ولمن معه فامنه فخرج عن همذان

﴿ذكر استيلاء طاهر على أعمال الجبل﴾

لما نزل طاهر بباب همذان وحصر عبد الرحمن بها تخوف ان يأتيه كثير بن قادرة من ورائه وكان بقزوين فامر أصحابه بالقيام وسار في ألف فارس نحو قزوين فلما سمع به كثير بن قادرة وكان في جيش كثيف هرب من بين يديه واجلى قزوين وجعل طاهر فيها جندا واستعمل عليها رجلا من أصحابه وأمره ان يمنع من أراد دخولها واستولى على سائر أعمال الجبل معها

﴿ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة﴾

في هذه السنة قتل عبد الرحمن بن جبلة الانباري وكان سبب قتله انه لما خرج في أمان طاهر أقام يرى طاهرا وأصحابه انه مسلم لهم راض بأمانهم ثم اغترهم وهم آمنون فركب في أصحابه وهجم على طاهر وأصحابه ولم يشعروا فثبت له رجالة طاهر وقاتلوه حتى أخذت الفرسان اهبتها واقتتلوا أشد قتال رآه الناس حتى تقطعت السيوف وتكسرت الرماح وانهزم عبد الرحمن وبقي في نفر من أصحابه فقاتل وأصحابه يقولون له قد أمكنك الهرب فاهرب فقال لا يرى أمير المؤمنين وجهي منهزما أبدا ولم يزل يقاتل حتى قتل وانتهى من انهزم من أصحابه الى عبد الله وأحمد ابني الحرشي وكانا في جيش عظيم بقصر اللصوص قد سيره الامين معونة لعبد الرحمن فلما بلغ المنهزمون اليهما انهزما أيضا في جندهما من غير قتال حتى دخلوا بغداد وخلت البلاد لطاهر فاقبل يحوزها بلدة بلدة وكورة كورة حتى انتهى الى شلاشان من قرى حلوان فخندق بها وحصن عسكره وجمع أصحابه

﴿ذكر خروج السفياني﴾

في هذه السنة خرج السفياني وهو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية وأمه نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب وكان يقول انا من شيخي صفين يعني عليا ومعاوية وكان يلقب بابي العميطر لانه قال يوما لجلسائه أي شيء كنية الحرذون قالوا لا ندري قال هو أبو العميطر فلقبوه به ولما خرج دعا لنفسه بالخلافة في ذي الحجة وقوي على سليمان بن المنصور عامل دمشق فاخرجه عنها واعانه الخطاب بن وجه الفلس مولى بني أمية وكان قد تغلب على صيدا ولما خرج سير اليه الامين الحسن بن علي بن عيسى بن ماهان فبلغ الرقة ولم يسر الى دمشق وكان عمر أبي العميطر حين خرج تسعين سنة وكان الناس قد أخذوا عنه علما كثيرا وكان حسن السيرة فلما خرج ظلم وأساء السيرة فتركوا ما نقلوا عنه وكان أكثر أصحابه من كلب وكتب الى محمد بن صالح بن بهس الكلابي يدعوه الى طاعته ويتهدده ان لم يفعل فلم يجبه الى ذلك فاقبل السفياني على قصد القيسية فكتبوا الى محمد بن صالح فاقبل اليهم في ثلثمائة فارس من الضباب وموالية واتصل الخبر بالسفياني فوجه اليه يزيد بن هشام في اثني عشر الفا فالتقوا فانهزم يزيد ومن معه وقتل منهم الى ان دخلوا أبواب دمشق زيادة على الفي رجل واسر ثلاثة آلاف فاطلقهم ابن بهس وحلق رؤسهم ولحاهم وضعف السفياني وحصر بدمشق ثم جمع جمعا وجعل عليهم ابنه القاسم وخرجوا الى ابن بهس فالتقوا فقتل القاسم وانهزم اصحاب السفياني وبعث برأسه الى الامين ثم جمع جمعا آخر وسيرهم مع مولاه المعتمر فلقيهم ابن بهس فقتل المعتمر وانهزم اصحابه فوهن امر ابي العميطر

يكون لي ما طلعت عليه الشمس وايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ونهض (ووجدت) في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الاخبار عن ابن عائشة وغيره ان سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندي قط ألأم منك الآن فهلا نصرته ولم قعدت عن بيعته فاني لو سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي سمعت فيه لكنت خادما لعلي ما عشت فقال سعد والله اني لاحق بموضعك منك فقال معاوية يأبى عليك بنو عذرة وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة قال النوفلي وفي ذلك يقول السيد محمد الحميري

سائل قريشا بها ان كنت ذا عمه
من كان أثبتها في الدين أوتادا
من كان أقدمها سلما وأكثرها

وطمع فيه قيس ثم مرض ابن بيهس فجمع رؤساء بني غير فقال لهم ترون ما اصابني من علتي هذه فارفقوا ببني مروان وعليكم بمسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك فانه ركيك وهو ابن أختكم واعلموا انكم لا تتبعون بني أبي سفيان وبايعوه بالخلافة وكيدوا به السفياني وعاد ابن بيهس الى حوران واجتمعت غير على مسلمة وبذلوا له البيعة فقبل منهم وجمع موالية ودخل على السفياني فقبض عليه وقيده وقبض على رؤساء بني أمية فبايعوه وأدنى قيسا وجعلهم خاصته فلما عوفي ابن بيهس عاد الى دمشق فحصرها فسلمها اليه القيسية وهرب مسلمة والسفياني في ثياب النساء الى المزة وكان ذلك في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ودخل ابن بيهس دمشق وغلب عليها وبقي بها الى ان قدم عبد الله بن طاهر دمشق ودخل الى مصر وعاد الى دمشق وأخذ ابن بيهس معه الى العراق فمات بها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وكان العامل على مكة والمدينة لمحمد الامين داود بن عيسى بن موسى وهو الذي حج بالناس سنة ثلاث وتسعين أيضا وكان على الكوفة العباس بن الهادي للامين وعلى البصرة له أيضا منصور ابن المهدي * وفيها مات محمد بن خازم أبو معاوية الضرير وكان يتشيع وهو ثقة في الحديث وفيها توفي أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر المشهور وكان عمره تسعا وخمسين سنة ودفن بالشونيزي ببغداد ومحمد بن فضل بن غزوان بن جرير الضبي مولاهم ويوسف بن اسباط أبو يعقوب

﴿ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر توجيه الامين الجيوش الى طاهر وعودهم من غير قتال﴾

في هذه السنة سير الامين اسد بن يزيد بن مزيد وسير عمه أحمد بن مزيد وعبد الله بن حميد بن قحطبة الى حلوان لحرب طاهر وكان سبب ذلك ما ذكره اسد قال قال انه لما قتل عبد الرحمن أرسل الى الفضل بن الربيع يستدعيني فجئته ودخلت عليه وهو قاعد بيده رقعة قد قرأها وقد احمرت عيناه فاشتد غضبه وهو يقول ينام نوم الطائر وينتبه انتباه الذئب الذئب همه بطنه يقاتل الرعاء والكلاب ترصده لا يفكر في زوال نعمة ولا يروي في امضاء رأي قد ألهاه كأسه وشغله قدحه فهو يجري في لهوه والايام توضع في هلاكه قد شمر له عبد الله عن ساق وفوق له اصوب اسهمه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ والموت القاصد وقد عبى له المنايا على ظهور الخيل وناط له البلاء في اسنة الرماح وشفار السيوف ثم استرجع وتمثل بشعر البعيث

ومجدولة جدل العنان خريدة * لها شعر جعد ووجه مقسم
وثغر نقي اللون عذب مذاقه * تضيء له الظلماء ساعة تبسم
وثديان كالحقين والبطن ضامر * خميص ووجه ناره تتضرم
لهوت بها الميل التمام ابن خالد * وانت بحر والر وذغيظا تجرم
اظل اناغيها وتحت ابن خالد * اميمة نهد المرفقين عثمثم
طواه طراد الخيل في كل غارة * لها عارض فيه الاسنة ترزم
يقارع اتراك ابن حاقان ليلة * الى ان يرى الاصباح ما يتلعثم
فيصبح من طول الطراد وجسمه * نحيل واضحى في النعيم اصمم
اباكرها صهباء كالمسك ريحها * لها أرج في دنها حين يرسم

علما وأطهرها أهلا وأولادا
من وحد الله اذ كانت مكذبة
تدعو مع الله أوثانا وأندادا
من كان يقدم في الهيجاء ان نكلوا
عنها وان بخلوا في أزمة جادا
من كان أعدلها حكما وأقسطها
حلما وأصدقها وعدا وايعادا
ان يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن
ان أنت لم تلق للابرار حسادا
ان أنت لم تلق من تيم أخا صلف
ومن عدي لحق الله جحادا
أو من بني عامر أو من بني أسد
رهط العبيد ذوي جهل وأوغادا
أو رهط سعد وسعد كان قد علموا
عن مستقيم صراط الله صدادا
قوم تداعوا زنيما ثم ساءهم
لولا خمول بني زهر لما سادا
وكان سعد واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن

فشتان ما بيني وبين ابن خالد * اميّة في الرزق الذي الله يقسم

ثم التفت الى فقال ابا الحرث انا واياك نجري الى غاية ان قصرنا عنها ذممنا وان اجتهدنا في بلوغها انقطعنا وانما نحن شعب من أصل ان قوي قوينا وان ضعف ضعفنا ان هذا الرجل قد القى بيده القاء الامة الوكعاء يشاور النساء ويعتزم على الرويا وقد امكن مامعه من اهل اللهو والجسارة فهم يعدونه الظفر ويمنونه عقب الايام والهلاك اسرع اليه من السيل الى قيعان الوحل وقد خشيت والله أن نهلك بهلاكه ونعطب بعطبه وأنت فارس العرب وابن فارسها وقد فزع اليك في هذا الامر ولقاءه هذا الرجل وأطمعه فيما قبلك أمران أحدهما صدق الطاعة وفضل النصيحة والثاني يمن نقيبتك وشدة بأسك وقد أمرني بازاحة ما عليك وبسط يدك فيما أحببت غير ان الاقتصاد رأس النصيحة ومفتاح اليمن والبركة أنجز حوائجك وعجل المبادرة الى عدوك فاني أرجو ان يوليك الله هذا الفتح ويلم بك شعث هذه الخلافة والدولة فقلت انا الطاعة أمير المؤمنين وطاعتك مقدم ولكل مادخل فيه الوهن على عدوه وعدوك حريص غير أن المحارب لا يعمل بالغدر ولا يفتح أمره بالتقصير والخلل وانما ملاك المحارب الجنود وملاك الجنود المال والذي اسأل أن يؤمر لاصحابي برزق سنة وتحمل معهم ارزاق سنة وتخص أهل الغناء والبلاء وأبدل من فيهم من الضعفي واحمل ألف رجل ممن معي على الخيل ولا أسأل عن محاسبة ما افتتحت من المدن والكور فقال قد اشططت ولا بد من مناظرة أمير المؤمنين ثم ركب وركبت معه فدخل قبلي على الامين واذن لي فدخلت فما كان الا كلمتان حتى غضب وامر بحبسي وقيل انه طلب ان يدفع ولد المأمون فان أطاعه والا قتلهما فقال الامين أنت اعرابي مجنون أدعوك الى ولاية أعنه العرب والعجم وأطعمك خراج كور الجبال الى خراسان وارفع منزلتك على نظرائك من ابناء القواد والملوك وتدعوني الى قتل ولدي وسفك دماء أهل بيتي ان هذا للخرف والتخليط وكان ببغداد ابنان للمأمون مع أمهما أم عيسى ابنة الهادي وقد طلبهما المأمون من أخيه في حال السلام فمنعه مادن المال الذي كان له فلما حبس اسد قال هل في أهل بيته من يقوم مقامه فاني أكره أن أفسدهم مع نباهتهم ومانقدم من طاعتهم ونصيحتهم قالوا نعم عمه أحمد بن مزيد وهو أحسنهم طريقة له بأس ونجدة وبصر بسياسة الحرب فانفذ اليه احضره فأتى الفضل فدخل عليه وعنده عبد الله بن حميد بن قحطبة وهو يريده على المسير الى طاهر وعبد الله يشط قال أحمد فلما رآني الفضل رحب بي ورفعني الى صدر المجلس ثم أقبل على عبد الله يداعيه ثم قال

اناوجدنا لكم اذ رث حبلكم * من آل شيبان أمادونكم وأبا

الا كثرون اذا عد الحصى عددا * والاقربون الينا منكم نسبا

فقال عبد الله اقسم لك ذلك وفهم سد الخلل ونكاء العدو ودفع معرة أهل المعصية عن أهل الطاعة فقال له الفضل ان أمير المؤمنين أجرى ذكرك فوصفتك له فاحب اصطناعك والتنويه باسمك وان يرفعك الى منزلة لم يبلغها أحد من أهل بيتك ثم مضى ومضيت معه الى الامين فدخلنا عليه فقال لي في حبس اسد واعتذر الي وأمرني بالمسير الى حرب طاهر فقلت سأبذل في طاعة أمير المؤمنين مهجتي وأبلغ في جهاد عدوه أفضل ما أقوله عندي ورجاه مني غنائي وكفايتي ان شاء الله تعالى فامر الفضل بان يمكنه من العساكر ياخذ منهم من أراد وأمره بالجد في المسير والتجهز فاخذ من العسكر عشرين ألف فارس وسار معه عبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفا وسار بهم الى حلوان وشفع في اسد ابن أخيه فاطلقه وأقام أحمد وعبد الله بخانقين وأقام طاهر بموضعه

سئلة ممن قعد عن علي بن أبي طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعاد عن بيعته وذلك انهم قالوا انها فتنة ومنهم من قال لعلي اعطنا سيوفا نقاتل بها معك فاذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم واذا ضربنا بها الكافرين سرت في أبدانهم فاعرض عنهم علي وقال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الاخباريين ان الامر لما أفضى الى معاوية أتاه أبو الطفيل الكناني فقال له كيف وجدك على خليلك أبي الحسن قال كوجد أم موسى على موسى وأشكوا الى الله التقصير فقال معاوية أكنت فيمن حضر قتل عثمان قال لا ولكني فيمن حضر فلم ينصره قال فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة قال منعني ما منعك اذ تربص به ريب المنون وانت بالشام قال أوما ترى طلبي بدمه نصرة له قال بلى ولكنك واياه كما قال

ودس الجواسيس والعيون وكانوا يرجفون فى عسكر أحمد وعبد الله ان الامين قد وضع العطاء لاصحابه وأمر لهم بالارزاق الوافرة ولم يزل يحتال فى وقوع الاختلاف بينهم حتى اختلفوا وانتقض أمرهم وقاتل بعضهم بعضا ورجعوا عن خانقين من غير ان يلقوا طاهرا وتقدم طاهر فنزل حلوان فلما نزلها لم يلبث الا يسيرا حتى أتاه هرثمة فى جيش من عند المأمون ومعه كتاب الى طاهر يأمره بتسليم ما حوى من المدن والكور الى هرثمة ويتوجه هو الى الاهواز ففعل ذلك وأقام هرثمة بحلوان وحصنها وسار طاهر الى الاهواز

﴿ ذكر الفضل بن سهل ﴾

فى هذه السنة خطب للأمون بامرة المؤمنين ورفع منزلة الفضل بن سهل وسبب ذلك انه لما أتاه خبر قتل ابن ماهان وعبد الرحمن بن جملة وصح عنده الخبر بذلك أمر ان يخطب له ويخاطب بامير المؤمنين ودعا الفضل بن سهل وعقد له على المشرق من جبل همذان الى اقصى التبت طولا ومن بحر فارس الى بحر الديلم وجرجان عرضا وجعل له عماله ثلاثة آلاف ألف درهم وعقد له لواء على سنان ذى شعبتين ولقبه ذا الرياستين رياسة الحرب والقلم وحمل اللواء على بن هشام وحمل القلم نعيم بن حازم وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج

﴿ ذكر عبد الملك بن صالح بن على وموته ﴾

قد ذكرنا قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح وحبسه اياه فلم يزل محبوسا حتى مات الرشيد فاخرجه الامين من الحبس فى ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين وأحسن اليه فشكر عبد الملك ذلك له فلما كان من طاهر ما كان دخل عبد الملك على الامين فقال له يا أمير المؤمنين أرى الناس قد طمعوا فيك وجندك قد أعيتهم الهوام وأضعفتهم الحروب وامتلأت قلوبهم هيبة لعدوهم فان سيرتهم الى طاهر غلب بقليل من معه كثيرهم وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم وأهل الشام قوم قد ضرستهم الحرب وأدبتهم الشدائد وكلاهم منقاد الى متنازع الى طاعتى وان وجهنى أمير المؤمنين اتخذت له منهم جندا يعظم نكايتهم فى عدوه فولاه الامين الشام والجزيرة وقواه بمال ورجال وسيره سيرا حثيثا فسار حتى نزل الرقة وكاتب رؤساء أهل الشام وأهل القوة والجلد واللباس فأتوه رئيسا بعد رئيس وجماعة بعد جماعة فأكرمهم ومناهم وخلع عليهم وكثر جمعه فمرض واشتد مرضه ثم ان بعض جند خراسان المقيمين فى عسكر الشام رأى دابة كانت أخذت منه فى وقعة سليمان بن أبى جعفر تحت بعض الزواقيل من أهل الشام أيضا فعلق بها واجتمع جماعة من الزواقيل والجند فتضاربوا واجتمعت الابناء وتألبوا وأتوا الزواقيل وهم غارون فوضعوا فيهم السيوف فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وتنادى الزواقيل فركبوا خيولهم ونشبت الحرب بينهم وبلغ ذلك عبد الملك فوجه اليهم يأمرهم بالكف فلم يفعلوا واقتتلوا يومهم ذلك قتالا شديدا واكثرت الابناء القتل فى الزواقيل فاخبر عبد الملك بذلك وكان مريضا مدنفا فضرب بيده على يده وقال واذلاه تستقام العرب فى دورها وبلادها فغضب من كان أمسك عن الشر من الابناء وتفاقم الامر وقام بأمر الابناء الحسن بن على بن عيسى بن ماهان وأصبح الزواقيل فاجتمعوا بالرقة واجتمع الابناء وأهل خراسان بالرافقة وقام رجل من أهل حمص فقال يا أهل حمص الحرب أهون من العطف والموت أهون من الذل انكم قد بعدتم عن بلادكم ترجون الكثرة بعد القلة والعزة بعد الذلة ألا وفى الشر وقعتم وفى حومة الموت أنختم ان المنايا فى شوارب المسودة وقلانسهم النفير النفير قبل أن ينقطع السبيل وينزل الامر الجليل

الجعدى
لا لفينك بعد الموت تندبنى
وفى حياتى ما زودتنى زادا
ودخل على معاوية ضرار ابن الخطاب فقال له كيف حزنك على أبى الحسن قال حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (ومما جرى) بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملا على مصر فكتب اليه معاوية اما بعد فانك يهودى ابن يهودى وان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر أحب الفريقين اليك نكل بك وقتلك وقد كان أبوك أوترقوسه ورمى غرضه فأكثر الجدواخطأ القصد فخذله قومه وادركه يومه ثم مات بحوران طريدا فكتب اليه قيس بن سعد اما بعد فانا انت وثنى ابن وثنى دخلت فى الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبى أوترقوسه ورمى غرضه فشعب به من لم يبلغ عقبه ولا شق غباره ونحن انصار الدين الذى منه خرجت واعداء الدين الذى فيه

ويفوت المطلب ويعسر المهرب وقام رجل من كلب فى غرز ناقته فقال نحوا من ذلك ثم قال الا وانى سائر فمن أراد الانصراف فلينصرف معى ثم سار فسار معه عامة أهل الشام وأحرقت الزواقيل ما كان التجار قد جمعوه من الاعلاق وأقبل نصر بن شبث العقيلى ثم حمل وأصحابه فقاتل قتالا شديدا وصبر الجند لهم وكان أكثر القتل فى الزواقيل لكثير بن قادرة وأبى القيل وداود بن موسى بن عيسى الخراسانى وانهزمت الزواقيل وكان على حامیتهم يومئذ نصر بن شبث وعمرو بن عبد العزيز السلمى والعباس بن زفر الكلابى ثم توفى عبد الملك بن صالح بالرقة فى هذه السنة

﴿ ذكر خلع الامين والمبايعة للمأمون وعود الامين الى الخلافة ﴾

فلما مات عبد الملك بن صالح نادى الحسين بن على بن عيسى بن ماهان فى الجند فجعل الرجالة فى السفن وسار الفرسان على الظهر فى رجب فلما قدم بغداذ لقيه القواد وأهل بغداذ وعملت له القباب ودخل منزله فلما كان جوف الليل بعث اليه الامين يأمره بالركوب اليه فقال للرسول ما انا بغث ولا مسامر ولا مضحك ولا وليت له عملا ولا مالا فلاى شئ يريدنى هذه الساعة انصرف فاذا أصبحت غدوت اليه ان شاء الله وأصبح الحسين فوافى باب الجسر واجتمع اليه الناس فقال يامعشر الابناء ان خلافة الله لا تجاور بالبطر ونعمته لا تستصحب بالتجبر وان محمدا يريد ان يوقع اذلالكم وينقل عزكم الى غيركم وهو صاحب الزواقيل وبالله ان طالب بمدة ليرحمن وبال ذلك عليكم فاقطعوا أثره قبل ان يقطع آثاركم وضعوا عزه قبل ان يضع عزكم فوالله لا ينصره ناصر منكم الا خذل وما عند الله عز وجل لاحد هوارة ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده والحنث بايمانه ثم أمر الناس بعبور الجسر فعبروا وصاروا الى سكة باب خراسان وتسرعت خيول الامين الى الحسين فقاتلوه قتالا شديدا فانهزم أصحاب الامين وتفرقوا فخلع الحسين الامين يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب وأخذ البيعة للمأمون من الغد يوم الاثنين فلما كان يوم الثلاثاء وثب العباس بن موسى بن عيسى بالامين فاخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور وأخرج أمه زبيدة أيضا فجعلها مع ابنها فلما كان يوم الاربعاء طالب الناس الحسين بالارزاق وماج بعضهم فى بعض فقام محمد بن خالد بباب الشام فقال أيها الناس والله ما أدرى باى سبب تأمر الحسين بن على علينا وتولى هذا الامر دوننا ما هو با كبرنا سنا وما هو با كبرنا حسبا ولا باعظمنا منزلة وغنى وانى أول لكم أنقض عهده وأظهر الانكار لفعله فمن كان على رأيى فليعتزل معى وقال أسد الحربى يامعشر الحربية هذا يوم له ما بعده انكم قد غنتم فطال نومكم وتأخرتم فتقدم عليكم غيركم وقد ذهب أقوام بخلع الامين فاذهبوا أنتم بذكره واطلاقه وأقبل شيخ على فرس فقال أيها الناس هل تعتدون على محمد بقطع ارزاقكم قالوا لا قال فهل قصر باحد من رؤسائكم وعزل احدا من قوادكم قالوا لا قال فما بالكم خذلتموه وأعنتم عدوه على اسره وايم الله ما قتل قوم خليفتهم الا سلط الله عليهم السيف انهضوا الى خليفتكم فقاتلوا عنه من أراد خلعه فنهضوا وتبعهم أهل الارباض فقاتلوا الحسين قتالا شديدا وأسر الحسين بن على ودخل أسد الحربى على الامين فكسر قيوده واقعده فى مجلس الخلافة ورأى الامين أقواما ليس عليهم لباس الجند فامرهم باخذ السلاح فانتهبه الغوغاء ونهبوا غيره وحمل اليه الحسين اسيرا فلامه فاعتذر له الحسين فاطلقه وأمر بجمع الجند ومحاربة أصحاب المأمون وخلع عليه وولاه ما وراء بابه وأمره بالمسير الى حلوان فوقف الحسين بباب الجسر والناس يهنونه فلما خف عنه الناس قطع الجسر وهرب فنادى الامين فى الجند يطلبه فركبوا كلهم فاذا كوره بمسجد كوثر على فرسخ من بغداذ فقاتلهم

فعبر

دخلت (ودخل) قيس بن سعد بعد وفاة على ووقوع الصلح فى جماعة من الانصار على معاوية فقال لهم معاوية يامعشر الانصار بم تطلبون ما قبلى فوالله لقد كنتم قليلا معى كثيرا على وافلتم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى فى أسنتكم وهجوتمونى فى أسلافى بأشد من وقع الاسنة حتى اذا أقام الله ما حاولتم منيله قلتم ارع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فهيهات يابى الحقير الغدرة فقال قيس نطلب ما قبلك بالاسلام الكافى به الله لا بما غثت به اليك الاحزاب وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك وأما هجاؤنا اياك فقول يزول باطله ويثبت حقه وأما استقامة الامر فعلى كره كان منا وأما فلتنا حدك يوم صفين فانا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعة وأما وصية رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده وأما قولك يابى الحقير الغدرة فليس دون الله يد تحجزك منا يامعاوية فقال معاوية يغفر الله لكم ويعفو عنكم وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة

فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل واخذوا رأسه وقيل ان الامين كان استوزره وسلم اليه خاتمه وجدد الجند البيعة للامين بعد قتل الحسين يوم وكان قتله خامس عشر رجب فلما قتل الحسين بن علي هرب الفضل بن الربيع واختفى

﴿ذكر ما فعله طاهر بالاهواز﴾

لما نزل طاهر بشلاشان وجه الحسين بن عمر الرستمي الى الاهواز وامره بالحذر فلما توجه انت طاهرا عيونه فاخبروه ان محمد بن يزيد بن حاتم المهلبي وكان عاملا للامين على الاهواز قد توجه في جمع عظيم يريد جند يسابور ليحمي الاهواز من أصحاب طاهر فدعا طاهر عدة من أصحابه منهم محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس بن بخار اخذاه وغيرهم وامرهم أن يجدوا السير حتى يتصل أولهم بآخر أصحاب الرستمي فان احتاج الى مدد أمدوه فساروا حتى شارفوا الاهواز ولم يلقوا أحدا ولا بلغ خبرهم محمد بن يزيد فسار حتى نزل عسكر مكرم وصير العمران والماء وراء ظهره وتخوف طاهر أن يحمل الى أصحابه فامدهم بقريش بن شبل وتوجه هو بنفسه حتى كان قريبا منهم وسير الحسين بن علي المأموني الى قريش والرستمي فسارت تلك العساكر حتى اشرفوا على محمد بن يزيد بعسكر مكرم فاستشار أصحابه في المطاولة والمناجزة فاشاروا عليه بالرجوع الى الاهواز والتحصن بها وان يستدعي الجند من البصرة وقومه الازد ففعل ذلك فسير طاهر وراءه قريش ابن شبل وأمره بمبادرته قبل ان يتحصن بالاهواز فسبقه محمد بن يزيد ووصل بعده بيوم قريش فاقتتلوا قتالا شديدا فالتفت محمد الى من معه من مواليه وكان أصحابه قد رجعوا عنه فقال لمواليه ما رايكم اني أرى من معي قد انهزم ولست آمن خذلانهم ولا ارجو رجعتهم وقد عزمت على النزول والقتال بنفسي حتى يقضي الله بما أحب فمن أراد الانصراف فلينصرف فوالله لئن تبقوا احب الي من أن تموتوا فقالوا والله ما أنصفناك اذا تكون قد اعتقتنا من الرق ورفعتنا من الضعة واغنيتنا بعد القلة ثم نحدلك على هذه الحال فلعن الله الدنيا والعيش بعدك ثم نزلوا فعرقبوا دوابهم وحملوا على اصحاب قريش حملة منكرة فاكثروا فيهم القتل وقتل محمد بن يزيد المهلبي واستولى طاهر على الاهواز واعمالها واستعمل العمال على اليمامة والبحرين وعمان وجرح في تلك الوقعة عدة جراحات وقطعت يده وقال بعض المهالبة

فلما لمت نفسي غير أني لم أطق * حراكا وأني كنت بالضرب مفحما
ولو سلمت كفاي فاتت دونه * وضاربت عنه الطاهري الملعنا
فتى لا يرى أن يخذل السيف في الوغى * اذا الدرع الهيجاء في النقع واكتنى

ولما دخل ابن أبي عيينة المهلبي على طاهر ومدحه فحين انتهى الى قوله

ماساءظني الا بواحدة * في الصدر محصورة عن الكلم

تبسم طاهر ثم قال أما والله ساءني من ذلك ما ساءك وآلمني ما آلمك ولقد كنت كارها لما كان غير أن الحتف واقع والمنايا نازلة ولا بد من قطع الاواصر والشكر للاقارب في تأكيد الخلافة والقيام بحق الطاعة فظن من حضر أنه اراد محمد بن يزيد بن حاتم

﴿ذكر استيلاء طاهر على واسط وغيرها﴾

ثم سار طاهر من الاهواز الى واسط وبها السندي بن يحيى الحرشي والهيثم بن شعبة خليفة خزيمة بن خازم فجعل طاهر كما تقدم نحوهم تقوضت المسالح والعمال بين يديه حتى أتى واسط

والميل الى علي بالموضع العظيم وبلغ من خوفه الله وطاعته اياه انه كان يصلي فلما أهوى للسجود اذا في موضع سجوده ثعبان عظيم مطرق فمال عن الثعبان برأسه وسجد الى جانبه فتطوق الثعبان برقبته فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيأ حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به كذلك ذكر الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن معمر ابن خلاد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم قد أعياني ان اعلم أجبان أنت أم شجاع لاني أراك تتقدم حتى أقول اراد القتال ثم تتأخر حتى أقول أراد الفرار فقال له معاوية والله ما أتقدم حتى أرى التقدم غنما ولا أتأخر حتى أرى التأخر حزما كما قال القطامي

شجاع اذا ما أمكنتني فرصة * والا تكن لي فرصة فجبان

(وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى عن أبي الاغر التيمي قال بينا انا واقف بصفين اذ مر العباس بن ربيعة مغفرا بالسلاح وعيناه يبصان من تحت المغفر

فهرب السندى والهيثم بن شعبة عنها واستولى طاهر على واسط ووجه قائدا من قواده الى الكوفة وعليها العباس بن موسى الهادى فلما بلغه الخبر خلع الامين وبايع للمأمون وكتب بذلك الى طاهر ونزلت خيل طاهر فم النيل وغلب على ما بين واسط والكوفة وكتب المنصور بن المهدى وكان عاملا للامين على البصرة الى طاهر ببيعته وطاعته وأتته بيعة المطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل للمأمون وخلع الامين وكان هذا جميعه فى رجب من هذه السنة فأقرهم طاهر على أعمالهم وولى داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمى مكة والمدينة واستعمل يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى البجلى على اليمن ووجه الحرث بن هشام وداود بن موسى الى قصر ابن هبيرة وأقام طاهر بحجر جرايا فلما بلغ الامين خبر عامله بالكوفة وخلعه والبيعة للمأمون وجه محمد بن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربرى وأمرهما ان يبيتا الحرث بن هشام وداود بالقصر فبلغ الحرث الخبر فركب هو وداود فعبرا فى مخاضة فى سور اليهم فاوقعا بهم وقعة شديدة فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم أهل بغداذ ووجه الامين أيضا الفضل بن موسى بن عيسى الهاشمى عاملا على الكوفة فى خيل فبلغ طاهرا الخبر فوجه محمد بن العلاء فى جيش الى طريقه فلقى الفضل بقرية الاعراب فبعث اليه الفضل انى سامع مطيع وانما كان مخرجى كيدا منى لمحمد الامين فقال له ابن العلاء لست أعرف ما تقول فان أردت طاهرا فارجع وراءك فهو أسهل الطريق فرجع الفضل فقال محمد بن العلاء كونوا على حذر فلا آمن مكره ثم ان الفضل رجع الى ابن العلاء وهو يظن أنه على غير اهبة فرآه متيقظا حذرا فاقتتلوا قتالا شديدا كاشد ما يكون من القتال فانهزم الفضل وأصحابه

﴿ ذكر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرصر ﴾

ثم ان طاهرا سار الى المدائن وبها جيش كثير للامين عليهم البرمكى قد تحصنوا بها والمدد يأتيه كل يوم والحرب والصلات فلما قرب طاهر منه وجه قريش بن شبل والحسين بن على المأمونى فى مقدمته فلما سمع أصحاب البرمكى طبول طاهر انهزموا وركبوا وأخذ البرمكى فى التعبية فكان كلما سوى صفا انتقض واضطرب وانضم أولهم الى آخرهم فقال اللهم انا نعوذ بك من الخذلان ثم قال لصاحب ساقته خل سبيل الناس فلا خير عندهم فرغب بعضهم بعضا نحو بغداذ فنزل طاهر المدائن واستولى على تلك النواحى ثم سار الى صرصر وعقد بها جسرا ونزلها

﴿ ذكر البيعة للمأمون بمكة والمدينة ﴾

وفى هذه السنة خلع داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على الامين وهو عامله على مكة والمدينة وبايع للمأمون وكان سبب ذلك انه لما بلغه ما كان من الامين والمأمون وما فعل طاهر وكان الامين قد كتب الى داود بن عيسى يأمره بخلع المأمون وبعث أخذ الكتابين من الكعبة كما تقدم فلما فعل ذلك جمع داود وجوه الناس ومن كان شهد فى الكتابين وكان داود أحدهم فقال لهم قد علمتم ما أخذ الرشيد علينا وعليكم من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام لابنيه لمكون مع المظلوم منهما على ظالمه ومع المغدور به على الغادر وقد رأينا ورأيتم ان محمدا قد بدأ بالظلم والبغى والغدر والنكث على أخويه المأمون والمؤتمن وخلعهما عاصيا لله وبايع لابنه طفل صغير رضيع لم يفطم وأخذ الكتابين من الكعبة فخرقهما ظالما لما قد رأيت خلعه والبيعة للمأمون اذ كان مظلوما مبغيا عليه فأجابوه الى ذلك فنادى فى شعاب مكة فاجتمع الناس فخطبهم بين الركن وخلع محمدا وبايع للمأمون وكتب الى ابنه سليمان وهو عامله على المدينة يأمره أن يفعل

مثل

كانهما شعلتا نار أو عينا ارقم
وبيده صفيحة له يمانية
يقلبها والمنايا تلوح فى شفرتها
وهو على فرس صعب فبينا
هو يبعثه ويمنعه ويلين
من عريكته اذ هتف به
هاتف يقال له غرار بن
أدهم من أهل الشام
ياعباس هلم الى النزال قال
فالنزول اذا فانه اياس من
الحياة فنزل اليه الشامى
وهو يقول
ان تركبوا فركوب الخيل
عادتنا
أو تنزلون فانا معشر نزل
وثنى العباس وركه وهو
يقول
الله يعلم أنا لانحبكم
ولا نلومكم أن لا تحبونا
ثم عصر فضلات درعه فى
محزمه يريد منطقته ودفع
فرسه الى غلام له أسود
كانى والله انظر فلافل شعره
ثم زحف كل واحد منهما
الى صاحبه وكف الفريقان
أعنة الخيول ينظرون
ما يكون من الرجلين
فتكافيا بسيفيهما مليا
نهارهما لا يصل واحد منهما
الى صاحبه لكمال لامته
الى ان لحظ العباس وهنا
فى درع الشامى فاهوى
اليه بيده وهتكه الى تندوته

مثل ما فعل فخلع سليمان الامين وبايع للمأمون فلما أتاه الخبر بذلك سار من مكة على طريق البصرة ثم الى فارس ثم الى كرمان حتى صار الى المأمون بمرو فاخبره بذلك فسر المأمون بذلك سرورا شديدا وتيمن ببركة مكة والمدينة وكانت البيعة بهما في رجب سنة ست وتسعين ومائة واستعمل داود على مكة والمدينة واضاف اليه ولاية عك واعطاه خمسمائة ألف درهم معونة وسير معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى بن موسى وجعله على الموسم فسار حتى أتى طاهرا ببغداد فاكرمهما وقررهما وجه معهما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري البجلي عاملا على اليمن وبعث معه خيلا كثيفة فلما قدم اليمن دعا أهلها الى خلع الامين والبيعة للمأمون ووعدهم العدل والاحسان وأخبرهم بسيرة المأمون فاجابوه الى ما طلب وخلعوا محمدا وبايعوا للمأمون وكتب بذلك الى طاهر والى المأمون وسار فيهم أحسن سيرة وأظهر العدل

﴿ ذكر ما فعله الامين ﴾

وفي هذه السنة عقد محمد الامين في رجب وشعبان نحو من اربعمائة لواء لقوادشتى وأمر عليهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك وأمرهم بالمسير الى هرثمة بن أعين فساروا اليه فالتقوا بنواحي النهروان في رمضان فانهزموا وأسر علي بن محمد بن عيسى فسيره هرثمة الى المأمون ورحل هرثمة ونزل النهروان

﴿ ذكر وثوب الجند بطاهر والامين ونزوله ببغداد ﴾

وأقام طاهر بصرصر مشمرا في محاربة الامين وكان لا يأتيه جيش الا هزمه وبذل الامين الاموال فاشتد ذلك على أصحاب طاهر فسار اليه منهم نحو خمسة آلاف فسر بهم الامين ووعدهم ومناهم وفرق فيهم مالا عظيما وغلف لحاهم بالغالية فسموا قواد الغالية وقوى جماعة من الحربية ووجههم الى دسكرة الملك والنهروان فلم يكن بينهم قتال كثير وندب جماعة من قواد بغداد ووجههم الى الياسرية والكوثرية وفرق الجواسيس في أصحاب طاهر ودس الى رؤساء الجند فاطمعهم ورغبهم فشغبوا على طاهر واستأمن كثير منهم الى الامين فانضموا الى عسكره وساروا حتى أتوا صرصر فبعث طاهر أصحابه كرادیس وسار فيهم يحرضهم ويعدهم النصر ثم تقدم فاقتتلوا مليا من النهار ثم انهزم أصحاب الامين وغنم عسكر طاهر ما كان لهم من السلاح والدواب وغير ذلك وبلغ ذلك الامين فاخرج الاموال وفرقها وجمع أهل الارباض وقوى منهم جماعة وفرق فيهم الاموال وأعطى كل قائد منهم قارورة غالية ولم يفرق في أجناد القواد وأصحابهم شيأ فبلغ ذلك طاهرا فراسلهم ووعدهم واستمالهم وأغرى أصاغرهم باكابرهم فشغبوا على الامين في ذي الحجة فصعب الامر عليه فاشار عليه أصحابه باستمالتهم والاحسان اليهم فلم يفعل وأمر بقتالهم جماعة من المستأمنة والمحدثين فقاتلوهم وراسلهم طاهر وراسلوه وأخذ هانئهم على بذل الطاعة واعطاهم الاموال ثم تقدم فصار الى موضع البستان الذي على باب الانبار في ذي الحجة فنزل بقواده وأصحابه ونزل من استأمن اليه من جند الامين في البستان والارباض واضعف للقواد وأبنائهم والخواص العطاء ونقب أهل السجون السجون وخرجوا منها وفتن الناس وساءت حالهم ووثب الشطار على أهل الصلاح ولم يتغير بعسكر طاهر حال لتفقد حالهم وأخذه على أيدي السفهاء وغادي القتال ورواحه حتى تواكل الفريقان وخربت الديار وحل بالناس هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى ودعا للمأمون بالخلافة وهو أول موسم دعي له فيه بالخلافة

ثم عاد لمحاولته وقد أفرح له مفتش الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره فخر الشامي لوجهه فكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الارض من تحتهم وانساب العباس في الناس فاذا قائل يقول من ورائي قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين الآية فالتفت فاذا بعلي رضي الله عنه فقال يا ابن الاغر من المبارز لعدونا قلت ابن أخيكم العباس بن ربيعة قال وابنه هو العباس قلت نعم فقال يا عباس ألم أنهك وعبد الله ابن عباس ان تحملا بمركز أو تبارزا أحدا قال ان ذلك كما قلت قال علي فما عدا فيما بدا قال أفادعى الى البراز فلا أجيب قال طاعة أمامك أولى بك من اجابة عدوك وتغيظ واستطار ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه اللهم اني قد غفرت له فاغفر له وتاسف معاوية على غرار بن أدهم وقال متى ينطف مثل بمثله أيطل دمه لاها الله الا رجل بشرى نفسه يطلب بدم غرار فانتدب له رجلان من خثعم من أهل الباس ومن

﴿ ذكر الفتنة بافريقية مع أهل طرابلس ﴾

في هذه السنة ثار أبو عصام ومن وافقه على ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية فحاربهم ابراهيم فظفر بهم وفيها استعمل ابن الاغلب ابنه عبد الله على طرابلس الغرب فلما قدم اليها ثار عليه الجند فحصروه في داره ثم اصطلحوا على أن يخرج عنهم فخرج عنهم فلم يبعد عن البلد حتى اجتمع اليه كثير من الناس ووضع العطاء فاتاه البربر من كل ناحية وكان يعطي الفارس كل يوم أربعة دراهم ويعطي الراجل في اليوم درهمين فاجتمع له عدد كثير فزحف بهم الى طرابلس فخرج اليه الجند فاقتتلوا فانهزم جند طرابلس ودخل عبد الله المدينة وأمن الناس وقام بها ثم عزله أبوه واستعمل بعده سفيان بن المضاء فثارت هوارة بطرابلس فخرج الجند اليهم واقتتلوا فهزم الجند الى المدينة فتبعهم هوارة فخرج الجند هاربين الى الامير ابراهيم بن الاغلب ودخلوا المدينة فهدموا أسوارها وبلغ ذلك ابراهيم بن الاغلب فسير اليه ابنه أبا العباس عبد الله في ثلاثة عشر ألف فارس فاقتتل هو والبربر فانهزم البربر وقتل كثيرا منهم ودخل طرابلس وبنى سورها وبلغ خبر هزيمة البربر الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وجمع البربر وحرضهم وأقبل بهم الى طرابلس وهم جمع عظيم عصبا للبربر ونصرة لهم فنزلوا على طرابلس وحصروها فسد أبو العباس عبد الله بن ابراهيم باب زناتة وكان يقاتل من باب هوارة ولم يزل كذلك الى ان توفي أبوه ابراهيم بن الاغلب وعهد بالامارة لولده عبد الله فاخذ أخوه زيادة الله بن ابراهيم له العهود على الجند وسير الكتاب الى أخيه عبد الله يخبره بموت أبيه و بالامارة له فاخذ البربر الرسول والكتاب ودفعوه الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فامر بان ينادي عبد الله بن ابراهيم بموت أبيه فصالحهم على أن يكون البلد والبحر لعبد الله وما كان خارجا من ذلك يكون لعبد الوهاب وسار عبد الله الى القيروان فلقيه الناس وتسلم الامر وكانت أيامه أيام سكون ودعة

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة ﴾

﴿ ذكر حصار بغداذ ﴾

في هذه السنة حاصر طاهر وهرثمة وزهير بن المسيب الامين محمدا ببغداذ فنزل زهير بن المسيب الضبي برقة كلواذى ونصب المجانيق والعرادات وحفر الخنادق وكان يخرج في الايام عند اشتغال الجند بحرب طاهر فيرمي بالعرادات ويعثر أموال التجار فشكا الناس منه الى طاهر فنزل هرثمة نهربين وعمل عليه خندقا وسورا ونزل عبيد الله الوضاح بالشماسية ونزل طاهر البستان الذي بباب الانبار فلما نزله شق ذلك على الامين وتفرق ما كان بيده من الاموال فأمر ببيع ما في الخزائن من الامتعة وضرب آنية الذهب والفضة ليفرقها في أصحابه وأمر باحراق الحربية فرميت بالنفط والنيران وقتل بها خلق كثير واستأمن الى طاهر سعيد بن مالك بن قادم فولاه الاسوق اوشاطئ دجلة وما اتصل به وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان في كل ما غلب عليه من الدروب وأمده بالاموال والرجال فكثر الخراب ببغداذ والهدم فدرست المنازل وكل الامين عليا افراهمرد بقصر صالح وقصر سليمان بن المنصور الى دجلة فألح في احراق الدور والدروب والرمي بالمجانيق وفعل طاهر مثل ذلك فأرسل الى أهل الارباض من طريق الانبار وباب الكوفة وما يليها فكلما أصابه أهل ناحية خندق عليهم ومن أبى اجابته قاتله وأحرق منزله ووحشت بغداذ وخربت فقال حسين الخليع

أتسرع الرحلة اغذاذا * عن جانب بغداذ أماذا

اما

صناديد الشأم فقال اذهبا فايكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر ومثلها من اللجين وبعددهما من برود اليمن فاتياه فدعواه الى البراز وصاحا بين الصفين يا عباس يا عباس ابرز الى الداعي فقال ان لي سيدا أريد أن أوامره فاتى عليا وهو في جناح الميمنة يحرض الناس فأخبره الخبر فقال علي والله يود معاوية انه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة الا طعن في بطنه اطفاء لنور الله (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) اما والله ليملكنكم منا رجال و رجال يسومونهم سوم الخسف حتى تعفو الآثار ثم قال يا عباس ناولني سلاحك بسلاحي فناوله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين فلم يشكا أنه العباس فقالا له أذن لك صاحبك فتحرج ان يقول نعم فقال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وكان العباس أشبه الناس في جسمه وركوبه بعلي فبرز له أحدهما فما أخطأه ثم برز له الآخر فالحقه بالاول ثم أقبل وهو يقول (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى

أماترى الفتنة قد ألفت * الى أولى الفتنة شذاذا
وانتفضت بغداذ عمرانها * عن رأى لاذالك ولاهذا
هدماوحرقا قدأبادأهلها * عقوبة لاذت بمن لاذا
ماأحسن الحالات ان لم تعد * بغداذ فى القلة بغداذا

وسمى طاهر الارباض التى خالفه أهلها ومدينة المنصور وأسواق الكرخ والخلد دار النكث وقبض ضياع من لم يخرج اليه من بنى هاشم والقواد وغيرهم وأخذ أموالهم فذلوا وانكسروا وذل الاجناد وضعفوا عن القتال الاباعة الطريق والعراة وأهل السجون والاوباش والطرارين وأهل السوق فكانوا ينهبون أموال الناس وكان طاهر لا يفترفى قتالهم فاستأمن اليه على افراهرد الموكل بقصر صالح فأمنه وسير اليه جندا كثيفا فسلم اليه ما كان بيده من تلك الناحية فى جمادى الآخرة واستأمن اليه محمد بن عيسى صاحب شرطة الامين وكان مجدا فى نصرة الامين فلما استأمن هذان الى طاهر أشفى الامين على الهلاك وأقبلت الغواة من العيارين وباعة الطريق والاجناد فاقتتلوا داخل قصر صالح قتالا عظيما قتل فيه من أصحاب طاهر جماعة كثيرة ومن قواده جماعة ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشد على طاهر منها ثم ان طاهرا كاتب القواد الهاشميين وغيرهم بعد ان أخذ صياعهم ودعاهم الى الامان والبيعة للمأمون فاجابه جماعة منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة واخوته وولد الحسن بن قحطبة ويحيى بن على بن ماهان ومحمد بن أبى العباس الطائى وكاتبه غيرهم وصارت قلوبهم معه وأقبل الامين بعد وقعة قصر صالح على الاكل والشرب ووكل الامر الى محمد بن عيسى بن نهيك والى الهرش فكان من معه ما من الغوغاء والفساق يسلبون من قدروا عليه وكان منهم مالم يبلغ امثله فلما طال ذلك بالناس خرج عن بغداذ من كانت به قوة وكان أحدهم اذا خرج أمن على ماله ونفسه وكان مثلهم كما قال الله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وخرج عنها قوم بعلة الحج ففى ذلك يقول شاعرهم

أظهروا الحج ومايبغونه * بل من الهرش يريدون الهرب
كم أناس أصبحوا فى غبطة * وكل الهرش عليهم بالعطب

وقال بعض فتيان بغداذ

بكيت دما على بغداذ لما * فقدت غضارة العيش الانيق
تبدلنا هموما من سرور * ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتنا من الحساد عين * فافنت أهلها بالمنجنيق
وقوم احرقوا بالنار قسرا * ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادى واصباحا * وباكية لفقدان الشفيق
وحوراء المدامع ذات دل * مضمخة المجاسد بالخلوق
تفر من الحريق الى انتهاب * ووالدها يفر الى الحريق
وسالبة الغزالة مقلتيها * مضاحكها كلألاء البروق
حيارى هكذا ومفكرات * عليهن القلائد فى الحلوق
ينادين الشفيق ولا شفيق * وقد فقد الشفيق من الشفيق
ومغترب قريب الدار ملقى * بلا رأس بقارعة الطريق

عليكم) ثم قال ياعباس خذ سلاحك وهات سلاحى فان عادلك أحد فعدلى وغلا الخبر الى معاوية فقال قبح الله الحجاج انه لعقور ماركبته قط الا خذلت فقال عمرو بن العاص المخذول والله اللخميان والمغرور ومن غررته لا أنت المخذول قال اسكت أيها الرجل فليس هذا من شأنك قال وان لم يكن رحم الله اللخميين ولا أراه يفعل قال ذلك والله أضيق لحجتك وأخسر لصفقتك قال قد علمت ذلك ولولا مصر وولايتها لركبت المنجاة منها فانى أعلم أن على بن أبى طالب على الحق وأنا على ضده فقال معاوية مصر والله أعمتك ولولا مصر لا لفيتك بصيرا ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كل مذهب قال مم تضحك ياأمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليا وابدائك سوأتك اما والله ياعمرو لقد واقعت المماياورأيت الموت عيانا ولوشاء لقتلك ولكن أبى ابن أبى طالب فى قتلك الا تكرما فقال عمرو أما والله انى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عينك وبدا محرك وبدا منك ماأكره ذكره لك من نفسك

توسط من قتالهم جميعا * فايدرون من أى الفريق
فاولد يقيم على أبيه * وقد فر الصديق عن الصديق
ومهما أنس من شئ تولى * فانى ذاكر دار الرقيق

وقال الجرمى قصيدة طويلة نحو مائة وخمسين بيتا أتى فيها على جميع الحوادث ببغداذ فى هذه الحرب تركتها الطولها وذكر ان قائدا من أهل خراسان من أصحاب طاهر من أهل النجدة والبأس خرج يوما الى القتال فنظر الى قوم عراة لا سلاح معهم فقال لاصحابه ما يقاتلنا الا من نرى استهانة بأمرهم واحتقارا لهم فقيل له نعم هؤلاء هم الاتفة فقال لهم أف لكم حين تنهزمون من هؤلاء وأنتم فى السلاح والعدة والقوة وفيكم الشجاعة وما عسى يبلغ كيد هؤلاء ولا سلاح معهم ولا جنة تقيهم وتقدم الى بعضهم وفى يديه بارية مقيرة وتحت ابطه مخلاة فيها حجارة فجعل الخراسانى كلما رمى بسهم استترمنه العيار فوقع فى باريته أو قربها منها فيأخذه ويتركه معه وصاح دانق أى ثمن النشابة دانق قد أحرزه فلم يزالا كذلك حتى فنى سهام الخراسانى ثم حمل عليه العيار ورمى بحجر من مخلاته فى مقلاع فما أخطأ عينه ثم خر فكاد يصرعه فانهزم وهو يقول ليس هؤلاء بناس فلما سمع طاهر خبره ضحك منه فلما طال ذلك على طاهر وقتل من أصحابه فى قصر صالح من قتل أمر بالهدم والاحراق فهدم دون من خالفه ما بين دجلة ودار الرقيق وباب الشام وباب الكوفة الى الصرة وربض حميدة ونهر كرخايا فكان أصحابه اذا هدموا دارا أخذ أصحاب الامين أبوابها وسقوفها فيكونون أشد على أهلها فقال شاعرهم

لنا كل يوم ثلمة لا نسدها * يزيدون فيما يطلبون وننقص
اذا هدموا دارا أخذنا سقوفها * ونحن لاخرى غيرها نتربص
فان حرصوا يوما على الشر جهدهم * فغوغاؤنا منهم على الشر أحرص
فقد ضيقوا من أرضنا كل واسع * وصار لهم أهل بها وتعرص
يثيرون بالطبل القنيص فان بدا * لهم وجد صيدا من قريب تقنصوا
لقد أفسدوا شرق البلاد وغربها * علينا فما ندرى الى أين نشخص
اذا حضروا قالوا بما يعرفونه * وان لم يروا شيأ قبيحا تخرصوا
وما قتل الابطال مثل مجرب * رسول المنايا ليلة يتلصص

فى أبيات غيرها فلما رأى طاهر أن هذا جميعه لا يخلفون به أمر بمنع التجار عنهم ومنع من حمل الاقوات وغيرها وشدد فى ذلك وصرف السفن التى يحمل فيها الى الفرات فاشتد ذلك عليهم وغلت الاسعار وصاروا فى أشد حصار فامر الامين ببيع الاموال وأخذها وكل بها بعض أصحابه فكان يجمع على الناس فى منازلهم ليلا ونهارا فاشتد ذلك على الناس وأخذوا بالتهمة والظنة ثم كان بينهم وقعة بدرب الحجارة قتل فيها من أصحاب طاهر خلق كثير ووقعة بالشماسية خرج فيها حاتم بن الصقر فى العيارين وغيرهم الى عبيد الله بن الوضاح فاوقعوا به وهو لا يعلم فانهزم عنهم وغلبوه على الشماسية فأتاه هرثمة بعينه فأسره بعض أصحاب الامين وهو لا يعرفه فقاتل عليه بعض أصحابه حتى خلصه وانهزم أصحاب هرثمة فلم يرجعوا اليه فلما بلغ طاهرا ما صنعوا عقد جسرا فوق الشماسية وعبر أصحابه اليهم فقاتلوا أشد قتال حتى ردوا أصحاب الامين واعاد أصحاب عبيد الله بن الوضاح الى مراكزهم وأحرق منازل الامين بالخيزرانية وكانت النفقة عليها بلغت

فاضحك أودع (وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى ان معاوية برز فى بعض أيام صفين امام الناس وكر على ميسرة على وكان على فيها فى ذلك الوقت يعبى الناس فصبر على لامته وجواده وخرج بلامة بعض أصحابه وصمد له معاوية فلما تدانيا انتبه معاوية فغمز برجليه على جواده وعلى وراءه حتى فاته ودخل فى مصاف أهل الشام فاصاب على رجلا من مصافهم دونه ثم رجع وهو يقول

يالهف نفسى فاتنى معاويه
فوق طمر كالعقاب الضاريه

وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية فى بعض الايام فلما رآه معاوية قال يموت الصالحون وأنت حى تخطاك المنايا لا تموت

فاجابه عمرو

فلست بميت ما دمت حيا
ولست بميت حتى تموت

(وذكر) ان معاوية لما نظر الى عساكر أهل العراق وقد أشرفت وأخذت الرجال مراتبها من الصفوف ونظر الى على على فرس أشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كانه يغرسهم فى الارض غرسا فيثبتون كانهم بنيان مرصوص قال لعمرو يا أبا عبد الله أما تنظر الى ابن ابى طالب

عشرين ألف ألف درهم وقتل من العيارين كثير فضعف أمر الامين فأيقن بالهلاك وهرب منه عبد الله بن خازم بن خزيمة الى المدائن خوفا من الامين لانه اتهمه وتحامل عليه السفلة والغوغاء فأقام بها وقيل بل كاتبه طاهر وحذره قبض ضياعه وأمواله ثم ان الهرش خرج ومعه لفيفة وجماعة الى جزيرة العباس وكانت ناحية لم يقاتل فيها فخرج اليه بعض أصحاب طاهر فقاتلوه فقوى عليهم فأمدهم طاهر بجند آخر فأوقعوا بالهرش وأصحابه وقعة شديدة فغرق منهم بشر كثير وضجر الامين وخاف حتى قال يوما وددت أن الله قتل الفريقين جميعا فاراح الناس منهم فما منهم الا عدو لى اما هؤلاء فيريدون مالى وأما أولئك فيريدون نفسى وضعف أمره وانتشره جنده وايقن بظفر طاهر به

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بتوجيه طاهر اياه على الموسم بامر أمير المؤمنين المأمون وفيها سار المؤتمن بن الرشيد ومنصور بن المهدى الى المأمون بخراسان فوجه المأمون أخاه المؤتمن الى جرجان وفيها كان بالاندلس غلاء شديد وكان الناس يطوون الايام ويتعللون بما يضبط النفس وفيها مات وكيع بن الجراح الرؤاسى بفيد وقد عاد عن الحج وبقية بن الوليد الحمصى وكان مولده سنة عشر ومائة ومحمد بن مليح بن سليمان الاسلمى ومعاذ بن معاذ أبو المثنى العنبرى وله سبع وسبعون سنة

﴿ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة﴾

﴿ذكر استيلاء طاهر على بغداد﴾

فى هذه السنة لحق خزيمة بن خازم بطاهر وفارق الامين ودخل هرثمة الى الجانب الشرقى وكان سبب ذلك ان طاهرا أرسل الى خزيمة أن انفصل الامر بينى وبين محمد ولم يكن لك فى نصرتى الا أقصر فى أمرك فاجابه بالطاعة وقال له لو كنت أنت النازل الجانب الشرقى فى مكان هرثمة لحمل نفسه اليه وأخبره قلة ثقته بهرثمة الا ان يضمن له القيام دونه لخوفه من العامة فكتب طاهر الى هرثمة يحثه ويلومه ويقول جمعت الاجناد واتلفت الاموال وقد وقفت وقوف المحجم عمن بازائك فاستعد للدخول اليهم فقد أحكمت الامر على دفع العسكر وقطع الجسور وأرجوان لا يختلف عليك اثنان فأجابه هرثمة بالسمع والطاعة فكتب طاهر الى خزيمة بذلك وكتب الى محمد ابن على بن عيسى بن ماهان بمثل ذلك فلما كان ليلة الاربعاء لثمان بقين من المحرم وثب خزيمة ومحمد ابن على بن عيسى على جسر دجلة فقطعاه وخلعا محمدا الامين وسكن أهل عسكر المهدى ولم يدخل هرثمة حتى مضى اليه نفر من القواد وحلفوا له انه لا يرى منهم مكروها فدخل اليهم فقال الحسين الخليع فى ذلك

علينا جميعا من خزيمة منة * بما أحمد الرحمن نائرة الحرب
تولى أمور المسلمين بنفسه * فذب وحامى عنهم أشرف الذب
ولولا أبو العباس ما انفك دهرنا * ينيب على عتب ويعدو على عتب
خزيمة لم يذكر له مثل هذه * اذا اضطربت شرق البلاد مع الغرب
أناخ بجسرى دجلة القطع والقنا * شوارع والارواح فى راحة الغضب

وهى عدة أبيات فلما كان الغد تقدم طاهر الى المدينة والكرخ فقاتل هناك قتالا شديدا فهزم الناس حتى ألحقهم بالكرخ وقاتلهم فيه فهزمهم فروا ايلون على شئ فدخلها طاهر بالسيف

وما هو عليه فقال له عمرو من طلب عظيما خاطر بعظيم وقد كان معاوية فى سنة أربعين بعث بسر ابن ارطاة فى ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الانصارى فتنحى وجاء بشر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فاجابوه الى بيعة معاوية وبلغ الخبر عليا فانفذ حارثة ابن قدامة السعدى فى ألفين ووهب بن مسعود فى ألفين ومضى بشر الى مكة ثم سار الى اليمن وكان عبد الله بن العباس بها فخرج عنها ولحق بعلى واستخلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحرثى وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند أمهما جويرية بنت قارط الكنانية فقتلهما بشر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف وقد كان بشر بن ارطاة العامرى عامر بن لؤى بن غالب قتل بالمدينة وبين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعة وغيرهم وكذلك بالحرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همذان وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الابناء ولم يبلغه عن احد انه يميل الى عليا أو يهواه الا قتله ونما اليه خبر حارثة ابن قدامة السعدى فهرب

وأمر منادیه فنادی من لزم بیته فهو آمن ووضع بسوق الکرخ وقصر الوضاح جندا علی قدر حاجته وقصد الی مدینة المنصور وأحاط بها وبقصر زبیدة وقصر الخلد من باب الجسر الی باب خراسان وباب الشام وباب الکوفة وباب البصرة وشاطئ الصراة الی مصبها فی دجلة وثبت علی قتال طاهر حاتم بن الصقر والهرش والافارقة فنصب المجانیق بازاء قصر زبیدة وقصر الخلد وأخذ الامین أمه وأولاده الی مدینة المنصور وتفرق منه عامة جنده وخصیانه وجواریه فی الطریق لا یلوی أحد علی أحد وتفرق السفلة والعوغاء وتحصن محمد بمدینة المنصور وحصره طاهر وأخذ علیه الابواب وبلغ خبر هذه الوقعة عمر الوراق فقال لخبره ناولنی قدحا تمثل

خذها فللخمرة أسماء * لها دواء ولها داء
یصلحها الماء اذا أصفقت * یوما وقد یفسدها الماء
وقائل کانت لهم وقعة * فی یومنا هذا وأشیاء
قلت له أنت امرؤ جاهل * فیک عن الخیرات ابطاء
اشرب ودعنا من أحادیثهم * یصطلح الناس اذا شاؤا

وحکی ابراهیم بن المهدی انه کان مع الامین لما حصره طاهر قال فخرج الامین ذات لیلة یرید أن یتفرج من الضیق الذی هو فیه فصار الی قصر له بناحیة الخلد ثم أرسل الی فحضرت عنده فقال تری طیب هذه اللیلة وحسن القمر فی السماء وضوءه فی الماء علی شاطئ دجلة فهل لک فی الشرب فقلت شأنک فشرب رطلا وسقانی آخر ثم غنیته ما کنت أعلم انه یحبه فقال لی ما تقول فیمن یضرب علیک فقلت ما أحوجنی الیه فدعا بجاریة متقدمة عنده اسمها ضعف فتطیرت من اسمها ونحن فی تلک الحال فقال لها غنی فغنت بشعر الجعدی

کلیب لعمری کان أکثر ناصرا * وأیسر جرما منک ضرج بالدم

فاشتد ذلک علیه وتطیر منه وقال غنی غیر ذلک فغنت

أبکی فراقکم عینی فأرقها * ان التفرق للاحباب بکاء
مازال یعدو علیهم ریب دهرهم * حتی تفانوا وریب الدهر عداء

فقال لها لعنک الله أما تعرفین من الغناء غیر هذا فقالت ما تغنیت الا ما ظننت انک تحبه ثم غنت آخر

أما ورب السکون والحرک * ان المنایا کثیرة الشرک
ما اختلف اللیل والنهار وما * دارت نجوم السماء فی الفلک
الا لنقل السلطان عن ملک * قد زال سلطانه الی ملک
وملک ذی العرش دائم أبدا * لیس بفان ولا بمشترک

فقال لها قومی غضب الله علیک ولعنک فقامت وکان له قدح من بلور حسن الصنعة کان یسمیه زب رباح وکان موضوعا بین یدیه فعثرت الجاریة به فکسرته فقال ویحک یا ابراهیم ماتری ما جاءت به هذه الجاریة ثم ما کان من کسر القدح والله ما أظن أمری الا وقد قرب فقلت یدیم الله ملکک ویعز سلطانک ویکبت عدوک فما استتم الکلام حتی سمعنا صوتا فضی الامر الذی فیه تستفتیان فقال یا ابراهیم أما سمعت ما سمعت قلت ما سمعت شیأ وکنت قد سمعت قال تسمع حسا فدنوت من الشط فلم أر شیأ ثم عاودنا الحدیث فعاد الصوت بمثله فقام من مجلسه مغتما الی مجلسه بالمدینة فما مضی الا لیلة أو لیلتان حتی قتل

وظفر حارثة بابن أخی بشر مع أربعین من أهل بیته فقتلهم وکانت جویریة أم ابنی عبد الله بن العباس الذین قتلهما بشر تدور حول البیت ناشرة شعرها وهی من أجمل الناس وهی تقول ترثیهما

هامن أحس من ابنی اللذین هما
کالدرتین تشظی عنهما الصدف
هامن أحس من ابنی اللذین هما
سمعی وقلبی فعقلی الیوم مختطف
هامن أحس من ابنی اللذین هما
مخ العظام فمخی الیوم مزدهف
نبئت بشرا وما صدقت ما زعموا
من قولهم ومن الافک الذی وصفوا
انحی علی ودجی ابنی مرهفة
مشحوذة وکذاک الاثم یقترف

(وذکر الواقدی) قال دخل عمرو بن العاص یوما علی معاویة بعد ما کبر ودق ومعه مولاه وردان فأخذا فی الحدیث ولیس عندهما غیرهما وردان فقال عمرو یا أمیر المؤمنین ما بقی مما تستلذه فقال أما النساء فلا أرب لی فیهن وأما

﴿ذكر قتل الامين﴾

لما دخل محمد الى مدينة المنصور واستولى طاهر على أسواق الكرخ وغيرها كما تقدم وقر بالمدينة علم قواده وأصحابه انهم ليس لهم فيها عدة الحصر وخافوا أن يظفر بهم طاهر فأتاه محمد بن حاتم بن الصقر ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب الافريقي وغيرهما فقالوا قد آلت حالنا الى ماترى وقد رأينا رأيا نعرضه عليك فانظر واعزم عليك فانا رجوان يجعل الله فيه الخيرة قال وماهو قالوا قد تفرق عنك الناس وأحاط بك عدوك وقد بقي معك من خيلك سبعة آلاف فرس من خيارها فنرى ان تختار ممن عرفناه بمحبتك من الابناء سبعة آلاف فنحملهم على هذه الخيل وتخرج ليلا على باب من هذه الابواب فان الليل لاهله ولن يثبت لنا أحد ان شاء الله تعالى فتخرج حتى نلحق بالجزيرة والشأم فنفرض الفروض ونجبي الخراج ونصير في مملكة واسعة وملك جديد فيفساع اليك الناس وينقطع عن طلبك الجند ويحدث الله أمورا فقال لهم نعم مارأيتم وعزم على ذلك وبلغ الخبر الى طاهر فكتب الى سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك والله لئن لم تردوه عن هذا الرأي لاتركت لكم ضيعة الا قبضتها ولا يكون لي همة الا أنفسكم فدخلوا على الامين فقالوا له قد بلغنا الذي عزمت عليه فنحن نذكرك الله في نفسك ان هؤلاء صعاليك وقد بلغ بهم الحصار الى ماترى فهم يرون أن لا أمان لهم عند أخيك وعند طاهر لجدهم في الحرب ولسنا نأمن اذا خرجت معهم أن يأخذوك أسيرا أو يأخذوا رأسك فيتقربوا بك ويجعلوك سبب أمانهم وضربوا فيه الامثال فرجع الى قولهم وأجاب الى طلب الامان والخروج فقالوا له انما غايتك السلامة واللهو وأخوك يتركك حيث أحببت ويجعل لك فيه كل مايصلحك وكل ماتحب وتهوى وليس عليك منه بأس ولا مكروه فركن الى ذلك وأجاب الى الخروج الى هرثمة بن أعين فدخل عليه أولئك النفر الذين أشاروا بقصد الشأم وقالوا اذا لم تقبل ماأشرنا به عليك وهو الصواب وقبلت من هؤلاء المداهنين فالخروج الى طاهر خير لك من الخروج الى هرثمة فقال انا أكره طاهرا لاني رأيت في منامي كأني قائم على حائط من آجر شاهق في السماء عريض الاساس لم أر مثله في الطول والعرض وعلى سوادي ومنطقتي وسيفي وكان طاهر في أصل ذلك الحائط فما زال يضربه حتى سقط وسقطت وطارت قلنسوتي عن رأسي فانا أتطير منه وأكرهه وهرثمة مولانا وهو بمنزلة الوالد وأنا أشد انسابه وثقة اليه فأرسل يطلب الامان فأجابه هرثمة الى ذلك وحلف له انه يقاتل دونه ان هم المأمون بقتله فلما علم ذلك طاهر اشتد عليه وأبى أن يدعه يخرج الى هرثمة وقال هو في جندي والجانب الذي أنا فيه وأنا أخرجته بالحصار حتى طلب الامان فلا أرضى ان يخرج الى هرثمة فيكون له الفتح دوني فلما بلغ ذلك هرثمة والقواد اجتمعوا في منزل خزيمة بن خازم وحضر طاهر وقواده وحضر سليمان بن المنصور والسندي ومحمد بن عيسى بن نهيك وأداروا الرأي بينهم وأخبروا طاهرا أنه لا يخرج اليه أبدا وانه ان لم يجب الى ماسأل لم يؤمن الا أن يكون الامر مثله أيام الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان وقالوا له انه يخرج الى هرثمة بيدنه ويدفع اليك الخاتم والقضيب والبردة وذلك هو الخلافة فاغتنم هذا الامر ولا تفسده فاجاب الى ذلك ورضي به ثم ان الهرش لما علم بالخبر أراد التقرب الى طاهر فأخبره ان الذي جرى بينهم مكروان الخاتم والقضيب والبردة يحمل مع الامين الى هرثمة فاغتاظ منه وجعل حول قصر أم الامين وقصور الخلد قوما معهم العتل ولم يعلم بهم أحد فلما هيأ الامين للخروج الى هرثمة عطش قبل خروجه عطشا شديدا فطلب له في خزانة الشراب ماء فلم يوجد فلما أمسى ليلة الاحد لخمس بقين من محرم سنة ثمان

الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهى بها جلدي فما أدري أيها ألين وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدري أيه ألذ واطيب وأما الطيب فقد دخل خياشيمي منه حتى ما أدري ايه أطيب فاشي ألذ عندي من شراب بارد في يوم صائف ومن ان أنظر الى بني وبني بني يدورون حولي فما بقي منك يا عمرو قال مال أغرسه فاصيب من ثمرته ومن غلته فالتفت معاوية الى وردان فقال مابقي منك يا وردان قال صنيعة كريمة سنية أعقلها في أعناق قوم ذوي فضل وأخطار لا يكافؤني بها حتى ألقى الله تعالى وتكون لعقبي في أعقابهم بعدي فقال معاوية تبا لمجلسنا سائر اليوم ان هذا العبد غلبني وغلبك وفي سنة ثلاث وأربعين مات عمرو بن العاص بن وائل ابن سهم بن سعيد بن سعد بمصر وله تسعون سنة وكانت ولايته مصر عشر سنين وأربعة أشهر ولما حضرته الوفاة قال اللهم لا براءة لي فأعتذر ولا قوة لي فأنتصر أمر تنا فعصينا ونهيتنا فركبنا اللهم هذه يدي الى ذقني ثم قال خذوا

وتسعين ومائة خرج بعد العشاء الآخرة الى صحن الدار وعليه ثياب بيض وطيلسان اسود فأرسل اليه هرثمة وافيت للميعاد لاحملك ولكني أرى ان لا تخرج الليلة فاني قد رأيت على الشط أمرا قد رابني وأخاف ان أغلب وتؤخذ من يدي وتذهب نفسك ونفسي فأقم الليلة حتى استعد وآتيك الليلة القابلة فان حوربت حاربت دونك فقال الامين للرسول ارجع اليه وقل له لا يبرح فاني خارج اليه الساعة لا محالة ولست أقيم الى غد وقاق وقال قد تفرق عني الناس من الموالي والحرس وغيرهم ولا آمن ان انتهى الخبر الى طاهر أن يدخل علي فيأخذني ثم دعا بابنيه فضمهما اليه وقبلهما وبكى وقال أستودعكما الله عز وجل ودمعت عيناه فمسح دموعه بكمه ثم جاء راكبا الى الشط فاذا حراقة هرثمة فصعد اليها فذكر أحمد بن سلام صاحب المظالم قال كنت مع هرثمة في الحراقة فلما دخلها الامين قتاله وجثى هرثمة على ركبتيه واعتذر اليه من تفرس به ثم احتضنه وضمه اليه وجعله في حجره وجعل يقبل يديه ورجليه وعينيه وأمر هرثمة الحراقة أن تدفع اذ شد علينا أصحاب طاهر في الزوارق وعطمطوا ونقبوا الحراقة ورموهم بالآجر والنشاب فدخل الماء الى الحراقة فغرقت وسقط هرثمة الى الماء وسقطنا فتعلق الملاح بشعر هرثمة فاخرجه وأما الامين فانه لما سقط الى الماء شق ثيابه وخرج الى الشط فأخذني رجل من أصحاب طاهر وأتى بي رجلا من اصحاب طاهر وأعلمه اني من الذين خرجوا من الحراقة فسألني من أنا فقلت أنا أحمد بن سلام صاحب المظالم مولى أمير المؤمنين قال كذبت فأصدقني قلت قد صدقتك قال فافعل المخلوع قلت رأيته وقد شق ثيابه فركب وأخذني معه أعدو وفي عنقي حبل فعجزت عن العدو فأمر بضرب عنقي فاشتريت نفسي منه بعشرة آلاف درهم فتركني في بيت حتى يقبض المال وفي البيت بواري وحصر مدرجة وسادتان فلما ذهب من الليل ساعة واذ قد فتحوا الباب وأدخلوا الامين وهو عريان وعليه سراويل وعمامة وعلى كتفه خرقة خلقة فتركه معي فاسترجعت وبكيت فيما بيني وبين نفسي فسألني عن اسمي فعرفته فقال ضمني اليك فاني أجد وحشة شديدة قال فضممته الى واذا قلبه يخفق خفقانا شديدا فقال يا أحمد ما فعل أخي قلت حي هو قال قبح الله بريدهم كان يقول قدمات شبه المعتذر من محاربته فقلت بل قبح الله وزراءك فقال ما تراهم يصنعون بي أيقتلونني أم يفوا لي بامانهم فقلت بل يفون لك وجعل يضم الخرقة على كتفه فنزعت مبطنة كانت علي وقلت ألق هذه عليك فقال دعني فهذا من الله عز وجل في مثل هذا الموضع خير كثير فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا رجل فنظر في وجوهنا فاستثبتها فلما عرفته انصرف واذا هو محمد بن حميد الطاهري فلما رأيته علمت ان الامين مقتول فلما انتصف الليل فتح الباب ودخل الدار قوم من العجم معهم السيوف مسلولة فلما رآهم قام قائما وجعل يقول انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي في سبيل الله أما من مغيث أما من أحد من الابناء وجاؤا حتى وقفوا على باب البيت الذي نحن فيه وجعل بعضهم يقول لبعض تقدم ويدفع بعضهم بعضا وأخذ الامين بيده وسادة وجعل يقول ويحكم أنا ابن عم رسول الله انا ابن هرون أنا أخو المأمون الله الله في دمي فدخل عليه رجل منهم فضربه بالسيف ضربة وقعت في مقدم رأسه وضربه الامين بالوسادة على وجهه وأراد ان يأخذ السيف منه فصاح قتلني قتلني فدخل منهم جماعة فخنسه واحد منهم بالسيف في خاصرته وركبوه فذبحوه ذبحا من قفاه وأخذوا رأسه ومضوا به الى طاهر وتركوا جثته فلما كان السحر أخذوا جثته فادرجوها في جل وحملوها فنصب طاهر الرأس على برج وخرج أهل بغداد للنظر وطاهر يقول هذا رأس المخلوع محمد فلما قتل ندم جند بغداد وجند طاهر

على

لي في الارض خدا وسنوا
على التراب سنا ثم وضع
أصبعه في فيه حتى مات
وصلى عليه ابنه عبد الله يوم
الفطر فبدأ بالصلاة عليه
قبل صلاة العيد ثم صلى
بالناس بعد ذلك صلاة
العيد وكان أبوه من
المستهزئين وفيه نزلت ان
شانئك هو الابتر (وولى
معاوية) ابنه عبد الله بن
عمرو ما كان لأبيه وخلف
عمرو من العين ثلثمائة ألف
دينار وخمسة وعشرين
ألف دينار ومن الورق
الفي ألف درهم وضيعته
المعروفة بالرهط قيمتها عشرة
آلاف درهم وفيه يقول
ابن الزبير الاسدي الشاعر
من أبيات
ألم تران الدهر راخت
صروفه
على عمرو والسهمي تجبى له
مصر
فلم يغن عنا حزمه واحتياله
ولا جمعه لما اتيح له الدهر
وامسى مقيما بالعراء
وضلت
مكايده عنه واموله الدثر
وفي سنة خمس وأربعين
ولى معاوية زياد ابن أبيه
البصرة واعمالها وقال لما
دخلها
الارب مسرور بما لا يسره
وآخر محزون بما لا يضره
وقد كان معاوية عزل في
هذه السنة شقران بن

على قتله لما كانوا يأخذون من الاموال وبعث طاهر برأس محمد الى أخيه المأمون مع ابن عمه محمد بن الحسين بن مصعب وكتب معه بالفتح فلما وصل أخذ الرأس ذو الرياستين فادخله على ترس فلما رآه المأمون سجد وبعث معه طاهر بالبردة والقضيب والخاتم ولما بلغ أهل المدينة ان طاهرا أمر مولاه قريشا فقتله قال شيخ من أهل المدينة سبحان الله كما روى انه يقتله قريش فذهبنا الى القبيلة فوافق الاسم ولما قتل الامين نودي في الناس بالامان فامن الناس كلهم ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة فصلى بالناس وخطب للمأمون وذم الامين وكتب الى المعتصم وقيل الى ابن المهدي أما بعد فانه عزيز علي ان اكتب الى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير ولكنه بلغني انك تميل بالرأي وتصغي بالهوى الى الناكث المخلوع فان كان كذلك فكثيرا ما كتبت اليك وان كان غير ذلك فالسلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته ولما قتل الامين قال ابراهيم بن المهدي يرثيه

عوجا بغني الطلل الداثر * بالخلد ذات الصخر والآجر
والمرمر المنسوب يطلى به * والباب باب الذهب الناضر
عوجا بها فاستيقنا عندها * على يقين قدرة القادر
وأبلغا عني مقالا الى الـ * ـمولى على الأمور والآمر
قولا له يا ابن أبي الناصر * طهر بلاد الله من طاهر
لم يكفه أن خر أوداجه * ذبح الهدايا بعدي الجازر
حتى أتى يسحب أوداجه * في شطن هذا مدى السائر
قد برد الموت على جنبه * فطرفه منكسر الناظر

فلما بلغ المأمون قوله اشتد عليه

(ذكر صفة الامين وعمره وولايته)

قيل ان محمدا ولي يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائة وقتل ليلة الاحد لست بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وكنيته أبو موسى وقيل أبو عبد الله وهو ابن الرشيد هرون بن أبي عبد الله المهدي بن أبي جعفر المنصور وأمه زبيدة ابنة جعفر الاكبر ابن المنصور وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام وقيل كانت ولايته في النصف من جمادى الآخرة وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة وكان سبط الانزع صغير العينين أقنى جميلا طويلا عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين وكان مولده بالرصافة ولما وصل خبر قتله الى المأمون اذن للقواد وقرأ الفضل بن سهل الكتاب عليهم فهنؤه بالظفر ودعوا له وكتب الى طاهر وهرثمة بخلع القاسم المؤتمن من ولاية العهد فخلعاه في شهر ربيع الاول من هذه السنة وأكثر الشعراء في مراثي الامين وهجائه تركنا أكثره لانه خارج عن التاريخ فمما قيل في مراثيه قول الحسين بن الضحاك وكان من ندمائه وكان لا يصدق بقتله ويطمع في رجوعه

يا خير أسرته وان زعموا * اني عليك لمنبت أسف
الله يعلم ان لي كبدا * حرى عليك ومقلة تكف
ولئن شجيت لما رزئت به * اني لاضمر فوق ما أصف
هيهات لا قيت لسدة فاقتنا * أبدا وكان لغيرك التلف
فلقد خلفت خلائفا سلفوا * أو ليس يعوز بعدك الخلف
لا يأت رهطك بعدهو نهم * اني لرهطك بعدها شنف

عوف العامري وأمر أن يبلغ الطوانة فاصيب معه خلق من الناس فعم الناس الحزن بمن أصيب بارض الروم وبلغ معاوية أن يزيد ابنه لما بلغه خبرهم وهو على شرابه مع ندمائه قال أهون علي بما لافت جموعهم يوم الطوانة من حي ومن شوم اذا اتكأت على الانماط مرتفقا بدير مر وان عندي أم كلثوم

تخاف عليه ليغزون واردف به شقران فسميت هذه الغزاة غزاة الرادفة وبلغ الناس فيها الى القسطنطينية وفيها مات أبو أيوب الانصاري ودفن هناك على باب القسطنطينية واسم أبي أيوب خالد بن زيد وقد قيل ان أبا أيوب مات في سنة احدى وخمسين غازيا مع يزيد وقد أتينا على خبر هذه الغزاة وما كان من يزيد فيها في الكتاب الاوسط وفي سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان واليها ثم عاد اليها فطعن فمات فقرأ عمر ابي عليه وهو يدفن فقال

ارسم ديار المغيرة تعرف
عليها وانى الانس والجن تعرف
فان كنت قد لاقيت هامان بعدنا
وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف

(وذكر) أن المغيرة ركب الى هند بنت النعمان بن المنذر وهي في دير لها في الحيرة مترهبة وهو أمير الكوفة يومئذ وقد كانت هند هميت فلما جاءه الدير استأذن عليها فأتته جاريتها

هتكوا لحرمتك التى هتكت * حرم الرسول ودونها السجف
ونبت اقاربك التى خذلت * وجميعها بالذل معترف
تركوا حريم أبيهم نهبا * والمحصنات صوارخ هتف
أبدت مخلخلها على دهش * ابكارهن ورنت النصف
سلبت معاجرهن واختلست * ذات النقاب ونوزع الشنف
فكانهن خلال منتهب * درتكشف دونه الصدف
سلك تخوف نظمه قدر * فوهى فصرف الدهر مختلف
هيهات بعدك أن يدوم لنا * عز وان يبقى لنا شرف
افبعد عهد الله تقتله * والقتل بعد امانة سرف
فستعرفون غدا بعاقبة * عز الاله فاوردوا وقفوا
يامن يخون نومه أرقا * هدت الشجون وقلبه لهف
قد كنت لى املا غنيت به * فمضى وحل محله الاسف
هرج النظام وعاد منكرنا * عرفا وانكر بعده العرف
والشمل منتشر النظام والـ * ـدنيا سدى والباب منكشف

وقال خزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أمه زبيدة وتخاطب المأمون وكنية زبيدة أم جعفر

نعم الامام قام من خير عنصر * وافضل سام فوق أعواد منبر
لوارث علم الاولين وفهمهم * وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني مستهل دموعها * اليك ابن عمى من جفون ومحجر
وقد مسنى ضر ودل كآبة * وأرق عينى يا ابن عمى تفكرى
وهمت لما لاقيت بعد مصابه * فامرى عظيم منكر جد منكر
ساشكو الذى لقيته بعد فقده * اليك شكاة المستضيم المقتر
وأرجوا لما قدمر بى مذ فقدته * فانت لبثى خير رب مغير
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا * فطاهر فيما أتى بطهر
فاخرجنى مكشوفة الوجه حاسرا * وأنهب أموالى وأخرب أدورى
يعز على هرون ما قد لقيته * وما مر بى من ناقص الخلق أعور
فان كان ما أبدى بامر أمرته * صبرت لامر من قدير مقدر
تذكر أمير المؤمنين قرابتى * فديتك من ذى حرمة متذكر

فلما قرأها المأمون بكى وقال أنا والله أطالب بثار أخى قتل الله قاتله ولقد أسرف الحسين بن الضحاك فى مراثى الامين وذم المأمون فاوذا حجبه المأمون عنه ولم يسمع مديحه مدة ثم احضره يوما فقال له أخبرنى هل رأيت يوم قتل أخى هاشمية قتلت وهتكت قال لا قال فما قولك

ومما شجا قلبى وكفكف عبرتى * محارم من آل النبى استحلت
ومهتوكة بالخلد عنها حجوفها * كعاب كقرن الشمس حين تبدت
اذا خفرتها روعة من منازع * لها لمرط عادت بالخشوع ورنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم * هتفن بدعوى خير حى وميت
اردد يداعنى اذا ما ذكرته * على كبد حرى وقلب مفتت

فلا

فقالت هذا المغيرة يستأذن عليك فقالت للجارية ألقى اليه أنانا فالقت اليه وسادة من شعر فلما دخل قعد عليها وقال أنا المغيرة فقالت له قد عرفتك عامل المدرة فما جاء بك قال أتيتك خاطبا اليك نفسك قالت اما والصليب لو أردت لدين او جمال ما رجعت الا بحاجتك ولكنى أخبرك الذى أردت ذلك له قال وما هو قالت أردت انك تتزوجنى حتى تقوم فى الموسم فى العرب فتقول تزوجت ابنة النعمان قال ذلك أردت ولكن أخبرينى ما كان أبوك يقول فى هذا الحى من ثقيف قالت كان ينسبهم من اياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف أحدهما من بنى سالم والآخر من بنى يسار فسألهما عن أنسابهما فانتسب أحدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال أبى ما الحى معد على اياد فضل فخر جا وأبى يقول ان ثقيفا لم تكن هوازنا ولم تناسب عامر اوما زنا الا حديثا واثبتوا الحاسنا

فقال المغيرة اما نحن فمن هوازن وأبوك اعلم قال فاخبرنى أى العرب كان أحب الى أبيك قالت أطوعهم له قال ومن أولئك قالت بكر بن وائل قال فأين بنو تميم قالت ما استعنتهم فى طاعة قال فقيس قالت ما اقتربوا اليه بما يحب الا استعقبوه بما يكره قال فكيف أطاع

فلابات ليل الشامتين بغبطة * ولا بلغت آمالها ما تمنت

فقال يا أمير المؤمنين لوعة غلبتني وروعة فاجأتني ونعمة سلبتها بعد أن غمرتني واحسان شكرته فانطقني وسيد فقدته فاقلقني فان عافيت فبحقك وان عفوت فبفضلك فدمعت عين المأمون قال قد عفوت عنك وأمرت بادرار رزقك لميلك وعطائك ما فاتك منهما وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك ثم ان المأمون رضي عنه وسمع مديحه ومما قيل في هجائه

لم نبكيك لماذا للطرب * يا أبا موسى وترويح اللعب
ولترك الخمس في أوقاتها * حرصا منك على ماء العنب
وشنيف انا لا أبكي له * وعلى كوثر لا أخشى العطب
لم تكن تعرف ما حد الرضا * لا ولا تعرف ما حد الغضب
لم تكن تصلح للملك ولم * تعطك الطاعة بالملك العرب
لم نبكيك لما عرضتنا * للمجانيق وطورا للسلب
في عذاب وحصار مجهد * سد الطرق فلا وجه الطلب
زعموا أنك حي حاشر * كل من قد قال هذا وكذب
ليته قد قاله في وجهه * من جميع ذاهب حيث ذهب
أوجب الله عليما قتله * واذا ما أوجب الامر وجب
كان والله علينا فتنة * غضب الله عليه وكتب

وقيل فيه غير ذلك تركنا ذكره خوف الاطالة

﴿ ذكر بعض سيرة الامين ﴾

لما ملك الامين وكاتبه المأمون واعطاه بيعته طلب الخصيان واتباعهم وغالى فيهم فصيرهم لخلوته ليله ونهاره وقوام طعامه وشرابه وأمره ونهيه وفرض لهم فرضا سماهم الجرادية وفرضا من الحبشان سماهم الغرابية وفرض للنساء الحرائر والاماء حتى رمحيهن وقيل فيه الاشعار فمما قيل فيه

الا يا أيها المثوى بطوس * عزيبا ما تفادى بالنفوس
لقد أبقيت للخصيان هقلا * يحل منهم شؤم البسوس
فما نوفل فالشأن فيه * وفي بدر فيالك من جليس
* وما للمعصمي شئ لديه * اذا ذكروا بذي سهم خسيس
وما حسن الصغير أخس حالا * لديه عند مخترق الكؤس
لهم من عمره شطر وشطر * يعاقر فيه شرب الخندريس
وما للغانيات لديه حظ * سوى التقطيب والوجه العبوس
اذا كان الرئيس كذا سقيما * فكيف صلاح من بعد الرئيس
فلو علم المقيم بدار طوس * لعز على المقيم بدار طوس

ثم وجه الى جميع البلدان في طلب الملهين وضمهم اليه وأجرى عليهم الارزاق واحتجب عن أخويه وأهل بيته واستخف بهم وبقواده وقسم ما في بيوت الاموال وما بحضرته من الجواهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه وأمر بيناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلواته ولهوه ولعبه وعمل خمس حراقات في دجلة على صورة الاسد والفيل والعقارب والحية والفرس وأنفق في عملها مالا عظيما فقال أبو نواس في ذلك

فارس قالت كانت طاعتهم اياه فيما يهوى فانصرف المغيرة ولما هلك المغيرة ضم معاوية الكوفة الى زياد فكان أول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة وفي سنة ثمان وأربعين قبض معاوية فدك من مروان ابن الحكم وقد كان وهبها له قبل ذلك فاستردها وقد كان معاوية حج في سنة خمسين وأمر بحمل منبر النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار فجزع من ذلك واعظمه ورده الى موضعه وزاد فيه ست مراق وفي سنة ثلاث وخمسين هلك زياد بن أبيه بالكوفة في شهر رمضان وكان يكنى أبا المغيرة وقد كان كتب الى معاوية أنه قد ضبط العراق بيمينه وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين واتصلت ولايته باهل المدينة فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجوا الى الله ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف فخرجت في كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت أكلة سوداء فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل اثنتين وخمسين ودفن بالنوبة من أرض الكوفة وقد كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي فمن أبى ذلك عرضه على السيف فذكر

سخر الله للامين مطايا * لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركبن به سرن برا * سار فى الماء راكبا كالليث غاب
عجب الناس اذ رأوك على صو * رة ليث تمر مر السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه * كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناحين * تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير فى السماء اذا ما استعجلوها بجيئة وذهاب

قال الكوثر أمر الامين أن يفرش له على دكان فى الخلد يوما ففرش عليها بساط زرعى وغارق وفرش مثله وهيئ من آنية الذهب والفضة والجواهر أمر عظيم وأمر قيمة جواريه ان تهيئ له مائة جارية صانعة فتصعد اليه عشرا عشرا بايديهن العيدان يغنين بصوت واحد فاصعدت اليه عشرا فاندفعن يغنين بصوت واحد

هم قتلوه كى يكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فسبهن وطردهن ثم أمرها فاصعدت عشرا غيرهن فغنينه

من كان مسرورا بقتل مالك * فلياتنا نسوتنا بوجه نهار

فتفعل مثل ما فعله وأطرق طويلا ثم قال أصعدى عشرا فاصعدتهن فغنين

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر حزما منك ضرج بالدم

فقام من مجلسه وأمر بهدم الدكان تطيرا مما كان قيل وذكر محمد الامين عند الفضل بن سهل بخراسان فقال كيف لا يستحل قتل محمد وشاعره يقول فى مجلسه

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا فقد أمكن الجهر

فبلغت القصة الامين فحبس أبا نواس لم نجد فى سيرته ما يستحسن ذكره من حلم أو معدلة أو تجربة حتى نذكرها وهذا القدر كاف

﴿ذكر وثوب الجند بطاهر﴾

وفى هذه السنة وثب الجند بطاهر بعد مقتل الامين بخمسة أيام وكان سبب ذلك أنهم طلبوا منه مالا فلم يكن معه شئ فثاروا به فضاق به الامر وظن ان ذلك من مواطأة من الجند وأهل الارباض وأنهم معهم عليه ولم يكن تحرك من أهل الارباض أحد فخشى على نفسه فهرب ونهبوا بعض متاعه ومضى الى عقرقوف وكان لما قتل الامين أمر بحفظ الابواب وحول زبيدة أم الامين وولديه موسى وعبد الله معها وحملهم فى حراقة الى هيتا على الزاب الاعلى ثم أمر بحمل موسى وعبد الله الى عمهما المأمون بخراسان فلما ثار به الجند نادوا موسى يا منصور وبقوا كذلك يومهم ومن الغد فصوب الناس اخراج طاهر ولدى الامين ولما هرب طاهر الى عقرقوف خرج معه جماعة من القواد وتهيأ لقتال الجند وأهل الارباض ببغداد فلما بلغ ذلك القواد المختلفين عنه والاعيان من أهل المدينة خرجوا واعتذروا وآحالوا على السفهاء والاحداث وسألوه الصفح عنهم وقبول عذرهم فقال طاهر ما خرجت عنكم الا لوضع السيف فيكم وأقسم بالله العظيم عز وجل لئن عدتم لمثلها لا عودن الى رأيى فيكم ولا خرجن الى مكروهكم فكسرهم بذلك وأمر لهم برزق أربعة أشهر وخرج اليه جماعة من مشيخة أهل بغداد وعميرة أبو شيخ بن عميرة الاسدى فحلفوا له انه لم يتحرك من أهل بغداد ولا من الابناء أحد وضمنوا له من وراءهم فسكن غضبه وعفا عنهم ووضعت الحرب أوزارها واستوسق الناس فى المشرق والمغرب على طاعة المأمون والانقياد

عبد الرحمن بن السائب قال حصرت فصرت الى الرحبة ومعى جماعة من الانصار فرأيت شيأ فى منامى وأنا جالس فى الجماعة وقد خفقت وهو أنى رأيت شيأ طويلا قد أقبل فقلت ما هذا فقال أنا النقاد ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فانتبهت فزعا فما كان الا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال انصرفوا فان الامير عنكم مشغول واذا به قد أصابه ما ذكرنا من البلاء وفى ذلك يقول عبد الله ابن السائب من أبيات

ما كان منتهيا مما أرادبنا
حتى تأتى له النقاد ذو الرقبه
فاسقط الشق منه ضربة ثبتت
لما تناول ظلما صاحب الرحبه

يعنى بصاحب الرحبة على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد ذهب جماعة الى أن عليا دفن فى القصر بالكوفة ويقال ان زياد اطمن فى يده وانه شاور شريحا فى قطعها فقال له لك رزق مقسوم وأجل معلوم وانى أكره ان كان لك مدة أن تعيش أجذ وان حم أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها قلت بغضا للقائك وفرارا من قضائك فلام الناس شريحا فقال انه استشارنى والمستشار مؤتمن ولولا أمانة المشورة لوددت أن الله قطع يده يوما ورجله يوما وسائر جسده يوما وفى سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الامصار من العراق وغيرها فكان ممن وفد

لخلافته (عميرة بفتح العين وكسر الميم)

﴿ ذكر خلاف نصر بن سيار بن شبث العقيلي على المأمون ﴾

وفي هذه السنة أظهر نصر بن سيار بن شبث العقيلي الخلاف على المأمون وكان نصر من بني عقيل يسكن كيسوم ناحية شمالي حلب وكان في عنقه بيعة للامين وله فيه هوى فلما قتل الامين أظهر نصر الغضب لذلك وتغلب على ما جاوره من البلاد وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب وأهل الطمع وقويت نفسه وعبر الفرات الى الجانب الشرقي وحدثته نفسه بالتغلب عليه فلما رأى الناس ذلك منه كثرت جموعه وزادت عما كانت وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى (شبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة)

﴿ ذكر ولاية الحسن بن سهل العراق وغيره من البلاد ﴾

وفي هذه السنة استعمل المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل على كل ما كان افتتحه طاهر من كور الجبال والعراق وفارس والاهواز والحجاز واليمن بعد ان قتل الامين وكتب الى طاهر بتسليم ذلك اليه فقدم الحسن بين يديه علي بن أبي طاهر سعيد فدافعه طاهر بتسليم الخراج اليه حتى وفى الجند أرزاقهم وسلم اليه العمل وقدم الحسن سنة تسع وتسعين وفرق العمال وأمر طاهرا أن يسير الى الرقة لمحاربة نصر بن سيار بن شبث العقيلي وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب فسار طاهر الى قتال نصر بن سيار بن شبث وأرسل اليه يدعوه الى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه الى ذلك فتقدم اليه طاهر والتقوا بنواحي كيسوم واقتتلوا قتالا شديدا أبلى فيه نصر بلاء عظيما وكان الظفر له وعاد طاهر شبه المهزوم الى الرقة وكان قصارى أمر طاهر حفظ تلك النواحي وكتب المأمون الى هرثمة يأمره بالمسير الى خراسان وجح بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد

﴿ ذكر وقعة الربض بقرطبة ﴾

في هذه السنة كانت بقرطبة الوقعة المعروفة بالربض وسببها ان الحكم بن هشام الاموي صاحبها كان كثير التشاغل باللهو والصيد والشرب وغير ذلك مما يجانسه وكان قد قتل جماعة من أعيان قرطبة فكرهه أهلها وصاروا يتعرضون لجنده بالاذى والسب الى أن بلغ الامر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الاذان الصلاة يا مخمور الصلاة وشافهه بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالاكف فشرع في تحصين قرطبة وعمارة أسوارها وحفر خنادقها وارتبط الخيل على بابه واستكثر المماليك ورتب جماعة الافارقون باب قصره بالسلاح فزاد ذلك في حقد أهل قرطبة وتيقنوا انه يفعل ذلك للانتقام منهم ثم وضع عليهم عشر الاطعمة كل سنة من غير خرص فكرهوا ذلك ثم عمد الى عشرة من رؤساء سفهائها فقتلهم وصلبهم فهاج لذلك أهل الربض وانضاف الى ذلك ان مملوكا له سلم سيفا الى صيقل ليصقله فطله فاخذ المملوك السيف فلم يزل يضرب الصيقل به الى أن قتله وذلك في رمضان من هذه السنة فكان أول من شهر السلاح أهل الربض واجتمع أهل الارباض جميعهم بالسلاح واجتمع الجند والامويون والعبيد بالقصر وفرق الحكم الخيل والاسلحة وجعل اصحابه كتائب ووقع القتال بين الطائفتين فغلبهم أهل الربض وأحاطوا بقصره فنزل الحكم من أعلى القصر ولبس سلاحه وركب وحرض الناس فقاتلوا بين يديه قتالا شديدا ثم أمر ابن عمه عبيد الله فتقدم في السور ثلمة وخرج منها ومعه قطعة من الجيش وأتى أهل الربض من وراء ظهورهم ولم يعلموا بهم فاضرموا النار في الربض وانهزم أهله وقتلوا مقتلة عظيمة من أهل العراق الاحنف بن قيس في آخرين من وجوه الناس فقال معاوية للضحاك بن قيس اني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله فاذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع الى بيعته فاني قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عمارة الاشعري وثور بن معن السلمي ان يصدقوك في كلامك وان يجيبوك الى الذي دعوتهم اليه فلما كان من الغد قعد معاوية فاعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه وان ذلك دعاه الى ان وليه عهده ثم قام الضحاك بن قيس فأجابه الى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية اعزم على ما أردت ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عمارة الاشعري وثور بن معن فصدقوا قوله ثم قال معاوية أين الاحنف ابن قيس فقام الاحنف فقال ان الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف ومعروف زمان يؤتنف ويزيد حبيب قريب فان توله عهدك فعن غير كبر سن أو مرض مضن وقد حلبت الدهور وجربت الامور فاعرف من تسند اليه عهدك ومن توله الامر من بعدك واعص رأي من يأمرك ولا يقدر لك ويشير عليك ولا ينظر لك فقام الضحاك بن قيس مغضبا فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق وقال اردد

وأخرجوا من وجدوا في المنازل والدور فأسروهم فانتقى من الاسرى ثلثمائة من وجوههم فقتلهم وصلبهم منكسين وأقام النهب والقتل والحريق والخراب في أرباض قرطبة ثلاثة أيام ثم استشار الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث ولم يكن عنده من يوازيه في قربه فاشار عليه بالصفح عنهم والعفو وأشار غيره بالقتل فقبل قوله وأمر فنودي بالامان على انه من بقي من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه فخرج من بقي بعد ذلك منهم مستخفيا وتحملوا على الصعب والذلول خارجين من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم وما خف من أموالهم وقعد لهم الجند والفسقة بالمراصد يتهبون ومن امتنع عليهم قتلوه فلما انقضت الايام الثلاثة أمر الحكم بكف الايدي عن حرم الناس وحملهن الى مكان وأمر بهدم الربض القبلي وكان بزيع مولى أمية ابن الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام محبوسا في حبس الدم بقرطبة في رجليه قيد ثقيل فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند سأل الحرس أن يفرجوا له فاخذوا عليه العهود ان سلم أن يعود اليهم وأطلقوه فخرج فقاتل قتالا شديدا لم يكن في الجيش مثله فلما انهزم أهل الربض عاد الى السجن فانتهى خبره الى الحكم فاطلقه وأحسن اليه وقد ذكر بعضهم هذه الوقعة سنة اثنتين ومائتين

﴿ ذكر الوقعة بالموصل المعروفة بالميدان ﴾

وفيها كانت الوقعة المعروفة بالميدان بالموصل بين اليمانية والنزارية وكان سببها ان عثمان بن نعيم البرجمي صار الى ديار مضر فشكا الازد واليمن وقال انهم يتهضمونا ويغلبوننا على حقوقنا واستنصرهم فسار معه الى الموصل ما يقارب عشرين ألفا فأرسل اليهم علي بن الحسن الهمداني وهو حينئذ متغلب على الموصل فسألهم عن حالهم فاخبروه فاجابهم الى ما يريدون فلم يقبل عثمان ذلك فخرج اليهم علي من البلد في نحو أربعة آلاف رجل فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا عدة وقائع فكانت الهزيمة على النزارية وظفر بهم علي وقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى البلد

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفي هذه السنة خرج الحسن الهرشي في جماعة من سفلة الناس معه خلق كثير من الاعراب ودعا الى الرضا من آل محمد وأتى النيل فجبى الاموال ونهب القرى وفيها مات سفيان بن عيينة الهلالي بمكة وكان مولده سنة تسع ومائة وفيها توفي عبد الرحمن بن المهدي وعمره ثلاث وستون سنة ويحيى بن سعيد القطان في صفر ومولده سنة عشر ومائه

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة ﴾

﴿ ذكر ظهور ابن طباطبا العلوي ﴾

وفيها ظهر أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام لعشر خلون من جمادى الآخرة بالكوفة يدعو الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالكتاب والسنة وهو الذي يعرف بابن طباطبا وكان القيم بامره في الحرب أبو السرايا السري بن منصور وكان يذكر أنه من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني وكان سبب خروجه ان المأمون لما صرف طاهرا عما كان اليه من الاعمال التي افتتحها ووجه الحسن بن سهل اليها تحدث الناس بالعراق أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون وأنه أنزله قصرا احجبه فيه عن أهل بيته وقواده وانه يستبد بالامر دونه فغضب لذلك بنو هاشم ووجوه الناس واجترؤا على الحسن بن سهل وهاجت الفتن في الامصار وكان أول من ظهر ابن طباطبا بالكوفة وقيل كان سبب اجتماع ابن طباطبا بابي السرايا ان السرايا كان يكري الحمير ثم قوي حاله فجمع نفرا فقتل

رجلا

رأيهم في نحورهم وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الفصحاء ثم قام رجل من الازد فاشار الى معاوية وقال أنت أمير المؤمنين فاذا مت فأمير المؤمنين يزيد فمن أبى هذا فهذا وأخذ بقائم سيفه فسله فقال له معاوية اقعد فأنت من أخطب الناس فكان معاوية أول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد وفي ذلك يقول عبد الله بن هشام السلولي

فان تأتوا برملة أو بهند
نبايعها أميرة مؤمنينا
اذا مامات كسرى قام كسرى
نعد ثلاثة متناسقينا
فيالهفا لو آن لنا ألوفا
ولكن لا نعود كما عنينا
اذ الضربتموا حتى تعودوا
بمكة تلعقون بها الانينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا
دماء بني أمية مارويناً
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم
تصيدون الارانب غافلينا

وأنفذت الكتب ببيعة يزيد الى الامصار وكتب معاوية الى مروان بن الحكم وكان على المدينة يعلمه باختياره يزيد وما بايعته اياه بولاية العهد ويأمره بمبايعته واخذ البيعة له على من قبله فلما قرأ مروان ذلك خرج مغضبا في أهل بيته واخواله من بني كنانة حتى أتى دمشق فنزلها ودخل على معاوية يمشي بين السماطين حتى اذا كان منه بقدر ما يسمعه صوته سلم وتكلم بكلام كثير يوبخ به

رجلا من بنى تميم بالجزيرة وأخذ ما معه فطلب فاختفى وعبر الفرات الى الجانب الشامى فكان يقطع الطريق فى تلك النواحى ثم لحق بيزيد بن مزيد الشيبانى بارمينية ومعه ثلاثون فارسا فقوده لجعل يقاتل معه الخرمية وأترفيهم وفتك واخذ منهم غلامه ابا السوك فلما عزل أسد عن ارمينية صار أبو السرايا الى أحمد بن مزيد فوجهه أحمد طليعة الى عسكر هرثمة فى فتنة الامين والمأمون وكانت شجاعته قد اشتهرت فراسله هرثمة يستميله فمال اليه فانتقل الى عسكره وقصده العرب من الجزيرة واستخرج لهم الارزاق من هرثمة فصار معه نحو ألفى فارس وراجل فصار يخاطب بالامير فلما قتل الامين نقصه هرثمة من أرزاقه وأرزاق أصحابه فاستأذنه فى الحج فاذن له وأعطاه عشرين ألف درهم ففرقها فى أصحابه ومضى وقال لهم اتبعونى متفرقين ففعلوا فاجتمع معه منهم نحو من مائتى فارس فسار بهم الى عين التمر وحصر عاملها وأخذ ما معه من المال وفرقه فى أصحابه وسار فلقى عاملا آخر ومعه مال على ثلاثة بغال فاخذها وسار فلحقه عسكر كان قد سيره هرثمة خلفه فعاد اليهم وقاتلهم فهزمهم ودخل البرية وقسم المال بين اصحابه وانتشر جنده فلحق به من تخلف عنه من أصحابه وغيرهم فكثر جمعه فسار نحو دقوقا وعليها أبو ضرغامة الجلى فى سبعمائة فارس فخرج اليه فلقيه فاقتتلوا فانهزم أبو ضرغامة ودخل قصر دقوقا فحصره أبو السرايا وأخرجه من القصر بالامان وأخذ ما عنده من الاموال وسار الى الانبار وعليها ابراهيم الشروى مولى المنصور فقتله أبو السرايا وأخذ ما فيها وسار عنها ثم عاد اليها بعد ادراك الغلال فاحتوى عليها ثم ضجر من طول السرى فى البلاد فقصد الرقة فربطوق بن مالك التغلبى وهو يحارب القيسية فاعانه عليهم وأقام معه أربعة أشهر يقاتل على غير طمع الا للعصبية للربعية على المضرية فظفر طوق وانقادت له قيس وسار عنه أبو السرايا الى الرقة فلما وصلها القيه محمد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا فبايعه وقال له اتحدر أنت فى الماء وأسير أنا على البر حتى نوافى الكوفة فدخلها وابتدأ أبو السرايا بقصر العباس بن موسى بن عيسى فاخذ ما فيه من الاموال والجواهر وكان عظيما لا يحصى وبايعهم أهل الكوفة وقيل كان سبب خروجه ان ابا السرايا كان من رجال هرثمة فطلبه بارزاقه فغضب ومضى الى الكوفة فبايع ابن طباطبا واخذ الكوفة واستوسق له أهلها وأتاه الناس من نواحى الكوفة والاعراب فبايعوه وكان العامل عليها للحسن بن سهل سليمان بن المنصور فلامه الحسن ووجه زهير بن المسيب الضبى الى الكوفة فى عشرة آلاف فارس وراجل فخرج اليه ابن طباطبا وأبو السرايا فواقعوه فى قرية شاهى فهزموه واستباحوا عسكره وكانت الوقعة لسبع جمادى الآخرة فلما كان الغد مستهل رجب مات محمد بن ابراهيم بن طباطبا فجأة سمه أبو السرايا وكان سبب ذلك أنه لما غنم ما فى عسكر زهير منع عنه أبا السرايا وكان الناس له مطيعين فعلم أبو السرايا انه لا حكم له معه فسمه فمات واخذ مكانه غلاما أمرد يقال له محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام فكان الحكم الى أبى السرايا ورجع زهير الى قصر ابن هبيرة فاقام به ووجه الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن أبى خالد المروروذى فى أربعة آلاف فارس فخرج اليه أبو السرايا فلقيه بالجامع لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب فقتل عبدوس واولم يفلت من أصحابه أحد كانوا بين قتيل وأسير وانتشر الطالبيون فى البلاد وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وسير جيوشه الى البصرة وواسط ونواحيهما فولى البصرة العباس ابن محمد بن عيسى بن محمد الجعفرى وولى مكة الحسين بن الحسن بن على بن الحسين بن على الذى يقال له الافطس وجعل اليه الموسم وولى اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر وولى فارس اسمعيل بن

معاوية منه أقم الامور يا ابن أبى سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان واعلم ان لك من قومك نظراء وان لك على مناواتهم وزراء فقال له معاوية أنت نظير أمير المؤمنين وعدته فى كل شديدة وعضده والثانى بعد ولى عهده وجعله ولى عهد يزيد ورده الى المدينة ثم انه عزله عنها وولاها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد بن معاوية

﴿ذكر جمل من اخلاقه وسياسته وطرائف من عيون أخباره﴾

قد ذكرنا فيما تقدم جملا من أخباره وسيره فلنذكر الآن فى هذا الباب جملا من اخلاقه وسياساته واخباره وغير ذلك مما لحق بهذا المعنى الى وفاته كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن فى اليوم والليلة خمس مرات كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيؤتى بصحفه فيقرأ جزأه ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهى ثم يصلى أربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فيأذن للخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم الى العشى ثم يؤتى بالغداء الاصغر وهو فضلة عشائه من جدى بارد أو فرخ أو ما يشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما أراد ثم يخرج فيقول يا غلام

موسى بن جعفر وولى الاهواز زيد بن موسى بن جعفر فسار الى البصرة وغلب عليها وأخرج عنها العباس بن محمد الجعفرى وولیها مع الاهواز ووجه أبو السرايا محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن على الى المدائن وأمره أن يأتى بغداد من الجانب الشرقى فأتى المدائن وأقام بها وسير عسكره الى ديالى وكان بواسط عبد الله بن سعيد الحرشى واليا عليها من قبل الحسن ابن سهل فانهزم من أصحاب أبى السرايا الى بغداد فلما رأى الحسن ان أصحابه لا يلبثون لاصحاب أبى السرايا أرسل الى هرثمة يستدعيه لمحاربة أبى السرايا وكان قد سار الى خراسان مغاضبا للحسن فحضر بعد امتناع وسار الى الكوفة فى شعبان وسير الحسن الى المدائن وواسط على بن سعيد فبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة فوجه جيشا الى المدائن فدخلها أصحابه فى رمضان وتقدم حتى نزل بنهر صرصر وجاء هرثمة فعسكر بازائه بينهما النهر وسار على بن سعيد فى شوال الى المدائن فقاتل بها أصحاب أبى السرايا فهزمهم واستولى على المدائن وبلغ الخبر أبا السرايا فرجع من نهر صرصر الى قصر ابن هبيرة فنزل به وسار هرثمة فى طلبه فوجد جماعة من اصحابه فقتلهم فوجه رؤسهم الى الحسن بن سهل ونازل هرثمة بالسرايا فكانت بينهما وقعة قتل فيها جماعة من أصحاب أبى السرايا فانحاز الى الكوفة ووثب من معه من الطالبيين على دور بنى العباس وموالیهم واتباعهم فهدموها وانتهبوها وخربوا ضياعهم وأخرجوهم من الكوفة وعملوا أعمالا قبيحة واستخرجوا الودائع التى كانت لهم عند الناس وكان هرثمة يخبر الناس انه يريد الحج وحبس من قدم للحج من خراسان وغيرها ليكون هو أمير الموسم ووجه الى مكة داود بن عيسى بن موسى بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وكان الذى وجهه أبو السرايا الى مكة حسين ابن حسن الافطس بن على بن على بن الحسين بن على ووجه أيضا الى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن على فدخلها ولم يقاتله بها أحد ولما بلغ داود بن عيسى توجيه أبى السرايا حسين ابن حسن الى مكة لاقامة الموسم جمع أصحاب بنى العباس وموالیهم وكان مسرور الكبير قد جمع فى مائتى فارس فتهيأ للحرب وقال لداود أقم الى شخصك أو بعض ولدك وأنا أكفيك فقال لا أستحل القتال فى الحرم والله لئن دخلوها من هذا الفج لاخرجن من غيره وانحاز داود الى ناحية المشاش وافترق الجمع الذين كان جمعهم وخاف مسرور أن يقاتلهم فخرج فى أثر داود راجعا الى العراق وبقى الناس بعرفة فصلى بهم رجل من عرض الناس بغير خطبة ودفعوا من عرفة بغير امام وكان حسين بن حسن بسرف يخاف دخول مكة حتى خرج اليه قوم أخبروه ان مكة قد خلت من بنى العباس فدخلها فى عشرة أنفس فطافوا بالبيت وبين الصفا والمروة ومضوا الى عرفة فوقفوا ليلا ثم رجعوا الى مزدلفة فصلى بالناس الصبح وأقام بمنى ايام الحج وبقى بمكة الى أن انقضت السنة وكذلك أيضا اقام محمد بن سليمان بالمدينة حتى انقضت السنة واما هرثمة فانه نزل بقرية شاهى ورد الحاج واستدعى منصور بن المهدى اليه وكاتب رؤساء أهل الكوفة وأما على بن سعيد فانه توجه من المدائن الى واسط فأخذها وتوجه الى البصرة فلم يقدر على أخذها هذه السنة

﴿ ذكر قتوه نصر بن شبث العقيلى ﴾

وفيها قوى أمر نصر بن شبث العقيلى بالجزيرة وكثر جمعه وحصر حران وأتاه نفر من شيعة الطالبيين فقالوا له قد وترت بنى العباس وقتلت رجالهم وأعلقت عنهم العرب فلو بايعت لخليفة كان أقوى لامرك فقال من أى الناس فقالوا نبايع لبعض آل على بن أبى طالب فقال ابايع بعض أولاد السوداوات فيقول انه هو خلقنى ورزقنى قالوا فتبايع لبعض بنى أمية فقال أولئك

أخرج الكرسى فيخرج الى المسجد فيوضع فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسى ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابى والصبى والمرأة ومن لا أحد له فيقول ظلمت فيقول أعزوه ويقول عدى على فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بى فيقول انظروا فى امره حتى اذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلنى أحد عن رد السلام فيقال كيف أصبح أمير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال ياهؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان فيقول افرضوا لولده ويقول آخر غاب فلان عن أهله فيقول تعاهدوهم اعطوهم اقضوا حوائجهم أخذوهم ثم يؤتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند رأسه ويقدم الرجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فيأكل لقمتين أو ثلاثا والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بامر فيقال ياعبد الله أعقب فيقوم ويتقدم آخر حتى يأتى على أصحاب الحوائج كلهم وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع الغداء ويقال

قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل أبدا ولو سلم على رجل مدبر لاعدا نى ادباره وانما هواى فى بنى العباس وانما حاربتهم محاماة عن العرب لانهم يقدمون عليهم العجم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة توفى الحسين بن مصعب بن زريق أبو طاهر بن الحسين بخراسان وكان طاهر بالرقة وحضر المأمون جنازته ونزل الفضل بن سهل قبره ووجه المأمون الى طاهر يعزيه بأبيه وفيها توفى أبو عون معاوية بن أحمد الصمادحى مولى آل جعفر بن أبى طالب الفقيه المغربى الزاهد وفيها توفى سهل بن شاذويه أبو هرون وعبد الله بن غير الهمدانى الكوفى وكنيته أبو هاشم وهو والد محمد بن عبد الله بن غير شيخ البخارى ومسلم

﴿ ثم دخلت سنة مائتين ﴾

﴿ ذكر هرب أبى السرايا ﴾

فى هذه السنة هرب أبو السرايا من الكوفة وكان قد حصره فيها ومن معه هرثمة وجعل يلازم قتالهم حتى ضجروا وتركوا القتال فلما رأى ذلك أبو السرايا نهيأ للخروج من الكوفة فخرج فى ثمانمائة فارس ومعه محمد بن محمد بن زيد ودخلها هرثمة فأمن أهلها ولم يتعرض اليهم وكان هربه سادس عشر المحرم وأتى القادسية وسار منها الى السوس بخوزستان فلقى مالا قد حمل من الاهواز فأخذه وقسمه بين أصحابه وأتاه الحسن بن على المأمونى فأمره بالخروج من عمله وكره قتاله فأبى أبو السرايا الا قتاله فقاتله فهزمه المأمونى وجرحه وتفرق أصحابه وسار هو ومحمد بن محمد وأبو الشوك نحو منزل أبى السرايا برأس عين فلما انتهوا الى جلولاء ظفر بهم حماد الكندغوش فأخذهم وأتى بهم الحسن بن سهل وهو بالنهروان فقتل أبا السرايا وبعث رأسه الى المأمون ونصبت جثته على جسر بغداد وسير محمد بن محمد الى المأمون وأما هرثمة فانه أقام بالكوفة يوما واحدا وعاد واستخلف بها غسان بن أبى الفرج أبا ابراهيم بن غسان صاحب حرس والى خراسان وسار على بن سعيد الى البصرة فأخذها من العلويين وكان بها زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على عليه السلام وهو الذى يسمى زيد النار وانما سمى بها لكثرة ما أحرق بالبصرة من دور العباسيين واتباعهم وكان اذا أتى رجل من السودة أحرقه وأخذ أموالا كثيرة من أموال التجار سوى أموال بنى العباس فلما وصل على الى البصرة استأمنه زيد فأمنه وأخذه وبعث الى مكة والمدينة واليمن جيشا وأمرهم بمحاربة من بها من العلويين وكان بين خروج أبى السرايا وقتله عشرة أشهر

﴿ ذكر ظهور ابراهيم بن موسى بن جعفر ﴾

فى هذه السنة ظهر ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وكان بمكة فلما بلغه خبر أبى السرايا وما كان منه سار الى اليمن وبها اسحق بن موسى بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عاملا للمأمون فلما بلغه قرب ابراهيم من صنعاء سار منها نحو مكة فأتى المشاش فعسكر بها واجتمع بها اليه جماعة من أهل مكة هربوا من العلويين واستولى ابراهيم على اليمن وكان يسمى الجزار لكثرة من قتل باليمن وسبى وأخذ الاموال

﴿ ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الافطس بمكة والبيعة لمحمد بن جعفر ﴾

وفى هذه السنة فى المحرم نزع الحسين كسوة الكعبة وكساها كسوة أخرى انفذها أبو السرايا من الكوفة من القز وتتبع ودائع بنى العباس واتباعهم وأخذها وأخذ أموال الناس بحجة الودائع فهرب الناس منه وتطرق أصحابه الى قلع شبابيك الحرم وأخذ ما على الاساطين من

فيصلى أربع ركعات ثم يجلس فيأذن للخاصة الخاصة فان كان الوقت وقت شتاء اتاهم بزاد الحاج من الاخبصة اليابسة والخشكانج والاقراص المجبونة باللبن والسكر من دقيق السميذ والكعك المنضد والفواكه اليابسة وان كان وقت صيف أتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلى العصر ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى اذا كان فى آخر أوقات العصر خرج فجلس على سريره ويؤذن للناس على منازلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب ولا ينادى له باصحاب الحوائج ثم يرفع العشاء وينادى بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلى بعدها أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت أخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى بالعشاء الآخرة فيخرج فيصلى ثم يؤذن للخاصة وحاصة الخاصة والوزراء والحاشية فيؤامره الوزراء فيما أرادوا صدرا من ليلتهم ويستمر الى ثلث الليل فى أخبار العرب وايامها والعجم

الذهب وهو نزر حقير وأخذ ما فى خزانة الكعبة فقسمه مع كسوتها على أصحابه فلما بلغه قتل أبى السرايا ورأى تغير الناس لسوء سيرته وسيرة أصحابه أتى هو وأصحابه الى محمد بن جعفر بن على بن الحسين بن على عليه السلام وكان شيخا محببا للناس مقاربا لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة وكان يروى العلم عن أبيه جعفر رضى الله عنه وكان الناس يكتبون عنه وكان يظهر زهدا فلما أتوه قالوا له تعلم منزلتك من الناس فهلم نبايع لك بالخلافة فان فعلت لم يختلف عليك رجلان فامتنع من ذلك فلم يزل به ابنه على والحسين بن الحسن الافطس حتى غلباه على رأيه وأجابهم وأقاموه فى ربيع الاول فبايعوه بالخلافة وجمعوا له الناس فبايعوه طوعا وكرها وسموه أمير المؤمنين فبقى شهورا وليس له من الامر شئ وابنه على والحسين بن الحسن وجماعتهم أسوأ ما كانوا سيرة وأقبح فعلا فوثب الحسين بن الحسن على امرأة من بنى فهر كانت جميلة وأرادها على نفسها فامتنعت منه فأخاف زوجها وهو من بنى مخزوم حتى توارى عنه ثم كسر باب دارها وأخذها اليه مدة ثم هربت منه ووثب على بن محمد بن جعفر على غلام أمرد وهو ابن قاضى مكة يقال له اسحق بن محمد وكان جميلا فأخذه قهرا فلما رأى ذلك أهل مكة ومن بها من المجاورين اجتمعوا بالحرم واجتمع معهم جمع كثير فأتوا محمد بن جعفر فقالوا له لنخلعنك أو لنقتلنك أو لترد الينا هذا الغلام فأغلق بابه وكلمهم من شباك وطلب منهم الامان ليركب الى ابنه ويأخذ الغلام وحلف لهم انه لم يعلم بذلك فأمنوه فركب الى ابنه وأخذ الغلام منه وسلمه الى أهله ولم يلبثوا الا يسيرا حتى قدم اسحق بن موسى العباسى من اليمن فنزل المشاش واجتمع الطالبيون الى محمد بن جعفر واعلموه وحفروا خندقا وجمعوا الناس من الاعراب وغيرهم فقاتلهم اسحق ثم كره القتال فسار نحو العراق فلقيه الجند الذين أنفذهم هرثمة الى مكة ومعهم الجلودى ورجاء بن جميل فقالوا لاسحق ارجع معنا ونحن نكفيك القتال فرجع معهم فقاتلوا الطالبيين فهزموهم فارسل محمد بن جعفر يطلب الامان وأمنوه ودخل العباسيون مكة فى جمادى الآخرة وتفرق الطالبيون من مكة وأما محمد بن جعفر فسار نحو الجحفة فأدركه بعض موالى بنى العباس فأخذ جميع ما معه وأعطاه دريهمات يتوصل بها فسار نحو بلاد جهينة فجمع بها وقاتل هرون بن المسيب والى المدينة عند الشجرة وغيرها عدة دفعات فانهزم محمد وفقئت عينه بنشابة وقتل من أصحابه بشر كثير ورجع الى موضعه فلما انفصل الموسم طلب الامان من الجلودى ومن رجاء بن جميل وهو ابن عمة الفضل ابن سهل فأمنه وضمن له رجاء عن المأمون وعن الفضل الوفاء بالامان فقبل ذلك فأتى مكة لعشر بقين من ذى الحجة فخطب الناس وقال انى بلغنى ان المأمون مات وكانت له فى عنقى بيعة وكانت فتنة عمت الارض فبايعنى الناس ثم انه صح عندى ان المأمون حى صحيح وأنا أستغفر الله من البيعة وقد خلعت نفسى من البيعة التى بايعتمونى عليها كما خلعت خاتمى هذا من أصبعى فلا بيعة لى فى رقابكم ثم نزل وسار سنة احدى ومائتين الى العراق فسيره الحسن بن سهل الى المأمون بمرو فلما سار المأمون الى العراق صحبه فمات بجرجان على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر ما فعله ابراهيم بن موسى ﴾

وفى هذه السنة وجه ابراهيم بن موسى بن جعفر من اليمن رجلا من ولد عقيل بن أبى طالب فى جند ليحج بالناس فسار العقيلى حتى أتى بستان ابن عامر فبلغه أن أبا اسحق المعتصم قد جمع فى جماعة من القواد فيهم حمدويه بن على بن عيسى بن ماهان وقد استعمله الحسن بن سهل على اليمن فعلم العقيلى انه لا يقوى لهم فاقام ببستان ابن عامر فاجتازت به قافلة من الحاج ومعهم كسوة الكعبة

اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ثم يخرج فيصلى الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا فى كل يوم وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك بن مروان وغيره فلم يدركوا اخلاقه ولا اتقانه للسياسة ولا التأنى للامور ولا مداراته للناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم وبلغ من احكامه للسياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلا من أهل الكوفة دخل على بعيره الى دمشق فى حال مناصرهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال هذه ناقتى أخذت منى بصفين فارتفع أمرهما الى معاوية وأقام الدمشقى خمسين رجلا بينة يشهدون انها ناقته فقضى معاوية على الكوفى وأمره بتسليم البعير اليه فقال الكوفى أصلحك الله انه جمل وليس بناقة فقال معاوية هذا حكم قد مضى ودس الى الكوفى بعد تفرقهم فاحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبره وأحس اليه وقال له ابلغ علينا أنى اقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة وطيها

وطيبها فاخذ أموال التجار وكسوة الكعبة وطيبها وقدم الحجاج مكة عراة منهوبين فاستشار المعتصم أصحابه فقال الجلودى أنا أكفيك ذلك فانتخب مائة رجل وسار بهم الى العقيلى فصبحهم فقاتلهم فانهزموا وأسر أكثرهم وأخذ كسوة الكعبة وأموال التجار الا ما كان مع من هرب قبل ذلك فرده وأخذ الاسرى فضرب كل واحد منهم عشرة أسواط وأطلقهم فرجعوا الى اليمن يستطعمون الناس فهلك أكثرهم فى الطريق

﴿(ذكر مسير هرثمة الى المأمون وقتله)﴾

لما فرغ هرثمة من أبى السرايا رجع فلم يأت الحسن بن سهل وكان بالمدائن بل سار على عقر قوف حتى أتى البرذان والنهروان وأتى خراسان فأتته كتب المأمون فى غير موضع لان يأتى الى الشام والحجاز فأبى وقال لا أرجع حتى ألقى أمير المؤمنين ادلا لامنه عليه ولما يعرف من نصيحته له ولا بائه وأراد أن يعرّف المأمون ما يدبر عليه الفضل بن سهل وما يكتم عنه من الاخبار وانه لا يدعه حتى يرده الى بغداد ليتوسط سلطانه فعلم الفضل بذلك فقال للمأمون ان هرثمة قد أثقل عليك البلاد والعباد ودس أبا السرايا وهو من جنده ولو أراد لم يفعل ذلك وقد كتبت اليه عدة كتب ليرجع الى الشام والحجاز فلم يفعل وقد جاء مشافيا فاظهر القول الشديد فان أطلق هذا كان مفسدة لغيره فتغير قلب المأمون وأبطأ هرثمة الى ذى القعدة فلما بلغ مرو خشى أن يكتم قدومه عن المأمون فأمر بالطبول فضربت لكى يسمعها المأمون فسمعها فقال ما هذا قالوا هرثمة قد أقبل يرعد ويبرق فظن هرثمة ان قوله المقبول فأمر المأمون بادخاله فلما دخل عليه قال له المأمون مالأت أهل الكوفة العلويين ووضعت أبا السرايا ولو شئت أن تأخذهم جميعا الفعلت فذهب هرثمة يتكلم ويعتذر فلم يقبل منه فأمر به فدبس بطنه وضرب أنفه وسحب من بين يديه وقد أمر الفضل الاعوان بالتشديد عليه فحبس فمكث فى الحبس أياما ثم دس اليه من قتله وقالوا مات

﴿(ذكر وثوب الحربية ببغداد)﴾

وفيها كان الشغب ببغداد بين الحربية والحسن بن سهل وكان سبب ذلك ان الحسن بن سهل كان بالمدائن حين شخص هرثمة الى المأمون فلما اتصل ببغداد وسمع ما صنعه المأمون بهرثمة بعث الحسن بن سهل الى على بن هشام وهو والى بغداد من قبله أن ماطل الجند من الحربية أرزاقهم ولا تعطهم وكانت الحربية قبل ذلك حين خرج هرثمة الى خراسان قد وثبوا وقالوا لا نرضى حتى نطرد الحسن وعماله عن بغداد فطردوهم وصيروا اسحق بن موسى الهادى خليفة المأمون ببغداد واجتمع أهل الجانبين على ذلك ورضوا به فدس الحسن اليهم وكاتب قوادهم حتى يبعثوا من جانب عسكر المهدى فحول الحربية اسحق اليهم وأنزلوه على دجيل وجاء زهير بن المسيب فنزل فى عسكر المهدى وبعث الحسن على بن هشام فى الجانب الآخر هو ومحمد بن أبى خالد ودخلوا بغداد ليلا فى شعبان وقاتل الحربية ثلاثة أيام على قنطرة الصراة ثم وعدهم رزق ستة أشهر اذا أدركت الغلة فسألوه تعجيل خمسين درهما لكل رجل منهم ينفقونها فى رمضان فاجابهم الى ذلك وجعل يعطيهم فلم يتم العطاء حتى أتاهم خبر زيد بن موسى من البصرة المعروف بزيد النار وكان هرب من الحبس وكان عند على بن سعيد فخرج بناحية الانبار هو وأخوا أبى السرايا فى ذى القعدة سنة مائتين فبعثوا اليه فاتى به الى على بن هشام وهرب على بن هشام بعد جمعة من الحربية ونزل بصرصر لانه لم يف لهم باعطاء الخمسين الى ان جاء الاضحى وبلغهم خبر هرثمة وأخرجوه وكان القيم بأمر هرثمة محمد بن أبى خالد لان على بن هشام كان يستخف به فغضب من

رؤسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا الى قول عمرو بن العاص ان عليا هو الذى قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر فى طاعته الى أن جعلوا لعن على سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (قال المسعودى) وذكر بعض الاخباريين انه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأى والعقل منهم من أبو تراب هذا الذى يلعنه الامام على المنبر قال أراه لصا من لصوص الفتن (وحكى الجاحظ) قال سمعت رجلا من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول اذا أتيته من يكلمنى منه وأنه أخبره صديق له أنه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ما تقول فى محمد هذا أربنا هو (وذكر) ثمامة بن أشرس قال كنت مارا فى السوق ببغداد فاذا انا برجل عليه الناس مجتمعون فنزلت عن بغلتى وقلت لشئ ما هذا الاجتماع ودخلت بين الناس واذا برجل يصف كلاما معه انه يصح من كل داء يصيب العين فنظرت اليه فاذا عينه الواحدة برشاء والاخرى مأسوكة فقلت له يا هذا لو كان لك كما تقول نفع عينيك فقال لى اها هنا اشتكت عيناى انما اشتكتا بصرة فقال كلهم صدق وذكر انه ما انفلت من نعالهم الا بعد كد (وذكر)

ذلك وتحول الى الحربية فلم يقربهم على فهرب الى صرصر ثم هزموه من صرصر وقيل كان السبب فى شغب الابناء أن الحسن بن سهل جلد عبد الله بن على بن ماهان الحد فغضب الابناء وخرجوا

﴿ذكر الفتنة بالموصل﴾

وفيها وقعت الفتنة بالموصل بين بنى سامة و بنى ثعلبة فاستجارت ثعلبة بمحمد بن الحسين الهمدانى وهو أخو على بن الحسين أمير البلد فأمرهم بالخروج الى البرية ففعلوا فتبعهم بنو سامة فى ألف رجل الى العوجاء وحصروهم فيها فبلغ الخبر عليا ومحمدا ابنى الحسين فأرسلا الرجال اليهم واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من بنى سامة جماعة وأسر جماعة منهم ومن بنى تغلب وكانوا معهم فحبسوا فى البلد ثم ان أحمد بن عمر بن الخطاب العدوى التغلبى أتى محمدا وطلب اليه المسالمة فأجابه اليه وصلح الامر وسكنت الفتنة

﴿ذكر الغزاة الى الفرنج﴾

وفى هذه السنة جهز الحكم أمير الاندلس جيشا مع عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج بالاندلس فسار بالعساكر حتى دخل بأرضهم وتوسط بلادهم فخربها ونهبها وهدم عدة من حصونها كلما أهلك موضعا وصل الى غيره فاستنفد خزائن ملوكهم فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك النواحى مستنصرا بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل أوب وأقبل فى جموع عظيمة بازاء عسكر المسلمين بينهم نهر فاقتتلوا قتالا شديدا عدة أيام المسلمون يريدون ان يعبروا النهر وهم يمنعون المسلمين من ذلك فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر فعبر المشركون اليهم فاقتتلوا أعظم قتال فانهزم المشركون الى النهر فأخذهم السيف والاسر فمن عبر النهر سلم وأسر جماعة من كنودهم وملوكهم وقامصتهم وعاد الفرنج ولزموا جانب النهر يمنعون المسلمين من جوازه فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوما يقتتلون كل يوم فجاءت الامطار وزاد النهر وتعذر جوازه فقفل عبد الكريم عنهم سابع ذى الحجة

﴿ذكر خروج البربر بناحية مورور﴾

وفى هذه السنة خرج خارجى من البربر بناحية مورور من الاندلس ومعه جماعة فوصل كتاب العامل الى الحكم يخبره فأخفى الحكم خبره واستدعى من ساعته قائدا من قواده فاخبره بذلك سرا وقال له سر من ساعتك الى هذا الخارجى فائتنى برأسه والا فرأسك عوضه وأنا قاعد مكانى هذا الى ان تعود فسار القائد الى الخارجى فلما قاربه سأل عنه فاخبر عنه باحتياط كثير واحتراز شديد ثم ذكر قول الحكم ان قتلته والا فرأسك عوضه فحمل نفسه على سبيل سلوك المخاطرة فاعمل الحيلة حتى دخل عليه وقتله وأحضر عند الحكم رأسه فرآه بمكانه ذلك لم يتغير منه وكانت غيبته أربعة أيام فلما رأى رأسه أحسن الى ذلك القائد ووصله وأعلى محله (مورور بفتح الميم وسكون الواو وضم الراء وسكون الواو الثانية وآخره راء ثانية)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة وجه المأمون رجاء بن أبى الضحاك لاحضار على بن موسى بن جعفر بن محمد وأحصى فى هذه السنة ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفا ما بين ذكر وأنثى وفى هذه السنة قتلت الروم ملكها ليون وكان ملكه سبع سنين وستة أشهر وملكوا عليهم ميخائيل بن جورجيش ثانية وفيها خالف على بن أبى سعيد على الحسن بن سهل فبعث المأمون اليه بسراج الخادم وقال له ان وضع يده فى يد الحسن بن سهل أو شخص الى عمرو والا فاضرب عنقه فسار اليه سراج فأطاع

لى بعض اخوانى ان رجلا من العامة على جاره انه يتزندق فسأله الوالى عن مذهب الرجل فقال انه مرجىء قدرى أباضى رافضى فلما نص عن ذلك قال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص فقال له الوالى ما أدرى على أى شئ أحسدك على علمك بالمقالات أو على بصرك بالانساب (وأخبرنى) رجل من اخواننا من أهل العلم قال كنا نتعدث تناظرنا فى أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية وبذكر ما يذكره أهل العلم وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لى ذات يوم بعضهم وكان من اعقلهم واكبرهم لحية كم تظنون فى على ومعاوية وفلان وفلان فقلت له فما تقول أنت فى ذلك قال من تريد قلت على ما تقول فيه قال أليس هو أبو فاطمة قلت ومن كانت فاطمة قال امرأة النبى عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية قلت فما كانت قصة على قال قتل فى غزاة حنين مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان عبد الله بن على حين خرج فى طلب مروان الى الشام وكان من قصة مروان ومقتله ما قد ذكر ونزل عبد الله بن على الشام ووجه الى أبى العباس السفاح اشياعا من أهل الشأم من أرباب النجم والرياسة فخلفوا لابى العباس السفاح انهم ما علموا لرسول الله

وتوجه الى المأمون بمرو مع هرثمة وبها قتل المأمون يحيى بن عامر بن اسمعيل لانه قال له يا أمير الكافرين وج بالناس هذه السنة المعتصم وفيها توفي القاضي أبو البختري وهب بن وهب ومعروف الكرخي الزاهد وصفوان بن عيسى الفقيه والمعافى بن داود الموصلي وكان فاضلا عابدا

﴿ثم دخلت سنة احدى ومائتين﴾

﴿(ذكر ولاية منصور بن المهدي ببغداد)﴾

وفي هذه السنة أراد أهل بغداد أن يبايعوا المنصور بن المهدي بالخلافة فامتنع عن ذلك فأرادوه على الامرة عليهم على أن يدعوا للمأمون بالخلافة فأجابهم اليه وكان سبب ذلك ماذكرناه قبل من اخراج أهل بغداد علي بن هشام من بغداد فلما اتصل اخراجه من بغداد بالحسن بن سهل سار من المدائن الى واسط وذلك أول سنة احدى ومائتين فلما هرب الى واسط تبعه محمد بن أبي خالد بن الهندوان مخالفا له وقد تولى القيام بأمر الناس وولى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربي ونصر بن حمزة بن مالك الجانب الشرقي وكان ببغداد منصور بن المهدي والفضل بن الربيع وخزيمة بن خازم وقدم عيسى بن محمد بن أبي خالد من الرقة من عند طاهر في هذه الايام فوافق آباه على قتال الحسن بن سهل فمضيا ومن معهما الى قرية أبي فرسن قريب واسط والتقيا في طريقهما عساكر الحسن في غير موضع فهزماهم ولما انتهى محمد الى دير العاقول أقام به ثلاثا وزهير بن المسيب مقيم باسكاف بني الجند عاملا للحسن على جوخى وهو يكاتب قواد بغداد فركب اليه محمد وأخذه أسيرا وأخذ كل ماله وسيره أسيرا الى بغداد وحبسه عند أبيه جعفر ثم تقدم محمد الى واسط ووجه محمد ابنه هرون من دير العاقول الى النيل وبها نائب للحسن فهزمه هرون وتبعه الى الكوفة ثم سار المنهزمون من الكوفة الى الحسين بواسط ورجع هرون الى أبيه وقد استولى على النيل وسار محمد وهرون نحو واسط فسار الحسن عنها ونزل خلفها وكان الفضل بن الربيع مختفيا لما تقدم الى الآن فلما رأى ان محمدا قد بلغ واسطا طلب منه الامان فأمنه وظهر وسار محمد الى الحسن على تعبية فوجه اليه الحسن قواده وجنده فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب محمد بعد العصر وثبت محمد حتى جرح جراحات شديدة وانهزموا هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير وغنموا ما لهم وذلك لسبع بقين من شهر ربيع الاول ونزل محمد بفم الصلح وأتاهم الحسن فاقتتلوا فلما جنهم الليل رحل محمد وأصحابه فنزلوا المنازل فاتاهم الحسن فاقتتلوا فلما جنهم الليل ارتحلوا حتى أتوا جبل فاقاموا بها ووجه محمد ابنه عيسى الى عرنايا فاقام بها وأقام محمد بحجر جرايا فاشتدت جراحات محمد فحمله ابنه أبو زنبيل الى بغداد وخلف عسكره لست خلون من ربيع الآخر ومات محمد بن أبي خالد فدفن في داره سرا وأتى أبو زنبيل خزيمة بن خازم فأعلمه حال أبيه وأعلم خزيمة ذلك الناس وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد اليه يبذل فيه القيام بأمر الحرب مقام أبيه فرضوا به وصار مكان أبيه وقتل أبو زنبيل زهير بن المسيب من ليلته ذبحه ذبحا وعلق رأسه في عسكر أبيه وبلغ الحسن بن سهل موت محمد فسار الى المبارك فاقام به وبعث في جمادى الآخرة جيشا له فالتقوا بأبي زنبيل بفم الصراة فهزموه وانحاز الى أخيه هرون بالنيل فتقدم جيش الحسن اليهم فلقوهم فاقتتلوا ساعة وانهزم هرون وأصحابه فأتوا المدائن ونهب أصحاب الحسن النيل ثلاثة أيام وماحولها من القرى وكان بنو هاشم والقواد حين مات محمد بن أبي خالد قالوا نصير بعضنا خليفة ونخلع المأمون فأتاهم خبر هرون وهزيمته فجدوا في ذلك وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة فأبى فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق وقالوا لا نرضى بالمجوسي ابن المجوسي الحسن بن سهل وقيل ان

أيها الناس اسمعوا أخبركم
عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس أنهم
فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا
دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه
يحرز الميراث الا من قرب
وقد كان ببغداد رجل في أيام هرون الرشيد متطبب يطبب العامة بصفاته وكان دهريا يظهر أنه من أهل السنة والجماعة ويلعن أهل البدع ويعرف بالسني تنقاد اليه العامة فكان يجتمع اليه في كل يوم بقوارير الماء خلق من الناس فاذا اجتمعوا وثب قائما على قدميه فقال لهم معاشر المسلمين قلتم لا ضار ولا نافع الا الله فلا أرى شيئا تسألوني عن مضاركم ومنافعكم الجؤا الى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم فيقبل بعضهم على بعض فيقولون اي والله قد صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات ومنهم من كان يتركه حتى يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء فيقول ايمانك ضعيف ولولا ذلك لتوكلت على الله كما أمرضك فهو يبرئك فكان يقتل بقوله هذا خلقا كثيرا لتزهيده اياهم في معالجة مرضاهم ومن اخلاق العامة ان يسودوا غير السيد ويفضلوا غير الفاضل ويقولوا بعلم غير العالم وهم اتباع من سبق

عيسى لما ساعده أهل بغداد على حرب الحسن بن سهل علم الحسن انه لا طاقة له به فبعث اليه و بذل المصاهرة ومائة ألف دينار و الامان له ولاهل بيته ولاهل بغداد و ولاية أي النواحي أحب فطلب كتاب المأمون بخطه وكتب عيسى الى أهل بغداد اني مشغول بالحرب عن جباية الخراج فولوا رجلا من بني هاشم فولوا منصور بن المهدي وقال أنا خليفة أمير المؤمنين المأمون حتى يقدم أو يولي من أحب فرضي به الناس وعسكر منصور بكلواذى و بعث غسان بن عباد بن أبي الفرج الى ناحية الكوفة فنزل بقصر ابن هبيرة فلم يشعر غسان الا وقد أحاط به حميد الطوسي فأخذه أسيرا وقتل من أصحابه وذلك لاربع خلون من رجب وسير منصور بن المهدي محمد بن يقطين في عسكر الى حميد فسار حتى أتى كوثى فلم يشعر بشئ حتى هجم عليه حميد وكان بالنيل فقاتله قتالا شديدا وانهزم ابن يقطين وقتل من أصحابه وأسر وغرق بشر كثير ونهب حميد ما حول كوثى من القرى ورجع حميد الى النيل وابن يقطين أقام بنهر صرصر واحصى عيسى بن محمد بن أبي خالد من في عسكره وكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا بين فارس وراجل فأعطى الفارس أربعين درهما والراجل عشرين درهما

﴿ ذكر أمر المتطوعة بالمعروف ﴾

وفي هذه السنة تجردت المتطوعة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان سبب ذلك ان فساق بغداد والشطار آذوا الناس أذى شديدا وأظهروا الفسق وقطعوا الطريق وأخذوا النساء والصبيان علانية وكانوا يأخذون ولد الرجل وأهله فلا يقدر أن يمتنع منهم وكانوا يطلبون من الرجل ان يقرضهم أو يصلهم فلا يقدر على الامتناع وكانوا ينهبون القرى لا سلطان يمنعهم ولا يقدر عليهم لانه كان يغريهم وهم بطانته وكانوا يمسكون المجتازين في الطريق ولا يعدى عليهم أحد وكان الناس معهم في بلاء عظيم وآخر أمرهم انهم خرجوا الى قطربل وانتهبوها علانية وأخذوا العين والمتاع والدواب فباعوها ببغداد ظاهرا واستعدى أهلها السلطان فلم يمدهم وكان ذلك آخر شعبان فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ربض ودرب ومشى بعضهم الى بعض وقالوا انما في الدرب الفاسق والفاسقان الى العشرة وأنتم أكثر منهم فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق ولحجزوا عن الذي يفعلونه فقام رجل يقال له خالد الدريوش فدعا جيرانه وأهل محلته على ان يعاونوه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فأجابوه الى ذلك فشد على من يليه من الفساق والشطار فنعهم وامتنعوا عليه وأرادوا قتاله فقاتلهم فهزمهم وضرب من أخذه من الفساق وحبسهم ورفعهم الى السلطان الا انه كان لا يرى أن يغير على السلطان شيأ ثم قام بعده رجل من الحربية يقال له سهل بن سلامة الانصاري من أهل خراسان ويكنى أبا حاتم فدعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بالكتاب والسنة وعلق مصحفا في عنقه وأمر أهل محلته ونهاهم فقبلوا منه ودعا الناس جميعا الشريف والوضيع من بني هاشم وغيرهم فأتاه خلق عظيم فبايعوه على ذلك وعلى القتال معه لمن خالفه وطاف ببغداد واسواقها وكان قيام سهل لاربع خلون من رمضان وقيام الدريوش قبله بيومين أو ثلاثة وبلغ خبر قيامهما الى منصور بن المهدي وعيسى ابن محمد بن أبي خالد فكسرهما ذلك لان أكثر أصحابهما كان الشطار ومن لا خير فيه ودخل منصور بغداد وكان عيسى يكاتب الحسن بن سهل في الامان فأجابه الحسن الى الامان له ولاهل بغداد وان يعطي جنده وأهل بغداد رزق ستة أشهر اذا أدركت الغلة ورحل عيسى فدخل بغداد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال وتفرقت العساكر فرضي أهل بغداد بما صالح عليه وبقي سهل

اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان ولا معرفة للحق من الباطل عندهم ثم انظر هل ترى اذا اعتبرت ماذكرنا ونظرت في مجالس العلماء هل تشاهدها الا مشحونة بالخاصة من اولى التمييز والمروءة والحجى وتقصدها العامة في احتشادها وجموعها فلا تراهم الدهر الا مرقلين الى قائد دب وضارب بدف على سياسة قرد ومتشوقين الى اللهو واللعب أو مختلفين الى مشعبذ مقمس مخرف أو مستمعين الى قاص كذاب او مجتمعين حول مضروب أو وقوفا عند مصلوب ينعق بهم ويصاح بهم فلا يرتدعون لا ينكرون منكرا ولا يعرفون معروفا ولا يبالون أن يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فيهم حيث يقول الناس اثنان عالم أو متعلم وما عدا ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم وكذلك ذكر عن علي وقد سئل عن العامة فقال هي همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق وأجمع الناس في تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ثم تدبر تفرقهم في أحوالهم ومذاهبهم فانظر الى اجماع ملئهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعو الخلق الى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحي ويمليه على أصحابه فيكتبونه ويدونونه

على ما كان عليه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

﴿ (ذكر البيعة لعلى بن موسى عليه السلام بولاية العهد) ﴾

فى هذه السنة جعل المأمون على بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ولى عهد المسلمين والخليفة من بعده ولقبه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وأمر جنده بطرح السواد ولبس الثياب الخضر وكتب بذلك الى الآفاق وكتب الحسن بن سهل الى عيسى بن محمد بن أبى خالد بعد عوده الى بغداد يعلمه ان المأمون قد جعل على بن موسى ولى عهده من بعده وذلك انه نظر فى بنى العباس وبنى على فلم يجد أحدا أفضل ولا أورع ولا أعلم منه وانه سماه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بطرح السواد ولبس الخضرة وذلك لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة احدى ومائتين وأمر محمدا ان يأمر من عنده من أصحابه والجند والقواد بنى هاشم بالبيعة له ولبس الخضرة ويأخذ أهل بغداد جميعا بذلك فدعاهم محمد الى ذلك فأجاب بعضهم وامتنع بعضهم وقال لا تخرج الخلافة من ولد العباس وانما هذا من الفضل بن سهل فمكثوا كذلك أياما وتكلم بعضهم وقالوا نولى بعضنا ونخلع المأمون فكان أشدهم فيه منصور وابراهيم ابنا المهدى

﴿ (ذكر الباعث على البيعة لابراهيم بن المهدى) ﴾

وفى هذه السنة فى ذى الحجة خاض الناس فى البيعة لابراهيم بن المهدى بالخلافة وخلع المأمون ببغداد وكان سبب ذلك ما ذكرناه من انكار الناس لولاية الحسن بن سهل والبيعة لعلى بن موسى فأظهر العباسيون ببغداد انهم قد كانوا بايعوا لابراهيم بن المهدى فلم يبق من ذى الحجة وضعوا يوم الجمعة رجلا يقول انا نريد ان ندعو للمأمون ومن بعده لابراهيم ووضعوا من يجيبه بانا لا نرضى الا أن تبايعوا لابراهيم بن المهدى بالخلافة ومن بعده لاسحق بن موسى الهادى وتخلعوا المأمون ففعلوا ما أمروهم به فلم يصل الناس جمعة وتفرقوا وكان ذلك لليلتين بقيتا من ذى الحجة من السنة

﴿ (ذكر فتح جبال طبرستان والديلم) ﴾

فى هذه السنة افتتح عبد الله بن خرداذبه والى طبرستان البلاذر والشيزر من بلاد الديلم وافتتح جبال طبرستان فانزل شهريار بن شروين عنها وأشخص مازيار بن قارون الى المأمون وأسر أبا ليلى ملك الديلم

﴿ (ذكر ابتداء أمر بابك الخرمى) ﴾

وفيها تحرك بابك الخرمى فى الجاويدانية أصحاب جاويدان بن سهل صاحب البذ وادعى ان روح جاويدان دخلت فيه وأخذ فى العيث والفساد وتفسير جاويدان الدائم الباقى ومعنى خرم فرح وهى مقالات المجوس والرجل منهم ينكح أمه واخته وابنته ولهذا يسمونه دين الفرح ويعتقدون مذهب التناسخ وان الارواح تتنقل من حيوان الى غيره

﴿ (ذكر ولاية زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب افريقية) ﴾

وفى هذه السنة سادس ذى الحجة توفى أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية وكانت امارته خمس سنين ونحو شهرين وكان سبب موته انه حدد على كل فدان فى عمله ثمانية عشر دينارا كل سنة فضاق الناس لذلك وشكا بعضهم الى بعض فتقدم اليه رجل من الصالحين اسمه حفص بن عمر الجزرى مع رجال من الصالحين فنهوه عن ذلك ووعظوه وخوفوه العذاب فى الآخرة وسوء الذكر فى الدنيا وزوال النعمة فان الله تعالى اسمه وجل ثناؤه لا يغير ما بقوم حتى

من ذكره ورفعوا من منزلته بأن جعلوه كاتبا للوحى وعظموه بهذه الكلمة وأضافوه اليها وسلبوها عن غيره وأسقطوا ذكر سواه وأصل ذلك العادة والالف وما ولدوا عليه ومانشؤا فيه فالغوا وقت التحصيل والبلوغ وقد عملت العادة عملها وبلغت مبالغها وفى العادة قالت الشعراء وتكلم أهل الدراية والادباء قال الشاعر

لا تنهنى بعد اذا كرمتنى
فشديد عادة منتزعة

وقال آخر معاتبا لصاحبه

ولكن فطام النفس أثقل محملا
من الصخرة الصماء حين ترومها

وقد قالت حكماء العرب العادة أملك بالاريب وقالت حكماء العجم العادة هى الطبيعة الثانية وقد صنف أبو عقال الكاتب كتابا فى أخلاق العوام يصف فيه أخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماه بالملهى ولولا انى أكره التطويل والخروج عما قصدنا اليه فى هذا الكتاب من الايجاز لشرحت من نوادر العامة وأخلاقها وظرائف أفعالها عجائب ولذكرت مراتب الناس فى أخلاقهم وتصرفهم فى أحوالهم

(فلنرجع) الآن الى أخبار معاوية وسياسته وما أوسع الناس من أخلاقه وما أفاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه

يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال فلم يجبهم أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب أميرا فريقية المذكور الى ما طلبوا فخرجوا من عنده الى القيروان فقال لهم حفص لو أتينا نتوضأ للصلاة ونصلي ونسأل الله تعالى أن يخفف عن الناس ففعلوا ذلك فما لبث الا خمسة أيام حتى خرجت قرحة تحت اذنه فلم ينشب ان مات منها وكان من أجل أهل زمانه ولما مات ولى بعده أخوه زيادة الله بن ابراهيم وبقي أميرا رخي البال وأدعار الدنيا عنده آمنة ثم جهز جيشا في اسطول البحر وكان مراكب كثيرة الى مدينة سردانية وهي للروم فغلب بعضها بعد ان غنموا من الروم وقتلوا كثيرا فلما عاد من سلم منهم أحسن اليهم زيادة الله ووصلهم فلما كان سنة سبع ومائتين خرج عليه زياد بن سهل المعروف بابن الصقلبية وجمع جمعا كثيرا وحصر مدينة باجه فسير اليه زيادة الله العساكر فأزالوه عنها وقتلوا من وافقه على المخالفة وفي سنة ثمان ومائتين نقل الى زيادة الله ان منصور بن نصير الطنبذي يريد المخالفة عليه بتونس وهو يسعى في ذلك ويكاتب الجند فلما تحقق ذلك سير اليه قائدا اسمه محمد بن حمزة في ثلثمائة فارس وأمره أن يخفي خبره ويجد السير الى تونس فلا يشعر به منصور حتى يأخذه فيحمله اليه فسار محمد ودخل تونس فلم يجد منصورا بها كان قد توجه الى قصره بطنبذة فارسل اليه محمد فاتى تونس ومعه أربعون شيخا يقبحون له الخلاف وينهونه عنه ويأمرونه بالطاعة فسار واليه واجتمعوا به وذكروا له ذلك فقال منصور ما خالفت طاعة الامير وانا سائر معكم الى محمد ومن معه الى الامير ولكن أقيموا معي يومنا هذا حتى نعمل له ولمن معه ضيافة فاقاموا عنده وسير منصور لمحمد ولمن معه الاقامة الحسنة الكثيرة من الغنم والبقر وغير ذلك من أنواع ما يؤكل وكتب اليه يقول اني صائر اليك مع العاشي والجماعة فركن محمد الى ذلك وأمر بالغنم فذبحت وأكل هو ومن معه وشربوا الخمر فلما أمسى منصور سجن القائد ومن معه وسار محمدا فيمن عنده من أصحابه سرا الى تونس فدخلوا دار الصناعة وفيها محمد وأصحابه فأمر بالطبول فضربت وكبر هو وأصحابه فوثب محمد وأصحابه الى سلاحهم وقد عمل فيهم الشراب وأحاط بهم منصور ومن معه وأقبلت العامة من كل مكان فرجموهم بالحجارة واقتتلوا عامة الليل فقتل من كان مع محمد ولم يسلم منهم الا من نجا الى البحر فسبح حتى تخلص وذلك في صفر وأصبح منصور فاجتمع عليه الجند وقالوا نحن لا نثق بك ولا نأمن ان يخليك زيادة الله ويستميلك بدنياه فتميل اليه فان احببت ان نكون معك فاقتل أحدا من أهله ممن عندك فأحضر اسمعيل بن سفيان بن سالم بن عقال وهو من أهل زيادة الله فكان هو العامل على ونس فلما حضر أمر بقتله فلما سمع زيادة الله الخبر سير جيشا كثيفا واستعمل عليهم غلبون واسمه الاغلب بن عبد الله بن الاغلب وهو وزير زيادة الله الى منصور الطنبذي فلما ودعهم زيادة الله تهددهم بالقتل ان انهزموا فلما وصلوا الى تونس خرج اليهم منصور فقاتلهم فانهزم جيش زيادة الله عاشر ربيع الاول فقال القواد الذين فيه لغلبون لا نأمن زيادة الله على أنفسنا فان أخذت لنا أمانا حضرنا عنده وفارقوه واستولوا على عدة مدن فأخذوها منها باجه والجزيرة وصفورة ومنير والاريس وغيرها فاضطربت افريقية واجتمع الجند كلهم الى منصور واطاعوه لسوء سيرة زيادة الله كانت معهم فلما كثر جمع منصور سار الى القيروان فحصرها في جمادى الاولى وخندق على نفسه وكان بينه وبين زيادة الله وقائع كثيرة وعمر منصور سور القيروان فوالاه اهلها فبقي الحصار عليه أربعين يوما ثم ان زيادة الله عبى أصحابه وجمعهم وسار معهم الفارس والراجل فكانوا خلقا كثيرا فلما رآهم منصور راعه ما رأى وهاله ولم يكن يعرف ذلك من زيادة الله لما كان فيه من

ابن أبي طالب منتجعا وزائرا فرحب به معاوية وسر بوروده لاختياره اياه على أخيه وأوسعه حلما واحتمالا فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليا فقال تركته على ما يحب الله ورسوله وألفيتك على ما يكره الله ورسوله فقال له معاوية لولا انك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك أبا يزيد جوابا تألم منه ثم أحب معاوية ان يقطع كلامه مخافة ان يأتي بشيء يحفظه فوثب عن مجلسه وأمره ان ينزل وحمل اليه مالا عظيما فلما كان من غد جلس وأرسل اليه فاتاه فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليا أخاك قال تركته خيرا لنفسه منك وأنت خير لي منه فقال له معاوية أنت والله كما قال الشاعر

واذا عددت نجار آل محرق
فالمجد منهم في بني عتاب
فعل المجد من بني هاشم
منوط فيك يا أبا يزيد ما تغيرك الايام والليالي فقال عقيل

اصبر لحرب أنت جانيها
لابد أن تصلى بحاميها
وأنت والله يا ابن أبي سفيان
كما قال الآخر

واذا هوازن أقبلت بمخارها
يوما فحرتهم بآل مجاشع
يا لحامليين على الموالي عزمهم
والضاربين الهام يوم القارع

ولكن أنت يا معاوية اذا افتخرت بنو أمية فيمن تفخر فقال معاوية عزمت عليك أبا يزيد لما أمسكت فاني لم أجلس الوهن

الوهن فزحف منصور اليه بنفسه أيضا فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وانهزم منصور ومن معه ومضوا هاربين وقتل منهم خلق كثير وذلك منتصف جمادى الآخرة وأمر زيادة الله أن ينتقم من أهل القيروان بما جنوه من مساعدة منصور والقتال معه وبما تقدم أولا من مساعدة عمران ابن مجالد لما قاتل أباه ابراهيم بن الاغلب فمنعه أهل العلم والدين فكف عنهم وخرب سور القيروان ولما انهزم منصور فارقه كثير من أصحابه الذين صاروا معه منهم عامر بن نافع وعبد السلام بن المفرج الى البلاد التي تغلبوا عليها ثم ان زيادة الله سير جيشا سنة تسع ومائتين الى مدينة سبيبة واستعمل عليهم محمد بن عبد الله بن الاغلب وكان بها جمع من الجند الذين صاروا مع منصور عليهم عمر بن نافع فالتقوا في العشرين من المحرم واقتتلوا فانهزم ابن الاغلب وعاد هو ومن معه الى القيروان فعظم الامر على زيادة الله وجمع الرجال وبذل الاموال وكان عيال الجند الذين مع منصور بالقيروان فلم يعرض لهم زيادة الله فقال الجند لمنصور الرأي ان تحتال في نقل العيال من القيروان لنأمن عليهم فسار بهم منصور الى القيروان وحصر زيادة الله ستة عشر يوما ولم يكن منهم قتال وأخرج الجند نساءهم وأولادهم من القيروان وانصرف منصور الى تونس ولم يبق بيد زيادة الله من افريقية كلها الا قابس والساحل ونفزاوة وطرابلس فانهم تمسكوا بطاعته وأرسل الجند الى زيادة الله أن ارحل عنا وخل افريقية ولك الامان على نفسك ومالك وما ضمه قصرك فضاق به وغمه الامر فقال له سفيان بن سوادة مكني من عسكرك لاختار منهم مائتي فارس وأسير بهم الى نفزاوة فقد بلغني ان عامر بن نافع يريد قصدهم فان ظفرت كان الذي تحب وان تكن الاخرى عمات برأيك فامره بذلك فأخذ مائتي فارس وسار الى نفزاوة فدعا برابرها الى نصرته فأجابوه وسارعوا اليه وأقبل عامر بن نافع في العسكر اليهم فالتقوا واقتتلوا فانهزم عامر ومن معه وكثر القتل فيهم ورجع عامر الى قسطيلية فجبى أموالها ليلا ونهارا في ثلاثة أيام وسار واعنها واستخلف عليها من يضبطها فهرب منها أيضا خوفا من أهلها فأرسل أهل قسطيلية الى ابن سوادة وسألوه أن يجيء اليهم فسار اليهم وملك قسطيلية وضبطها وقد قيل ان هذه الحوادث المذكورة سنة ثمان وتسع ومائتين انما كانت سنة تسع وعشر ومائتين (طنبذه بضم الطاء المهملة وسكون النون وضم الباء الموحدة وبذال معجمة وآخره هاء وصطفوره بفتح الصاد وسكون الطاء وضم الفاء وسكون الواو وآخره هاء وسبيبة بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الباء الثانية الموحدة وآخره هاء ونفزاوة بالنون والفاء الساكنة وفتح الزاي وبعد الالف واو ثم هاء)

﴿(ذكر ما فتحه زيادة الله بن الاغلب من جزيرة صقلية وما كان فيها من الحروب الى ان توفي)﴾

في سنة اثنتي عشرة ومائتين جهز زيادة الله جيشا في البحر وسيرهم الى جزيرة صقلية واستعمل عليهم أسد بن الفرات قاضي القيروان وهو من أصحاب مالك وهو مصنف الاسدية في الفقه على مذهب مالك فلما وصلوا اليها ملكوا كثيرا منها وكان سبب انفاذ الجيش ان ملك الروم بالقسطنطينية استعمل على جزيرة صقلية بطريقا اسمه قسطنطين سنة احدى عشرة ومائتين فلما وصل اليها استعمل على جيش الاسطول انسانا رومي الاسم فيمي كان حازما شجاعا فغزا افريقية وأخذ من سواحلها تجارا ونهب وبقي هناك مدة ثم ان ملك الروم كتب الى قسطنطين يأمره بالقبض على فيمي مقدم الاسطول وتعذيبه فبلغ الخبر الى فيمي فاعلم أصحابه فغضبوا له وأعانوه على المخالفة فسار في مراكبه الى صقلية واستولى على مدينة سرقوسة فسار اليه قسطنطين فالتقوا

وابدأ بآل صوحان فانهم مخاريق الكلام قال أما صعصعة فعظيم الشان عضب اللسان قائد فرسان قاتل أقران يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظير وأما زيد وعبد الله فانهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب معه وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر

اذا نزل العدو فان عندي
أسودا تخلس الاسد النفوسا

فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة أما بعد فقد بلغ مولاك كلامك عدو الله وعدوه فحمدت الله على ذلك وسألته أن يفيء بك الى الدرجة العليا والقضيب الاحمر والعمود الاسود فانه عمود من فارقه الدين الازهر وان نزعت بك نفسك الى معاوية طلبا لماله انك لذو علم بجميع خصاله فاحذر ان تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة فان الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم فما كان من فضل أو احسان فيكم وصل الينا فأجل الله أقداركم وحمى أخطاركم وكتب آثاركم فان اقداركم مرضية واخطاركم محمية وآثاركم

واقتتلوا فانهزم قسطنطين الى مدينة فطانية فسير اليه فيمي جيشا فهرب منهم فأخذ وقتل وخوطب فيمي بالملك واستعمل على ناحية من الجزيرة رجلا اسمه بلاطه فخالف على فيمي وعصى واتفق هو وابن عم له اسمه ميخائيل وهو والى مدينة بلرم وجمعا عسكرا كثيرا فقاتلا فيمي وانهزم فاستولى بلاطه على مدينة سرقوسة وركب فيمي ومن معه في مراكبهم الى افريقية وأرسل الى الامير زيادة الله يستنجده ويعده بملك جزيرة صقلية فسير معه جيشا في ربيع الاول سنة اثنتى عشرة ومائتين فوصلوا الى مدينة مازر من صقلية فساروا الى بلاطه الذى قاتل فيمي فلقيهم جمع للروم فقاتلهم المسلمون وأمر وا فيمي ومن معه أن يعتزلوهم واشتد القتال بين المسلمين والروم فانهزمت الروم وغنم المسلمون أموالهم ودوابهم وهرب بلاطه الى قلورية فقتل بها واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ووصل الى قلعة تعرف بقلعة الكراث وقد اجتمع اليها خلق كثير فخدعوا القاضي أسد بن الفرات أمير المسلمين وذلوا له فلما رآهم فيمي مال اليهم وراسلهم أن يثبتوا ويحفظوا بلدهم فبذلوا لاسد الجزية وسألوه أن لا يقرب منهم فاجابهم الى ذلك وتأخر عنهم أياما فاستعدوا للحصار ودفعوا اليهم ما يحتاجون اليه فامتنعوا عليه وناصبهم الحرب وبث السرايا في كل ناحية فغنموا شيأ كثيرا وافتتحوا عمرانا كثيرة حول سرقوسة وحاصروا سرقوسة برا وبحرا ولحقته الامداد من افريقية فسار اليهم والى بلرم في عساكر كثيرة فخندق المسلمون عليهم وحفروا خارج الخندق حفرا كثيرة فحمل الروم عليهم فسقط في تلك الحفر كثير منهم فقتلوا وضيق المسلمون على سرقوسة فوصل اسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد سنة ثلاث عشرة ومائتين هلك فيه كثير منهم وهلك فيه أميرهم أسد بن الفرات وولي الامر على المسلمين بعده محمد بن أبي الجواري فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم تحملوا في مراكبهم ليسيروا فوقف الروم في مراكبهم على باب المرسى فمنعوا المسلمين من الخروج فلما رأى المسلمون ذلك أحرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا الى مدينة مينا وحصروها ثلاثة أيام وتسلموا الحصن فسار طائفة منهم الى حصن جرجنت فقاتلوا أهله وملكوه وسكنوا فيه واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ثم ساروا الى مدينة قصريانة ومعهم فيمي فخرج أهلها اليه فقبلوا الارض بين يديه فاجابوه الى أن يملكوه عليهم وخدعوه ثم قتلوه ووصل جيش كثير من القسطنطينية مددا لمن في الجزيرة فتصافوا هم والمسلمون فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ودخل من سلم قصريانة وتوفي محمد بن أبي الجواري أمير المسلمين وولي بعده زهير بن غوث ثم ان سرية المسلمين سارت للغنيمة فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وعادوا من الغد ومعهم جمع العسكر فخرج اليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية فانهزم المسلمون أيضا وقتل منهم نحو ألف قتيل وعادوا الى معسكرهم وخندقوا عليهم فحصرهم الروم ودام القتال بينهم فضاقت الاقوات على المسلمين فعزموا على بيات الروم فعلموا بهم ففارقوا الخيم وكانوا بالقرب منها فلما خرج المسلمون لم يروا أحدا وأقبل عليهم الروم من كل ناحية فاكثروا القتل فيهم وانهزم الباقون فدخلوا مينا ودام الحصار عليهم حتى أكلوا الدواب والكلاب فلما سمع من في مدينة جرجنت من المسلمين ما هم عليه هدموا المدينة وساروا الى مازر ولم يقدروا على نصرة اخوانهم ودام الحال كذلك الى أن دخلت سنة أربع عشرة ومائتين وقد اشرف المسلمون على الهلاك وادقد اقبل اسطول كثير من الاندلس خرجوا غزاة ووصل في ذلك الوقت مراكب كثيرة من افريقية مددا للمسلمين فبلغت عدة الجميع ثلثمائة مركب فنزلوا

فما كان من خير أتوه (وحدث) أبو الهيثم عن أبي سفيان عمرو بن يزيد عن البراء بن يزيد عن محمد بن عبد الله بن الحرث الطائي ثم أحد بني عفان قال لما انصرف علي من الجمل قال لاذنه من بالباب من وجوه العرب قال محمد بن عمير بن عطارد التميمي والاحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان العبدي رجال سماهم فقال ائذن لهم فدخلوا فسلموا بالخلافة فقال لهم أنتم وجوه العرب عندي ورؤساء أصحابي فأشيروا علي في أمر هذا الغلام المترف يعني معاوية فافتنت بهم المشورة عليه فقال صعصعة ان معاوية ترفه الهوى وحببت اليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياهم فان تعمل فيه برأي ترشد وتصب ان شاء الله والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا امير المؤمنين الرأي ان ترسل اليه عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه الى بيعتك فان أجاب وأناب كان له مالك وعليه ما عليك والا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين فقال علي عزمت علي لئن صعصعة الا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به الى معاوية واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا وعجزه استتابة واستنابة وليكن فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين الى معاوية سلام عليك أما بعد الى

الى الجزيرة فانهزم الروم عن حصار المسلمين وفرج الله عنهم وسار المسلمون الى مدينة بلرم فحصروها وضيقوا على من بها فطلب صاحبها الامان لنفسه ولاهله وماله فاجيب الى ذلك وسار في البحر الى بلاد الروم ودخل المسلمون البلد في رجب سنة ست عشرة ومائتين فلم يروا فيه الا أقل من ثلاثة آلاف انسان وكان فيه لما حصروه سبعون ألفا وماتوا كلهم وجرى بين المسلمين أهل افريقية وأهل الاندلس خلاف ونزاع ثم اتفقوا وبقي المسلمون الى سنة تسع عشرة ومائتين وسار المسلمون الى مدينة قصريانة فخرج من فيها من الروم فاقتتلوا أشد قتال ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم الى معسكرهم ثم رجعوا في الربيع فقاتلوهم فنصر المسلمون أيضا ثم سار واسنة عشرين ومائتين وأميرهم محمد بن عبد الله الى قصريانة فقاتلهم الروم فانهزموا وأسرت امرأة لبطريقهم وابنه وغنموا ما كان في عسكرهم وعادوا الى بلرم ثم سير محمد بن عبد الله عسكرا الى ناحية طبرمين عليهم محمد بن سالم فغنم غنائم كثيرة ثم عدا عليه بعض عسكره فقتلوه ولحقوا بالروم فارسل زيادة الله من افريقية الفضل بن يعقوب عوضا منه فسار في سرية الى ناحية سرقوسة فاصابوا غنائم كثيرة وعادوا ثم سارت سرية كبيرة فغنمت وعادت فعرض لهم البطريق ملك الروم بصقلية وجمع كثير فتحصنوا من الروم في أرض وعرة وشجر كثيف فلم يتمكن من قتالهم وواقفهم الى العصر فلما رأى انهم لا يقاتلونهم عاد عنهم فتفرق أصحابه وتركوا التعبية فلما رأى المسلمون ذلك حملوا عليهم حملة صادقة فانهزم الروم وطعن البطريق وجرح عدة جراحات وسقط عن فرسه فاتاه حماة أصحابه واستنقذوه جريحا وحملوه وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ومتاع ودواب وكانت وقعة عظيمة وسير زيادة الله من افريقية الى صقلية أبا الاغلب ابراهيم بن عبد الله أميرا عليها فخرج اليها فوصل اليها منتصف رمضان فبعث اسطولا فلقوا جمعا للروم في اسطول فغنم المسلمون ما فيه فضرب أبو الاغلب رقاب كل من فيه وبعث اسطولا آخر الى قوصرة فظفر بحراقة فيها رجال من الروم ورجل متنصر من أهل افريقية فاتى بهم فضرب رقابهم وسارت سرية أخرى الى جبل النار والحصون التي في تلك الناحية فاحرقوا الزرع وغنموا وأكثروا القتل ثم سير أبو الاغلب سنة احدى وعشرين ومائتين سرية الى جبل النار أيضا فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق بابخس الاثمان وعادوا سالمين وفيها جهز اسطولا فسار وانحو الجزائر فغنموا غنائم عظيمة وفتحوا مدنا ومعاقل وعادوا سالمين وفيها سير أبو الاغلب أيضا سرية الى قسطيلية فغنموا وسبوا ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم وسير سرية الى مدينة قصريانة فخرج اليهم العدو فاقتتلوا فانهزم المسلمون وأصيب منهم جماعة ثم كانت وقعة أخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها وشلندس فلما جاء الشتاء وأظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من أهل قصريانة فقرب منه ورأى طريقا فدخل منه ولم يعلم به أحد ثم انصرف الى العسكر فاخبرهم فجاؤا معه فدخلوا من ذلك الموضع وكبروا وملكوا ربضه وتحصن المشركون منهم بحصنه فطلبوا الامان فامنوهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا الى بلرم وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وصل كثير من الروم في البحر الى صقلية وكان المسلمون قد حاصروا جلوذي وقد طال حصارها فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة ثم وصل الخبر بوفاة زيادة الله ابن ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية فوهن المسلمون ثم تشجعوا وضبطوا أنفسهم (سرقوسة بسين مفتوحة وقاف وواو وسين ثانية وبلرم بفتح الباء الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها

قال أفعل فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق فاتى باب معاوية فقال لآذنه استأذن لرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبالباب اردفة من بني أمية فأخذته الايدي والنعال لقوله وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وكثرت الجلبة واللغط فاتصل ذلك بمعاوية فوجه من يكشف الناس عنه فكشفوا ثم أذن لهم فدخلوا فقال لهم من هذا الرجل قالوا رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من علي فقال والله لقد بلغني أمره هذا أحد سهام علي وخطباء العرب ولقد كنت الى لقائه شيقا ائذن لي يا غلام فدخل عليه فقال السلام عليك يا ابن أبي سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين فقال معاوية أما انه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو اسلام لقتلتك ثم اعترضه معاوية في الكلام وأراد ان يستخرجه ليعرف قريحته أطبعا أم تكلفا فقال ممن الرجل فقال من نزار قال وما كان نزار قال كان اذا غزا انكس واذا لقي افترس واذا انصرف احترس قال فمن أي أولاده أنت قال من ربيعة قال وما كان ربيعة قال كان بطيل الجياد ويمول العباد ويضرب بيقاع الارض العماد قال فمن أي أولاده أنت قال من جديلة قال وما كان جديلة قال كان

تحتها نقطتان ونون وبعد الالف واو وجيم مكسورة بجيم وراء وجيم ثانية معقودة وتاء فوقها نقطتان وقصريانة بالقاف والصاد المهملة والراء والياء تحتها نقطتان وبعد الالف نون مشددة وهاء)

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

فى هذه السنة مات محمد بن محمد صاحب أبى السرايا وفيها أصاب أهل خراسان وأصبهان والرى مجاعة شديدة وكثر الموت فيهم وحج بالناس هذه السنة اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس

﴿ثم دخلت سنة اثنتين ومائتين﴾

﴿(ذكر بيعة ابراهيم بن المهدى)﴾

فى هذه السنة بايع أهل بغداد ابراهيم بن المهدى بالخلافة ولقبوه المبارك وكانت بيعته أول يوم من المحرم وقيل خامسه وخلعوا المأمون وبايعه سائر بنى هاشم فكان المتولى لاخذ البيعة المطلب بن عبد الله بن مالك فكان الذى سعى فى هذا الامر السندى وصالح صاحب المصلى ونصير الوصيف وغيرهم غضبا على المأمون حين أراد اخراج الخلافة من ولد العباس ولتركه لباس آبائه من السواد فلما فرغ من البيعة وعد الجند رزق ستة أشهر ودافعهم بها فشغبوا عليه فأعطاهم لكل رجل مائتى درهم وكتب لبعضهم الى السواد بقيمة مالهم حنطة وشعيرا فخرجوا فى قبضها فانتهبوا الجميع وأخذوا نصيب السلطان وأهل السواد واستولى ابراهيم على الكوفة والسواد جميعه وعسكر بالمدائن واستعمل على الجانب الغربى من بغداد العباس بن موسى الهادى وعلى الجانب الشرقى منها اسحق بن موسى الهادى وخرج عليه مهدى بن علوان الحرورى وغلب على طساسيج نهروق والراذانين فوجه اليه ابراهيم أبا اسحق الرشيد وهو المعتصم فى جماعة من القواد فلقوه فاقتتلوا فطعن رجل من أصحاب ابن الرشيد فحامى عنه غلام تركى يقال له اشناس وهزم مهدى الى حولايا وقيل كان خروج مهدى سنة ثلاث ومائتين

﴿(ذكر استيلاء ابراهيم على قصر ابن هبيرة)﴾

وكان بقصر ابن هبيرة حميد بن عبد الحميد عاملا للحسن بن سهل ومعه من القواد سعيد بن الساجور وأبو البط وغسان بن أبى الفرج ومحمد بن ابراهيم الافريقى وغيرهم فكاتبوا ابراهيم على ان يأخذوا له قصر ابن هبيرة وكانوا قد تحرفوا عن حميد وكتبوا الى الحسن بن سهل يخبرونه ان حميدا يكاتب ابراهيم وكان حميد يكتب فهم بمثل ذلك فكتب الحسن الى حميد يستدعيه اليه فلم يفعل خاف أن يسير اليه فيأخذ هؤلاء القواد ماله وعسكره ويسلمونه الى ابراهيم فلما ألح الحسن عليه بالكتب سار اليه فى ربيع الآخر وكتب أولئك القواد الى ابراهيم لينفذ اليهم عيسى بن محمد بن أبى خالد فوجهه اليهم فانتهبوا ما فى عسكر حميد فكان مما أخذوا له مائة بدرة وأخذ ابن حميد جوارى أبيه وسار اليه وهو بعسكر الحسن ودخل عيسى القصر وتسلمه لعشر خلون من ربيع الآخر فقال حميد للحسن ألم أعلمك لكنك خدعت وعاد الى الكوفة فأخذ أمواله واستعمل عليها العباس بن موسى بن جعفر العلوى وأمره ان يدعو لاخيه على بن موسى بعد المأمون وأعانه بمائة ألف درهم وقال له قاتل عن أخيك فان أهل الكوفة يجيبونك الى ذلك وأنا معك فلما كان الليل خرج حميد الى الحسن وكان الحسن قد وجه حكيما الحارثى الى النيل فسار اليه عيسى بن محمد فاقتتلوا فانهزم حكيم فدخل عيسى النيل ووجه ابراهيم الى الكوفة

فى الحرب سينا قاطعا وفى المكرمات غيثا نافعا وفى اللقاء لهباسا طعا قال فمن أى أولاده أنت قال من عبد القيس قال وما كان عبد القيس قال كان حضريا خصيبا أبيض وهابا ضيفه مايجد ولا يسأل عما فقد كثير المرق طيب العرق يقوم للناس مقام الغيث من السماء قال ويحك يا ابن صوحان فما تركت لهذا الحى من قريش مجدا ولا فخرا قال بلى والله يا ابن ابى سفيان تركت لهم مالا يصلح الا بهم ولهم تركت الابيض والاحمر والاصفر والاشقر والسرير والمنبر والملك الى المحشر وأبى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله فى الارض ونجومه فى السماء ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها فقال صدقت يا ابن صوحان ان ذلك لكذلك فعرف صعصعة ما اراد فقال ليس لك ولا لقومك فى ذلك اصدار ولا ايراد بعدتم عن أنف المرعى وعلوتم عن عذب الماء قال فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان قال الويل لاهل النار ذلك لبنى هاشم قال قم فأخرجوه فقال صعصعة الصدق ينجى عنك لا الوعيد من أراد المشاجرة قبل المحاورة فقال معاوية لشئ تما سوده قومه وددت والله أنى من صلبه ثم التفت الى بنى أمية فقال هكذا فلتكن الرجال (وحدث) منصور بن وحشى عن أبى الفياض عبد الله بن محمد

ووجه ابراهيم الى الكوفة سعيدا وأبا البط لقتال العباس بن موسى وكان العباس قد دعا أهل الكوفة فأجابه بعضهم وأما الغلاة من الشيعة فانهم قالوا ان كنت تدعونا لاخيك وحده فنحن معك وأما المأمون فلا حاجة لنا فيه فقال انما أدعو للمأمون وبعده لاخي فقعدوا عنه فلما أتاه سعيد وأبو البط ونزلوا قرية شاهي بعث اليهم العباس ابن عمه علي بن محمد بن جعفر وهو ابن الذي يربع له بمكة وبعث معه جماعة منهم أخو أبي السرايا فاقتتلوا ساعة فانهزم علي بن محمد العلوي وأهل الكوفة ونزل سعيد وأصحابه الحيرة وكان ذلك ثاني جمادى الاولى ثم تقدموا فقاتلوا أهل الكوفة وخرج الى شيعة بني العباس وموالي هم فاقتتلوا الى الليل وكان شعارهم يا أبا ابراهيم يا منصور لا طاعة للمأمون وعليهم السواد وعلى أهل الكوفة الخضرة فلما كان الغد اقتتلوا وكان كل فريق منهم اذا غلب على شئ أحرقه ونهبه فلما رأى ذلك رؤساء أهل الكوفة خرجوا الى السعيد فسألوه الامان للعباس وأصحابه فامنهم على أن يخرجوا من الكوفة فأجابوه الى ذلك ثم أتوا العباس فاعلموه ذلك فقبل منهم وتحول عن داره فشغب أصحاب العباس بن موسى على من بقي من أصحاب سعيد وقاتلوهم فانهزم أصحاب سعيد الى الخندق ونهب أصحاب العباس دور عيسى بن موسى وأحرقوا وقتلوا من ظفروا به فارسل العباسيون الى سعيد وهو بالحيرة يخبرونه أن العباس بن موسى قد رجع عن الامان فركب سعيد وأصحابه وأتوا الكوفة عنوة فقتلوا من ظفروا به ممن انتهب وأحرقوا ما معهم من النهب فكثوا عامة الليل فخرج اليهم رؤساء الكوفة فاعلموهم ان هذا فعل الغوغاء وان العباس لم يرجع عن الامان فانصرفوا عنهم فلما كان الغد دخلها سعيد وأبو البط ونادوا بالامان ولم يعرضوا الى أحد وولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندي ثم عزلوه لميله الى أهل بلده واستعملوا مكانه غسان بن أبي الفرج ثم عزلوه بعد ما قتل أبا عبد الله أخا أبي السرايا واستعملوا الهول بن أخي سعيد فلم يزل عليها حتى قدمها حميد بن عبد الحميد فهرب الهول وأمر ابراهيم بن المهدي عيسى بن محمد أن يسير الى ناحية واسط على طريق النيل وأمر ابن عائشة الهاشمي ونعيم بن حازم ان يسيرا جميعا ولحق بهما سعيد وأبو البط والافريقي وعسكروا جميعا بالصيادة قرب واسط عليهم جميعا عيسى بن محمد فكانوا يركبون ويأتون عسكر الحسن بواسط فلا يخرج اليهم منهم أحد وهم متحصنون بالمدينة ثم ان الحسن أمر أصحابه بالخروج اليهم فخرجوا اليهم لاربع بقين من رجب فاقتتلوا قتالا شديدا الى الظهر وانهزم عيسى وأصحابه حتى بلغوا طرنبايا والنيل وغنموا عسكر عيسى وما فيه

﴿ ذكر الظفر بسهل بن سلامة ﴾

وفي هذه السنة ظفر ابراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوع فحبسه وعاقبه وكان سبب ظفره به ان سهلا كان مقيما ببغداد يدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجتمع اليه عامة أهل بغداد فلما انهزم عيسى أقبل هو ومن معه نحو سهل بن سلامة لانه كان يذكرهم بأقبح أعمالهم ويسميهم الفساق فقاتلوه أياما حتى صاروا الى الدروب واعطوا أصحابه الدراهم الكثيرة حتى تنحوا عن الدروب فأجابوا الى ذلك فلما كان السبت لخمس بقين من شعبان قصدوه من كل وجه وخذله أهل الدروب لاجل الدراهم التي أخذوها حتى وصل عيسى وأصحابه الى منزل سهل فاختفى منهم واختلط بالنظارة فلم يروه في منزله فجعلوا عليه العيون فلما كان الليل أخذوه وأتوا به اسحق بن الهادي فكلمه فقال انما كانت دعوتي عباسية وانما كنت أدعو الى العمل بالكتاب والسنة وأنا على ما كنت أدعوكم اليه الساعة فقالوا له ميم وميناو بيم وياء

صوحان العبدي وعبد الله ابن الكواء اليشكري ورجالا من أصحاب علي مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوما فقال نشدتكم بالله الا ما قلتم حقا وصدقا أي الخلفاء رأيتموني فقال ابن الكواء لولا انك عزمت علينا ما قلنا لانك جبار عنيد لا تراقب الله في قتل الاخيار ولكنا نقول انك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى بعيد المرعى تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات فقال معاوية ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه ولم يكونوا كامثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله والمحرمين ما أحل الله فقال عبد الله بن الكواء يا ابن أبي سفيان ان لكل كلام جوابا ونحن نخاف جبروتك فان كنت تطلق ألسنتنا ذبينا عن أهل العراق بألسنة حدادا لا يأخذها في الله لومة لائم والا فانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه قال والله لا يطلق لك لسان ثم تكلم صعصعة فقال تكلمت يا ابن أبي سفيان فابلغت ولم تقصر عما أردت وليس الامر على ما ذكرت اني

يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى

اخرج الى الناس فقل لهم ان ما كنت أدعوكم اليه باطل فخرج فقال أيها الناس قد علمتم ما كنت أدعوكم اليه من العمل بالكتاب والسنة وأنا أدعوكم اليه الساعة فضربوه وقيدوه وشتموه وسيروه الى ابراهيم بن المهدى بالمدائن فلما دخل عليه كلمه بما كلم به اسحق بن الهادى فضربه وحبسه وأظهر انه قتل خوفا من الناس لئلا يعلموا امكانه فيخرجوه وكان ما بين خروجه وقبضه اثنا عشر شهرا

﴿ذكر مسير المأمون الى العراق وقتل ذى الرياستين﴾

وفى هذه السنة سار المأمون من مرو الى العراق واستخلف على خراسان غسان بن عباد وكان سبب مسيره ان على بن موسى الرضا أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتنة والقتال منذ قتل الامين وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من أخبار وان أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء وانهم يقولون مسحور مجنون وانهم قد بايعوا ابراهيم بن المهدى بالخلافة فقال له المأمون لم يبايعوه بالخلافة وانما صيروه أميرا يقوم بأمرهم على ما أخبر به الفضل فاعلمه ان الفضل قد كذبه وان الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وابراهيم والناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه الفضل ومكانى ومكان بيعتك لى من بعدك فقال ومن يعلم هذا فقال يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وغيرهما من وجوه العسكر فامر بادخالهم فدخلوا فسألهم عما أخبره به على بن موسى ولم يخبروه حتى يجعل لهم الامان من الفضل أن لا يعرض اليهم فضمن لهم ذلك وكتب لهم خطه به فأخبروه بالبيعة لابراهيم بن المهدى وان أهل بغداد قد سموه الخليفة السنى وانهم يتهمون المأمون بالرفض لمكان على بن موسى منه وأعلموه بما فيه الناس وبما موه عليه الفضل من أمر هرثمة وان هرثمة انما جاءه ليقتله فقتله الفضل وان لم يتدارك أمره والا خرجت الخلافة من يده وان طاهر بن الحسين قد أبلى فى طاعته ما يعلمه فأخرج من الامر كله وجعل فى زاوية من الارض بالرقة لا يستعان به فى شئ حتى ضعف أمره وشغب عليه جنده وانه لو كان ببغداد لضبط الملك وان الدنيا قد تفتقت من أقطارها وسألوا المأمون الخروج الى بغداد فان أهلها الورأوك لاطاعوك فلما تحقق ذلك أمر بالرحيل فعلم الفضل بالحال فبعثهم حتى ضرب بعضهم وحبس بعضهم وتنفلى بعضهم فقال على بن موسى للمأمون فى أمرهم فقال أنا أدارى ثم ارتحل فلما أتى سرخس وثب قوم بالفضل ابن سهل فقتلوه فى الحمام وكان قتله لليلتين خلتا من شعبان وكان الذين قتلوه أربعة نفر أحدهم غالب المسعودى الاسود وقسطنطين الرومى وفرج الديلمى وموفق الصقلبى وكان عمره ستين سنة وهربوا فجعل المأمون لمن جاءبهم عشرة آلاف دينار فجاءبهم العباس بن الهيثم الدينورى فقالوا للمأمون أنت أمرتنا بقتله فامر بهم فضربت رقابهم وقيل ان المأمون لما سألهم فمنهم من قال ان على بن أبى سعيد بن أخت الفضل بن سهل وضعهم عليه ومنهم من أنكر ذلك فقتلهم ثم احضر عبد العزيز بن عمران وعليا وموسى وخلقا فسألهم فانكروا أن يكونوا علموا بشئ من ذلك فلم يقبل منهم وقتلهم وبعث برؤسهم الى الحسن بن سهل واعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل وانه قد صيره مكانه فوصله الخبر فى رمضان ورحل المأمون الى العراق وكان ابراهيم بن المهدى وعيسى وغيرهما بالمدائن وكان أبو البط وسعيد بالنيل يراوحون القتال ويغادونه وكان المطلب بن عبد الله ابن مالك قد عاد من المدائن فاعتل بانه مريض فاتى بغداد وجعل يدعو فى السر الى المأمون على ان المنصور بن المهدى خليفة المأمون ويخلعون ابراهيم فاجابه منصور بن المهدى وخزيمة بن خازم وغيرهما من القواد وكتب المطلب الى على بن هشام وحميد ان يتقدما فينزل حميد نهر صرصر وينزل

رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنى تصلح الخلافة لطليق فقال معاوية لولا انى أرجع الى قول أبى طالب حيث يقول قابلت جهلهم حلما ومغفرة والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم (وحدث) أبو جعفر محمد بن حبيب قال أخبرنا أبو الهيثم يزيد بن رجاء الغنوى قال أخبرنا الوليد بن البحترى عن أبيه عن أبى مزروع الكلبى قال دخل صعصعة ابن صوحان على معاوية فقال له يا ابن صوحان أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها فاخبرنى عن أهل البصرة واياك والحمل على قوم لقوم قال البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف والسودد وهم أهل الخطط فى أول الدهر وآخره وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحا على قطبها قال فاخبرنى عن أهل الكوفة قال قبة الاسلام وذروة الكلام ومصان ذوى الاعلام الا ان بها أجلافا تمنع ذوى الامر الطاعة وتخرجهم عن الجماعة وتلك أخلاق ذوى الهيئة والقناعة قال فاخبرنى عن أهل الحجاز قال أسرع الناس الى فتنة وأضعفهم عنها وأقلهم عناء فيها غير ان لهم ثباتا فى الدين وتمسكا بعروة اليقين يتبعون الائمة على

على النهروان فلما علم ابراهيم بن المهدى بذلك عاد عن المدائن نحو بغداد فنزل زندورد منتصف صفر وبعث الى المطلب ومنصور وخزيمة يدعوهم فاعتلوا عليه فلما رأى ذلك بعث عيسى اليهم فاما منصور وخزيمة فاعطوا بايديهما وأما المطلب فمنعه موالية وأصحابه فنادى منادى ابراهيم من أراد النهب فليأت دار المطلب فلما كان وقت الظهر وصلوا الى داره فنهبوها ونهبوا دور أهله ولم يظفروا به وذلك لثلاث عشرة بقيت من صفر فلما بلغ حميدا وعلى بن هشام الخبر أخذ حميد المدائن ونزلها وقطع الجسر وأقاموا بها وندم ابراهيم حيث صنع بالمطلب ما صنع ثم لم يظفر به

﴿ذكر قتل على بن الحسين الهمدانى﴾

فى هذه السنة قتل على بن الحسين الهمدانى وأخوه أحمد وجماعة من أهل بيته وكان متغلبا على الموصل وسبب قتله انه خرج ومعه جماعة من قومه ومن الازد فلما نظر الى رستاق نينوى والمرج قال نعم البلاد لانسان واحد فقال بعض الازد فما نصنع نحن قال تلحقون بعمان فانتشر الخبر ثم ان عليا أخذ رجلا من الازد يقال له عون بن جبلة فبنى عليه حائطا فمات فيه وظهر خبره فركبت الازد وعليهم السيد بن أنس فاقتتلوا واستنصر على بن الحسين بخارجى يقال له مهدى بن علوان فاتاه فدخل البلد وصلى بالناس ودعا لنفسه واشتدت الحرب وكانت أخيرا على على بن الحسين وأصحابه فخرجوا عن البلد الى الحديثة فتبعهم الازد اليها فقتلوا عليا وأخاه أحمد وجماعة من أهلهما وسار اخوهما محمد الى بغداد فنجا وعادت الازد الى الموصل وغلب السيد عليها وخطب للمأمون وأطاعه (الهمدانى ههنا نسبة الى همدان بسكون الميم وبالدال المهملة وهى قبيلة من اليمن)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل وفيها أيضا زوج المأمون ابنته أم حبيب من على بن موسى الرضا وزوج ابنته أم الفضل من محمد بن على الرضا بن موسى وحج بالناس هذه السنة ابراهيم ابن موسى بن جعفر ودعا لاخيه بعد المأمون بولاية العهد ومضى الى اليمن وكان حمدويه بن على بن عيسى بن ماهان قد غلب على اليمن وفيها فى ربيع الآخر ظهرت حمرة فى السماء ليلة السبت رابع عشر ربيع الآخر وبقيت الى آخر الليل وذهبت الحمرة وبقى عمودان احمران الى الصبح وفيها توفى أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى اليزيدى المقرئ صاحب أبى عمرو بن العلاء وانما قيل اليزيدى لانه صحب يزيد بن منصور خال المهدى وكان يعلم ولده وفيها توفى سهل والذى الرياستين بعد قتل ابنه بستة أشهر وعاشت أمه حتى ادركت عرس بوران ابنة ابنها

﴿ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين﴾

﴿ذكر موت على بن موسى الرضا﴾

فى هذه السنة مات على بن موسى الرضا عليه السلام وكان سبب موته انه أكل عنبا فاكثر منه فمات فجأة وذلك فى آخر صفر وكان موته بمدينة طوس فصلى المأمون عليه ودفنه عند قبر أبيه الرشيد وكان المأمون لما قدمها قد أقام عند قبر أبيه وقيل ان المأمون سمه فى عنب وكان على يحب العنب وهذا عندى بعيد فلما توفى كتب المأمون الى الحسن بن سهل يعلمه موت على وما دخل عليه من المصيبة بموته وكتب الى أهل بغداد وبنى العباس والموالى يعلمهم موته وانهم انما نقموا بيعته وقدمات ويسألهم الدخول فى طاعته فكتبوا اليه أغلظ جواب وكان مولد على بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة

﴿ذكر قبض ابراهيم بن المهدى على عيسى بن محمد﴾

أبى سفيان ترك الخداع من كشف القناع

عن الحقائق وأصحابه من الائمة الابرار وأنت وأصحابك من أولئك ثم أحب معاوية أن يضى صعصعة فى كلامه بعد ان بان فيه الغضب فقال أخبرنى عن القبة الحمراء فى ديار مضر قال أسد مضر بسلاه بين غيلين اذا أرسلتها افترست واذا تركتها احترست فقال معاوية هنالك يا ابن صوحان العز الراسى فهل فى قومك مثل هذا قال هذا لا هله دونك يا ابن أبى سفيان ومن أحب قوما حشر معهم قال فاخبرنى عن ديار ربيعة ولا يستخفنك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك قال والله ما أنا عنهم براض ولكنى أقول فيهم وعليهم هم والله أعلام الليل وأذناب فى الدين والميل لن تغلب رأيتها اذا رشحت خوارج الدين برازخ اليقين من نصروه فلج ومن خذلوه زلج قال فاخبرنى عن مضر قال كنانة العرب ومعدن العز والحسب يقذف البحر بها أذيه والبر رديه ثم أمسك معاوية فقال له صعصعة سل يا معاوية والا أخبرتك بما تحيد عنه قال وما ذاك يا ابن صوحان قال أهل الشام قال فاخبرنى عنهم قال أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق عصاة الجبابرة وخلفة الاشرار فعليهم الدمار ولهم سوء الدار فقال معاوية والله يا ابن صوحان انك لحامل مدينتك

أبو الهيثم قال حدثني أبو البشر محمد بن بشر الفزاري عن ابراهيم بن عقيل البصري قال قال معاوية يوما وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب على وعنده وجوه الناس الارض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركت منه كان جائزا لي فقال صعصعة تمنيك نفسك مالا يكو

ن جهلا معاوي لا تأثم

فقال معاوية يا صعصعة تعلمت الكلام قال العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل قال معاوية ما أحوجك الى ان أذيقك وبال أمرك قال ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذي لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها قال ومن يحول بيني وبينك قال الذي يحول بين المرء وقلبه قال معاوية اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير قال اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع (قال المسعودي) ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعاني على ايجاز واختصار (ومن ذلك) خبره مع عبد الله بن العباس وهو ما حدث به المدائني عن زيد ابن طليح الذهلي الشيباني قال أخبرني أبي عن مصقلة ابن هبيرة الشيباني قال سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابن عباس ما السودد فيكم فقال اطعام الطعام ولين الكلام وبذل فهزمهم

وفي هذه السنة في آخر شوال حبس ابراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد وسبب ذلك ان عيسى كان يكاتب حميدا والحسن بن سهل وكان يظهر لابراهيم الطاعة وكان كلما قال له ابراهيم اخرج الى قتال أحمد يعتذر بان الجند يريدون أرزاقهم ومرة يقول حتى تدرك الغلة فلما توثق عيسى بما يريد فارقهم على ان يدفع اليهم ابراهيم بن المهدي يوم الجمعة سلخ شوال وبلغ الخبر ابراهيم أبلغه هرون بن محمد أخو عيسى وجاء عيسى الى باب الجسر فقال للناس اني قد سألت حميدا ان لا يدخل عملي ولا أدخل عمله ثم أمر بحفر خندق بباب الجسر وباب الشام وبلغ ابراهيم قوله وفعله وكان عيسى قد سأله ابراهيم ان يصلي الجمعة بالمدينة فاجابه الى ذلك فلما تكلم عيسى بما تكلم حذر ابراهيم وأرسل الى عيسى يستدعيه فاعتل عليه فتابع الرسل بذلك فحضر عنده بالرصافة فلما دخل عليه عاتبه ساعة وعيسى يعتذر اليه وينكر بعضه فامر به ابراهيم فضرب وحبس وأخذ عدة من قواده وأهله فحبسهم ونجا بعضهم وفيمن نجا خليفته العباس ومشى بعض أهله الى بعض وحرضوا الناس على ابراهيم وكان أشدهم العباس خليفة عيسى وكان هو رأسهم فاجتمعوا وطردوا عامل ابراهيم على الجسر والكرخ وغيره وظهر الفساق والشطار وكتب العباس الى حميد يسأله ان يقدم عليهم حتى يسلموا اليه بغداد

﴿ذكر خلع ابراهيم بن المهدي﴾

وفي هذه السنة خلع أهل بغداد ابراهيم بن المهدي وكان سبب ذلك ما ذكرنا من قبضه على عيسى ابن محمد على ما تقدم فلما كاتب أصحابه ومنهم العباس حميدا بالقدوم عليهم سار حتى أتى نهر صرصر فنزل عنده وخرج اليه العباس وقواد أهل بغداد فلقوه وكانوا قد شرطوا عليه ان يعطي كل جندي خمسين درهما فاجابهم الى ذلك ووعدهم ان يصنع لهم العطاء يوم السبت في الياسرية على ان يدعوا للأمون بالخلافة يوم الجمعة ويخلعوا ابراهيم فاجابوه الى ذلك ولما بلغ ابراهيم الخبر أخرج عيسى ومن معه من اخوته من الحبس وسأله ان يرجع الى منزله ويكفيه أمر هذا الجانب ففي عليه فلما كان يوم الجمعة احضر العباس بن محمد بن أبي رجاء الفقيه فصلى بالناس الجمعة ودعا للأمون بالخلافة وجاء حميد الى الياسرية فعرض جند بغداد وأعطاهم الخمسين التي وعدهم فسألوه ان ينقصهم عشرة عشرة لما تشاءموا به من علي بن هشام حين أعطاهم الخمسين وقطع العطاء عنهم فقال حميد بل أزيدكم عشرة وأعطيكم ستين درهما لكل رجل فلما بلغ ذلك ابراهيم دعا عيسى وسأله ان يقاتل حميدا فاجابه الى ذلك فخلى سبيله وأخذ منه كفلاء وكلم عيسى الجند ووعدهم ان يعطيهم مثل ما أعطاهم حميد فابوا ذلك فعبر اليهم عيسى وقواد الجانب الشرقي ووعدوا ولئك الجند ان يزيدهم على الستين فشتموه وأصحابه وقالوا لا نريد ابراهيم فقاتلهم ساعة ثم ألقى نفسه في وسطهم حتى أخذوه وشبه الاسير فأخذه بعض قواده فاتى به منزله ورجع الباقون الى ابراهيم فاخبروه الخبر فاغتم لذلك وكان المطلب بن عبد الله بن مالك قد اختفى من ابراهيم كما ذكرنا فلما قدم حميد أراد العبور اليه فعلموا به فاخذوه وأحضروه عند ابراهيم فحبسه ثلاثة أيام ثم خلى عنه لليلة خلت من ذي الحجة

﴿ذكر اختفاء ابراهيم بن المهدي﴾

وفي هذه السنة اختفى ابراهيم بن المهدي وكان سبب ذلك ان حميدا تحول فنزل عند ارحاء عبد الله ابن مالك فلما رأى أصحاب ابراهيم وقواده ذلك تسللوا اليه فصار عامتهم عنده وأخذوا له المدائن فلما رأى ابراهيم فعلهم أخرج جميع من بقي عنده حتى يقاتلوا فالتقوا على جسر نهر دبا فاقتتلوا

فهزمهم حميد وتبعهم أصحابه حتى دخلوا بغداد وذلك سلخ ذى القعدة فلما كان الاضحى اختفى الفضل بن الربيع ثم تحول الى حميد وجعل الهاشميون والقواد يأتون حميدا واحدا بعد واحد فلما رأى ذلك ابراهيم سقط فى يديه وشق عليه وكاتب المطلب حميد ليسلم اليه ذلك الجانب وكان سعيد بن الساجور وأبو البط وغيرهما يكاتبون على بن هشام على ان يأخذوا له ابراهيم فلما علم ابراهيم بامرهم وما اجتمع عليه كل قوم من أصحابه جعل يداريهم فلما جنه الليل اختفى ليلة الاربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة وبعث المطلب الى حميد يعلمه انه قد أحدق بدار ابراهيم وكتب ابن الساجور الى على بن هشام فركب حميد من ساعته من ارحاء عبد الله فاتى باب الجسر وجاء على بن هشام حتى نزل نهر بين ثم تقدم الى مسجد كوثر وأقبل حميد الى دار ابراهيم فطلبوه فلم يجدوه فيها فلم يزل ابراهيم متواريا حتى جاء المأمون وبعد ما قدم حتى كان من امره ما كان وكانت أيام ابراهيم سنة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وكان بعده على بن هشام على شرقى بغداد وحميد على غربيها وكان ابراهيم قد أطلق سهل بن سلامة من الحبس وكان الناس يظنونه قد قتل فكان يدعو فى مسجد الرصافة الى ما كان عليه فاذا جاء الليل يرد الى حبسه ثم انه أطلقه وخلى سبيله ليلة خلت من ذى الحجة فذهب فاختفى ثم ظهر بعد هرب ابراهيم فقربه حميد وأحسن اليه ورده الى أهله فلما جاء المأمون أجازه ووصله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة انكسفت الشمس لليلتين بقيتا من ذى الحجة حتى ذهب ضوءها وغاب اكثر ثلثيها ووصل المأمون الى همذان فى آخر ذى الحجة وحج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على وكانت بخراسان زلازل عظيمة ودامت مقدار سبعين يوما وكان معظمها ببلخ والجوزجان والفاريات والطالقان وماوراء النهر فخربت البلاد وتهدمت الدور وهلك فيها خلق كثير وفيها غلبت السوداء على الحسن بن سهل فتغير عقله حتى شد فى الحديد وحبس وكتب القواد الى المأمون بذلك فجعل على عسكره دينار بن عبد الله وأرسل اليهم يعرفهم انه واصل وفيها ظهر بالاندلس رجل يعرف بالولد وخالف على صاحبها فسير اليه جيشا فحصروه بمدينة باجة وكان استولى عليها فضيقوا عليه فملكوها وقيدوه وفيها ولى أسد بن الفرات الفقيه القضاء بالقيروان وفيها توفى محمد بن جعفر الصادق بجرجان وصلى عليه المأمون وهو الذى بايعه الناس بالخلافة بالحجاز وفيها توفى خزيمة بن خازم التميمى فى شعبان وهو من القواد المشهورين وقد تقدم من اخباره ما يعرف به محله ويحيى بن آدم بن سليمان وأبو أحمد الزبيرى ومحمد بن بشير العبدى الفقيه بالكوفة والنضر بن شميل اللغوى المحدث وكان ثقة

﴿ثم دخلت سنة أربع ومائتين﴾

﴿ذكر قدوم المأمون بغداد﴾

فى هذه السنة قدم المأمون بغداد وانقطعت الفتن وكان قد أقام بجرجان شهرا وجعل يقيم بالمنزل اليوم واليومين والثلاثة وأقام بالنهروان ثمانية أيام فخرج اليه أهل بيته والقواد ووجوه الناس وسلموا عليه وكان قد كتب الى طاهر وهو بالرقة ليوافيه بالنهروان فاتاه بها ودخل بغداد منتصف صفر ولباسه ولباس أصحابه الخضرة فلما قدم بغداد نزل الرصافة ثم تحول ونزل قصره على شاطئ دجلة وأمر القواد ان يقيموا فى معسكرهم وكان الناس يدخلون عليه فى الثياب الخضر وكانوا يخرقون كل ملبوس يرونه من السواد على انسان فمكثوا بذلك ثمانية أيام فتكلم بنو

قال اخوان اجتمعا فان لقيا قهرا وان كان حارسهما قليل وصاحبهما جليل لحاجان الى صيانة مع نزاهة وديانة قال فهل تحفظ فى ذلك شعرا قال نعم أما سمعت قول مرة بن ذهل ابن شيبان حيث يقول

ان السيادة والمروءة علقا
حيث السماء من السماك الاعزل

واذا تقابل بحران لغاية
عثر الهجين وأسلمته الارجل

و يجى الصريح مع العتاق معودا
قرب الجياد فلم يجئه الافكل

فى أبيات فقال له ابن عباس لو أن رجلا ضرب آباط ابله مشرقا ومغربا القائدة هذه الابيات ما عنفته انا منك يا ابن صوحان لعلى علم وحلم واستنباط ما قد عفا من أخبار العرب فى الحليم فيكم قال من ملك غضبه فلم يفعل وسعى اليه بحق أو باطل فلم يقبل ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل ذلك الحليم يا ابن عباس قال فهل تجد ذلك فيكم كثيرا قال ولا قليلا ولكنا وصفت لك أقواما لا تجدهم الا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون وأما الآخرون فانهم سبق جهلهم حلمهم ولا يبالى أحدهم اذا ظفر ببغيته

حين الحفيظة من كان بعدان يدرك زعمه و يقضى بغيته ولو وتره أبوه لقتل أباه أو أخوه لقتل

فاتاه فى مائتى فارس صباحا وهو فى أربعين بيتا فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قتل ويقال بل كان أخاه وذلك انه كان جاورهم فقيل لريان فى ذلك قتلت صاحبنا فقال فلو اتى ثقفت بحيث كانوا لبل ثيابها علق صبيب ولو كانت أمية أخت عمرو بهذا الماء ظل لها نحيب شهرت السيف فى الادنين منى ولم تعطف أواصرنا قلوب فقال ابن عباس فن الفارس فيكم حدثنى حدا أسمعه منك فانك تضع الاشياء مواضعها يا ابن صوحان قال الفارس من قصر أجله فى نفسه وضنع على أمله بضرسه وكانت الحرب أهون عليه من أمسه ذلك الفارس اذا وقدت الحروب واشتدت بالانفس الكروب وتداعوا للنزال وتزاحفوا للقتال وتخالسوا المهج واقتصوا بالسيوف اللجج قال أحسنت والله يا ابن صوحان انك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ما ورثت هذا عن كلالة زدنى قال نعم الفارس كثير الحذر مدير النظر يلتفت بقلبه ولا يدير خرزات صلبه قال أحسنت والله يا ابن صوحان الوصف فهل فى مثل هذه الصفة من شعر قال نعم لزهير بن جناب الكلبى يرثى ابنه عمرا حيث يقول فارس تكلأ العصابة منه * بحسام يمر مر الحريق هو

العباس وقواد أهل خراسان وقيل انه أمر طاهر بن الحسين ان يسأله حوائجه فكان أول حاجة سأله ان يلبس السواد فاجابه الى ذلك وجلس للناس وأحضر سوادا فلبسه ودعا بخلعة سوداء فالبسها طاهرا وخلع على قواده السواد فعاد الناس اليه وذلك لسبع بقين من صفر ولما كان سائرا قال له أحمد بن أبى خالد الاحول يا أمير المؤمنين فكرت فى هؤمنا على أهل بغداد وليس معنا الا خمسون ألف درهم مع فتنة غلبت قلوب الناس فكيف يكون حالنا اذا هاج هائج أو تحرك متحرك فقال يا أحمد صدقت ولكن أخبرك ان الناس على طبقات ثلاث فى هذه المدينة ظالم ومظلوم ولا ظالم ولا مظلوم فاما الظالم فلا يتوقع الا عفونا وأما المظلوم فلا يتوقع الا ان ينتصف بنا وأما الذى ليس بظالم ولا مظلوم فبيته يسعه وكان الامر على ما قال

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها أمر المأمون بقاسمة أهل السواد على الخمسين وكانوا يقاسمون على النصف واتخذ القفيز الملهم وهو عشرة مكاكيك بالمكوك الهارونى كيلا مرسلا وفيها واقع يحيى بن معاذ بابك فلم يظفر واحد منهما بصاحبه وولى المأمون أبا عيسى أخاه الكوفة وصالحا أخاه البصرة واستعمل عبيد الله بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب الحرمين وحج بالناس عبيد الله وفيها انحدر السيد بن أنس الازدى من الموصل الى المأمون فتظلم منه محمد بن الحسن بن صالح الهمدانى وذكر انه قتل اخوته وأهل بيته فاحضره المأمون فلما حضر قال أنت السيد قال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس فاستحسن ذلك فقال أنت قتلت اخوة هذا قال نعم ولو كان معهم لقتلته لانهم ادخلوا الخارجى بلدك واعلوه على منبرك وابطلوا دعوتك فعفا عنه واستعمله على الموصل وكان على القضاء بها الحسن بن موسى الاشيب وفى هذه السنة مات الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه وكان مولده سنة خمسين ومائة والحسن بن زياد اللؤلؤى الفقيه أحد أصحاب ابى حنيفة وأبو داود سليمان بن داود الطيالسى صاحب المسند ومولده سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهشام بن محمد السائب الكلبى النسابة وقيل مات سنة ست ومائتين وفيها توفى محمد بن عبيد بن أبى أمية المعروف بالطنافسى وقيل سنة خمس ومائتين

﴿ ثم دخلت سنة خمس ومائتين ﴾

﴿ ذكر ولاية طاهر خراسان ﴾

وفى هذه السنة استعمل المأمون طاهر بن الحسين على المشرق من مدينة السلام الى أقصى عمل المشرق وكان قبل ذلك يتولى الشرط بجانبى بغداد ومعاون السواد وكان سبب ولايته خراسان ان طاهرا دخل على المأمون وهو يشرب النبيذ وحسين الخادم يسقيه فلما دخل طاهر سقاه رطلا وأمره بالجلوس فقال ليس لصاحب الشرطة ان يجلس عند سيده فقال المأمون ذلك فى مجلس العامة واما فى مجالس الخاصة فله ذلك فبكى المأمون وتغرغرت عيناه بالدموع فقال طاهر يا أمير المؤمنين لم تبكى لا أبكى الله عينك والله لقد دانت لك البلاد واذعن لك العباد وصرت الى المحبة فى كل أمرك قال أبكى لامر ذكره ذل وستره حزن ولن يخلو أحد من شجن وانصرف طاهر فدعا هرون بن جيعونة وقال له ان أهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض فخذ معك ثلثمائة ألف درهم فاعط حسينا الخادم مائتى ألف وكاتبه محمد بن هرون مائة ألف وسله ان يسأل المأمون لم بكى ففعل ذلك فلما تغدى المأمون قال اسقنى يا حسين فقال لا والله حتى تقول لى لم بكيت حين دخل عليك طاهر فقال وكيف عنيت بهذا الامر حتى سألتنى عنه فقال لعمى لذلك قال

هو أمر ان خرج من رأسك قتلتك قال يا سيدى ومتى أخرجت لك سرا قال انى ذكرت محمدا أخى وما ناله من الذل فخنقتنى العبرة فاسترحت الى الافاضة ولن يفوت طاهرا منى ما يكره فاخبر حسين طاهرا بذلك فركب طاهر الى أحمد بن أبى خالد فقال له ان الثناء منى ليس برخيص وان المعروف عندى ليس بضائع فغيبنى عن عينه فقال له سأفعل ذلك وركب أحمد الى المأمون فلما دخل عليه قال له ماغاث البارحة قال ولم قال لانك وليت غسان خراسان وهو ومن معه اكلة رأس وأخاف ان تخرج عليه خارجة من الترك فتهلكه فقال لقد فكرت فيما فكرت فيه فمن ترى قال طاهر بن الحسين قال ويلك هو والله خالع قال أنا الضامن له قال فوله فدعا طاهرا من ساعته فعقد له فشخص فى يومه فنزل طاهر البلد فاقام شهرا فحمل اليه عشرة آلاف ألف درهم التى تحمل لصاحب خراسان وسار عن بغداد لليلة بقيت من ذى القعدة وقيل كان سبب ولايته ان عبد الرحمن المطوعى جمع جموعا كثيرة بنيسابور ليقاتل بهم الحرورية بغير أمر والى خراسان فتخوفوا ان يكون ذلك لاصل عمل عليه وكان غسان بن عباد يتولى خراسان من قبل الحسن بن سهل وهو ابن عمه فلما استعمل طاهر على خراسان كان صارما للحسن بن سهل وسبب ذلك ان الحسن ندبه لمحاربة نصر بن شبث فقال حاربت خليفة وسقت الخلافة الى خليفة وأومر بمثل هذا انما كان ينبغى ان يتوجه اليه قائد من قوادى وصارمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين بغداد من الرقة وكان أبوه استخلفه بها وأمره بقتال نصر بن شبث فلما قدم الى بغداد جعل له المأمون على الشرطة بعد مسير أبيه وولى المأمون يحيى بن معاذ الجزيرة وولى عيسى بن محمد بن أبى خالد ارمينية واذربيجان ومحاربة بابك وفيها مات السرى بن الحكم بمصر وكان واليها وفيها مات داود بن يزيد عامل السند فولاها المأمون بشير بن داود على ان يحمل كل سنة ألف ألف درهم وفيها ولى المأمون عيسى بن يزيد الجلودى محاربة الزط وج بالناس عبيد الله بن الحسن أمير مكة والمدينة وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة فتهدمت المنازل ببغداد وكثر الخراب بها وفى هذه السنة توفى يزيد بن هرون الواسطى ومولده سنة تسع عشرة ومائة والحجاج بن محمد الاعور الفقيه وشبابة بن سوار الفزارى الفقيه وعبد الله بن نافع الصائغ ومحاضر بن الموزع وأبو يحيى ابراهيم بن موسى الزيات الموصلى سمع هشام بن عروة وغيره

﴿ثم دخلت سنة ست ومائتين﴾

﴿ذكر ولاية عبد الله بن طاهر الرقة﴾

وفى هذه السنة ولى المأمون عبد الله بن طاهر من الرقة الى مصر وأمره بحرب نصر بن شبث وكان سبب ذلك ان يحيى بن معاذ الذى كان المأمون ولاه الجزيرة مات فى هذه السنة واستخلف ابنه احمد فاستعمل المأمون عبد الله مكانه فلما أراد توليته احضره وقال له يا عبد الله استخر الله تعالى منذ شهر واكثر وأرجو أن يكون قد خار لى ورأيت الرجل يصف ابنه لرأيه فيه ورأيتك فوق ما قال أولك فيك وقدمات يحيى واستخلف ابنه وليس بشئ وقد رأيت توليتك مصر ومحاربة نصر بن شبث فقال السمع والطاعة وارجو أن يجعل الله لامير المؤمنين الخيرة وللمسلمين فعقد له وقيل كانت ولايته سنة خمس ومائتين وقيل سبع ومائتين ولما سار استخلف على الشرطة اسحق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب وهو ابن عمه ولما استعمله المأمون كتب اليه أبوه طاهر كتابا جمع فيه كل ما يحتاج اليه الامراء من الآداب والسياسة وغير ذلك وقد أثبت منه أحسنه لما فيه من

فى أبيات فقال له ابن عباس فاين أخواك منك يا ابن صوحان صفهما لا عرف وزنكم قال أما زيد فكما قال أخوغنى
فتى لا يبالى أن يكون بوجهه
اذا نال خلان الكرام نصوب
اذا ما تراآه الرجال تحفظوا
فلم ينطقوا العوراء وهو قريب
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
اليه ويدعوه الندى فيجيب
يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه
اذا لم يكن فى المنقيات حلوب
كأن بيوت الحى ما لم يكن بها
بسائس ما يأتى بهن غريب
فى أبيات فقال ابن عباس والله يا ابن عباس عظيم المروة شريف الاخوة جليل الخطر بعيد الاثر كريش العروة أليف البدوة سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذاكر الله طرفى النهار وزلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس فى دنيا وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وان نطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الاشرار ويألفه الاحرار الاخيار فقال ابن عباس ما ظنك برجل من أهل الجنة رحم الله زيدا فاين كان عبد الله منه قال كان عبد الله سيدا شجاعا مالنا

الآداب والحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم لانه لا يستغني عنه أحد من ملك وسوقة وهو

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك في الليل والنهار والزم ما ألبسك من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤل عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه وتعالى قد أحسن اليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمك العدل عليهم والقيام بحقه وحدوده فيهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضهم والحقن لدمائهم والامن لسبيلهم وادخال الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك ونظرك ولا يشغلك عنه شاغل وانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوفقك الله عز وجل به لرشدك وليكن أول ما تلزم نفسك وتنسب اليه أفعالك المواظبة على ما افترض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس وأت بها في مواقيتها على سننها وفي اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل وترتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك وليصدق فيه رأيك ونيتك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلافته واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه ولزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه واتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بما يحق الله عز وجل عليك ولا تمل من العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان أفضل ما تزين به المرء الفقه في الدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهي عن المعاصي الموبقات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة لله عز وجل واجلالا له وذكرا للدرجات العلا في المعاد مع ما في ظهره للناس من التوقير لامرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها فليس شيء أبين نفعا ولا أخص امنا ولا أجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد وآثره في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والاجر والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ولا غاية للاستكثار في البر والسعي له اذ كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته ومرافقة أوليائه في دار كرامته واعلم ان القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وانه لن تحوط لنفسك ومن يليك ولا تستصلح أمورك بافضل منه فانه واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل ان تكشف أمره فان ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم فاجعل من شأنك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يغنيك ذلك عن اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك معمرا فانه انما يكفي بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك

الاعتاده سمام عدى
وبازل قرى صعب المقاده
حزل الرقاده أخو اخوان
وفتى فتيان وهو كما قال
البرجمي عامر بن سنان
سمام عدى بالنبل يقتل
من رمى
وبالسيف والرمح الرديني
مشعب
مهيب مفيد للنوال معود
بفعل الندى والمكرمات
مجرب
في أبيات فقال له ابن عباس
أنت يا ابن صوحان باقر علم
العرب (ومن أخبار صعصعة)
ما حدث به أبو جعفر محمد
ابن حبيب الهاشمي عن أبي
الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي
قال وقف رجل من بني
فزارة على صعصعة فاسمعه
كلاما (منه) بسطت لسانك
يا ابن صوحان على الناس
فتهيبوك أما الئن شئت لا كونن
لك لصادقا فلا تنطق الا
جددت لسانك بأدرب من
ظبة السيف بعضب قوي
ولسان علي ثم لا يكون
لك في ذلك حل ولا ترحال
فقال صعصعة لو أجد غرضا
منك لرميت بل أرى
شيخا ولا أخال مثالا الا
كسراب بقيعة يحسبه
الظمآن ماء حتى اذا جاءه
لم يجده شيأ أما لو كنت كفؤا
لرميت حصائلك باذرب
من ذلق السنان ولرشقتك
بنبال تردعك عن النضال
وخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام فانصل الكلام ابن عباس فاستضحك

واعلم

واعلم انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفى به مما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة فى الامور كلها لك ولا يمنعنك حسن الظن باصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك ولتكن المباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها والنظر فى حوائجهم وحمل مؤناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيى للسنة واخلص نيتك فى جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم انه مسؤل عما صنع ومجزى بما أحسن ومأخوذ بما أساء فان الله عز وجل جعل الدين حرزا وعزا ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى وأقم حدود الله عز وجل فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان فى تفريطك فى ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعتزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروأتك واذا عاهدت عهدا ففى به واذا وعدت خيرا فانجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض أهله واقص أهل النميمة فان أول فساد أمورك فى عاجلها وآجلها تقريب الكذوب والجراءة على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها الان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها ولا يسلم له صاحب ولا يستتم لمطيعها أمر واحب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق واس الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز أمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رأيك واظهر برأيك فى ذلك رعيتك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم واياك والحدة والطيرة والغرور فيما انت بسبيله واياك أن تقول أنا مسلط أفعل ما أشاء فان ذلك سريع الى نقص الرأى وقلة اليقين بالله عز وجل واخلص لله وحده لا شريك له النية فيه واليقين به واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة الى أحد أسرع منه الى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم فى الدولة اذا كفروا نعم الله عز وجل واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدخر وتكثر البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة للملهوفين واعلم ان الاموال اذا كثرت وذخرت فى الخزائن لا تنمو واذا كانت فى صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف مؤنة عنهم سمت وزكت ونمت وصلحت به العامة وتزينت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الاموال فى عمارة الاسلام واهله ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين فتلك حقوقهم وأوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعمالك أقدر وعن الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك اساس لطاعتك واطيب لنفسك بكل ما أردت واجهد نفسك فيما حددت لك فى هذا الباب ولتعظم حسنتك فيه واغبا بقى من المال ما أنفق فى سبيل الله واعرف للشاكرين شكرهم وانبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل

فقطب وقال شاه هذا الوجه حتى خيل الينا انه يبكى ثم قال قد كان أخو راسب حافظا لكتاب الله تاركا لحدود الله ثم قال لهما

منازعة أخى عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريرة ثم عثل صبت عليه ولم تنصب من أمم ان الشقاء على الاشقين مصبوب

(وحدث) المبرد عن الرياشى عن ربيعة بن عبد الله النميرى قال أخبرنى رجل من الازد قال نظرت الى أبى أيوب الانصارى فى يوم النهروان وقد علا عبد الله بن وهب الراسبى فضربه ضربة على كتفه فأبان يده وقال بؤبها الى النار يا مارق فقال عبد الله ستعلم أينا أولى بها صليا قال وأبيك انى لاعلم اذا أقبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال أولى بها والله صليا من ضل فى الدنيا عميا وصار الى الآخرة شقيا أبعدك الله وأترحك أما والله لقد أنذرتك هذه الصرعة بالامس فأبيت الا نكوصا على عقبيك فذق يا مارق وبال أمرك وشرك أبا أيوب فى قتله ضربه ضربة بالسيف أبان بها رجله وأدركه باخرى فى بطنه وقال لقد صرت الى نار لا تطفأ ولا يبوخ سعيرها ثم احتز رأسه وأتى به عليا فقال الا هذا رأس الفاسق الناكث المارق عبد الله بن وهب فنظر اليه

صلى الله عليه وسلم ولا كذبت عليه قوموا بجمعكم فاطلبوه فقامت جماعة من أصحابه فتفرقوا في القتلى فأصابوه في دهاس من الارض فوقه زهاء مائة قتيل فأخرجوه يجر برجله ثم أتى به علي فقال أشهدوا أنه ذو الثدية وقد ذكرنا أخبار ذي الثدية فيما سلف من هذا الكتاب ولعلي في ربيعة كلام كثير يعد حوهم فيه وبرثيهم شعرا ومنثورا وقد كانوا أنصاره وأعوانه والركن المنيع من أركانه فمن بعض ذلك قوله يوم صفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها
اذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها في الصف حتى يعلها
حياض المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوما قاتلوا في لقائه
لدى الموت قدما ما أعز وأكرما
واطيب اخبارا وأكرم شيمة
اذا كان أصوات الرجال تغمغما

ربيعة اعني انهم أهل نجدة وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

(وذكر) المدائني ان معاوية اسر جميل بن كعب الثعلبي وكان من سادات ربيعة وشيعة علي وانصاره فلما وقف بين يديه قال الحمد لله الذي أمكنني منك الست القائل يوم الجمل أصبحت الامة في أمر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب تأخذ

وارج الثواب فيه فان الله سبحانه قد أسبغ عليك نعمته وأسبغ لديك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تمالئن حاسدا ولا ترحمن فاجرا ولا تصافين كفورا ولا تداهنن عدوا ولا تصدقن غماما ولا تأمنن غدارا ولا توالين فاسقا ولا تبغضن عاديا ولا تحسدن مرائيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحبن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخالفن وعدا ولا ترهقن هجرا ولا تركبن سفها ولا تظهرن غضبا ولا تأسن مدحا ولا تمشين مرحا ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا تدفع الانام عنانا ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه أو محاباة ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الذمة والنحل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شئ أسرع فساد الما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشح واعلم انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم لك أمر الا قليلا فان رعيتك انما تعقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم وابتدئ من صفالك من أوليائك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم انه أول ما عصي الانسان به ربه وان العاصي بمنزلة خزي وتدبر قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون واجعل للمسلمين كلهم من بيتك حظا ونصيبا وأيقن ان الجود من أفضل أعمال العباد فاعده لنفسك خلقا وسهل طريق الجود بالحق وارض به عملا ومذهبا وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم وادر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم في معايشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك أمرهم وتزيد به قلوبهم في طاعتك في أمرك خلوصا وانشراحا وحسب ذي السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسيعه فزايل مكروه احدى البليتين باستشعار فضيلة الباب الآخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله تعالى نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم ان القضاء بالعدل من الله تعالى بالمكان الذي ليس يعدل به شئ من الامور لانه ميزان الله الذي يعتدل عليه أحوال الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجرى السنن والشرائع على مجاريها واشتد في أمر الله عز وجل وتورع عن القصف وامض لاقامة الحدود واقلل الهجلة وأبعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه في صمتك وسدد في منطقك وأنصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ في الحجة ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر الحق على نفسك وتدبر وتفكر واعتبر وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية فتسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك دم فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ولاهله توسعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ولاهل الكفر من معانديهم ذلا وصغارا فوزعه بين أصحابك بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيأ عن شريف لشرفه ولا عن غني لغناه ولا عن كاتب ولا عن أحد من خاصتك وحاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف أمرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على مر الحق فان ذلك أجمع لاقتهم والزم لرضا العامة واعلم انك جعلت ولاية تك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي أهل عملك رعيتك لانك راعيهم وقيمهم

تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفذه فى قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم فاعمل عليهم ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم فى الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك ولا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة فى عملك وأحرزت به المحبة من رعيتك وأعنت على الصلاح وقدرت الخيرات فى بلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب فى كورك وكثر خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على انباط جندك وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل فى ذلك عند عدوك وكنت فى أمورك كلها اذا عدل وآلة وقوة وعده فنافس فى ذلك ولا تقدم عليه شيأ تحمد فيه مغبة أمرك ان شاء الله تعالى واجعل فى كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عملك ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معاين لاموره كلها فان أردت ان تأمرهم بأمر فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه والا فتوقف عنه وراجع أهل البصيرة والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل فى أمر من أموره قدره وأتاه على ما يهوى فاغواه ذلك وأعجبه فان لم ينظر فى عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره فاستعمل الحزم فى كل ما أردت وباشره بمعونة الله عز وجل بالقوة وأكثر فى استخارة ربك فى جميع أمورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك وأكثر مباشرته بنفسك فان لغد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه واذا أخرت عمله اجتمع عليك أمور يومين فيشغلك ذلك حتى تعرض عنه واذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك واحكمت أمور سلطانك وانظر احرار الناس وذوى السن منهم ممن تستيقن صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مساغا وفرد نفسك بالنظر فى أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه فسل عنه احق مسئلة وكل بامثاله أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم وتعاهد ذوى البأساء واليتامى وارامليهم واجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين اعزه الله فى العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة وأجرا للاضراب من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لاكثره فى الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم وقواما يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال واعلم ان الناس اذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعا فى نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما تبرم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل فكره وذهنه قليله عما ينابه به من مؤنة ومشقة وليس من يرغب فى العدل ويعرف محاسن أموره فى العاجل وفضل ثواب الآجل كالذى يستثقل بما يقربه الى الله تعالى ويلتمس رحمته وأكثر الاذن للناس عليك وأبرزلهم وجهك وسكن لهم حواسك واخفض لهم جناحك واظهر لهم بشرك ولن لهم فى المسئلة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة

نعمة أكبر من ان يكون الله قد أطفر فى برجل قد قتل فى ساعة واحدة عدة من حماة أصحابى اضربوا عنقه فقال اللهم أشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ولكن قتلنى على حطام الدنيا فان فعل فافعل به ما هو أهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت أهله فقال معاوية فاتلك الله لقد سببت فأبلغت فى السب ودعوت فبالغت فى الدعاء ثم أمر به فاطلق وتمثل معاوية بابيات للنعمان بن المنذر لم يقل النعمان غيرها فيما ذكر ابن الكلبى وهى

تعفو الملوك عن الجليل
ل من الامور بفضلها
ولقد تعاقب فى البسيـ
ـروليس ذاك لجهلها
الا ليعرف فضلها
ويخاف شدة نكلها

(وذكر) لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدى وغيرهم من نقلة الاخبار ان معاوية لما احتضر تمثل هو الموت لا منجى من الموت والذى
تحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة مهرب فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله وانى لارجو أن

والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى قبلك من أهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم فى أحوالك كلها بامر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالف مادعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما تجمع عمالك من الاموال وينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الامور ومعاليها وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك عن انهاء ذلك اليك فى سرك واعلانك وما فيه من النقص فان أولئك انصح أوليائك ومظاهرين لك وانظر عمالك الذين يحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتا يدخل فيه عليك بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وأمور كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبر له فما كان موافقا للحق والحزم فأمضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسئلة عنه ولا تمتن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من احد منهم الا الوفاء والاستقامة والعون فى أمور أمير المؤمنين ولا تضعن المعروف الا على ذلك وتفهم كتابى اليك وأكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فان الله عز وجل مع الصلاح وأهله وليكن أعظم سيرتك وأفضل عيشك ما كان فيه لله عز وجل رضا ولدينه نظاما ولاهله عزا وتمكينا وللذمة وللملة عدلا وصلاحا وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام

فلما رأى الناس هذا الكتاب تنازعوه وكتبوه وشاع أمره وبلغ المأمون خبره فدعا به فقرئ عليه فقال ما أبقى أبو الطيب يعنى طاهرا شيئا من أمر الدنيا والدين والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكم وأوصى به وأمر المأمون فكتب به الى جميع العمال فى النواحى فسار عبد الله الى عمله فاتبع ما أمر به وعهد اليه وسار بسيرته

﴿ذكر موت الحكم بن هشام﴾

وفى هذه السنة مات الحكم بن هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس لاربع بقين من ذى الحجة وكانت بيعته فى صفر سنة ثمانين ومائة وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وكنيته أبو العاص وهو لام ولد وكان طويلا أسمر نحيفا وكان له تسعة عشر ذكرا وله شعر جيد وهو أول من جند بالاندلس الاجناد المرتزقين وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الحشم والحواشى وارتبط الخيول على بابه وشابه الجبابرة فى أحواله واتخذ الماليك وجعلهم فى المرتزقة فبلغت عدتهم خمسة آلاف مملوك وكانوا يسمون الحرس لجمة ألسنتهم وكانوا يوما على باب قصره وكان يطلع على الامور بنفسه وما قرب منها وبعد وكان له نفر من ثقات أصحابه يطالعونه بأحوال الناس فيرد عنهم المظالم وينصف المظلوم وكان شجاعا مقداما مهيبا وهو الذى وطأ لعقبه الملك بالاندلس وكان يقرب الفقهاء وأهل العلم

﴿ذكر ولاية ابنه عبد الرحمن﴾

لما مات الحكم بن هشام قام بالملك بعده ابنه عبد الرحمن ويكنى أبا المطرف واسم أمه حلاوة وكان بكر والده وولد بطليطلة أيام كان أبوه الحكم يتولاها لابيه هشام وولد لسبعة أشهر وجد ذلك بخط

لا يعذبه الله (وذكر) محمد بن اسحق وغيره من فرأى نحول جسمه فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة وقال متمثلا

أرى الليالى أسرعت فى نقضى
أخذن بعضى وتركن بعضى
حنين طولى وحنين عرضى
أقعدنى من بعد طول نهضى

ولما أزف أمره وحان فراقه واشتدت علته وأيس من برئه أنشأ يقول فيالينتى لم أعن فى الملك ساعة ولم أك فى اللذات اعشى النواظر

وكنت كذى طمر عاش ببلغة
من الدهر حتى زار أهل المقابر

(قال المسعودى) ولمعاوية اخبار كثيرة مع على وغيره وقد أتينا على الغرر من أخباره وما كان فى أيامه فى كتابنا اخبار الزمان والاوسط وغيرهما من كتبنا مما أفرد للآثار وهذا باب كبير والكلام فيه وفى غيره مما تقدم وتأخر فى هذا الكتاب كثير ومن ضمن الاختصار لم يجز له الاكثار وانما نذكر فى كل باب من هذا الكتاب طرفا من كل نوع من العلوم والاخبار وما انتحيناه من طرائف الآثار ليستدل الناظر فيه بما ذكرناه على المراد مما تركنا ذكره وقد تقدم وصفه وبسطه فيما سلف من كتبنا واذ قد تقدم ما ذكرنا فلنذكر الآن جملا من فضل الصحابة وغيرهم عليهم السلام اذ كانوا حجة على من

أبيه وكان جسيما وسيما حسن الوجه فلما ولى خرج عليه عم أبيه عبد الله البلنسي وطمع بموت الحكم وخرج من بلنسية يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن فلما بلغ ذلك عبد الله خاف وضعفت نفسه فرجع الى بلنسية ثم مات في اثناء ذلك سريعا ووقى الله ذلك الطرف شره فلما مات نقل عبد الرحمن أولاده وأهله اليه بقرطبة وخلصت الامارة بالاندلس لولد هشام بن عبد الرحمن (تدمير بالتاء فوقها نقطتان والدال المهملة والياء تحتها نقطتان ثم راء)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها عزل الحسن بن موسى الاشيب عن قضاء الموصل فانحدر الى بغداد وتولى القضاء بها على ابن أبي طالب الموصلي وفيها ولى المأمون داود بن ماسه حرب الزط واعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وفيها كان المد عظيما غرق فيه السواد وكسكر وقطيعة أم جعفر وهلك فيه من الغلات كثير وفيها نكب بابك الخرمي عيسى بن محمد بن أبي خالد وحج بالناس هذه السنة عبيد الله بن الحسن العلوي وهو أمير الحرمين وفيها غزا المسلمون من افريقية جزيرة سردانية فغنموا وأصابوا من الكفار وأصيب منهم ثم عادوا وفيها توفي الهيثم بن عدي الطائي الاخباري وكان عابدا ضعيفا في الحديث وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن أبي أمية الموصلي وهو من أصحاب سفيان الثوري وفيها توفي محمد بن المستنير المعروف بقطرب النحوي أخذ النحو من سيبويه وفيها توفي أبو عمر واسحق بن مرار الشيباني اللغوي (مرار بكسر الميم وبراءين مخففتين)

﴿ثم دخلت سنة سبع ومائتين﴾

﴿ذكر خروج عبد الرحمن بن أحمد باليمن﴾

في هذه السنة خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ببلاد عك في اليمن يدعو الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان سبب خروجه ان العمال باليمن أساؤا السيرة فيهم فبايعوا عبد الرحمن هذا فلما بلغ المأمون ذلك وجه اليه دينار ابن عبد الله في عسكر كثيف وكتب معه بامانه فحضر دينار الموسم وحج ثم سار الى اليمن فبعث الى عبد الرحمن بأمانه فقبله ودخل في طاعة المأمون ووضع يده في يد دينار فخرج به الى المأمون فمنع المأمون عند ذلك الطالبيين من الدخول عليه وأمرهم بلبس السواد وذلك لليلتين بقيتا من ذي القعدة

﴿ذكر وفاة طاهر بن الحسين﴾

وفي هذه السنة في جمادى الاولى مات طاهر بن الحسين من حمى أصابته وانه وجد في فراشه ميتا وقال كلثوم بن ثابت بن أبي سعيد كنت على بريد خراسان فلما كانت سنة سبع ومائتين حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر فخطب فلما بلغ الى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له وقال اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك واكفنا مؤنة من بغى علينا وحشد فيها بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين قال فقلت في نفسي أنا أول مقتول لاني لا أكتم الخبر قال فانصرفت فاغتسلت غسل الموتى وتكفنت وكتبت الى المأمون فلما كان العصر دعاني وحدث به حادث في جفن عينه وسقط ميتا فخرج الى ابنه طلحة قال هل كتبت بما كان قلت نعم قال فاكتب بوفاته فكتبت بوفاته وبقيام طلحة بامر الجيش فوردت الخريطة على المأمون بخلعه فدعا أحمد ابن أبي خالد فقال له رفائت بطاهر كما زعمت وضمنت فقال أبيت الليلة فقال لا فلم يزل حتى أذن له في المبيت ووافت الخريطة الاخرى ليلا بموته فدعاه فقال قدمات طاهر فمن ترى قال ابنه طلحة قال

دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش فلما سلم وجلس قال له معاوية اني أريد ان أسألك عن مسائل قال سل عما بدا لك قال ما تقول في أبي بكر قال رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تاليا وعن المنكر ناهيا وبذنبه عارفا ومن الله خائفا وعن الشبهات زاجرا وبالمعروف آمرا وبالليل قائما وبالنهار صائما فاق صحابه ورعا وكفافا وسادهم زهدا وعفافا فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه قال معاوية ايها يا ابن عباس فما تقول في عمر بن الخطاب قال رحم الله أبا حفص عركا والله حليف الاسلام ومأوى الايتام ومنتهى الاحسان ومحل الايمان وكهف الضعفاء ومعقل الحنفاء قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد فاعقب الله على من ينقصه اللعنة الى يوم الدين قال فما تقول في عثمان قال رحم الله أبا عمرو كان والله أكرم الجعدة وافضل البررة هجادا بالاسحار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا الى كل منحة حييا أبيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فاعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين الى يوم الدين

وطود النهى وكهف العلى للورى داعيا الى المحجة العظمى متمسكا بالعروة الوثقى خير من آمن واتقى وافضل من تقمص وارتدى وأبر من انتعل واسعا وافصح من تنفس وقرأ واكثر من شهد النجوى سوى الانبياء والنبى المصطفى صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد وأبو السبطين فهل يقارنه بشر وزوج خيرا نسوان فهل يفوقه قاطن بلد للاسود قتال وفى الحروب ختال لم ترعيني مثله ولن ترى فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد الى يوم التناد قال ايها ابن عباس لقد اكثرت فى ابن عمك قال فما تقول فى أبيك العباس قال رحم الله العباس أبا الفضل كان صنو نبى الله صلى الله عليه وسلم وقرة عين صفى الله سيد الاعمام له اخلاق آبائه الاجواد واحلام اجداده الامجاد تباعدت الاسباب فى فضيلته صاحب البيت والسقاية والمشاعر والتلاوه ولم لا يكون كذلك وقد ساسه اكرم من دب فقال معاوية يا ابن عباس انا أعلم انك كما فى أهل بيتك قال ولم لا أكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام يا معاوية ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه خص محمدا وكان

اكتب بتوليته فكتب بذلك فاقام طلحة واليا على خراسان فى أيام المأمون سبع سنين ثم توفى وولى عبد الله خراسان ولما ورد موت طاهر على المأمون قال لليدين وللفم الحمد لله الذى قدمه وأخرنا وكان طاهر أعور وفيه يقول بعضهم

باذا اليمينين وعين واحده * نقصان عين ويمين زائده

يعنى ان لقبه كان ذا اليمينين وكانت كنيته أبا الطيب وقد قيل ان طاهرا لما مات انتهب الجند بعض خزائنه فقام بامرهم سلام الابرش الخصى واعطاهم رزق سنة أشهر وقيل استعمل المأمون على عمله جميعه ابنه عبد الله بن طاهر فسير الى خراسان أخاه طلحة وكان عبد الله بالرقة على حرب نصر بن شبث فلما توجه طلحة الى خراسان سير المأمون اليه أحمد بن أبى خالد ليقوم بامره فعبر أحمد الى ماوراء النهر وافتتح أشروسنة وأسر كاوس بن صارخره وابنه الفضل وبعث بهما الى المأمون ووهب طلحة لاحمد بن أبى خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضا بالفى ألف درهم ووهب لابراهيم بن العباس كاتب أحمد خمسمائة ألف درهم

﴿ذكر ما كان بالاندلس فى هذه السنة﴾

وفى هذه السنة وقع عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس بجند البصرة وأهلها وهى الوقعة المعروفة بوقعة بالس وكان سببها ان الحكم كان قد بلغه عن عامل اسمه ربيع انه ظلم ابناء أهل الذمة فقبض عليه وصلبه قبل وفاته فلما توفى وولى ابنه عبد الرحمن سمع الناس بصلب ربيع فاقبلوا الى قرطبة من النواحى يطلبون الاموال التى كان ظلمهم بها ظنا منهم انها ترد اليهم وكان أهل البيرة أكثرهم طلبا والحاحا فيه وتألبوا فبعث اليهم عبد الرحمن من يفرقهم ويسكنهم فلم يقبلوا ودفعوا من أتاهم فخرج اليهم جمع من الجند وأصحاب عبد الرحمن فقاتلوهم فانهزم جند البيرة ومن معهم وقتلوا قتلا ذريعا ونجا الباقون منهزمين ثم طلبوا بعد ذلك فقتلوا كثيرا منهم وفيها ثارت بمدينة تدمير فتنة بين المضرية واليمانية فاقتتلوا بلورقة وكان بينهم وقعة تعرف بيوم المضارة قتل منهم ثلاثة آلاف رجل ودامت الحرب بينهم سبع سنين فوكل بكفهم ومنعهم يحيى بن عبد الله بن خالد وسيره فى جميع الجيش فيكانوا اذا أحسوا بقرب يحيى تفرقوا وتركوا القتال واذا عاد عنهم رجعوا الى الفتنة والقتال حتى عيى أمرهم وفيها كان بالاندلس مجاعة شديدة وذهب فيها خلق كثير وبلغ المد فى بعض البلاد ثلاثين دينارا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها غلا السعر بالعراق حتى بلغ القفيز من الحنطة بالهاروفى أربعين درهما الى الخمسين وفيها ولى محمد بن حفص طبرستان والرويان ودنباوند وجح بالناس أبو عيسى بن الرشيد وفيها أمر المأمون السيد بن أنس والى الموصل بقصد بنى شيبان وغيرهم من العرب لافسادهم فى البلاد فسار اليهم وكبسهم بالدسكرة فقتلهم ونهب أموالهم وعاد وفيها توفى وهب بن جرير الفقيه وعمر بن حبيب العدوى القاضى وعبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد وعبد العزيز بن ابان القرشى قاضى واسط وجعفر بن مون بن جعفر بن عمرو بن حريث المخزومى الفقيه وبشر بن عمر الزاهد الفقيه وكثير ابن هشام وازهر بن سعيد السمان وأبو النضر هشام بن القاسم الكنانى وفيها توفى محمد بن عمر بن واقد الواقدى وكان عمره ثمانيا وسبعين سنة وكان عالما بالمغازى واختلاف العلماء وكان يضعف فى الحديث وفيها توفى محمد بن أبى رجاء القاضى وهو من أصحاب أبى يوسف صاحب أبى حنيفة وفيها توفى محمد بن أبى عبد الله بن عبد الاعلى المعروف بابن كناسة وهو ابن أخت ابراهيم بن أدهم

وكان عالما بالعربية والشعر وأيام الناس وفيها توفى يحيى بن زياد وأبو زكريا الفراء النحوى الكوفى وأبو غانم الموصلى وزيد بن على بن أبى خداش الموصلى وهو من أصحاب المعافى كثير الرواية عنه

﴿ثم دخلت سنة ثمان ومائتين﴾

فى هذه السنة سار الحسن بن الحسين بن مصعب من خراسان الى كرمان فعصى بها فسار اليه أحمد ابن أبى خالد فاخذه وأتى به المأمون فدفاعنه وفيها استقضى اسمعيل بن حماد بن أبى حنيفة وفيها عزل محمد بن عبد الرحمن المخزومى عن قضاء عسكر المهدى وولیه بشر بن الوليد الكندى فقال بعضهم

يا أيها الرجل الموحد ربه * قاضيك بشر بن الوليد حمار
ينفى شهادة من يدين عابه * نطق الكتاب وجاءت الآثار
ويعد عدلا من يقول بانه * شيخ يحيط بجسمه الاقطار

وفيها مات موسى بن الامين والفضل بن الربيع فى ذى القعدة وحج بالناس صالح بن الرشيد وفيها هلك اليسع بن أبى القاسم صاحب سجلماسة فولى أهلها على أنفسهم أخاه المنتصر بن أبى القاسم اسول المعروف بمدرار وقد تقدم ذكرهم وفيها سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى بلاد المشركين واستعمل عليه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث فساروا الى البلة والقلاع فنهبوا بلاد المة واحرقوها وحصروا عدة من الحصون ففتحوا بعضها وصالحه بعضها على مال واطلاق الاسرى من المسلمين ففتح أموالا جليلة القدر واستنقذوا من اسارى المسلمين وسبيهم كثيرا فكان ذلك فى جمادى الآخرة وعادوا سالمين وفيها توفى عبد الله بن عبد الرحمن الاموى المعروف بالبلفسى صاحب بلفسية من الاندلس وقد تقدم من اخباره مع اخبار هشام ابن أخيه الحكم بن هشام كثير وفيها توفى عبد الله بن أبى بكر بن حبيب السهمى الباهلى ويونس بن محمد المؤدب والقاسم بن الرشيد وسعيد بن تمام بالبصرة وعبد الله بن جعفر بن سليمان بن على والحسن بن موسى الاشيب وقد كان سار ليتولى قضاء طبرستان فمات بالرى وتوفى على بن المبارك الاحمر النحوى صاحب الكسائى وقيل توفى سنة ست وثمانين

﴿ثم دخلت سنة تسع ومائتين﴾

﴿ذكر الظفر بنصر بن شبث﴾

وفى هذه السنة حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شبث بكيسوم وضيق عليه حتى طلب الامان فقال محمد بن جعفر العامرى قال المأمون لثمامة بن أشرس الاندانى على رجل من أهل الجزيرة له عقل وبيان يؤدى عنى ما أوجهه الى نصر قال بلى يا أمير المؤمنين محمد بن جعفر العامرى فامر باحضاره فحضرت فكلمنى بكلام أمرنى أن أبلغه نصرا وهو بكفرعزون بسروج فابلغته نصرا فاذعن وشرط شروطا منها ان لا يطأ بساطه فلم يجبه المأمون الى ذلك وقال ما باله ينفرمنى قلت لجرمه وما تقدم من ذنبه قال أفتراه احكم جرما من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن محمد بن أبى خالد اما الفضل فاخذ قوادى وأموالى وسلاحى وجميع ما أوصى به الرشيد لى فذهب به الى محمد أخى وتركنى بمرو فريدا وحيدا وسلمى وأفسد على أخى حتى كان من أمره ما كان فكان أشد على من كل شئ وأما عيسى بن أبى خالد فانه طرد خليفتى من مدينتى ومدينة آبائى وذهب بخراجى وفيئى واخرب دارى واقعد ابراهيم خليفة دونى قال قلت يا أمير المؤمنين ائذن لى فى الكلام قال تكلم قال قلت أما الفضل بن الربيع فانه صنيعكم ومولاكم وحال سلفه حالهم فرجع اليه بضروب كلها

فقال رحمه بينهم الآية قاموا بعمالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت اعلامه وأذل الله بهم الشرك وأزال روحه ومحاد عائه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية فقد كانوا فى الحياة لله أولياء وكانوا بعد الموت أحياء أصحياء رحلوا الى الآخرة قبل ان يصلوا اليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها فقطع عليه معاوية الكلام وقال ايها يا ابن عباس حديثا فى غير هذا

﴿ذكر ايام يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان﴾

وبويع يزيد بن معاوية فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثمانى ليال وأخذ يزيد لابنه معاوية ابن يزيد البيعة على الناس قبل موته ففى ذلك يقول عبد الله بن همام السلولى

تلقفها يا يزيد عن أبيه
فخذها يا معاوى عن يزيدا
فقد علقت بكم فتلقفوها
ولا ترموا بها العرض البعيدا
وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق لسبع عشرة
يا أيها القبر بحوارين ما

ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفى ذلك يقول رجل من عنزة

ترد اليه وأما عيسى فرجل من دولتك وسابقته وسابقته من مضى من سلفه معروفة يرجع عليه بذلك وأما نصر فرجل لم يكن له يد قط فيحتمل كهؤلاء ان مضى من سلفه وانما كانوا من جند بني أمية قال انه كما تقول ولست أقلع عنه حتى يطأ بساطي قال فابلغت نصرا ذلك فصاح بالخيل فجالت اليه فقال ويلي عليه وهو لم يقو على أربعمائة ضفدع تحت جناحه يعني الزط يقوى على بحلبة العرب فحاده عبد الله بن طاهر القتال وضيق عليه فطلب الامان فأجابه اليه وتحول من معسكره الى الرقة الى عبد الله وكان مدة حصاره ومحاربته خمس سنين فلما خرج اليه أخرب عبد الله حصن كيسوم وسير نصرا الى المأمون فوصل اليه في صفر سنة عشر ومائتين

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها ولى المأمون علي بن صدقة المعروف بزريق على ارمينية واذربيجان وأمره بمحاربة بابك وأقام بأمره أحمد بن الجنيد الاسكافي فاسره بابك فولى ابراهيم بن الليث بن الفضل اذربيجان وحج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن علي وفيها مات ميخائيل بن جورجيس ملك الروم وكان ملكه تسع سنين وملك ابنه توفيل وفيها خرج منصور بن نصير بافريقية عن طاعة الامير زيادة الله وكان منه ما ذكرناه سنة اثنتين ومائتين وفيها توفي أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي وقيل سنة عشر وكان يميل الى مقالة الخوارج وكان عمره ثلاثا وتسعين سنة وقيل مات سنة ثلاث عشرة وعمره ثمان وتسعون سنة وفيها توفي يعلى بن عبيد الطيالسي أبو يوسف والفضل بن عبد الحميد الموصلي المحدث

﴿ ثم دخلت سنة عشر ومائتين ﴾

﴿ ذكر ظفر المأمون بابن عائشة ﴾

فيها ظفر المأمون بابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام المعروف بابن عائشة ومحمد بن ابراهيم الافريقي ومالك بن شاهي ومن كان معهم ممن كان يسعى في البيعة لابراهيم بن المهدي وكان الذي أطلعه عليهم وعلى صنيعهم عمران القطربلي وكانوا اتعدوا أن يقطعوا الجسر اذا خرج الجند يتلقون نصر بن شبث فنم عليهم عمران فأخذوا في صفر ودخل نصر بن شبث بغداد ولم يلقه أحد من الجند فأخذ ابن عائشة وأقيم على باب المأمون ثلاثة ايام في الشمس ثم ضربه بالسياط وحبسه وضرب مالك بن شاهي وأصحابه فكتبوا للمأمون باسماء من دخل معهم في هذا الامر من سائر الناس فلم يعرض لهم المأمون وقال لا آمن ان يكون هؤلاء قذفوا قوما برآء ثم انه قتل ابن عائشة وابن شاهي ورجلين من أصحابهما وكان سبب قتلهم ان المأمون بلغه انهم يريدون ان ينقبوا السجن وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدوا باب السجن فلم يدعوا أحدا يدخل عليهم فلما بلغ المأمون خبرهم ركب اليهم بنفسه فأخذهم فقتلهم صبرا وصلب ابن عائشة وهو أول عباسي صلب في الاسلام ثم أنزل وكفن وصلي عليه ودفن في مقابر قريش

﴿ ذكر الظفر بابراهيم بن المهدي ﴾

وفي هذه السنة في ربيع الاول أخذ ابراهيم بن المهدي وهو متنقب مع امرأتين وهو في زي امرأة أخذه حارس اسود ليلا فقال من أين أنتن وأين تردن هذا الوقت فأعطاه ابراهيم خاتما ياقوت كان في يده له قدر عظيم ليخليهن ولا يسألهن فلما نظر الحارس الى الخاتم استرابهن وقال خاتم رجل له شأن ورفعهن الى صاحب المسلحة فأمرهن أن يسفرن فامتنع ابراهيم فجذبه فبدت لحيته فدفعه الى صاحب الجسر فعرفه فذهب به الى باب المأمون وأعلمه به فأمر بالاحتفاظ به الى

جنازة لا نكس الفؤاد ولا غمر
مقيم بحوارين ليس يريمها
سقته الغوادي من ثوى ومن قبر
في أبيات

﴿ ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ومن قتل معه من أهل بيته وشيعته ﴾

ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة الى الحسين ابن علي انا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك وطوالب الحسين البيعة ليزيد بالمدينة فلما تأخر وخرج يتهادى بين مواليه ويقول
لا ذعرت السوام في فلق الصبـ
ـبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى مخافة الموت ضيما
والمنايا ترصدنني ان أحيدا
ولحق بمكة فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة قال له سر الى أهل الكوفة فان كان حقا ما كتبوا به عرفني حتى ألحق بك فخرج مسلم من مكة في النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال والامير عليها النعمان ابن بشير الانصاري فنزل على رجل يقال له عوسجة مستترا فلما ذاع خبر قدومه بايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألف رجل وقيل ثمانية عشر ألفا فكتب بالخبر الى الحسين وسأله القدوم اليه بكره

بكرة فلما كان الغد أقعد ابراهيم في دار المأمون والمقنعة التي تقنع بها في عنقه والملحفة على صدره ليراه بنو هاشم والناس ويعلموا كيف أخذ ثم حوله الى أحمد بن أبي خالد فحبسه عنده ثم أخرجه معه لما سار في الصلح الى الحسن بن سهل فشفع فيه الحسن وقيل ابنته بوران وقيل ان ابراهيم لما أخذ حمل الى دار أبي اسحق المعتصم وكان المعتصم عند المأمون فحمل رديف الفرح التركي فلما دخل على المأمون قال هيه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنين ولي الثار محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب السفاه أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال بل أعفو يا ابراهيم فكبر وسجد وقيل بل كتب ابراهيم هذا الكلام الى المأمون وهو مختف فوقع المأمون في رقعته القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو والله عز وجل وهو أكبر ما يسأله فقال ابراهيم يمدح المأمون

يا خير من رفلت يمانية به * بعد النبي لأيس أو طامع
وأبر من عبد الاله على التقى * غيبا وآقوله بحق صادع
عسل الفوارع ما أطعت فان تهج * فالصاب يمزج بالسمام الناقع
متيقظا حذرا وما تخشى العدى * نهبان من وسنان ليل الهاجع
ملئت قلوب الناس منك مخافة * وتبيت تكلؤهم بقلب خاشع
بأبي وأمي فدية وأبيهما * من كل معضلة وذنب واقع
ما ألين الكنف الذي بوأتني * وطئا وامرع ربعه للمراتع
للصالحات أخا جعلت وللتقى * وأبا رؤفا للفقير القانع
نفسي فداؤك اذ تفضل معاذري * وألوذ منك بفضل حلم واسع
املا لفضلك والفواضل شيمة * رفعت بناءك للمحل اليافع
فبذلت أفضل ما يضيق ببذله * وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
الا العلو عن العقوبة بعدما * ظفرت يداك بمستكين خاضع
فرحمت أطفالا كأفراخ القطا * وعويل عانسة كقوس النازع
وعطفت آصرة علي كما وهى * بعد انهياض الوثي عظم الطالع
الله يعلم ما أقول كأنها * جهد الالية من حنيف راكع
ما ان عصيتك والغواة تقودني * أسبابها الا بنية طائع
حتى اذا علقت حبائل شقوتي * بردى الى حفر المهالك هائع
لم أدر أن لمثل جرمي غافرا * فوقفت أنظر أي حتف ضارع
رد الحياة علي بعد ذهابها * ورع الامام القادر المتواضع
أحياك من ولاك أفضل مدة * ورمى عدوك في الوتين بقاطع
كم من يد لك لم تحدثني بها * نفسي اذا آلت الى مطامعي
أسديتها عفوا الى هنيئة * وكفرت مصطنعا لاكرم صانع
الا يسيرا عند ما أوليتني * وهو الكبير لدى غير الضائع
ان أنت جدت بها علي تكن لها * أهلا وان تمنع فاكرم مانع

ابن عباس منه وخرج من عنده فمر بعبد الله بن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير وتنشد

يدعونك للحرب فلا تجعل
وان أبيت الا محاربة هذا
الجبار وكرهت المقام بمكة
فاشخص الى اليمن فانها في
عزلة ولك فيها أنصار واخوان
وأقم بها وابث دعاتك واكتب
الى أهل الكوفة وأنصارك
بالعراق فيخرجوا أميرهم
فان قووا على ذلك وتفوه
عنها ولم يكن بها أحد
يعاديك أتيتهم وما أنا
بغدرهم بآمن وان لم
يفعلوا أقمت بمكانك الى أن
يأتي الله بأمره فان فيها
حصونا وشعابا فقال الحسين
يا ابن عم اني لاعلم انك لي
ناصح وعلي شفيق ولكن
مسلم بن عقيل كتب الي
باجتماع أهل المصر على
بيعتي ونصرتي وقد أجمعت
على المسير قال انهم من حرت
وجرت وهم أصحاب أبيك
وأخيك وقتلتك غدا مع
أميرهم انك لو قد خرجت
فبلغ ابن زياد خروجك
استنفرهم اليك وكان
الذين كتبوا اليك أشد من
عدوك فان عصيتني وأبيت
الا الخروج الى الكوفة
فلا تخرجن نساءك وولدك
معك فوالله اني لخائف أن
تقتل كما قتل عثمان ونساؤه
وولده ينظرون اليه فكان
الذي رد عليه لان أقتل
والله بمكان كذا أحب لي
من أن أستحل بمكة فيثس
يالك من قبرة بمعمر *

ان الذى قسم الخلافة حازها * من صلب آدم للامام السابع
جمع القلوب عليك جامع أمرها * وحوى رداؤك كل خير جامع

فذكر ان المأمون قال حين أنشده هذه القصيدة أقول كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

﴿ذكر بناء المأمون بوران﴾

وفى هذه السنة بنى المأمون بوران بنت الحسن بن سهل فى رمضان وكان المأمون سار من بغداد الى فم الصلح الى معسكر الحسن بن سهل فنزله وزفت اليه بوران فلما دخل اليها المأمون كان عندها حمدونة بنت الرشيد وأم جعفر زبيدة أم الامين وجدتها أم الفضل والحسن بن سهل فلما دخل نثرت عليه جدتها ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون فأمر المأمون بجمعه فجمع فأعطاه بوران وقال سلى حوائجك فامسكت فقالت جدتها سلى سيدك فقد أمرك فسألته الرضا عن ابراهيم بن المهدى فقال قد فعلت وسألته الاذن لام جعفر فى الحج فاذن لها وألبستها أم جعفر البدلة اللؤلؤية الاموية وابتنى بها فى ليلته وأوقد فى تلك الليلة شمعة عنبر فيها أرطون منا وأقام المأمون عند الحسن سبعة عشر يوما يعدله كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج اليه وخلع الحسن على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ ما وصلهم خمسين ألف ألف درهم وكتب الحسن أسماء ضياعه فى رقاع ونثرها على القواد فمن وقعت بيده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها

﴿ذكر مسير عبد الله بن طاهر الى مصر﴾

فى هذه السنة سار عبد الله بن طاهر الى مصر وافتتحها واستأمن اليه عبد الله بن السرى وكان سبب مسيره ان عبيد الله قد تغلب على مصر وخلع الطاعة وخرج جمع من الاندلس فتغلبوا على الاسكندرية واشتغل عبد الله بن طاهر عنهم بمحاربة نصر بن شبث فلما فرغ منه سار نحو مصر فلما قرب منها على مرحلة قدم قائد من قواده اليها لينظر موضعا يعسكر فيه وكان ابن السرى قد خندق على مصر خندقا فاتصل الخبر به من وصول القائد الى ما قرب منه فخرج اليه فى أصحابه فالتقى هو والقائد فاقتتلوا قتالا شديدا وكان القائد فى قلة فجال أصحابه وسير بريدا الى عبد الله بن طاهر يخبره فحمل عبد الله الرجال على البغال وجنبوا الخيل وأسرعوا السير فلحقوا بالقائد وهو يقاتل ابن السرى فلما رأى ابن السرى ذلك لم يصبر بين أيديهن وانهزم عنهم وتساقط أكثر أصحابه فى الخندق فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض كان أكثر ممن قتله الجند بالسيف ودخل ابن السرى مصر وأغلق الباب عليه وعلى أصحابه وحاصره عبد الله فلم يعد ابن السرى يخرج اليه وأنفذ اليه ألف وصيف ووصيفة مع كل أحد منهم ألف دينار فسيرهم ليلا فردهم ابن طاهر وكتب اليه لو قبلت هديتك نهارا قبلتها اليلا بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال فحينئذ طلب الامان وقيل كان سنة احدى عشرة وذكر أحمد بن حفص بن أبى الشماس قال خرجنا مع عبد الله بن طاهر الى مصر حتى اذا كنا بين الرملة ودمشق اذ نحن باعرابى قد اعترض فاذا شيخ على بعير له فسلم علينا فرددنا عليه السلام قال وكنت أنا واسحق بن ابراهيم الرافقى واسحق بن أبى ربعى ونحن نساير الامير وكنا أفره منه دابة وأجود كسوة قال فجعل الاعرابى ينظر الى وجوهنا قال فقلت ياشيخ قد أطلت فى النظر أعرفت شيأ أنكرته قال لا والله ما عرفتكم قبل يومى هذا ولكنى رجل حسن الفراسة فى الناس قال فاشرت الى اسحق بن أبى ربعى وقلت ما تقول فى هذا فقال

لك لالك الجو فبيضى واصفرى ونقرى ما شئت أن تنقرى
هذا حسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز و بلغ ابن الزبير أنه يريد الخروج الى الكوفة وهو أثقل الناس عليه قد غمه مكانه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين فلم يكن شئ يؤتاه أحب اليه من شخوص الحسين عن مكة فاتاه فقال أبا عبد الله ما عندك فوالله لقد خفت الله فى جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله فقال حسين قد عزمت على اتيان الكوفة فقال وفقك الله أما لو ان لى مثل انصارك ما عدلت عنها ثم خاف أن يتهمه فقال ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز الى بيعتك أجبناك وكنا اليك سراعا وكنت أحق بذلك من يزيد وأبى يزيد (ودخل) أبو بكر ابن الحرث بن هشام على الحسين فقال يا ابن عم ان الرحم يظاهر فى عليك ولا أدرى كيف أنا فى النصيحة لك فقال يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش فقال أبو بكر كان أبوك أشد بأسا والناس له أرجى ومنه أسمع وعليه أجمع فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه الا أهل الشام وهو أعز منه فخذلوه وتثاقلوا عنه حرصا على الدنيا وضنا بها فجرءوه الغيظ وخالفوه حتى صار الى ما صار اليه من كرامة الله ورضوانه ثم صنعوا باخيك بعد أبيك ما صنعوا وقد شهدت ذلك كله ورأيته ثم أنت تريد ان تسير الى الذين عدوا أرى

أرى كتاباداهى الكتابة بين * عليه وتأديب العراق منير
له حركات قد يشاهدن انه * عليم بتقسيط الخراج بصير

ونظر الى اسحق بن ابراهيم الرافقى فقال

ومظهر نسك ما عليه ضمير * يحب الهدايا بالرجال مكور
احال به جبنا وبخلا وشيمة * تخبر عنه انه لوزير

ثم نظر الى وقال

وهذا نديم للامير ومؤنس * يكون له بالقرب منه سرور
واحسبه للشعر والعلم راويا * فبعض نديم مرة وسمير

ثم نظر الى الامير وقال

وهذا الامير المرتجى سيب كفه * فما ان له فى العالمين نظير
عليه رداء من جمال وهيبة * ووجه بادراك النجاح يشير
لقد عظم الاسلام منه بذى يد * فقد عاش معروف ومات نكير
ألا انما عبد الاله ابن طاهر * لنا والد برّ بنا وأمير

قال فوقع ذلك من عبد الله أحسن موقع وأعجبه وأمر للشيخ بخمسمائة دينار وأمره ان يصحبه

﴿ ذكر فتح عبد الله الاسكندرية ﴾

وفى هذه السنة اخرج عبد الله من كان تغلب على الاسكندرية من أهل الاندلس اياما وكانوا قد أقبلوا فى مراكب من الاندلس فى جمع والناس فى فتنة ابن السرى وغيره فاراموا بالاسكندرية ورئيسهم يدعى أبا حفص فلم يزالوا بها حتى قدم ابن طاهر فارسل يؤذنهم بالحرب ان هم لم يدخلوا فى الطاعة فاجابوه وسألوه الامان على ان يرتحلوا عنها الى بعض أطراف الروم التى ليست من بلاد الاسلام فاعطاهم الامان على ذلك فرحلوا ونزلوا بجزيرة اقريطش واستوطنوها وأقاموا بها فاعقبوا وتناسلوا قال يونس بن عبد الاعلى اقبل الينا فتى حدث من المشرق يعنى ابن طاهر والدنيا عندنا مفتونة قد غلب على كل ناحية من بلاد نا غالب والناس فى بلاء فاصلح الدنيا وأمن البرىء وأخاف السقيم واستوسقت له الرعية بالطاعة

﴿ ذكر خلع أهل قم ﴾

فى هذه السنة خلع أهل قم المأمون ومنعوا الخراج وكان سببه ان المأمون لما سار من خراسان الى العراق أقام بالرى عدة أيام وأسقط عنهم شيأ من خراجهم فطمع أهل قم ان يصنع لهم كذلك فكتبوا اليه يسألونه الخطيطة وكان خراجهم ألفى ألف درهم فلم يجبهم المأمون الى ما سألوا فامتنعوا من اداء فوجه المأمون اليهم على بن هشام ونجيف بن عنبسة فحاربا هم فظفرا بهم وقتل يحيى بن عمران وهدم سور المدينة وجباها على سبعة آلاف ألف درهم وكانوا يتطلعون من ألفى ألف

﴿ ذكر ما كان بالاندلس من الحوادث ﴾

وفى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم سرية كبيرة الى بلاد العرنج واستعمل عليها عبيد الله المعروف بابن البلنسى فسار ودخل بلاد العدو وتردد فيها بالغارات والسبى والقتل والاسر ولقى الجيوش الاعداء فى ربيع الاول فاقتتلوا فانهزم المشركون وكثر فيهم وكان فتحا عظيما وبها افتتح عسكر سيره عبد الرحمن أيضا حصن القلعة من أرض العدو وتردد فيها بالغارات منتصف

على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعتد منك وأقوى والناس منه أخوف وله أرجى فلو بلغهم مسيرك اليهم لاستطغوا الناس بالاموال وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك ان ينصرك ويخذلك من أنت أحب اليه ممن ينصره فاذكر الله فى نفسه فقال الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد أجهدك رأيك ومهما يقض الله يكن فقال وعند الله تحتسب أبا عبد الله ثم دخل على الحرث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى والى مكة وهو يقول

كم ترى ناصحا يقول فيعصى * وظنين المغيب يلفى نصيحا

فقال وما ذاك فأخبره بما قال للحسين فقال صحبت له ورب الكعبة وانصل الخبر بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة فخرج من البصرة مسرعا حتى قدم الكوفة على الظهر فدخلها فى أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير فحصن فيه ثم اشرف عليه فقال يا ابن رسول الله مالى ولك وما حملك على قصد بلدى من بين البلدان فقال ابن زياد لقد طال يومك يا نعيم وحسر اللثام عن فيه فعرفه ففتح له وتنادى الناس ابن مرجانه وحصبوه

شهر رمضان وفيها أمر عبد الرحمن ببناء المسجد الجامع بحيان وفيها أخذ عبد الرحمن رهائن أبي الشماخ محمد بن ابراهيم مقدم اليمانية بتدمير ليسكن الفتنة بين المضرية واليمانية فلم ينزجروا ودامت الفتنة فلما رأى عبد الرحمن ذلك أمر العامل بتدمير ان ينقل منها ويجعل مرسية منزلا ينزله العمال ففعل ذلك وصارت مرسية هي قاعدة تلك البلاد من ذلك الوقت ودامت الفتنة بينهم الى سنة ثلاث عشرة ومائتين فسير عبد الرحمن اليهم جيشا فاذعن أبو الشماخ وأطاع عبد الرحمن وسار اليه وصار من جملة قواده وأصحابه وانقطعت الفتنة من ناحية تدمير

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

مات في هذه السنة شهريار بن شروين صاحب جبال طبرستان وصار في موضعه ابنه سابور فقاتله مازيار بن قارن فاسره وقتله وصارت الجبال في يد مازيار وعج بالناس في هذه السنة صالح ابن العباس بن محمد وهو والي مكة وفيها توفيت علية بنت المهدي مولدها سنة سنتين ومائة وكان زوجها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فولدت منه

﴿ ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائتين ﴾

في هذه السنة أدخل عبيد الله بن السري بغداد وأنزل مدينة المنصور واقام ابن طاهر بمصر واليا عليها وعلى الشام والجزيرة وقال للمأمون بعض اخوته ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد علي بن أبي طالب وكذا كان أبوه قبله فانكر المأمون ذلك فعاوده أخوه فوضع المأمون رجلا قال له امش في هيئة القراء والنساك الى مصر فادع جماعة من كبرائها الى القاسم بن ابراهيم بن طباطبا ثم صر الى عبد الله بن طاهر فادعه اليه واذكر له مناقبه ورغبه فيه وابحث عن باطنه وائتني بما تسمع ففعل الرجل ذلك فاستجاب له جماعة من اعيانه فقعد بباب عبد الله بن طاهر فلما ركب قام اليه فاعطاه رقعة فلما عاد الى منزله أحضره قال قد فهمت ما في رقعتك فهات ما عندك فقال ولي أمانك قال نعم فدعاه الى القاسم وذكر فضله وزهده وعلمه فقال عبد الله أتنصفني قال نعم قال هل يجب شكر الله على العباد قال نعم قال فتجيء الي وأنا في هذه الحال لي حاتم في المشرق جائز وخاتم في المغرب جائز وفيما بينهما مد بصري مطاع ثم ما التفت عن يميني ولا شمالي ووراءي وامامي الا رأيت نعمة لرجل أنعمها علي ومنة ختم بها رقبتي ويد الاتحة بيضاء ابتدأني بها تفضلا وكرما تدعوني الى ان أكفر بهذه النعم وهذا الاحسان وتقول اغدر بمن كان أولى لهذا وأحرى واسمع في ازالة خيط عنقه وسفك دمه تراك لو دعوتني الى الجنة عيانا أكان الله يجب علي ان اغدر به واكفر احسانه وانكث بيعته فسكت الرجل فقال له عبد الله ما أخاف عليك الا نفسك فارحل عن هذا البلد فان السلطان الاعظم ان بلغه ذلك كنت الجاني على نفسك ونفس غيرك فلما أيس منه جاء الى المأمون فاخبره فاستبشر وقال ذلك غرس يدي وألف أدبي وقراب يلقحني ولم يظهر ذلك ولا علمه ابن طاهر الا بعد موت المأمون وكان هذا القائل للمأمون المعتصم فانه كان مخبرا عن عبد الله

﴿ ذكر قتل السيد بن أنس ﴾

وفيها قتل السيد بن أنس الازدي أمير الموصل وسبب قتله ان زريق بن علي بن صدقة الازدي الموصلي كان قد تغلب على الجبال ما بين الموصل واذربيجان وجرى بينه وبين السيد حروب كثيرة فلما كان هذه السنة جمع زريق جمعا كثيرا قيل كانوا أربعين ألفا وسيرهم الى الموصل لحرب السيد فخرج اليهم في أربعة آلاف فالتقوا بسوق الاحد فهزم رأهم السيد حمل عليهم وحده وهذه كانت عادته ان يحمل وحده بنفسه وحمل عليه رجل من أصحاب زريق فاقتتلا فقتل

بالحصباء فقاتلهم ودخل القصر ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانئ بن عروة المرادي ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه فوجه محمد بن الاشعث بن قيس الى هانئ بخبره فسأله عن مسلم فانكره فاغلظ له ابن زياد القول فقال هانئ ان لزياد أبيك عندي بلاء حسنا وأنا أحب مكافأته به فهل لك في خير قال ابن زياد وما هو قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين باهلك والكم فانه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك فقال ابن زياد ادنوه مني فأدنوه منه فضرب وجهه بالقضيب كان في يده كسر انفه وشق حاجبه وتثرلحم وجنته وكسر القضيب على وجهه ورأسه وضرب هانئ يده الى قائم سيف شرطي من تلك الشرط فجاذبه الرجل ومنعه السيف وصاح أصحاب هانئ بالباب قتل صاحبنا فخافهم ابن زياد وأمر بحبسه في بيت الى جانب مجلسه وأخرج اليهم ابن زياد شريحا القاضي فشهد عندهم انه حي لم يقتل فانصرفوا ولما بلغ مسلما ما فعل ابن زياد بهانئ أمر مناديا فنادى يا منصور وكانت شعارهم فتنادى أهل الكوفة بها فاجتمع اليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل فسار الى ابن زياد فحصن منه فحصره في القصر فلم يبق مسلم ومعه غير مائة رجل فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كندة كل

كل واحد منهما صاحبه لم يقتل غيرهما وكان هذا الرجل قد حلف بالطلاق ان رأى السيد ان يحمل عليه فيقتله أو يقتل دونه لانه كان له على زريق كل سنة مائة ألف درهم فقيل له باي سبب تأخذ هذا المال فقال لا تبني متى رأيت السيد قتلته وحلف على ذلك فوفى به فلما بلغ المأمون قتله غضب لذلك وولى محمد بن حميد الطوسي حرب زريق وبابك الخرمي واستعمله على الموصل

﴿ ذكر الفتنة بين عامر ومنصور وقتل منصور بافريقية ﴾

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين عامر بن نافع وبين منصور بن نصر بافريقية وسبب ذلك ان منصورا كان كثير الحسد وسار بهم من تونس الى منصور وهو بقصره بطنبده فحصره حتى فنى ما كان عنده من الماء فراسله منصور وطلب منه الامان على ان يركب سفينة ويتوجه الى المشرق فاجابه الى ذلك فخرج منصور أول الليل مختفيا يريد الاريس فلما اصبح عامر ولم ير منصورا أثرا طلبه حتى أدركه فاقتتلوا وانهزم منصور ودخل الاريس فتحصن بها وحصره عامر ونصب عليه منجنيقا فلما اشتد الحصار على أهل الاريس قالوا لمنصور اما أن تخرج عنا والا سلمناك الى عامر فقد أضر بنا الحصار فاستمهلهم حتى يصلح أمره فامهلوه وأرسل الى عبد السلام بن المفرج وهو من قواد الجيش يسأله الاجتماع به فأتاه فكلمه منصور من فوق السور واعتذر وطلب منه ان يأخذ له أمانا من عامر حتى يسير الى المشرق فاجابه عبد السلام الى ذلك واستعطف له عامرا فأمنه على ان يسير الى تونس ويأخذ أهله وحاشيته ويسير بهم الى المشرق فخرج اليه فسيره مع خيل الى تونس وأمر رسوله سرا أن يسير به الى مدينة جربة ويسجنه بها ففعل ذلك وسجن معه أخاه حمدون فلما علم عبد السلام ذلك عظم عليه وكتب عامر الى أخيه وهو عامله على جربة يأمره بقتل منصور وأخيه حمدون ولا يراجع فيهما فحضر عندهما وأقرأهما الكتاب فطلب منصور منه دواة وقرطاسا ليكتب وصيته فامر له بذلك فلم يقدر أن يكتب وقال فان المقتول بخير الدنيا والآخرة ثم قتلهما وبعث برأسيهما الى اخيه واستقامت الامور لعامر بن نافع ورجع عبد السلام بن المفرج الى مدينة تونس باجة وبقي عامر بن نافع بمدينة تونس وتوفي سلخ ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائتين فلما وصل خبره الى زيادة الله قال الآن وضعت الحرب أوزارها وأرسل بنوه الى زيادة الله يطلبون الامان فامنهم وأحسن اليهم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها قدم عبد الله بن طاهر مدينة السلام فتلقاه العباس بن المأمون والمعتصم وسائر الناس وفيها مات موسى بن حفص فولى ابنه طبرستان وولى حاجب بن صالح السند فهزمه بشر بن داود فانحاز الى كرمان وفيها أمر المأمون مناديا فنادى برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مات أبو العتاهية الشاعر وح بالناس صالح بن العباس وهو والي مكة وفيها خرج باعمال تاكرنا من الاندلس طوريل فتصدى جماعة من الجند قد نزلوا بعض قرى تاكرنا ممتارين فقتلهم وأخذ دوابهم وسلاحهم ومامعهم فسار اليه عاملها وفيها مات الاخنش النحوي البصري وفيها مات طاق بن غنام النخعي وأحمد بن اسحق الحضرمي وعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن محمد المحاربي وفيها توفي عبد الرزاق بن همام الصنعاني المحدث وهو من مشايخ أحمد بن حنبل وكان يتشيع وفيها توفي عبد الله بن داود الخريبي البصري وكان يسكن الخريبة بالبصرة فنسب اليها

﴿ ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومائتين ﴾

أحدا يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلددا في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجه حتى انتهى الى باب مولاه للاشعث بن قيس فاستسقاها ماء فسقته ثم سألته عن حاله فاعلمها بقضيته فرقت له وآوته وجاء ابنها فعلم بموضعه فلما أصبح غدا الى محمد بن الاشعث فاعلمه فمضى ابن الاشعث الى ابن زياد فاعلمه وقال انطلق فأتني به ووجه معه عبد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلا فاقتحموا على مسلم الدار فثار عليهم بسيفه وشد عليهم فاخرجهم من الدار ثم حملوا عليه الثانية فشد عليهم وأخرجهم أيضا فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت ورموه بالحجارة وجعلوا يلهبون النار باطراف القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيوت فلما رأى ذلك قال أكل ما أرى من الاحلاب لقتل مسلم بن عقيل يا نفس اخرجي الى الموت الذي ليس عنه محيص فخرج اليهم مصلتا سيفه الى السكة فقاتلهم واختلف هو وبكير بن حمران الاحمري ضربتين فضربه بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلى وضربه مسلم ضربة منكرة

في رأسه ثم ضربه أخرى على حبل العاتق فكاد يصل الى جوفه وهو يرتجز ويقول

﴿ ذكر استيلاء محمد بن حميد على الموصل ﴾

فى هذه السنة وجه المأمون محمد بن حميد الطوسى الى بابك الخرمى لمحاربته وأمره أن يجعل طريقه على الموصل ليصلح أمرها ويحارب زريق بن على فسار محمد الى الموصل ومعه جيشه وجمع مافيها من الرجال من اليمن والربيعة وسار لحرب زريق ومعه محمد بن السيد بن أنس الازدى فبلغ الخبر الى زريق فسار نحوهم فالتقوا على الزاب فراسله محمد بن حميد يدعوه الى الطاعة فامتنع فناجزه محمد واقتتلوا واشتد قتال الازدى مع محمد بن السيد طلبا بثار السيد فانهزم زريق وأصحابه ثم أرسل يطلب الامان فامنه محمد فنزل اليه فسيره الى المأمون وكتب المأمون الى محمد يأمره بأخذ جميع مال زريق من قرى ورستاق ومال وغيره فأخذ ذلك لنفسه فجمع محمد أولاد زريق واخوته وأخبرهم بما أمر به المأمون فأطاعوا لذلك فقال لهم ان امير المؤمنين قد امرنى به وقد قبلت ما حبانى منه ورددته عليكم فشكروه على ذلك ثم سار الى اذربيجان واستخلف على الموصل محمد بن السيد وقصد المخالفين المتغلبين على اذربيجان فاخذهم منهم يعلى بن مرة ونظراؤه وسيرهم الى المأمون وسار نحو بابك الخرمى لمحاربته

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة خلع أحمد بن محمد العمرى المعروف بالاحمر العين المأمون باليمن فاستعمل المأمون على اليمن محمد بن عبد الحميد المعروف بابى الرازى وسيره اليها وفيها اظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل على بن أبى طالب على جميع الصحابة وقال هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى ربيع الاول وحج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد وفيها كانت باليمن زلزلة شديدة فكان أشدها بعدن فتهدمت المنازل وخربت القرى وهلك فيها خلق كثير وفيها سار عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى بلد المشركين فوصلوا الى برشلونة ثم ساروا الى جزيرة وقاتل أهلها فى ربيع الاول فاقام الجيش شهرين ينهبون ويخربون وفيها كانت سيول عظيمة وأمطار متتابعة بالاندلس فخربت أكثر الاسوار بعد ان ثغر الاندلس وخربت قنطرة مرقسطة ثم جددت عمارتها واحكمت (برشلونه بالباء الموحدة والراء والشين المعجمة واللام والواو والنون والهاء) وفيها توفى محمد بن يوسف بن واقد بن عبد الله الضبى المعروف بالفريابى وهو من مشايخ البخارى

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين ﴾

وفيها ولى المأمون ابنه العباس الجزيرة والثغور والعواصم وولى أخاه أبا اسحق المعتصم الشام ومصر وأمر لكل واحد منهما ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة ألف درهم فقيل لم يفرق فى يوم من المال مثل ذلك وفى هذه السنة خلع عبد السلام وابن جليس المأمون بمصر فى القيسية واليمانية وظهرا بها ثم وثبا بعامل المعتصم وهو ابن عميرة بن الوليد الباذغيسى فقتلاه فى ربيع الاول سنة أربع عشرة ومائتين فسار المعتصم الى مصر وقاتلهما وقتلهما وافتتح مصر فاستقامت أمورها واستعمل عليها عماله وفيها مات طلحة بن طاهر بخراسان وفيها استعمل المأمون غسان بن عباد على السند وسبب ذلك ان بشر بن داود خالف المأمون وجبى الخراج فلم يحمل منه شيأ فعزم على توليه غسان فقال لاصحابه اخبرونى عن غسان فانى أريده لامر عظيم فاطنبوا فى مدحه فنظر المأمون الى أحمد بن يوسف وهو ساكت فقال ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ذلك رجل محاسنه أكثر من مساويه لا يصرف به الى طبيعة الا انتصف منهم فيها تخوفت عليه فانه ان يأتى

فلما رأوا ذلك تقدم اليه محمد بن الاشعث فقال له فأنك لا تكذب ولا تغدر وأعطاه الامان فامكنهم من نفسه وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الاشعث حين أعطاه الامان سيفه وسلاحه وفى ذلك يقول بعض الشعراء فى كلمة يجو فيها ابن الاشعث وتركت عمك ان تقاتل دونه فشلا ولولا أنت كان منيعا وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسيافه ودروعا فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة مبردة فاستسقاها منها فمنعهم مسلم بن عمر الباهلى وهو أبو قتيبة بن مسلم ان يسقوه فوجه عمرو ابن حريث فأتاه بماء فى قدح فلما رفعه الى فيه امتلأ القدح دما فصبه وملأه له الثانية فلما رفعه الى فيه سقطت ثناياه فيه وامتلأ دما فقال الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته ثم أدخل الى ابن زياد فلما انقضى كلامه ومسلم يغلط له فى الجواب أمر به فاصعد الى أعلى القصر ثم دعا الاحمرى الذى ضرب به مسلم فقال كن أنت الذى تضرب عنقه لتأخذ بثارك من ضربته فأصعدوه الى أعلى القصر فضرب بكير الاحمرى عنقه فأهوى رأسه الى الارض ثم اتبعوا رأسه جسده ثم أمر بهانئ بن عروة فاخرج الى السوق فضرب عنقه صبرا وهو يصيح يا آل مراد أمرا

أمر ايعتذر منه فاطنب فيه فقال لقد مدحته على سوء رأيك فيه قال لانى كما قال الشاعر

كفى شكرا لما أسديت انى * صدقتك فى الصديق وفى عداتى

قال فاعجب المأمون من كلامه وأدبه وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على وفيها قتل أهل ماردة من الاندلس عاملهم فثارت الفتنة عندهم فسير اليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم فعاودوا الطاعة وأخذت رهائنهم وعاد الجيش بعد ان خربوا سور المدينة ثم أرسل عبد الرحمن اليهم بنقل حجارة السور الى النهر لئلا يطمع أهلها فى عمارته فلما رأوا ذلك عادوا الى العصيان وأسروا العامل عليهم وجددوا بناء السور وأتقنوه فلما دخلت سنة أربع عشرة سار عبد الرحمن صاحب الاندلس فى جيوشه الى ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارز هارا سله أهلها واقتكوا رهائنهم بالعامل الذى أسروه وغيره وحصرهم وافسد بلدهم ورحل عنهم ثم سير اليهم جيشا سنة سبع عشرة ومائتين فحصروها وضيقوا عليها وادام الحصار ثم رحلوا عنهم فلما دخلت سنة ثمان عشرة سير اليها جيشا ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد وكان من أهلها انسان اسمه محمود بن عبد الجبار الماردى فحصره عبد الرحمن بن الحكم فى جمع كثير من الجند وصدقوه القتال فهزموه وقتلوا كثيرا من رجاله وتبعتهم الخيل فى الجبل فافنوهم قتلا وأسرا وتشريدا ومضى محمود بن عبد الجبار الماردى فيمن سلم معه من أصحابه الى منت سالوط فسير اليه عبد الرحمن جيشا سنة عشرين ومائتين فضوا هاربين عنه الى حاقب فى ربيع الآخر منها فارسل سرية فى طلبهم فقاتلهم محمود فهزمهم وغنم ما معهم ومضوا لوجههم فلقيهم جمع من أصحاب عبد الرحمن مصادفة فقاتلوهم ثم كف بعضهم عن بعض وساروا فلقيهم سرية أخرى فقاتلوهم فانهزمت السرية وغنم محمود ما فيها وسار حتى أتى مدينة مينة فهجم عليها وملكها وأخذ ما فيها من دواب وطعام وفارقوها فوصلوا الى بلاد المشركين فاستولوا على قلعة لهم فاقاموا بها خمسة اعوام وثلاثة أشهر فحصرهم اذفونس ملك الفرنج فملك الحصن وقتل محمودا ومن معه وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين فى رجب وانصرف من فيها وفيها توفى ابراهيم الموصلى المغنى وهو ابراهيم بن ماهان والد اسحق بن ابراهيم وكان كوفيا وسار الى الموصل فلما عاد قيل له الموصلى فلزمه وعلى بن جبلة بن مسلم أبو الحسن الشاعر وكان مولده سنة ستين ومائة وكان قد اسر ومحمد بن عرعرة بن البوند وابو عبد الرحمن المقرى المحدث وعبد الله بن موسى العبسى الفقيه وكان شيعيا وهو من مشايخ البخارى فى صحيحه (البوند بكسر الباء الموحدة والواو وتسكين النون وآخره دال مهملة)

﴿(ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين)﴾

﴿(ذكر قتل محمد الطوسى)﴾

فيها قتل محمد بن حميد الطوسى قتله بابك الخرمى وسبب ذلك انه لما فرغ من أمر المتغلبين على طريقه الى بابك سار نحوه وقد جمع العساكر والآلات والميره فاجتمع معه عالم كثير من المتطوعة من سائر الامصار فسلك المضايق الى بابك وكان كلما جاوز مضيقا أو عقبة ترك عليه من يحفظه من أصحابه الى ان نزل بهشتادسر وحفر خندقا وشاور فى دخول بلد بابك فاشاروا عليه بدخوله من وجه ذكروه له فقبل رأيهم وعبى أصحابه وجعل على القلب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائى المعروف بابى سعيد وعلى الميمنة السعدى بن أصرم وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطينى ووقف محمد بن حميد خلفهم فى جماعة ينظر اليهم ويأمرهم بسد خلل ان رآه فكان

وغيرها كان فى ثلاثين ألف دارع فلم يجد زعيمهم منهم أحدا شلالا وخذلانا فقال الشاعر وهو يرثى هانئ بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر ما نالهما

اذا كنت لا تدرين ما الموت فانظرى
الى هانئ فى السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه
وآخر يهوى فى طمار قتيل
أصابهما أمر الامير فاصبحا
أحاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسدا قد غير الموت لونه
ونضح دم قد سال كل مسيل
أيترك أسماء المهايح آمنا
وقد طلبته مذحج بذحول
فتى هو أحيا من فتاة حيية
وأقطع من ذى شفرتين صقيل

ثم دعا ابن زياد ببكير بن حمران الذى ضرب عنق مسلم فقال أقتلته قال نعم قال فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه قال كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله فلما أدنيناه لنضرب عنقه قال اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا فقلت الحمد لله الذى أقادنى منك وضربته ضربة لم تعمل شيأ فقال لى أوما يكفيك وفى خدش منى وفاء بدمك أيها العبد قال ابن زياد أو فخرا عند الموت قال

وضربته الثانية فقتلته ثم اتبعنا رأسه جسده وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذى الحجة سنة ستين

بابك يشرف عليهم من الجبل وقد كمن لهم الرجال تحت كل صخرة فلما تقدم أصحاب محمد وصعدوا فى الجبل مقدار ثلاثة فراسخ خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك اليهم فيمن معه وانهزم الناس فأمرهم أبو سعيد ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ومروا على وجوههم والقتل يأخذهم وصبر محمد ابن حميد مكانه وفر من كان معه غير رجل واحد وسار يطلبان الخلاص فرأى جماعة وقفا لا فقصدهم فرأى الخرمية يقاتلون طائفة من أصحابه فحين رآه الخرمية قصدوه لما رأوا من حسن هيئته فقاتلهم وقاتلوه وضربوا فرسه بزراق فسقط الى الارض وأكبوا على محمد بن حميد فقتلوه وكان محمد ممدوحا جوادا فرثاه الشعراء وأكثروا منهم الطائى فلما وصل خبر قتله الى المأمون عظم ذلك عنده واستعمل عبد الله بن طاهر على قتال بابك فسار نحوه

﴿ ذكر حال أبى دلف مع المأمون ﴾

كان أبو دلف من أصحاب محمد الامين وسار مع على بن عيسى بن ماهان الى حرب طاهر بن الحسين فلما قتل على عاد أبو دلف الى همذان فراسله طاهر يستميله ويدعوه الى بيعة المأمون فلم يفعل وقال ان فى عنقى بيعة لا أجد الى فسخها سبيلا ولكنى سأقيم مكانى لا أكون مع أحد الفريقين ان كففت عنى فاجابه الى ذلك فاقام بكرج فلما خرج المأمون الى الرى راسل أبا دلف يدعوه اليه فسار نحوه مجدا وهو خائف شديد الوجل فقال له أهله وقومه وأصحابه أنت سيد العرب وكلها تطيعك فان كنت خائفا فاقم ونحن نمنعك فلم يفعل وسار وهو يقول

اجود بنفسى دون قومى دافعا * لما نابهم قدما واغشى الدواهيا
وأقتحم الامر المخوف اقتحامه * لادرك مجدا أو اعاود ثاويا

وهى أبيات حسنة فلما وصل الى المأمون أكرمه وأحسن اليه وأمنه وأعلى منزلته

﴿ ذكر استعمال عبد الله بن طاهر على خراسان ﴾

فى هذه السنة استعمل المأمون عبد الله بن طاهر على خراسان فسار اليها وكان سبب مسيره اليها ان أخاه طلحة لما مات ولى خراسان على بن طاهر خليفة لاخيه عبد الله وكان عبد الله بالدينور يجهز العساكر الى بابك وأوقع الخوارج بخراسان باهل قرية الحراه من نيسابور فاكثروا فيهم القتل واتصل ذلك بالمأمون فامر عبد الله بن طاهر بالمسير الى خراسان فسار اليها فلما قدم نيسابور كان أهلها قد قحطوا فمطروا قبل وصوله اليها بيوم واحد فلما دخلها قام اليه رجل بزاز فقال

قد قحط الناس فى زمانهم * حتى اذا جئت جئت بالدرر
غيثان فى ساعة لنا قدما * فرحبا بالامير والمطر

فاحضره عبد الله وقال له أشاعر أنت قال لا ولكنى سمعتها بالرقة فحفظتها فاحسن اليه وجعل اليه أن لا يشترى له شيئ من الثياب الا بامره

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة خرج بلال الغسانى الشارى فوجه اليه المأمون ابنه العباس فى جماعة من القواد فقتل بلال وفيها قتل أبو الرازى باليمن وفيها تحرك جعفر بن داود القمى فظفر به عزيز مولى عبد الله بن طاهر وكان هرب من مصر فرد اليها وفيها ولى على بن هشام الجبل وقم واصبهان وأذربيجان وفيها توفى ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام بالمغرب وأقام بعده ابنه محمد بأمر مدينة فاس فولى أخاه القاسم البصرة

وهو اليوم الذى ارتحل فيه الحسين من مكة الى الكوفة وقيل يوم الاربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذى الحجة سنة ستين ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فصلبت وحمل رأسه الى دمشق وهذا أول قتيل صلبت جثته من بنى هاشم وأول رأس حمل من رؤسهم الى دمشق فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له أين تريد يا ابن رسول الله قال أريد هذا المصر فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ثم قال ارجع فانى لم أدع خلفى خيرا أرجوه لك فهم بالرجوع فقال له أخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل كلنا فقال الحسين لا خير فى الحياة بعدكم ثم سار حتى لقى خيل عبيد الله بن زياد عليها عمر بن سعد بن أبى وقاص فعدل الى كربلاء وهو فى مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقاتلوننا فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه وكان الذى تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه وانطلق به الى ابن زياد وهو يرتجز أنا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا
وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فبعث به زياد الى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فدخل الى يزيد وعنده أبو برزة الاسلمى فوضع الرأس بين يديه وطفق

وطنجة وما يليهما واستعمل باقي اخوته على مدن البربر وفيها سار عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس الى مدينة باجة وكانت عاصية عليه من حين فتنة منصور الى الآن فملكها عنوة وفيها خالف هاشم الضراب بمدينة طليطلة من الاندلس على صاحبها عبد الرحمن وكان هاشم ممن خرج من طليطلة لما واقع الحكم بأهلها فسار الى قرطبة فلما كان الآن سار الى طليطلة فاجتمع اليه أهل الشر وغيرهم فسار بهم الى وادي نحو بيه وأغار على البربر وغيرهم فطار اسمه واشتدت شوكته واجتمع له جمع عظيم وأوقع بأهل شنت بريه وكان بينه وبين البربر وقعات كثيرة فسير اليه عبد الرحمن هذه السنة جيشا فقاتلوه فلم تستظهر احدى الطائفتين على الاخرى وبقي هشام كذلك وغلب على عدة مواضع وجاوز بركه الحجوز وأخذت غارة خيله فسير اليه عبد الرحمن جيشا كثيفا سنة ست عشرة ومائتين فلقيهم هاشم بالقرب من حصن سمسطا بجاورة رورية فاشتدت الحرب بينهم ودامت عدة أيام ثم انهزم هاشم وقتل هو وكثير ممن معه من أهل الطمع والشر وطالبي الفتن وكفى الله الناس شرهم وحج بالناس اسحق بن العباس بن محمد وفيها توفي أبو هاشم النبيل واسمه الضحاك بن محمد الشيباني وهو امام في الحديث وفيها توفي أبو أحمد حسين بن محمد البغدادي

﴿ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين﴾

﴿(ذكر غزوة المأمون الى الروم)﴾

في هذه السنة سار المأمون الى الروم في المحرم فلما سار استخلف على بغداد اسحق بن ابراهيم بن مصعب وولاه مع ذلك السواد وحلوان وكور دجلة فلما صار المأمون بتكريت قدم عليه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام فلقيه بها فاجازه وأمره بالدخول بابنته أم الفضل وكان زوجها منه فأدخلت عليه فلما كان أيام الحج سار بأهله الى المدينة فأقام بها وسار المأمون على طريق الموصل حتى صار الى منبج ثم الى دابق ثم الى انطاكية ثم الى المصيصة وطرسوس ودخل منها الى بلاد الروم في جمادى الاولى ودخل ابنه العباس من ملطية فأقام المأمون على حصن قرة حتى افتتحه عنوة وهدمه لاربع بقين من جمادى الاولى وقيل ان أهله طلبوا الامان فامنهم المأمون وفتح قبله حصن ماجدة بالامان ووجه اشناس الى حصن سندس فاتاه برئيسه ووجه عجيفا وجعفرا الخياط الى صاحب حصن ستاذ فسمع وأطاع وفيها عاد المعتصم من مصر فلقي المأمون قبل دخوله الموصل ولقيه منويل وعباس بن المأمون برأس عين وفيها توجه المأمون بعد خروجه من بلاد الروم الى دمشق وحج بالناس عبد الله بن عبد الله بن العباس بن محمد وفيها توفي قبيصة بن عقبة السوائي وأبو يعقوب اسحق بن الطباخ الفقيه وعلي بن الحسين بن شقيق صاحب ابن المبارك وثابت بن محمد الكندي العابد المحدث وهوذة بن خليفة ابن عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكرة أبو الاشهب وأبو جعفر محمد بن الحرث الموصلي وأبو سليمان الداراني الزاهد توفي بداريا ومكرم بن ابراهيم التميمي البلخي ببلخ وهو من مشايخ البخاري في صحيحه وقد قارب مائة سنة وأبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الانصاري اللغوي النحوي وكان عمره ثلاثا وتسعين سنة وفيها توفي عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد الاصمعي اللغوي البصري وقيل سنة ست عشرة ومحمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصاري قاضي البصرة

﴿(ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين)﴾

﴿(ذكر فتح هرقلة)﴾

فأقبل ينكث بالقضيب ويقول نفلق هاما من رجال أحبة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو بردة ارفع قضيبك فطال والله ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع فمه على فمه يلثمه وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر ومحاربيه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة لم يحضرهم شامي وكان جميع من قتل مع الحسين في يوم عاشوراء بكربلا سبعة وثمانين منهم ابنه علي بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

انا علي بن الحسين بن علي
نحن وبيت الله أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

وقتل من ولد أخيه الحسن ابن علي عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن وأبو بكر ابن الحسن ومن اخوته العباس بن علي وعبد الله ابن علي وجعفر بن علي وعثمان بن علي ومحمد بن علي وهو الاصغر ومن ولد جعفر بن أبي طالب محمد ابن عبد الله بن جعفر وعون بن عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل بن أبي طالب عبد الله بن عقيل وعبد الله ابن مسلم بن عقيل وذلك لعشر خلون من المحرم سنة اربع وستين وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ابن تسع وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة ضربه زرعة بن شريك التميمي كفه اليسرى وطعنه سنان بن أنس النخعي ثم نزل فاحتز رأسه وفي ذلك يقول

أصحابه على ما قدمناه من العدة من سائر العرب وفى ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى بنى هاشم

عين جودى ببعبرة وعويل ... واندبى ان ندبت آل الرسول
وابن عم النبى غوثا أخاهم ... ليس فيما ينوب بالمخذول
وسمى النبى غودر فيهم ... قد علاه بصارم مصقول
واندبى كهلهم فليس اذا ما ... عد فى الخير كهلهم كالكهول
لعن الله حيث كان زيادا ... وابنه والعجوز ذات البعول
وأمر عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين فانتدب لذلك اسحق بن حياة الحضرمى فى نفر معه فوطئوه بخيلهم ودفن أهل الغاضرية وهم قوم من بنى عامر من بنى أسد الحسين وأصحابه بعد قتلهم يوم وكان عدة من قتل من أصحاب سعد فى حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا

﴿ ذكر أسماء ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه ﴾

الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى أمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد وأمه خولة بنت اياس الحنفية وفيل ابنة جعفر بن قيس ابن مسلمة الحنفى وعبد الله وأبو بكر أمهما ليلى بنت مسعود النهشلى وعمر ورقية أمهما تغلبية وبحيى وأمه أسماء بنت عميس

﴿ ذكر

فى هذه السنة عاد المأمون الى بلاد الروم وسبب ذلك انه بلغه ان ملك الروم قتل ألفا وستمائة من أهل طرسوس والمصيصة فسار حتى دخل أرض الروم فى جمادى الاولى فأقام الى منتصف شعبان وقيل كان سبب دخوله اليها ان ملك الروم كتب اليه بدأ بنفسه فسار اليه ولم يقرأ كتابه فلما دخل أرض الروم أناخ على انطيعوا فخرجوا على صلح ثم سار الى هرقلة فخرج أهلها على صلح ووجه أخاه أبا اسحق المعتصم فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة ووجه يحيى بن أكثم من طوانة فاغار وقتل وأحرق فاصاب سبايا ورجع ثم سار المأمون الى كيسوم فاقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها ظهر عبدوس الفهرى بمصر فوثب على عمال المعتصم فقتل بعضهم فى شعبان فسار المأمون من دمشق الى مصر منتصف ذى الحجة وفيها قدم الافشين من برقة فاقام بمصر وفيها كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم يأمره بأخذ الجند بالتكبير اذا صلوا فبدأ بذلك منتصف رمضان فقاموا قياما وكبروا ثلاثا ثم فعلوا ذلك فى كل صلاة مكتوبة وفيها غضب المأمون على على بن هاشم ووجه عجيفا وأحمد بن هاشم وأمر بقبض أمواله وسلاحه وفيها ماتت أم جعفر زبيدة أم الامين ببغداد وفيها قدم غسان بن عباد من السند ومعه بشر بن داود مستأمنا وأصلح السند واستعمل عليها عمران بن موسى العتكى وفيها هرب جعفر بن داود القمى الى قم وخلع الطاعة بها وحج بالناس فى قول بعضهم سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وقيل حج بهم عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وكان المأمون ولاه اليمن وجعل اليه ولاية كل بلد يدخله فسار من دمشق فقدم بغداد فصلى بالناس يوم الفطر وسار عنها فحج بالناس وفيها توفى أبو مسهر عبد الاعلى بن مسهر الغسانى ببغداد ومحمد بن عباد بن حبيب بن المهلب المهلبى أمير البصرة بها ويحيى بن يعلى المحاربى واسمعيل بن جعفر بن سليمان بن على

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين ﴾

فى هذه السنة ظفر الافشين بالفرما من أرض مصر ونزل أهلها بامان على حكم المأمون ووصل المأمون الى مصر فى المحرم من هذه السنة فاتى بعبدوس الفهرى فضرب عنقه وعاد الى الشام وفيها قتل المأمون على بن هشام وكان سبب ذلك ان المأمون كان استعمله على اذربيجان وغيرها كما تقدم ذكره فبلغه ظلمه وأخذه الاموال وقتله الرجال فوجه اليه عجيف بن عنبسة فثار به على ابن هشام وأراد قتله واللحاق ببابك وظفر به عجيف وقدم به على المأمون فقتله وقتل أخاه حبيبا فى جمادى الاولى وطيف برأس على فى العراق وخراسان والشأم ومصر ثم ألقى فى البحر وفيها عاد المأمون الى بلاد الروم فأناخ على لؤلؤة مائة يوم ثم رحل عنها وترك عليها عجيفا فخدعه أهله وأسروه فبقى عندهم ثمانية أيام وأخرجوه وجاء توفيل ملك الروم فاحاط بعجيف فيه فبعث المأمون اليه الجنود فارتحل توفيل قبل موافاتهم وخرج أهل لؤلؤة الى عجيف بامان وأرسل ملك الروم يطلب المهادنة فلم يتم ذلك وفيها سار المأمون الى سلغوس وفيها بعث على بن عيسى القمى الى جعفر بن داود القمى فقتل وحج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على وفيها توفى الحجاج بن المنهال بالبصرة وسريج بن النعمان (سريج بالسين المهملة والجيم) وسعدان بن بشر الموصلى يروى عن الثورى وفيها توفى الخليل بن أبى راوح المزنى الموصلى وكان عالما عابدا وأبوه جعفر بن محمد بن أبى يزيد الموصلى وكان فاضلا

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين ﴾

(ذكر المحنة بالقرآن المجيد)

وفي هذه السنة كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم ببغداد في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن فمن أقر انه مخلوق محدث خلى سبيله ومن أبى أعلمه به ليأمره فيه برأيه وطوّل كتابه باقامة الدليل على خلق القرآن وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك وكان الكتاب في ربيع الاول وأمره بانفاذ سبع نفر منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو مسلم مستملي ويزيد بن هرون ويحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب واسمعيل بن داود واسمعيل بن أبي مسعود وأحمد ابن الدورقي فأشخصوا اليه فسألهم وامتحنهم عن القرآن وأجابوا جميعا ان القرآن مخلوق فاعادهم الى بغداد فاحضرهم اسحق بن ابراهيم داره وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث فاقروا بذلك فخلى سبيلهم وورد كتاب المأمون بعد ذلك الى اسحق بن ابراهيم بامتحان القضاة والفقهاء فاحضرا اسحق بن ابراهيم أبا حسان الزيادي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن أبي مقاتل والفضل بن غانم والدبال بن الهيثم وسجادة والقواريري وأحمد بن حنبل وقتيبة وسعدويه الواسطي وعلي بن جعد واسحق بن أبي اسرائيل وابن الهرش وابن علية الاكبر ويحيى بن عبد الرحمن العمري وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي الرقة وأبا نصر التمار وأبا معمر القطيعي ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح المضروب وابن الفرخان وجماعة منهم النضر بن شميل وابن علي بن عاصم وأبو العوام البزاز وابن شجاع وعبد الرحمن بن اسحق فأدخلوا جميعا على اسحق فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه ثم قال لبشر بن الوليد ما تقول في القرآن فقال قد عرفت مقالتي أمير المؤمنين غير مرة قال فقد تجدد من كتاب أمير المؤمنين ما ترى فقال أقول القرآن كلام الله قال لم أسألك عن هذا أمخلوق هو قال الله خالق كل شيء قال فالقرآن شيء قال نعم قال فمخلوق هو قال ليس بخالق قال ليس هو عن هذا أمخلوق هو قال ما أحسن غير ما قلت لك وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه وليس عندي غير ما قلت لك فأخذ اسحق رقعة فقرأها عليه ووقفه عليها فقال أشهد أن لا اله الا الله أحدا فردا لم يكن قبله شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ووجه من الوجوه قال نعم قال للكاتب اكتب ما قال ثم قال لعلي بن أبي مقاتل ما تقول قال قد سمعت كلامي لامير المؤمنين في هذا غير مرة وما عندي غيره فامتحنه بالرقعة فاقر بما فيها ثم قال له القرآن مخلوق قال القرآن كلام الله قال لم أسألك عن هذا قال القرآن كلام الله فان أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا فقال للكاتب اكتب مقالته ثم قال للذيال نحوا من مقالته لعلي بن أبي مقاتل فقال مثل ذلك ثم قال لابي حسان الزيادي ما عندك قال سل عما شئت فقرأ عليه الرقعة فأقر بما فيها ثم قال ومن لم يقل هذا القول فهو كافر فقال القرآن مخلوق هو قال القرآن كلام الله والله خالق كل شيء وأمير المؤمنين امامنا وبه سمعنا عامة العلم وقد سمع ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم وقد قلده الله أمرنا فصار يقيم جمعنا وصلاتنا ونؤدي اليه زكاة أموالنا ونجاهد معه ونرى امامته فان أمرنا ائتمرنا وان نهانا انتهينا قال فالقرآن مخلوق فاعاد مقالته قال اسحق فان هذه مقالة أمير المؤمنين قال قد تكون مقالته ولا يأمر بها الناس وان خبرتني ان أمير المؤمنين أمرك ان أقول قلت ما أمرتني به فانك الثقة فيما أبلغتني عنه قال ما أمرني ان أبلغك شيأ قال أبو حسان وما عندي الا السمع والطاعة فامرني ائتمر قال ما أمرني ان آمركم وانما أمرني ان أمتحنكم ثم قال لاحمد بن حنبل ما تقول في القرآن قال كلام الله قال أمخلوق هو قال ما زاد على ما فامتحنه بما في الرقعة فلما أتى الى ليس كمثله شيء قرأ وهو السميع البصير وأمسك عن

وعبد الله وأن عقب جعفر منهما من عبد الله بن جعفر وان أبا بكر الصديق تزوجها بعده وخلف عليها محمدا ثم تزوجها علي فخلف عليها يحيى وانها ابنة الجحوز الحرسية التي كانت أكرم الناس اصهارا وقد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب تسمية أصهار الجحوز الحرسية وأن أولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر والعباس وعبد الله أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ورملة وأم الحسن أمهما أم سعد بنت عروة بن مسعود الثقفي وأم كلثوم الصغرى وزينب وحمانة وميمونة وخديجة وفاطمة أم الكرام ونفيسة وأم سلمة وأم أبيها وقد أتينا على أنساب آل أبي طالب ومن أعقب منهم ومصارعهم وغير ذلك من أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان (والعقب) لعلي من خمسة الحسن والحسين ومحمد وعمر والعباس وقد استقصى انسابهم وأتى على ذكر من لا عقب له منهم ومن له العقب وأنساب غيرهم من قريش بني هاشم وغيرهم الزبير بن بكار في كتابه في أنساب قريش وأحسن من هذا الكتاب في انساب آل أبي طالب الذي سمع من طاهر بن يحيى العلوي الحسيني بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم وقد صنف في انساب آل أبي طالب

ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه فاعترض عليه ابن البكاء الاصغر فقال أصلحك الله انه يقول سميع من أذن وبصير من عين فقال اسحق لاحمد ما معنى قولك سميع بصير قال هو كما وصف نفسه قال فما معناه قال لا أدري أهو هو كما وصف نفسه ثم دعا بهم رجلا رجلا كلهم يقول القرآن كلام الله الا قتيبة وعبيد الله بن محمد بن الحسن وابن علية الاكبر وابن البكاء وعبد المنعم بن ادريس بن بيت ووهب بن منبه والمظفر بن مرجا ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة وابن الاحمر فاما ابن البكاء الاكبر فانه قال القرآن مجعول لقول الله عز وجل انا جعلناه قرآنا عربيا والقرآن محدث لقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث قال اسحق فالمجعول مخلوق قال نعم قال والقرآن مخلوق قال لا أقول مخلوق ولكنه مجعول فكتب مقالته ومقالات القوم رجلا رجلا ووجهت الى المأمون فاجاب المأمون يذمهم ويذكر كلا منهم ويعيبهم ويقع فيه بشيء وأمره أن يحضر بشر بن الوليد وابراهيم بن المهدي ويمتحنهما فان أجابا والا فاضرب أعناقهما وأما من سواهما فان أجاب الى القول بخلق القرآن والا احملهم موثقين بالحديد الى عسكره مع نفر يحفظونهم فاحضرهم اسحق وأعلمهم بما أمر به المأمون فاجاب القوم أجمعون الا أربعة نفر هم أحمد بن حنبل وسجادة والقواريري ومحمد بن نوح المضروب فأمر بهم اسحق فشدوا في الحديد فلما كان الغد دعاهم في الحديد فأعاد عليهم المحنة فأجابه سجادة والقواريري فأطلقهما وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما فشدا في الحديد ووجها الى طرسوس وكتب الى المأمون بتأويل القوم فيما أجابوا اليه فأجابه المأمون انتي بلغني عن بشر بن الوليد بتأويل الآية التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان وقد أخطأ التأويل انما عنى الله سبحانه وتعالى بهذه الآية من كان معتقدا للايمان مظهرا للشرك فاما من كان معتقدا للشرك مظهرا للايمان فليس هذا له فاشخصهم جميعا الى طرسوس ليقيموا بها الى أن يخرج أمير المؤمنين من بلاد الروم فاحضرهم اسحق وسيرهم جميعا الى العسكر وهم أبو حسان الزيادي وبشر بن الوليد والفضل بن غانم وعلي بن مقاتل والذيال بن الهيثم ويحيى بن عبد الرحمن العمري وعلي بن الجعد وأبو العوام وسجادة والقواريري وابن الحسن بن علي بن عاصم واسحق بن أبي اسرائيل والنضر بن شميل وأبو نصر التمار وسعدويه الواسطي ومحمد بن حاتم بن ميمون وأبو معمر ابن الهرش وابن الفرخان وأحمد بن شجاع وأبو هرون بن البكاء فلما صاروا الى الرقة بلغهم موت المأمون فرجعوا الى بغداذ

﴿ذكر مرض المأمون ووصيته﴾

وفي هذه السنة مرض المأمون مرضه الذي مات فيه لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة وكان سبب مرضه ما ذكره سعد بن العلاق القارئ قال دعاني المأمون يوما فوجدته جالسا على جانب البذندون والمعتصم عن يمينه وهما قد دليا أرجلهما في الماء فأمرني ان أضع رجلي في الماء وقال ذقه فهل رأيت أعذب منه أو أصفى صفاء أو أشد برد افقلت وقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت مثله قط فقال أي شيء يطيب أن يؤكل ويشرب عليه هذا الماء فقلت أمير المؤمنين أعلم فقال الرطب الازاذ فبينما هو يقول اذ سمع وقع لجم البريد فالتفت فادا بغال البريد عليها الحقائب فيها الالطاف فقال لخادم انظر ان كان في هذه الالطاف رطب ازاذ فأتى به فقضى وعاد ومعه سلتان فيهما ازاذ كأنما جني تلك الساعة فاظهر شكر الله وتحمدنا جميعا وأكلنا وشربنا من ذلك الماء فما قام منا أحد الا وهو محموم وكانت منية المأمون من تلك العلة ولم يزل المعتصم مريضا حتى دخل

ولد موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وفي قتيل ألطف يقول سليمان بن قبة يرثيه على ماذكره الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش من أبيات

فان قتيل ألطف من آل هاشم
أذل رقابا من قريش فذلت
فان يتبعوه عائد البيت يصبحوا
كعاد تعمت عن هداها فضلت
ألم تر أن الارض أضحت مريضة
بقتل حسين والبلاد اقشعرت
فلا يبعد الله الديار وأهلها
وان أصبحت منهم برغمي تجلت

﴿ذكر لمع من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله﴾

ولما أفضى الامر الى يزيد ابن معاوية دخل منزله فلم يظهر للناس ثلاثا فاجتمع ببابه أشراف العرب ووفود البلدان وأمراء الاجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بالامر فلما كان في اليوم الرابع خرج شعثا أغبر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان معاوية كان حبلا من حبال الله مده الله ماشاء ان يمده ثم قطعه حين شاء ان يقطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ان يغفر الله له فهو أهله وان يعذبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست أعتذر من جهل

العراق وبقيت أنا مريضا مدة فلما مرض المأمون أمر أن يكتب الى البلاد الكتب من عبد الله المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبي اسحق بن هرون الرشيد وأوصى الى المعتصم بحضرة ابنه العباس وبحضرة الفقهاء والقضاة والقواد وكانت وصيته بعد الشهادة والاقرار بالوحدانية والبعث والجنة والنار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء اني مقر مذنب أرجو وأخاف الا اني اذا ذكرت عفو الله رجوت واذا مت فوجهوني وغمضوني وأسبغوا وضوئي وطهوري وأجيدوا كفني ثم أكثروا حمد الله على الاسلام ومعرفة حقه عليكم في محمد صلى الله عليه وسلم اذ جعلنا من أمته المرحومة ثم أضجعوني على سريري ثم عجلوا بي وليصل علي أقربكم نسبا وأكبركم سنا وليكبر خمسا ثم احملوني وابلغوا بي حفرتي وليتنزل بي أقربكم قرابة وأودكم محبة وأكثروا من حمد الله وذكره ثم ضعوني على شق الايمن واستقبلوا بي القبلة ثم حلوا كفني عن رأسي ورجلي ثم سدوا اللحد واخرجوا عني وخلوني وعملي وكلكم لا يغني عني شيأ ولا يدفع عني مكروها ثم قفوا باجمعكم فقولوا خيرا ان علمتم وأمسكوا عن ذكر شر ان كنتم عرفتم فاني مأخوذ من بينكم بما تقولون ولا تدعوا باكية عندي فان المعول عليه يعذب رحم الله عبدا اتعظ وفكر فيما حتم الله على خلقه من الفناء وقضى عليهم من الموت الذي لا بد منه فالحمد لله الذي توحد بالبقاء وقضى على جميع خلقه الفناء لينظر ما كنت فيه من عز الخلافة هل أغنى عني ذلك شيأ اذ جاء أمر الله لا والله ولكن أضعف على به الحساب فيا ليت عبد الله بن هرون لم يكن بشرا بل ليته لم يكن خلقا يا أبا اسحق ادن مني واتعظ بما ترى وخذ بسيرة أخيك في القرآن والاسلام واعمل في الخلافة اذا طوقكها الله عمل المريد لله الخائف من عقابه وعذابه ولا تغتر بالله ومهلته وكأن قد نزل بك الموت ولا تغفل أمر الرعية والعوام فان الملك بهم وبتعهدك لهم الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ولا ينتهين اليك مرفيه صلاح للمسلمين ومنفعة الا قدمته وآثرته على غيره من هواك وخذ من أقويائهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم في شئ وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم وقربهم وتأنهم وعجل الرحلة عني والقدوم الى دار ملكك بالعراق وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت والحرسية فأعزهم ذا حرمة وصداقة وجلدوا كنفه بالاموال والجنود فان طالت مدتهم فتجردلهم فيمن معك أنصارك وأوليائك واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجيا ثواب الله عليه ثم دعا المعتصم بعد ساعة حين اشتد الوجع وأحس بمجيء أمر الله فقال يا أبا اسحق عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن بحق الله في عباده ولتؤثرن طاعة الله على معصيته اذا أنا قبضت امر غيرك اليك قال اللهم نعم قال هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي سلوات الله عليه فاحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم واقبل من محسنهم ولا تغفل صلاتهم في كل سنة عند محلها فان حقوقهم تجب من وجوه شتى اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون اتقوا الله واعملوا له اتقوا الله في أموركم كلها أستودعكم الله ونفسي وأستغفر الله مما سلف مني انه كان غفارا فانه ليعلم كيف ندمي على ذنوبي فعليه توكلت من عظيمها واليه أنيب ولا قوة الا بالله حسبي الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة

﴿ذكر وفاة المأمون وعمره وصفته﴾

وفي هذه السنة توفي المأمون لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب فلما اشتد مرضه وحضره الموت كان عنده من يلقنه فعرض عليه الشهادة وعنده ابن ماسويه الطبيب فقال لذلك الرجل دعه فانه لا يفرق في هذه الحال بين ربه ومانى ففتح المأمون عينيه وأراد ان يبطش به فجزع من ذلك وأراد

فدخلوا عليه لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه فقام عصام بن أبي صيفي فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أصبحت قد رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ومنحت هيبة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله له ذنبه وأعطيت بعده الرياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزيه واحمده على أفضل العطيه فقال يزيد ادن مني يا ابن أبي صيفي فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن مازن فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين رزئت خير الآباء وسميت خير الاسماء ومنحت أفضل الاشياء فهنأك الله بالعطيه وأعانك على الرعيه فقد أصبحت قريش مفجوعة بعد ساستها مسرورة بما أحسن الله اليها من الخلافة بك والعقبى من بعده ثم أنشأ يقول

الله أعطاك التي لا فوقها
وقد أراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله الا سوقها
اليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد ادن مني يا ابن مازن فدنا منه حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله ابن همام فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزيه وصبرك على المصيبة وبارك

الكلام فعجز عنه ثم انه تكلم فقال يا من لا يموت ارحم من يموت ثم توفى من ساعته ولما توفى حمله ابنه العباس وأخوه المعتصم الى طرسوس فدفناه بدار خاقان خادم الرشيد وصلى عليه المعتصم ووكلوا به حرسا من أبناء أهل طرسوس وغيرهم مائة رجل واجرى على كل رجل منهم تسعون درهما وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوما سوى سنين كان دعى له فيها بمكة وأخوه الامين محصور ببغداذ وكان مولده للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وكانت كنيته أبا العباس وكان ربعة أبيض جميلا طويل اللحية رقيقها قد وخطها الشيب وقيل كان اسمر تعلوه صفرة أجنى أعين ضيق البلجة بخده خال اسود

﴿ذكر بعض سيرته وأخباره﴾

قال محمد بن صالح السرخسي تعرض رجل للمأمون بالشأم مرارا وقال يا أمير المؤمنين انظر لعرب الشأم كما نظرت لعجم خراسان فقال له أكثرت علي والله ما أنزلت قيسا من ظهور خيولها الا وأنا أرى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد يعني فتنة ابن شبث العامري وأما اليمن فوالله ما أحبتها ولا أحبتني قط وأما قضاعة فسداتها تنتظر السفياني حتى تكون من اشياعه وأما ربيعة وساخطة على ربها منذ بعث الله نبيه من مضر ولم يخرج اثنان الا وخرج احدهما سائسا اعرف فعل الله بك وذكر سعيد بن زياد ان المأمون قال لما دخل دمشق أتى بالكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاريته فقال اني لاشتهي ان أدري ايش هذا الغشاء على هذا الخاتم قال فقال له المعتصم حل العقدة حتى تدري ما هو قال ما أشك ان النبي صلى الله عليه وسلم عقد هذا العقد وما كنت لاحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للوائق خذه وضعه على عينيك لعل الله ان يشفيك وجعل المأمون يضعه على عينيه ويبكي وقال العيسي صاحب اسحق بن ابراهيم كنت مع المأمون بدمشق وكان قد قل المال عنده حتى أضاق وشكا ذلك الى المعتصم فقال له يا أمير المؤمنين كأنك بالمال وقد وافاك بعد جمعة وكان قد حمل اليه ثلاثون ألف ألف درهم من خراج ما يتولاه فلما ورد عليه المال قال المأمون ليحيى بن اكثم اخرج بنا ننظر هذا المال فخرجا ينظرانه وكان قد هيئ بأحسن هيئة وحليت أباعره فنظر المأمون الى شئ حسن واستكثر ذلك واستبشر به والناس ينظرون ويعجبون وقال المأمون يا أبا محمد ننصرف بالمال وأصحابنا يرجعون خائبين ان هذا للؤم ثم دعا محمد بن يزداد فقال له وقع لآل فلان بألف ألف ولآل فلان بمثلها ولآل فلان بمثلها فما زال كذلك حتى فرق أربعة وعشرين ألف الف ورجله في الركاب ثم قال ادفع الباقي الى المعلى يعطيه جندنا قال العيسي فقمت نصب عينيه أنظر اليهما فلما رآني كذلك قال وقع لهذا بخمسين ألفا فقبضتها وذكر عن محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان انه كان بالبصرة رجل من بني تميم بن سعد وكان شاعرا ظريفا خبيثا منكرا وكنت آنس به وأستحليه فقلت له أنت شاعر وأنت ظريف والمأمون أجود من السحاب الحافل فما يمنعك منه فقال ما عندي ما يحملني فقلت انا أعطيك راحلة ونفقة فأعطيته راحلة نجيبة وثلاثمائة درهم فعمل ارجوزة ليست بالطويلة ثم سار الى المأمون قال فجئت اليه وهو بسلغوس قال فلبست ثيابي وأنا أروم بالعسكر واذا بكهل على بغل فاره فتلقاني مواجهة وأنا ارتد نشيدا رجوزتي فقال السلام عليك فقلت عليكم السلام ورحمة الله وبركاته قال قف ان شئت فوقفت فتضوعت منه رائحة المسك والعنبر فقال ما أولك قلت رجل من مضر قال ونحن من مضر قال ثم ماذا قلت من بني تميم قال وما بعد تميم قلت من بني سعد قال وما أفدمك قلت قصدت هذا الملك الذي ما سمعت بمثله أندى راحة ولا أوسع راحة قال

واشكره على أفضل العطيه
وأحدث الخالق حمدا
والله يمتعنا بك ويحفظك
ويحفظ لك وعليك وأنشأ
يقول
اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة
واشكر حباه الذي بالملك
أصفاكا
أصبحت لا رزء في الاقوام
نعلمه
كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أعطيت طاعة خلق الله
كلهم
وأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف
اما نعيت ولا نسمع بمنعاكا
فقال له يزيد ادن مني يا ابن
همام فدنا حتى جلس قريبا
منه ثم قام الناس يعزونه
ويهنئونه بالخلافة فلما
ارتفع عن مجلسه أمر لكل
واحد منهم بمال على مقداره
في نفسه ومحله في قومه
وزاد في اعطائهم ورفع
مراتبهم وقد أتينا في
كتابنا أخبار الزمان على
ما كان من خبر يزيد وغيبته
في حال وفاة أبيه معاوية
ومسيره من ناحية حمص
حتى بلغه ما بأبيه من العلة
ووروده على ثنية العقاب
من أرض دمشق فأغنى
ذلك عن اعادة هذا الخبر
في هذا الكتاب وذكر
عدة من الاخباريين وأهل
السير أن عبد الملك بن مروان

فما الذي قصدته به قلت شعر طيب يلذ على الافواه ويحلو في آذان السامعين قال فانشدنيه فغضبت وقلت يا ركيك أخبرتك أني قصدت الخليفة بمديح تقول انشدنيه فتغافل عنها وألغى عن جوابها فقال فما الذي تأمل منه قلت ان كان على ما ذكر لي فالف دينار قال أنا أعطيك الف دينار ان رأيت الشعر جيدا والكلام عذبا وأضع عنك العناء وطول التردد متى تصل الخليفة وبينك وبينه عشرة آلاف رامح ونابل قلت فلي عليك الله أن تفعل قال نعم لك الله علي ان افعل فانشدته

مأمون ذا المنزلة الشريفه * وصاحب المرتبة المنيفه
وقائد الكتيبة الكثيفه * هل لك في ارجوزة ظريفه
أظرف من فقه أبي حنيفه * لا والذي أنت له خليفه
ما ظلمت في أرضنا ضعيفه * أميرنا مؤنثه خفيفه
وما اقتفى شيأ سوى الوظيفة * فالذئب والنقمة في سقيفه
* واللص والتاجر في قطيفه *

قال فوالله ما عدا أن بلغت ههنا فاذا زهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الافق يقولون السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال فاخذتني رعدة فنظر الي بتلك الحال فقال لا بأس عليك أي أخي قلت يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك من جعل الكاف مكان القاف من العرب قال حمير قلت لعن الله حميرا ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم وضحك المأمون وقال لخادم معه أعطه ما معك فاخرج كيسا فيه ثلاثة آلاف دينار فأخذتها ومضيت ومعني سؤاله عن وضع الكاف موضع القاف أنه أراد ان يقول يا رقيق فقال يا ركيك وقال عمارة بن عقيل انشدت المأمون قصيدة مائة بيت فأبتدئ بصدر البيت فيبادرني الى قافيته كما قفيته فقلت والله يا أمير المؤمنين ما سمعها مني أحد قط فقال هكذا ينبغي أن يكون ثم قال لي اما بلغك ان عمر بن أبي ربيعة أنشد عبد الله بن عباس قصيدته التي يقول فيها * يشط عدادا وجيرانا * فقال ابن عباس وللدار بعد غد أبعد * حتى أنشده القصيدة يقفيها ابن عباس ثم قال انا ابن ذاك وذكر ان المأمون قال

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة * واغفلتني حتى أسأت بك الظنا
فنجيت من أهوى وكنت مباعدا * فيا ليت شعري عن دنوك ما أغنى
أرى أثر امنه بعيفيك بينا * لقد أخذت عيناك من عينه حسنا

قيل وانما أخذ المأمون هذا المعنى من العباس بن الاحنف فانه أخرج هذا المعنى فقال

ان تشق عيني بها فقد سعدت * عين رسولي وفزت بالخبر
وكلما جاءني الرسول لها * وددت عهدا في عينه نظري
خذ مقلتي يا رسول عارية * فانظر بها واحتكم على بصري

قيل وشكا اليزيدي يوما الى المأمون دينا لحقه فقال ما عندي في هذه الايام ما ان أعطيناك بلغت به ما تريد فقال يا أمير المؤمنين ان غرمائي قد ارهقوني قال انظر لنفسك أمرا تنال به نفعا قال ان لك ندماء فهم من ان حركته نلت به نفعا قال أفعل قال اذا حضروا عندك فمر فلانا الخادم يوصل رقعتي اليك فاذا قرأتها فأرسل الي دخولك في هذا الوقت متعذر ولكن اخترلنفسك من أحببت قال أفعل فلما علم اليزيدي جلوس المأمون مع ندمائه وتيقن انهم قد أخذ الشراب منهم أتى الباب فدفع الى الخادم رقعته فاذا فيها

يا خير اخواني وأصحابي * هذا الطفيلي على الباب

عبد الملك ودعاله فلما ولي قال يزيد ان الناس يزعمون ان هذا يصير خليفة فان صدقوا فقد صانعناه وان كذبوا فقد وصلناه وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فأقبل على ساقيه فقال

اسقني شربة تروي مشاشي * ثم صل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السر والامانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم أمر المغنين فغنوا وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب وكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ وكان قردا خبيثا وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء في بعض الايام سابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبي قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر مشهر وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق وعلى الاتان تمسك أبا قيس بفضل عنانها

سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بأنواع من ألوان فقال في ذلك بعض شعراء الشأم في ذلك اليوم

أخبر أن القوم فى لذة * يصبوا اليها كل أواب
فصيروني واحدا منكم * أو أخرجوا لى بعض اترابى

فقرأها المأمون عليهم وقالوا ما ينبغى ان يدخل علينا على مثل هذه الحال فارسل اليه المأمون دخولك فى هذا الوقت متعذر فاختر لنفسك من أحببت فقال ما أريد الا عبد الله بن طاهر فقال له المأمون قد اختارك فصر اليه قال يا أمير المؤمنين وأكون شريك السلفيلى فقال ما يمكن رد أبى محمد عن أمر بن فان أحببت ان تخرج اليه والا فاقتد نفسك منه فقال على عشرة آلاف قال لا يقنعه فما زال يزيد عشرة عشرة والمأمون يقول لا يقنعه حتى بلغ مائة ألف فقال له المأمون فجها فكتب بها الى وكيله ووجه معه رسولا وأرسل اليه المأمون قبض هذه الدراهم فى هذه الساعة أصلح من منادمته وأنفع لك وقال عمارة بن عقيل قال لى عبد الله بن أبى السمط أعلمت ان المأمون لا يبصر الشعر قلت ومن يكون أعلم منه فوالله انا لننشده أول البيت فيسبقنا الى آخره قال انى أنشدته بيتا أجدت فيه فلم يتحرك له قلت وما هو قال

أضحى امام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قال فقلت والله ما صنعت شيأ هل زدت على ان جعلته عجوزا فى محرابها فاذن من الذى يقوم بامر الدنيا اذا تشاغل عنها وهو المطوق بها ألا قلت كما قال جدى جرير فى عبد العزيز بن الوليد

فلا هو فى الدنيا يضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

فقال الآن علمت أنى قد أخطأت قال أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمار كان المأمون شديد الميل الى العلويين والاحسان اليهم وخبره مشهور معهم وكان يفعل ذلك طبعا لا تكلفا فمن ذلك انه توفى فى أيامه يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين العلوى فحضر الصلاة عليه بنفسه ورأى الناس عليه من الحزن والكآبة ما تعجبوا منه ثم ان ولد الزينب بنت سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وهى ابنة عم المنصور توفى بعده فأرسل له المأمون كفنا وسير أخاه صالحا ليصلى عليه ويعزى أمه فانها كانت عند العباسيين بمنزلة عظيمة فاتاها وعزاها عنه واعتذر عن تخلفه عن الصلاة عليه فظهر غضبها وقالت لابن ابنها تقدم فصل على أبيك وتمثلت

سبكاه ونحسبه لجينا * فابدى الكير عن خبث الحديد

ثم قالت لصالح قل له يا ابن مراجل أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد لوضعت ذيلك على فيك وعدوت خلف جنازته

﴿ ذكر خلافة المعتصم ﴾

هو أبو اسحق محمد بن هرون الرشيد بويع له بالخلافة بعد موت المأمون ولما بويع له شغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فأرسل اليه المعتصم فأحضره فبايعه ثم خرج الى الجند فقال ما هذا الحب البارد قد بايعت عمى فسكتوا وأمر المعتصم بخراب ما كان المأمون أمر ببنائه من طوانة مما نذكره فى عدة حوادث وحمل ما أطاق من السلاح والآلة التى بها وأحرق الباقى وأعاد الناس الذين بها الى البلاد التى لهم وانصرف الى بغداد ومعه العباس بن المأمون فقدمها مستهل شهر رمضان

﴿ ذكر خلاف فضل على زيادة الله ﴾

وفى هذه السنة وجه زيادة الله بن الاغلب صاحب افريقية جيشا لمحاربة فضل بن أبى العنبر بالجزيرة وكان مخالفا لزيادة الله فاستمد فضل بعبد السلام بن المفرج الربعى وكان أيضا مخالفا لمن عهد فتبة

فليس عليها ان سقطت ضمان ألا من رأى القرد الذى سبقت به * جياد أمير المؤمنين أتان

وفى يزيد وتملكه وتجبره وانقياد الناس الى ملكه يقول الاخوص

ملك تدين له الملوك مبارك * كادت لهيبته الجبال تزول

تجبى له بلخ ودجلة كلها * وله الفرات وماسق والنيل

وقيل ان الاخوص قال هذا فى معاوية بعد وفاته يرثيه ولما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد الى يزيد خرجت بنت عقيل بن أبى طالب فى نساء من قومها حواسر لما قد ورد عليهن من قتال السادات وهى تقول

ماذا تقولون ان قال النبى لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتى و بأهلى بعد مفتقدى * نصف أسارى ونصف * ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم * أن تخلفونى بشر فى ذوى رحمى

وفى فعل ابن زياد بالحسين يقول أبو الاسود الدؤلى من قصيدة

أقول وذاك من جزع ووجد * أزال الله ملك بنى زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا * كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره وما ظهر من شرب الخمور وسيره سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه فى رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته أخرج أهل المدينة منصور

منصور كما ذكرنا فسار اليه فالتقوا مع عسكر زيادة الله وجرى بين الطائفتين قتال شديد عند مدينة لهودبا لجزيرة فقتل عبد السلام وحمل رأسه الى زيادة الله وسار فضل بن أبي العنبر الى مدينة تونس فدخلها وامتنع بها فسير زيادة الله اليه جيشا فحضروا فضلابها وضيقوا عليه حتى فتحوها منه وقتل وقت دخول العسكر كثير من أهلها منهم عباس بن الوليد الفقيه وكان دخل في بيته لم يقاتل فدخل عليه بعض الجند فأخذ سيفه وخرج وهو يصيح الجهاد فقتل وبقي ملقى في خربة سبعة أيام لم يقربه ذو ناب ولا مخلب وكان قد سمع الحديث من ابن عيينة وغيره وكان من الصالحين وهرب كثير من أهل تونس لما ملكت ثم آمنهم زيادة الله فعادوا اليها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عاد المأمون الى سلغوس ووجه ابنه العباس الى طوانة وأمره ببنائها وكان قد وجه الفعلة فابتدؤا في بنائها ميلا في ميل وجعل سورها على ثلاثة فراسخ وجعل لها أربعة أبواب وجعل على كل باب حصنا وكتب الى البلدان ليفرضوا على كل بلد جماعة ينتقلون الى طوانه وأجرى لهم لكل فارس مائة درهم ولكل راجل أربعين درهما * وفيها توفي بشر بن غياث المريسي وكان يقول بخلق القرآن والارجاء وغيرهما من البدع وفيها دخل كثير من أهل الجبال وهذان وأصبهان وماسبذان وغيرها في دين الخرمية وتجمعوا فعسكروا في عمل همذان فوجه اليهم المعتصم العساكر وكان فيهم اسحق بن ابراهيم بن مصعب وعقد له على الجبال في شوال فسار اليهم فأوقع بهم في أعمال همذان فقتل منهم ستين ألفا وهرب الباقون الى بلد الروم وقرئ كتابه بالفتح يوم التروية وحج بالناس هذه السنة صالح بن العباس بن محمد

﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين﴾

﴿ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوي﴾

في هذه السنة ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بالطالقان من خراسان يدعو الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء أمره انه كان ملازما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حسن السيرة فاتاه انسان من خراسان اسمه أبو محمد كان مجاورا فلما رآه أعجبه طريقه فقال له أنت أحق بالامامة من كل أحد وحسن له ذلك وبايعه وصار الخراساني يأتيه بالنفر بعد النفر من حجاج خراسان يبايعونه فعل ذلك مدة فلما رأى كثرة من بايعه من خراسان سار اجميعا الى الجوزجان واختفى هناك وجعل أبو محمد يدعو الناس اليه فعظم أصحابه وحمله أبو محمد على اظهار أمره فاظهره بالطالقان فاجتمع اليه بها ناس كثير وكانت بينه وبين قواد عبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها فانهزم هو وأصحابه وخرج هاربا يريد بعض كور خراسان وكان أهلها كاتبوه فلما صار بنسا وبها والد بعض من معه فلما بصر به سأله عن الخبر فاخبره فمضى الاب الى عامل نسا فاخبره بأمر محمد بن القاسم فاعطاه العامل عشرة آلاف درهم على دلالته وجاء العامل الى محمد فأخذه واستوثق منه وبعثه الى عبد الله بن طاهر فسيره الى المعتصم فورد اليه منتصف شهر ربيع الاول فحبس عند مسرور الخادم الكبير وأجرى عليه الطعام ووكل به قوما يحفظونه فلما كان ليلة الفطر اشتغل الناس بالعيد فهرب من الحبس دلى اليه حبل من كوة كانت يدخل منها الضوء فلما أصبحوا أتوه بالطعام فلم يروه وجعلوا لمن دل عليه مائة ألف فلم يعرف له خبر

﴿ذكر محاربة الزط﴾

واظهار الدعوة لنفسه وذلك في سنة ثلاث وستين وكان اخراجهم لما ذكرنا من بني أمية وعامل يزيد عن اذن ابن الزبير فاغتنمها مروان منهم اذ لم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير فخشوا السير نحو الشام ونفى فعل أهل المدينة بني أمية وعامل يزيد الى يزيد فسير اليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أخاف المدينة ونهبها وقتل أهلها وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد وسماها تنة وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وقال من أخاف المدينة أخافه الله فسمي مسلم هذا لعنه الله مجرما ومسرف لما كان من فعله ويقال ان يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه أنشأ يقول

أبلغ أبا بكر اذا الامر انبرى ... وأشرف القوم على وادي القرى

أجمع السكران من قوم ترى ... يريد بهذا القول عبد الله بن الزبير وكان عبد الله يكنى بأبي بكر وكان يسمى يزيد السكران الخير وكتب الى ابن الزبير

أدعو الهك في السماء فاتني ... أدعو عليك رجال عك وأشعرا

كيف النجاء أبا خبيب منهم ... فاحتل لنفسك قبل أتى العسكرا

ولما انتهى الجيش من المدينة الى الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف خرج الى حربه

وفيها وجه المعتصم عجيف بن عنبسة فى جمادى الآخرة لحرب الزط الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا واخذوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من البصرة وأخافوا السبيل ورتب عجيف الخيل فى كل سكة من سكك البريد تركض بالاخبار فكان يأتى بالاخبار من عجيف فى يوم فسار حتى نزل تحت واسط وأقام على نهر يقال له بردود احتى سده وأنهارا أخر كانوا يخرجون منها ويدخلون واخذ عليهم الطرق ثم حاربهم فأسر منهم فى معركة واحدة خمسمائة رجل وقتل فى المعركة ثلثمائة رجل فضرب أعناق الاسرى وبعث الرؤس الى باب المعتصم ثم أقام عجيف بازاء الزط خمسة عشر يوما فظفر منهم فيها بخلق كثير وكان رئيس الزط رجلا يقال له محمد بن عثمان وكان صاحب أمره انسانا يقال له سمنق ثم استوطن عجيف وأقام بازائهم سبعة أشهر

﴿ذكر محاصرة طليطلة﴾

فى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم الاموى صاحب الاندلس جيشا مع أمية بن الحكم الى مدينة طليطلة فحصرها وكانوا قد خالفوا الحكم وخرجوا عن الطاعة واشتد فى حصرهم وقطع أشجارهم وأهلك زروعهم فلم يذعنوا الى الطاعة فرحل عنهم وأنزل بقلعة رباح جيشا عليهم ميسرة المعروف بفتى أبى أيوب فلما أبعدوا منه خرج جمع كثير من أهل طليطلة لعلهم يجدون فرصة وغفلة من ميسرة فينالون منه ومن أصحابه غرضا وكان ميسرة قد بلغه الخبر فجعل الكمين فى مواضع فلما وصل أهل طليطلة الى قلعة رباح للغارة خرج الكمين عليهم من جوانبهم ووضعوا السيف فيهم وأكثروا القتل وعاد من سلم منهم منهزما الى طليطلة وجمعت رؤس القتلى وحملت الى ميسرة فلما رأى كثرتها عظمت عليه وارتاع لذلك ووجد فى نفسه غما شديدا فمات بعد أيام يسيرة وفيها أيضا كان بطليطلة فتنة كبيرة تعرف بلحمة العراس قتل من أهلها كثير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها أحضر المعتصم أحمد بن حنبل وامتحنه بالقرآن فلم يجب الى القول بخلقه فامر به فجلد جلدا عظيما حتى غاب عقله وتقطع جلده وحبس مقيدا وفيها قدم اسحق بن ابراهيم الى بغداد فى جمادى الاولى ومعه من اسرى الخرمية خلق كثير وقيل انه قتل منهم نحو مائة ألف سوى النساء والصبيان وفيها توفى أبو نعيم الفضل بن دكين الملائى مولى طلحة بن عبد الله التيمى فى شعبان وهو من مشايخ البخارى ومسلم كان مولده سنة ثلاثين ومائة وكان شيعيا وله طائفة تنسب اليه يقال لها الدكينية

﴿ثم دخلت سنة عشرين ومائتين﴾

﴿ذكر ظفر عجيف بالزط﴾

وفى هذه السنة دخل عجيف بالزط بغداد بعد ان ضيق عليهم وقاتلهم وطلبوا منه الامان فامنهم فخرجوا اليه فى ذى الحجة سنة تسع عشرة ومائتين وكانت عدتهم مع النساء والصبيان سبعة وعشرين ألفا والمقاتلة منهم اثنا عشر ألفا فلما خرجوا اليه جعلهم فى السفن وعباهم فى سفنهم على هيئتهم فى الحرب معهم البوقات حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء من هذه السنة وخرج المعتصم الى الشماسية فى سفينة يقال لها الرف حتى يمر به الزط على تعبيتهم وهم ينفخون فى البوقات وأعطى عجيف أصحابه كل رجل دينارين دينارين وأقام الزط فى سفنهم ثلاثة أيام ثم نقلوا الى الجانب الشرقى وسلموا الى بشر بن السميدع فذهب بهم الى خانقين ثم نقلوا الى الثغر الى عين

خلق كثير من الناس من بنى هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس فممن قتل من آل أبى طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وجعفر ابن محمد بن على بن أبى طالب ومن بنى هاشم من غير آل أبى طالب الفضل بن العباس ابن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة ابن أبى لهب بن عبد المطلب وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الانصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الاحصاء دون من لم يعرف وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك أمره مسرف على السيف غير على ابن الحسين بن على بن أبى طالب السجاد وعلى بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وفى وقعة الحرة يقول محمد بن أسلم

فان تقتلونا يوم حرة واقم
فنحن على الاسلام أول من قتل
ونحن تركناكم ببدر أذلة
وأبنا بأسياف لنا منكم تفل

ونظر الناس الى على بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو فاتى به الى مسرف وهو مغتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه وقال له سلنى حوائجك فلم يسأله فى أحد ممن قدم

السبع وما أظللن والارضين السبع وما أقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين أعوذ بك من شره وأدرأ بك فى نحره أسألك ان تؤتينى خيره وتكفينى شره وقيل لمسلم رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتى به اليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لرأى منى لقد ملئ قلبى منه رعبا وأما على ابن عبد الله فان أخواله من كندة منعوه منه وأناس من ربيعة كانوا فى جيشه فقال على فى ذلك

ابا العباس قوم من لؤى
وأخوالى الملوك بنو وليعة
هم منعوا ذمارى يوم جاءت
كتائب مسرف وبنى اللكيعة
أرادونى التى لا عز فيها
فحالت دونه أيدى ربيعه

ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبى وغير ذلك مما عنه أعرضنا من مسرف خرج عنها يريد مكة فى جيوشه من أهل الشأم ليوقع بابن الزبير وأهل مكة بأمر يزيد وذلك فى سنة أربع وستين فلما انتهى الى الموضع المعروف بقديد مات مسرف لعنه الله واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى أتى مكة وأحاط بها وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء فى اشعارها من ذلك ما قدمنا من قول سليمان بن قبة فان تتبعوه عائذ البيت تصبحوا *

زربة فاغارت الروم عليهم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد

﴿ ذكر مسير الافشين لحرب بابك الخرمى ﴾

وفى هذه السنة عقد المعتصم للافشين حيدر بن كاوس على الجبال ووجهه لحرب بابك فسار اليه وكان ابتداء خروج بابك سنة احدى ومائتين فكانت مدينة البذ وهزم من جيوش السلطان عدة وقتل من قواده جماعة فلما افضى الامر الى المعتصم وجه أبا سعيد محمد بن يوسف الى اردبيل وأمره أن يبنى الحصون التى أخرب بها بابك فيما بين زنجان واردبيل ويجعل فيها الرجال تحفظ الطرق لمن يجلب الميرة الى اردبيل فتوجه أبو سعيد لذلك وبنى الحصون ووجه بابك سرية فى بعض غزاته فاغارت على بعض النواحى ورجعت منصرفة وبلغ ذلك أبا سعيد فجمع الناس وخرج فى طلب السرية فاعترضها فى بعض الطرق فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل أبو سعيد من أصحاب بابك جماعة وأسر جماعة واستنقذ ما كانوا أخذوه وسير الرؤس والاسرى الى المعتصم فكانت هذه أول هزيمة على أصحاب بابك ثم كانت الاخرى لمحمد بن البعيث وذلك ان محمدا كان فى قلعة له حصينة تسمى الشاهى كان ابن البعيث قد أخذها من ابن الرواد وهى من كورة اذربيجان وله حصن آخر من اذربيجان يسمى تبريز وكان مصالحا لبابك تنزل سرايانه عنده فيضيفهم حتى أنسوا به ثم ان بابك وجه قائدا اسمه عصمة من أصبهبذيته فى سرية فنزل بابن البعيث فانزل له الضيافة على عادتها واستدعاه له فى خاصته ووجوه أصحابه فصعد فغذاهم وسقاهم الخمر حتى سكروا ثم وثب على عصمة فاستوثق منه وقتل من كان معه من أصحابه وأمره ان يسمى رجلا رجلا من أصحابه فكان يدعو الرجل باسمه فيصعد فيضرب عنقه حتى علموا بذلك فهربوا وسير عصمة الى المعتصم فسأل المعتصم عصمة عن بلاد بابك فاعلمه طرقه ووجوه القتال فيها ثم ترك عصمة محبوسا فبقى الى أيام الواثق ثم ان الافشين سار الى بلاد بابك فنزل برزند وعسكر بها وضبط الطرق والحصون فيما بينه وبين اردبيل ونزل محمد بن يوسف بموضع يقال له خش فحفر خندقا وأنزل الهيثم الغنوى برستاق ارشق فاصلح حصنه وحفر خندقه وأنزل عليه الاعور من قواد الابناء فى حصن النهر مما يلى اردبيل فكانت السابلة والقوافل تخرج من اردبيل ومعها من يحميها حتى تنزل بحصن النهر ثم يسيرها صاحب حصن النهر الى الهيثم الغنوى فيلقاه الهيثم بمن جاء اليه من ناحية فى موضع معروف لا يتعداه احدهم اذا وصل اليه فاذا لقيه أخذ ما معه وسلم اليه ما معه ثم يسير الهيثم بمن معه الى أصحاب أبى سعيد فيلقونه بمنتصف الطريق ومعهم من خرج من العسكر فيتسلمون ما مع الهيثم ويسلمون اليه ما معهم واذا سبق أحدهم الى المنتصف لا يتعداه ويسير أبو سعيد بمن معه الى عسكر الافشين فيلقاه صاحب سيارة الافشين فيتسلمهم منه ويسلم اليه من صحبه من العسكر فلم يزل الامر على هذا وكانوا اذا ظفروا باحد من الجواسيس حملوه الى الافشين فكان يحسن اليهم ويهب لهم ويسألهم عن الذى يعطيهم بابك فيضعفه لهم ويقول كونوا جواسيس لنا فكان ينتفع بهم

﴿ ذكر وقعة الافشين مع بابك ﴾

وفيها كانت وقعة الافشين مع بابك قتل من أصحاب بابك خلق كثير وكان سببها ان المعتصم وجه بغا الكبير الى الافشين ومعه مال للجند والنفقات فوصل اردبيل فبلغ بابك الخبر فتهيأ هو وأصحابه ليقطعوا عليه قبل وصوله الى الافشين فجاء جاسوس الى الافشين فاخبره بذلك فلما صح الخبر عند الافشين كتب الى بغا ان يظهر انه يريد الرحيل ويحمل المال على الابل ويسير نحوه

حتى يبلغ حصن النهر فيحبس الذى معه حتى يجوز من صحبه من القافلة فاذا جاز وارجع بالمال الى اردبيل فتعمل بغا ذلك وسارت القافلة وجاءت جواسيس بابك اليه فاخبروه ان المال قد سار فبلغ النهر وركب الافشين فى اليوم الذى واعد فيه بغا عند العصر من برزند فوافى خش مع غروب الشمس فنزل خارج خندق أبى سعيد فلما أصبح ركب سراولم يضرب طبلا ولم ينشر علما وأمر الناس بالسكوت وجد فى السير ورحلت القافلة التى كانت توجهت ذلك اليوم من النهر الى ناحية الهيثم وتعبى بابك فى أصحابه وسار على طريق النهر وهو يظن أن المال يصادفه فخرجت خيل بابك على القافلة ومعها صاحب النهر فقاتلهم صاحب النهر فقتلوه وقتلوا من كان معه من الجند وأخذوا جميع ما كان معهم وعلموا أن المال قد فاتهم وأخذوا علمه ولباس أصحابه فلبسوها وتنكروا ليأخذوا الهيثم الغنوى ومن معه أيضا ولا يعلمون بخروج الافشين وجاؤا كانهم أصحاب النهر فلم يعرفوا الموضع الذى يقف فيه علم صاحب النهر فوقفوا فى غيره وجاء الهيثم فوقف فى موضعه وانكر ما رأى فوجه ابن عم له فقال له اذهب الى هذا البغيض فقل له لاى شئ وقوفك فجاء اليهم فأنكرهم فرجع اليه فأخبره فانفذ جماعة غيره فانكروهم أيضا وأخبروه ان بابك قد قتل علويه صاحب النهر وأصحابه وأخذ أعلامهم ولباسهم فرحل الهيثم راجعا ونحى القافلة التى كانت معه وبقى هو وأصحابه فى اعقابهم حامية لهم حتى وصلت القافلة الى الحصن وهو ارشق وسير رجلين من أصحابه الى الافشين والى أبى سعيد يعرفهما الخبر فخرجا يركضان ودخل الهيثم الحصن ونزل بابك عليه ووضع له كرسى بحيال الحصن وأرسل الى الهيثم ان خل الحصن وانصرف فابى الهيثم ذلك فحاربه بابك وهو يشرب الخمر على عادته والحرب مشتبكة وسار الفرسان فلقيا الافشين على أقل من فرسخ فقال لصاحب مقدمته أرى فارسين يركضان ركضا شديدا ثم قال اضربوا الطبل وانشروا الاعلام واركضوا نحوهما وصيحوا البيكا البيكا ففعلوا ذلك وأجرى الناس خيلهم طلقا واحدا حتى لحقوا بابك وهو جالس فلم يطق ان يركب حتى وافته الخيل فاشتبكت الحرب فلم يفلت من رجالة بابك أحد وأفلت هو فى نفر يسير من خيالته ودخل موقان وقد تقطع عنه أصحابه ورجع عنه الافشين الى برزند وأقام بابك بموقان وأرسل الى البذ فجاءه عسكر فرحل بهم من موقان حتى دخل البذ ولم ينزل الافشين معسكرا ببرزند فلما كان فى بعض الايام مرت قافلة فخرج عليها اصبهبذ بابك فاخذها وقتل من فيها فقصد عسكر الافشين لذلك وكتب الافشين الى صاحب مراغة يحمل الميرة وتجيلها فوجه اليه قافلة عظيمة فيها قريب من ألف ثور سوى غيرها من الدواب تحمل الميرة ومعها جند يسيرون بها فخرج عليهم سرية لبابك فاخذوها عن آخرها وأصاب العسكر ضيق شديد فكتب الافشين الى صاحب شيروان يأمره ان يحمل اليه طعاما فحمل اليه طعاما كثيرا وأغاث الناس وقدم بغا على الافشين بما معه

﴿ذكر بناء سامرا﴾

وفى هذه السنة خرج المعتصم الى سامرا لبنائها وكان سبب ذلك انه قال انى اتخوف هؤلاء الحربية ان يصيحوا صيحة فيقتلون غلمانى فأريد ان أكون فوقهم فان رابنى منهم شئ أتيتهم فى البر والماء حتى آتى عليهم فخرج اليها فاعجبه مكانها وقيل كان سبب ذلك ان المعتصم كان قد أكثر من الغلمان الاتراك فكانوا لا يزالون يرون الواحد بعد الواحد قتيلا وذلك انهم كانوا جفاة يركبون الدواب فيركضونها الى الشوارع فيصدمون الرجل والمرأة والصبى فيأخذهم الابناء عن دوابهم ويضربونهم ورعا هلك أحدهم فتأدى بهم الناس ثم ان المعتصم ركب يوم عيد فقام

من الجبال والفجاج وابن الزبير فى المسجد ومعه المختار بن أبى عبيد الثقفى داخلا فى جملته منضافا الى بيعته منقادا الى امامته على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رايا ولا يعصى له أمرا فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورمى مع الاحجار بالمار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحترقت البنية ووقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا وقيل أكثر من ذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوما واشتد الامر على أهل مكة وابن الزبير واتصل الاذى بالاحجار والنار والسيف فى ذلك يقول أبو حرة المدينى ابن غير بئس ما ولى

قد أحرق المقام والمصلى
وابن يزيد وغيره أخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن الرسول ولعن الوصى وهدم البيت واحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله وقد أتينا على الغرض من ذلك فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق

اليه

اليه شيخ فقال له يا أبا اسحق فاراد الجند ضربه فمنعهم فقال يا شيخ مالك قال لا جزاك الله عن الجوار خيرا جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الاتراك فاسكنتهم بيننا فايقظت صبياننا وارملت بهم نسواننا وقتلت رجالنا والمعتصم يسمع ذلك فدخل منزله ولم ير راكبا الى مثل ذلك اليوم فخرج فصلى بالناس العيد ولم يدخل بغداد بل سار الى ناحية القاطول ولم يرجع الى بغداد قال مسرور الكبير سألني المعتصم أين كان الرشيد يتنزه اذا ضجر ببغداد قلت بالقاطول وكان قد بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم وكان قد خاف من الجند ما خاف المعتصم فلما وثب أهل الشام بالشام وعصوا خرج الى الرقة فاقام بها وبقيت مدينة القاطول لم تستتم ولما خرج المعتصم الى القاطول استخلف ببغداد ابنه الواثق وكان المعتصم قد اصطنع قوما من أهل الحوف بمصر واستخدمهم وسماهم المغاربة وجمع خلقا من سمرقند واشروسنة وفرغانة وسماهم الفراغنة فكانوا من أصحابه وبقوا بعده وكان ابتداء العمارة بسامرا سنة احدى وعشرين ومائتين

﴿ذكر قبض الفضل بن مروان﴾

وكان الفضل بن مروان من البردان وكان حسن الخط فاتصل بيحيى الجرمقانى كاتب المعتصم قبل خلافته فكان يكتب بين يديه فلما هلك الجرمقانى صار موضعه وسار مع المعتصم الى الشام ومصر فاخذ من الاموال الكثير فلما صار المعتصم خليفة كان اسمها له وكان معناها للفضل واستولى على الدواوين كلها وكثير الاموال وكان المعتصم يأمره باعطاء المغنى والنديم فلا ينفذ الفضل ذلك فثقل على المعتصم وكان له مضحك اسمه ابراهيم يعرف بالهفتى فامر له المعتصم بمال وتقدم الى الفضل باعطائه فلم يعطه شيأ فبينا الهفتى يوما عند المعتصم يمشى معه فى بستان له وكان الهفتى يصحبه قبل الخلافة ويقول له فيما يداعبه والله لا تفلح أبدا وكان مربوعا بدينا وكان المعتصم خفيف اللحم فكان يسبقه ويلتفت اليه ويقول مالك لا تسرع المشى فلما أكثر عليه من ذلك قال الهفتى مداعبا له كنت أرانى أماشى خليفة واليوم أرانى أماشى فيجا والله لا أفلحت أبدا فضحك المعتصم فقال وهل بقى من الفلاح شئ لم أدركه بعد الخلافة فقال أتظن انك أفلحت لا والله مالك من الخلافة الا اسمها ما يتجاوز امرك اذنيك انما الحليمة الفضل فقال وأى أمر لى لم ينفذ فقال الهفتى أمرت لى بكذا وكذا منذ شهرين فما أعطيت حبة فحقدها على الفضل فقيل أول ما أحدثه فى أمره ان جعل زماما فى نفقات الخاصة وفى الخراج وجميع الاعمال ثم نكبه وأهل بيته فى صفر وأمرهم بعمل حسابهم وصير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات فنفى الفضل الى قرية فى طريق الموصل تعرف بالسن وصار محمد وزيرا كاتبا وكان الفضل شرس الاخلاق ضيق العطن كريه اللقاء بخيلا مستطيلا فلما نكب شمت به الناس حتى قال بعضهم فيه

لبيك على الفضل بن مروان نفسه * فليس له باك من الناس يعرف
لقد صحب الدنيا منوعا لخيرها * وفارقها وهو الظلوم المعنف
الى النار فليذهب ومن كان مثله * على أى شئ فاتنا منه نأسف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سير عبد الرحمن ملك الاندلس جيشا الى طليطلة فقاتلوها فلم يظفروا بها وحج بالناس صالح بن العباس بن محمد وفيها توفى سليمان بن داود بن على بن عبد الله بن عباس بن أيوب الهاشمى وعفار بن مسلم أبو عثمان الصفار البصرى وكان موته ببغداد وله خمس وثمانون سنة وهو من مشايخ البخارى وتوفى فتح الموصلى الزاهد وكان من الاولياء والاجواد ومحمد بن على بن موسى بن

﴿ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان ابن الحكم والمختار بن أبى عبيد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان فى أيامهم﴾

(قال المسعودى) وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه فكانت أيامه أربعين يوما الى أن مات وقيل شهرين وقيل غير ذلك وكان يكنى بأبى يزيد وكنى حين ولى الخلافة بابى ليلى وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب وفيه يقول الشاعر

انى أرى فتنة هاجت مراجلها
والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت اليه بنو أمية فقالوا له اعهد الى من رأيت من أهل بيتك فقال والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف انقلد وزرها وتتحملون أنتم حلاوتها وتجعل مرارتها اللهم انى برئ منها متخل عنها اللهم انى لا أجد نفرا كاهل الشورى فاجعلها اليهم ينصبون من يرونه أهلا لها فقالت له أمه ليت أنك خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام فقال لها وليتنى يا أماه خرقة حيضة ولم أتقلد هذا الامر أتفوز بنو أمية بحلاوتها

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام توفي ببغداد وكان قدمها ومعه امر أنه أم الفضل ابنة المأمون فدفن بها عند جده موسى بن جعفر وهو أحد الائمة عند الامامية وصلى عليه الواثق وكان عمره خمسا وعشرين سنة وكانت وفاته في ذي الحجة وقيل في سبب موته غير ذلك

﴿ ثم دخلت سنة احدى وعشرين ومائتين ﴾

﴿ ذكر محاربة بابك ﴾

في هذه السنة واقع بابك بغا الكبير فهزمه وواقعه الافشين فهزم بابك وكان سبب ذلك أن بغا الكبير كان قد قدم بالمال الذي كان معه الى الافشين ففرقه في اصحابه وتجهز بعد النيروز ووجه الى بغا في عسكر ليدور حول هشتادسر وينزل في خندق محمد بن حميد ويحفره ويحكمه فسار بغا الى الخندق ورحل الافشين من برزند ورحل ابو سعيد من خش بريدان بابك فتوافوا بمكان يقال له دروذ فحفر الافشين خندقا وبنى عليه سورا وكان بينه وبين البذ ستة أميال ثم ان بغا تجهز بغير أمر الافشين وحمل معه الزاد ودار حول هشتادسر حتى دخل قرية البذ فنزلها فاقام بها ثم وجه ألف رجل في علافة له فخرج عليهم بعض عساكر بابك وأخذ العلافة وقتل كل من كان قاتله وأسر من قدر عليه وأخذ بعضهم فارسل منهم رجلين الى الافشين يعلمانه ما نزل بهم ورجع بغا الى خندق محمد بن حميد تشبها بالمنهزم وكتب الى الافشين يعلمه ذلك ويسأله المدد فوجه اليه الافشين أخاه الفضل واحمد بن الخليل بن هشام وابن جوشن وجناسا الاعور صاحب شرطة الحسن بن سهل واحد الاخوين قرابة الفضل بن سهل فاتوا بغا وكتب الافشين الى بغا يعلمه ان يغزو بابك في يوم عينه له ويأمره ان يغزو في ذلك اليوم بعينه فيحاربه من الوجهين فخرج الافشين ذلك اليوم من دروذ يريد بابك وخرج بغا من خندقه فخرج الى هشتادسر فلم يكن للناس صبر لشدة البرد والريح فانصرف الى عسكره فعسكر على دعوة وهاجت ريح باردة ومطر شديد فرجع بغا الى عسكره وواقعهم الافشين من الغد بعد رجوع بغا فهزم اصحاب بابك وأخذ عسكره وخيمه واموأله كانت معه ونزل الافشين في معسكر بابك ثم تجهز بغا من الغد وصعد الى هشتادسر فاصاب العسكر وكان بازائه قد انصرف الى بابك فاصاب من أثاثهم ورحلهم شيأ وانحدر من هشتادسر يريد البذ وعلى مقدمته داود سياه فارسل اليه بغا ان المساء قد ادركنا وقد تعب الرجاله وتوسطنا المكان الذي قد تعرفه فانظر جبلا حصينا حتى نعسكر فيه ليلتنا هذه فصعد بهم الى جبل اشرفوا منه على عسكر الافشين فقال نبيت ههنا الى غدوة ونحدر الى الكافر ان شاء الله تعالى فجاءهم تلك الليلة سحاب وبرد وثلج كثير فاصبحوا ولا يقدر أحد منهم أن ينزل فيأخذ ماء ولا يسقي دابته من شدة البرد واشتد عليهم الثلج والضباب فلما كان اليوم الثالث قال الناس لبغا قد فنى ما معنا من الزاد وقد أضر بنا البرد فانزل على أي حالة كانت اما راجعين واما الى الكافر وكان بابك في أيام الضباب والثلج قد بيت الافشين وبعض عسكره وانصرف الافشين الى عسكره فضرب بغا الطبل وانحدر يريد البذ ولا يعلم بما تم على الافشين بل يظنه في موضع عسكره فلما نزل الى بطن الوادي رأى السماء صحيحة والدنيا طيبة غير رأس الجبل الذي كان عليه وهي أصحابه وتقدم الى البذ حتى صار بحيث يلزق جبل البذ ولم يبق بينه وبين أن يشرف على أبيات البذ الا صعود نصف ميل وكان على مقدمته جماعة فيهم غلام لابن البعيث له قرابة بالبذ فلقيهم طلائع بابك فعرف بعضهم الغلام فسأله عما له عمن معه من أهله فاخبره فقال له ارجع وقل لمن تعني به يتنحى فانا قد هزمنا الافشين ومضى الى خندقه ونهبنا لكم عسكرين فعجل الانصراف لعلك تفلت فرجع الغلام

وأبوه بوزرها ومنعها أهلها كلا أني ابرى منها (وقد تنوزع) في سبب وفاته فمنهم من رأى أنه سقي شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أنه طعن وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ودفن بدمشق وصلى عليه الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان فقالوا نبايعك قال على ان لا أحارب ولا أباشر قتالا فابوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل في جملة ابن الزبير وزال الامر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها ولا يتشوف نحوها ولا يرتجي أحد منهم لها وبايع أهل العراق عبد الله بن الزبير فاستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع العدوي فقال المختار بن أبي عبيد الثقفي لابن الزبير اني لا عرف قوما لو أن لهم رجلا له رفق وعلم بما يأتي لاستخرج لك منهم جندا تغلب بهم أهل الشام فقال من هم قال شيعة بني هاشم بالكوفة قال كن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم ويظهر

فاخبر ابن البعيث فاخبر بغا بذلك فشاور أصحابه فقال بعضهم هذا باطل هذه خدعة وقال بعضهم هذا رأس جبل ينظر الى عسكر الافشين فصعد بغا ومعه نفر الى رأس الجبل فلم يروا عسكر الافشين فتيقن انه مضى وتشاوروا فرأوا ان ينصرف الناس قبل ان يجيئهم الليل فانصرفوا وجدوا في السير ولم يقصد الطريق الذي دخل منه لكثرة مضايقه بل أخذ طريقا يقايد وحول هشتادسر ليس فيه غير مضيق واحد فطرح الرجالة سلاحهم في الطريق وحافوا وصار بغا وجماعة القواد في الساقة وطلائع بابك تتبعهم وهم قدر عشرة فرسان فشاور بغا أصحابه وقال لا آمن ان يكون هؤلاء مشغلة لنا عن السير وتقدم أصحابهم ليأخذوا المضيق علينا فقال له الفضل ان هؤلاء أصحاب الليل فاسرع السير ولا تنزل حتى تجاوز المضيق وقال غيره ان العسكر قد تقطع وقد رموا سلاحهم وقد بقي المال والسلاح على البغال ليس معه أحد ولا أمن ان يؤخذ ويؤخذ الاسير الذي معهم وكان ابن جويدان معهم أسيرا يريدون ان يفادوا به فعسكر على رأس جبل حصين ونزل الناس وقد كلوا وتعبوا وفنيت أزوادهم فباتوا يتحارسون من ناحية المصعد فاتاهم بابك من الناحية الاخرى فكبسوا بغا والعسكر وخرج بغا راجلا فرأى دابة فركبها وجرح الفضل بن كاوس وقتل جناح السكري وابن جوشن وأخذ الاخوين قرابة الفضل بن سهل ونجا بغا والناس ولم تتبعهم الخرمية وأخذوا المال والسلاح والاسير فوصل الناس معسكرهم منقطعين الى خندقهم فاقام بابه خمسة عشر يوما وكتب اليه الافشين يأمره بالرجوع الى مراغة وان يرسل اليه المدد ففعل بغا الى مراغة وفرق الافشين الناس في مشاتيهم تلك السنة حتى جاء الربيع وفيها قتل طرخان وهو من أكبر قواد بابك وكان سبب قتله انه طلب من بابك اذنا حتى يشتي في قريته وهي بناحية مراغة وكان الافشين يرصده فلما علم خبره أرسل الى ترك مولى اسحق بن ابراهيم وهو بمراغة يأمره ان يسري اليه في قريته حتى يقتله أو يأخذه أسيرا ففعل ترك ذلك وأسرى اليه وقتله وأخذ رأسه فبعثه الى الافشين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة قدم صول ارتكين وأهل بلاده في القيود فنزعت قيودهم وحمل على الدواب نحو مائتين وفيها غضب الافشين على رجاء الحضاري وبعث به مقيدا وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله وهو والي مكة (الحضاري بكسر الحاء المهملة وبالضاد المعجمة وبعد الالف راء وياء) وفيها توفي القاضي أحمد بن محرز قاضي القيروان وكان من العلماء العاملين الزاهدين في الدنيا * وفيها توفي آدم بن أبي الياس العسقلاني وهو من مشايخ البخاري في صحيحه وعيسى بن أبان بن صدقة أبو موسى قاضي البصرة وهو من أصحاب أبي الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة وعبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي صاحب مالك وعبد الكبير بن المعافى بن عمران الموصلي وكان فاضلا والعباس بن سليم بن جميل الازدي الموصلي

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين﴾

﴿ذكر محاربة بابك أيضا﴾

في هذه السنة وجه المعتصم الى الافشين جعفرا الخياط مدداله ووجه اليه ايتاخ ومعه ثلاثون ألف ألف درهم للجند وللنفقات فأوصل ذلك الى الافشين وعاد وفيها كانت وقعة بين أصحاب الافشين وقائد لبابك اسمه آذين وكان سببها ان الشتاء لما انقضى سنة احدى وعشرين ومائتين وجاء الربيع ودخلت سنة اثنتين وعشرين رحل الافشين عند امكان الزمان فصار الى موضع يقال

الحنين والجزع لهم ويحث على أخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم فمالت الشيعة اليه وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة فاخرج مطيعا منه وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه دارا واتخذ بستانا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها من بيت المال وفرق الاموال على الناس بها تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير يعلمه انه انما اخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها ويسوم ابن الزبير أن يحتسب له بما أنفقه من بيت المال فأبى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار طاعته وجدد بيعته وكتب المختار كتابا الى علي بن الحسين السجاد يريده على أن يبايع له ويقول بامامته ويظهر دعوته وانفذ اليه مالا كثيرا فابى علي أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه وسبه على رؤس الملا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل أبي طالب فلما يئس المختار من علي بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك فأشار عليه علي بن الحسين ان لا يجيبه الى شئ من ذلك فان الذي يحمله على ذلك اجتذابه لقلوب الناس بهم

وتقربه اليهم بمحبتهم وباطنه مخالف لظاهره فى الميل اليهم والتولى لهم والبراءة من أعدائهم بل هو من أعدائهم لا من أوليائهم والواجب عليه ان يشهر أمره ويظهر كذبه على حسب ما فعل هو وأظهر من القول فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك فقال له ابن العباس لا تفعل فانك لا تدرى ما أنت عليه من ابن الزبير فاطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار واشتد أمر المختار بالكوفة وكثر رجاله ومال الناس اليه وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم فى أنفسهم وعقولهم فمنهم من يخاطبه بامامة محمد بن الحنفية ومنهم من يرفعه عن هذا فيخاطبه بان الملك يأتيه بالوحى ويخبره بالغيب وتتبع قتلة الحسين فقتلهم قتل عمرو بن سعد بن أبى وقاص الزهرى وهو الذى تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه فزاد ميل أهل الكوفة اليه ومحبتهم له وأظهر ابن الزبير الزهد فى الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال اغا بطنى شبر فاعسى ان يسع ذلك من الدنيا وأنا

له كلان روذ وتفسيره نهر كبير فاحتفر عنده خندقا وكتب الى أبى سعيد ليرحل من برزند الى طرف رستاق كلان روذ وبينهما قدر ثلاثة أميال فاقام الافشين بكلان روذ خمسة أيام فاتاه من أخبره ان قائدا لبابك اسمه آذين قد عسكر بازائه وانه قد صير عياله فى خيل فقال له بابك أتجعلهم فى الحصن فقال لا أتحصن من اليهودى يعنى المسلمين والله لا أدخلتهم حصنا أبدا فوجه الافشين ظفر بن العلاء السعدى فى جماعة من الفرسان والرجالة فسار والليلتهم فوصلوا الى مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد وأكثر الناس قادوا دوابهم وتسلقوا فى الجبل وأخذوا عيال آذين وبعض ولده وبلغ الخبر آذين وكان الافشين قد خاف ان يؤخذ عليهم الطريق فأمرهم ان يجعلوا على رأس كل جبل رجالا معهم الاعلام السود فان رأوا شيأ يخافونه حركوا الاعلام ففعلوا ذلك فلما أخذوا عيال آذين ورجعوا الى بعض الطريق قبل المضيق أتاهم آذين فى أصحابه فحاربوهم فقتل منهم قتلى واستنقذوا بعض النساء فنظر الرجال المرتبون برؤس الجبال فحركوا الاعلام وكان آذين قد أنفذ من يسد عليهم المضيق فلما رأى الافشين تحريك العلم الذى بازائه سير جماعة من الجند مع مظفر بن كبذر فاسرع نحوهم ووجه أبا سعيد بعدهم وبخارا خذاه فلما نظر اليهم رجالة آذين الذين على المضيق تركوه وقصدوا أصحابهم فنجا ظفر بن العلاء ومن معه ومعهم بعض عيال آذين

﴿ ذكر فتح البذ وأسر بابك ﴾

وفى هذه السنة فتحت البذ مدينة بابك ودخلها المسلمون وخربوها واستباحوها وذلك لعشر بقين من شهر رمضان وكان سبب ذلك ان الافشين لما عزم على الدنو من البذ والرحيل من كلان روذ جعل يتقدم قليلا قليلا خلاف ما تقدم وكتب اليه المعتصم يأمره ان يجعل الناس نوائب يقفون على ظهور الخيل نوبا فى الليل مخافة البيات فضج الناس من التعب وقالوا بيننا وبين العدو أربعة فراسخ ونحن نفعل أفعالا كان العدو بازائنا قد استحيينا من الناس أقدم بنا فاما لنا واما علينا فقال أعلم ان قولكم حق ولكن أمير المؤمنين أمرنى بهذا فلم يلبث ان جاءه كتاب المعتصم يأمره ان يفعل كما كان يفعل فلم يزل كذلك أياما ثم انحدر حتى نزل روذ الروذ وتقدم حتى شارف الموضع الذى كانت به الوقعة فى العام الماضى فوجد عليه كردوسا من الخرمية فلم يحاربهم ولم يزل الى الظهر ثم رجع الى معسكره فمكث يومين ثم عاد فى أكثر من الذين كانوا معهم ولم يقاتلهم وأقام الافشين بروذ الروذ وأمر الكوهبانية وهم أصحاب الاخبار ان ينظروا له فى رؤس الجبال مواضع تحصن فيها الرجالة فاختار وا له ثلاثة أجبل كان عليها حصون فخربت فاخذ معه الفعلة وسار نحو هذه الجبال وأخذ معه الكعك والسويق وأمر الفعلة بنقل الحجارة وسد الطريق الى تلك الجبال حتى صارت كالحصون وأمر بحفر خندق على كل طريق وراء تلك الحجارة ولم يترك مسلكا الى الجبال منها الا مسلكا واحدا ففرغ من الذى أراد من حفر الخنادق فى عشرة أيام وهو والناس يحرسون الفعلة والرجالة ليلا ونهارا فلما فرغ منها أدخل الرجالة اليها وأنفذ اليه بابك رسولا ومعه قثاء وبطيخ وخيار ويعلمه انه قد تعب وشق من أكل الكعك وانا فى عيش رغد فقبل ذلك منه وقال قد عرفت ما أراد أخى وأصعد الرسول فاراه ما عمل وأطاف به خنادقه كلها وقال اذهب فعرفه ما رأيت وكان جماعة من الخرمية يأتون الى قريب خندق الافشين فيصيحون فلم يترك الافشين أحدا يخرج اليهم فعلوا ذلك ثلاثة أيام ثم ان الافشين كمن لهم كمينا فلما جاؤا ثاروا عليهم فهربوا ولم يعودوا وعبى الافشين أصحابه وأمر كلا منهم بلزوم موضعه وكان يركب والناس فى مواقفهم

فكان يصلى الصبح بغلس ثم يضرب الطبول ويسير زحفا وكانت علامته فى المسير والوقوف ضرب الطبول لكثرة الناس ومسيرهم فى الجبال والاودية على مصافهم فاذا سار ضربها واذا وقف أمسك عن ضربها فيقف الناس جميعا ويسيرون جميعا وكان يسير قليلا قليلا كلما جاءه كوهبانى بخبر سار أو وقف وكان اذا أراد أن يتقدم الى المكان الذى كانت به الوقعة عام أول خلف بخارا خذاه على رأس العقبة فى ألف فارس وستمائة راجل يحفظون الطريق لئلا يأخذه الحرمية عليهم وكان بابك اذا أحس بجيشهم وجه جمعا من أصحابه فيكمنون فى واد تحت تلك العقبة تحت بخارا خذاه واجتهد الافشين ان يعرف مكان كمين بابك فلم يعلم بهم وكان يأمر أبا سعيد ان يعبر الوادى فى كردوس ويأمر جعفر الخياط ان يعبر فى كردوس ويأمر أحمد بن الخليل ابن هشام ان يعبر فى كردوس آخر فيصير فى ذلك الجانب ثلاثة كراديس فى طرف اساتهم ٣ وكان بابك يخرج عسكره فيقف بازاء هذه الكراديس لئلا يتقدم منهم أحد الى باب البذ وكان يفرق عساكره كمينا ولم يبق الا فى نفر يسير وكان الافشين يجلس على تل مشرف ينظر الى قصر بابك والناس كراديس فمن كان معه من جانب الوادى نزل عن دابته ومن كان من ذلك الجانب مع أبى سعيد وجعفر وأحمد بن الخليل لم يترك التربة من العدو وكان بابك وأصحابه يشربون الخمر ويضربون بالسرنائى فاذا صلى الافشين الظهر رجع الى خندقه بروذ الروذ فكان يرجع أولا أقربهم الى العدو ثم الذى يليه ثم الذى يليه فكان آخر من يرجع بخارا خذاه لانه كان أبعدهم عن العدو فاذا رجعوا صاح بهم الحرمية فلما كان فى بعض الايام ضجرت الحرمية من المطاولة وانصرف الافشين كعادته وعادت الكراديس التى بجانب ذلك الوادى ولم يبق الا جعفر الخياط فتح الحرمية باب البذ وخرج منهم جماعة على أصحاب جعفر وارتفعت الصيحة فتقدم جعفر بنفسه فرد أولئك الحرمية الى باب البذ ووقعت الصيحة فى العسكر فرجع الافشين فرأى جعفرا وأصحابه يقاتلون وخرج من الفريقين جماعة وجلس الافشين فى مكانه وهو يتلظى على جعفر ويقول أفسد على تعبيتى وارتفعت الصيحة فكان مع أبى دلف قوم من المتطوعة فعبروا الى جعفر بغير أمر الافشين وتعلقوا بالبذ وأثروا فيه أثرا وكادوا يصعدونه فيدخلون البذ ووجه جعفر الى الافشين أن أمدنى بخمسمائة راجل من الناشبة فانى أرجو ان أدخل البذ ان شاء الله تعالى فبعث اليه الافشين انك أفسدت على أمرى فتخلص قليلا قليلا وخلص أصحابك وانصرف وارتفعت الصيحة من المتطوعة حتى تعلقوا بالبذ وظن الكمناء الذين لبابك ان الحرب قد اشتبكت فوثب بعضهم من تحت بخارا خذاه ووثب بعضهم من ناحيه أخرى فتحركت الكمناء من الحرمية والناس على رؤسهم فلم يزل منهم أحد فقال الافشين الحمد لله الذى بين مواضع هؤلاء ورجع جعفر وأصحابه والمتطوعة فجاء جعفر الى الافشين فانكر عليه حيث لم يعده وجرى بينهما نفرة شديدة وجاء رجل من المتطوعة ومعه صخرة فقال للافشين أتردنا وهذا الحجر أخذته من السور فقال اذا انصرفت عرفت من على طريقك يعنى الكمين الذى عند بخارا خذاه وقال لجعفر لو ثار هذا الكمين الذى تحتك كيف كنت ترى هؤلاء المتطوعة ثم رجع هو وأصحابه على عادتهم فلما رأى هؤلاء الكمين الذى عند بخارا خذاه علموا ما كان وراءهم فان بخارا خذاه لو تحرك نحو القتال لملكوا ذلك الموضع وهلك المسلمون عن آخرهم فأقام الافشين بخندقه أياما فشكا المتطوعة اليه ضيق العلوفة والزاد والنفقة فقال من صبر فليصبر ومن لا فالطريق واسع فلينصرف وفى جند أمير المؤمنين كفاية فانصرف

العائذ بالبيت والمستجير
بالرب وكثرت أذيته لبنى
هاشم مع شحه بالدنيا لبنى
سائر الناس ففى ذلك يقول
أبو حرة مولى الزبير
ان الموالى أمست وهى عاتبة
على الخليفة تشكو الجوع
والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا
أى الملوك على ما حولنا غلبا
وفيه يقول بعد مفارقته اياه
مازال فى سورة الاعراف
يقرؤها
حتى فؤادى مثل الخرف
اللين
لو كان بطنك شبرا قد
شبعت وقد
فضلت فضلا كثير اللمساكين
ان امرأ كنت مولاه
فضيعنى
يرجو الفلاح لعمرى حق
مغبون
وفيه يقول أيضا
فيارا كبا اما عرصت فبلغن
كبير بنى العوام ان قيل من
تعنى
تخبر من لاقيت أنك عائد
وتكثر قتلا بين زمزم والركن
وفيه يقول الضحاك بن
فيروز الديلمى
تخبرنا ان سوف تكفيك
قبضة
وبطنك شبر أو أقل من
الشبر
وأنت اذا ما نلت شيأ قضمته
كما قضمت نار الغضى حطب
السدر

المتطوعة يقولون لو ترك الافشين جعفرا وتركنا لاخذنا البذ لكنه يشتهي المطاولة فبلغه ذلك وما تناوله المتطوعة بالسنتهم حتى قال بعضهم انى رأيت رسول الله فى المنام قال لى قل للافشين ان أنت حاربت هذا وجددت فى أمره والا أمرت الجبال ان ترجمك بالحجارة فتحدث الناس بذلك فبلغ الافشين فاحضره وسأله عن المنام فقصه عليه فقال الله يعلم نيتى وما أريد بهذا الخلق وان الله لو أمر الجبال برجم أحد لرجم هذا الكافر فكفانا مؤنته فقال رجل من المتطوعة أيها الامير لا تحرمنا شهادة ان كانت حضرت وانما قصدنا ثواب الله ووجهه فدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد ان يكون باذنك لعل الله ان يفتح علينا فقال الافشين انى أرى نياتكم حاضرة واحسب هذا الامر يريده الله تعالى وهو خير ان شاء الله تعالى وقد نشطتم ونشط الناس وما كان هذا رأيى وقد حدث الساعة لما سمعت من كلامكم اعزموا على بركة الله أى يوم أردتم حتى نناهضه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فخرجوا مستبشرين فتأخر من أراد الانصراف ووعد الافشين الناس ليوم ذكره لهم وأمر الناس بالتجهز وحمل المال والزاد والماء وجعل المحامل على البغال تحمل الجرحى وزحف بالناس ذلك اليوم وجعل بخارا خذاه بعكابه على العقبة وجلس الافشين بالمكان الذى كان يجلس فيه وقال لابى دلف قل للمتطوعة أى ناحية أسهل عليكم فاقتصروا عليها فقال لجعفر العسكر كله بين يديك والشابة والنعاطون فان أردت فخذ منهم ما تريد واعزم على بركة الله وتقدم من أى موضع تريده فسار الى الموضع الذى كان به ذلك اليوم وقال لابى سعيد قف عندى أنت وأصحابك وقال لجعفر قف أنت ههنا لمكان عينه له فان أراد جعفر رجالا أو فرسانا أمددناه وتقدم جعفر والمتطوعة فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ وضرب جعفر باب البذ ووقف عنده يقاتل عليه ووجه الافشين اليه والى المتطوعة بالاموال لتفرق فيهم ويعطى من تقدم وأمدهم بالفعلة معهم الفؤس وبعث اليهم بالمياه لئلا يعطشوا وبالكعك والسويق فاشتبكت الحرب على الباب طويلا ففتحت الحرمية الباب وخرجوا على أصحاب جعفر فحوهم عن الباب وشدوا على المتطوعة من الناحية الاخرى فطرحوهم عن السور ورموهم بالصخر وأثروا فيهم وضعفوا عن الحرب وأخذ جعفر من أصحابه نحو مائة رجل فوقفوا خلف تراسهم متحاجزين لا يقدم أحد على الآخر فلم يزالوا كذلك حتى صليت الظهر فتحاجزوا وبعث الافشين الرجالة الذين كانوا عنده نحو المتطوعة وبعث الى جعفر بعضهم خوفا ان يطمع العدو فقال جعفر لست أوتى من قلة ولكنى لا أرى للحرب موضعا يتقدمون فيه فامره بالانصراف فانصرف وحمل الافشين الجرحى ومن به وهن من حجر فحملوا فى المحامل على البغال وانصرفوا عنهم وأيس الناس من الفتح تلك السنة وانصرف أكثر المتطوعة ثم ان الافشين تجهز بعد جمعتين فلما كان جوف الليل بعث الرجالة الشابة وهم ألف رجل وأعطى كل واحد منهم شكوة وكعكا وأعطاهم اعلاما غير مركبة وبعث معهم أدلاء فساروا فى جبال منكرة صعبة فى غير طريق حتى صاروا خلف التل الذى يقف آذين عليه وهو جبل شاهق وأمرهم ان لا يعلم بهم أحد حتى اذا رأوا أعلام الافشين وصلوا الغداة ورأوا الوقعة ركبوا تلك الاعلام فى الرماح وضربوا الطبول وانحدروا من فوق الجبل ورموا بالنشاب والصخر على الحرمية وان هم لم يروا الاعلام لم يتحركوا حتى يأتيهم خبره ففعلوا ذلك فوصلوا الى رأس الجبل عند السحر فلما كان فى بعض الليل وجه الافشين الى الجند وأمرهم بالتجهز للحرب فلما كان فى بعض الليل وجه بشيرا التركى وقوادا من الشراغنة كانوا معه فامرهم ان يسيروا حتى يصيروا تحت التل الذى عليه آذين وكان يعلم ان بابك يكمن تحت ذلك الجبل فسار والليلا ولا يعلم بهم أكثر

اهل

فلو كنت تحزى أو تثيب بنعمة

فربما لذلك العطوف على عمرو وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان المدينة فسرح منها جيشا الى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير أخوه وكان عمرو منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فطفر به أخوه عبد الله وأقامه للناس بباب المسجد الحرام محرادا ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات وحبس عبد الله بن الزبير الحسن بن محمد بن الحنفية فى الحبس المعروف بحبس غارم وهو حبس موحش مظلم وأراد قتله فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية ففى ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت أنك عائد

بل العائد المظلوم فى سجن غارم

ومن برهذا الشيخ بالخيف من منى

من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمى نبى الله وابن وصيه

وفكاك أغلال وقاضى مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد الى من بمكة من بنى هاشم يحصرهم فى الشعب وجمع

أهل العسكر ثم ركب هو والعسكر مع السحر فصلى الغداة وضرب الطبل وركب فاتى الموضع الذى كان يقف فيه فقعد على عادته وأمر بخبار اخذاه ان يقف مع جعفر الخياط وأبى سعيد وأحمد ابن الخليل بن هشام ونزل الموضع الذى كان يقف فيه فانكر الناس ذلك وأمرهم ان يقربوا من التل الذى عليه آذين فيحدقوا به وكان قبل ينهاهم عنه ومضى الناس مع هؤلاء القواد الاربعة وكان جعفر مما يلى الباب والى جانبه أبو سعيد والى جانب أبى سعيد بخار اخذاه وكان أحمد مما يلى بخارا خذاه فصار واجميعا حول التل وارتفعت الضجة من أسفل الوادى فوثب كمين بابك ببشير التركى والفراغنة فحاربوهم وسمع أهل العسكر صيحتهم فاراد والحركة فأمر الافشين مناديا ينادى فيهم ان بشيرا قد اثار كمينا فلا يتحركن أحد فسكنوا ولما سمع الرجال الذين كان سيرهم حتى صاروا فى أعلى الجبل صيحة العسكر ركبوا الاعلام على الرماح فنظر الناس الى الاعلام تنحدر من الجبل على خيل آذين فوجه آذين اليهم بعض أصحابه وحمل جعفر وأصحابه على آذين وأصحابه حتى صعدوا اليه فحملوا عليه حملة منكرة فانحدر الى الوادى وحمل عليه جماعة من أصحاب أبى سعيد فاذا تحت دوابهم آبار محفورة فتساقطت الفرسان فيها فوجه الافشين الفعلة يطمون تلك الآبار ففعلوا وحمل الناس عليهم حملة شديدة وكان آذين قد جعل فوق الجبل عجلة عليها صخر فلما حمل الناس عليهم دفع تلك العجلة عليهم فافرج الناس منها حتى تدحرجت ثم حمل الناس من كل وجه فلما نظر بابك الى أصحابه قد أحدق بهم خرج من طرف البذ مما يلى الافشين فاقبل نحوه فقيل للافشين ان هذا بابك يريدك فتقدم اليه حتى سمع كلامه وكلام أصحابه والحرب مشتبكة فى ناحية آذين فقال أريد الامان من أمير المؤمنين فقال له الافشين قد عرضت هذا عليك وهو لك مبذول متى شئت فقال قد شئت الآن على ان تؤخرنى حتى أحمل عيالى واتجهز فقال له الافشين انا أنصحك خروجك اليوم خير من غد فقال قد قبلت هذا قال الافشين فابعث بالرهائن فقال نعم أما فلان وفلان فهم على ذلك التل فرأصحابك بالتوقف فجاء رسول الافشين ليرد الناس فقيل له ان اعلام الفراغنة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور فركب وصاح بالناس فدخل ودخلوا وصعد الناس بالاعلام فوق قصور بابك وكان قد كمن فى قصوره وهى أربعة سمائة رجل فخرجوا على الناس ففناتلوهم ومر بابك حتى دخل الوادى الذى يلى هشتادسر واشتغل الافشين ومن معه بالحرب على أبواب القصور فأحضر النفاطين فأحرقوها وهدم الناس القصور فقتلوا الخرمية عن آخرهم وأخذ الافشين أولاد بابك وعياله وبقى هنالك حتى أدركه المساء وأمر الناس بالانصراف فرجعوا الى الخندق بروذار وذوأما بابك فانه سار فيمن معه وكانوا قد عادوا الى البذ بعد رجوع الافشين فأخذوا ما أمكنهم من الطعام والاموال ولما كان الغد رجع الافشين الى البذ وأمر بهدم القصور واحراقها ففعلوا فلم يدع منها بيتا وكتب الى مولاه أرصيفه وبطارقتهم يعلمهم ان بابك قد هرب وعدة معه وهو مارّ بكم وأمرهم بحفظ نواحيهم ولا يمر بهم أحد الا أخذوه حتى يعرفوه وجاءت جواسيس الافشين اليه فأعلموه بموضع بابك وكان فى واد كثير الشجر والعشب طرفه باذربيجان وطرفه الآخر بارمينية ولم يمكن الخيل نزوله ولا يرى من يستخفى فيه لكثرة شجره ومياهه ويسمى هذا الوادى غيضة فوجه الافشين الى كل موضع فيه طريق الى الوادى جماعة من أصحابه يحفظونه وكانوا خمسة عشر جماعة وورد كتاب المعتصم فيه أمان بابك فدعا الافشين من كان استأمن اليه من أصحابه فاعلمهم ذلك وأمرهم بالمسير اليه بالكتاب وفيهم ابنه فلم يجسر أحد منهم خوفا منه فقال انه يشرح بهذا الامان فقالوا نحن اعرف

لهم خطبا عظيما لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد وفى القوم محمد ابن الحنفية وحدث النوفلى على بن سليمان عن فضيل ابن عبد الوهاب الكولى عن أبى عمران الرازى عن قطن بن خليفة عن الذيال ابن حرملة قال كنت فيمن استنفره أبو عبد الله الجدلى من الكوفة من قبل المختار فنفرنا معه فى أربعة آلاف فارس فقال أبو عبد الله هذه خيل عظيمة وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيحمل على بنى هاشم فيأتى عليهم فانتدبوا معى فانتدبنا معه فى ثمانمائة فارس جريدة خيل فخشعر ابن الزبير الاوراياث تخفق على رأسه قال فجئنا الى بنى هاشم فاذا هم فى الشعب فاسرجنا هم فقال لنا ابن الحنفية لا تقتلوا الا من قاتلكم فلما رأى ابن الزبير تنمر له وافدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة وقال أنا عائذ الله (وحدث) النوفلى فى كتابه فى الاخبار عن ابن عائشة عن أبيه عن حماد بن سلمة قال كان عروة ابن الزبير يعذر أخاه اذا جرى ذكر بنى هاشم وحصره اياهم فى الشعب وجمعه الحطب لتحريقهم ويقول انما اراد بذلك ارهابهم ليدخلوا فى طاعته كما أرهب

به منك فقام رجلان فقالا اضمن لنا أنك تجرى على عيالاتنا فضمن لهما فسارا بالكتاب فلما رآه أعلماه ماقد ماله فقتل أحدهما وأمر الآخر أن يعود بالكتاب الى الافشين وكان ابنه قد كتب اليه معهما كتابا فقال ذلك الرجل قل لابن الفاعلة ان كنت ابنى لحقت بى ولكنك لست ابنى ولان تعيش يوما واحدا وأنت رئيس خير من ان تعيش أربعين سنة عبدا ذليلا وقعد فى موضعه فلم يزل فى تلك الغيضة حتى فنى زاده وخرج من بعض تلك الطرق وكان من عليه من الجند قد تنحوا قريبا منه وتركوا عليه أربعة نفر يحرسونه فبينما هم ذات يوم نصف النهار اذ خرج بابك وأصحابه فلم يروا العسكر ولا أولئك الذين يحرسون المكان فظن ان ليس هناك أحد فخرج هو وعبد الله أخوه ومعاوية وأمه وامرأة أخرى وسارا يريدون ارمينية فرآهم الحراس فارسلوا الى أصحابهم انا قد رأينا فرسانا لا ندرى من هم وكان أبو الساج هو المقدم عليهم فركب الناس وساروا نحوهم فرأوا بابك وأصحابه قد نزلوا على ماء يتغدون فلما رأى العساكر ركب هو ومن معه فنجا هو وأخذ معاوية وأم بابك والمرأة الاخرى فارسلهم أبو الساج الى الافشين وسار بابك فى جبال ارمينية مستخفيا فاحتاج الى طعام وكان بطارقة ارمينية قد تحفظوا بنواحيهم وأوصوا أن لا يجتاز بهم أحد الا أخذوه حتى يعرفوه وأصاب بابك الجوع فرأى حراثا فى بعض الاودية فقال لغلامه انزل الى هذا الحراث وخذ معك دنانير ودراهم فان كان معه خبز فاشتر منه وكان للحراث شريك قد ذهب لحاجة فنزل الغلام الى الحراث ليأخذ منه الطعام فرآه رفيق الحراث فظن انه يأخذ ما معه غصبا فعدا الى المسلحة واعلمهم ان رجلا عليه سيف وسلاح قد أخذ خبز شريكه فركب صاحب المسلحة وكان فى جبال ابن سنباط فوجه الى سهل بن سنباط بالخبر فركب فى جماعة فوافى الحراث والغلام عنده فسأل عنه فاخبره الحراث خبره فاخبره الغلام عن مولاه فدله عليه فلما رأى وجه بابك عرفه فترجل له وأخذ بيده فقبلها وقال أين تريد قال بلاد الروم قال لا تجد أحدا أعرف بحقك منى وليس بينى وبين السلطان عمل وكل من ههنا من البطارقة انما هم أهل بيتك قد صار لك منهم أولاد وذلك ان بابك كان اذا علم ان عند بعضهم من النساء امرأة جميلة طلبها فان بعث بها اليه والا أسرى اليه فاخذها ونهب ماله وعاد فخدعه ابن سنباط حتى صار الى حصنه وأرسل بابك أخاه عبد الله الى حصن اصطفانوس فارسل ابن سنباط الى الافشين يعلمه بذلك فكتب اليه الافشين يعده ويمنيه ووجه اليه أبا سعيد وبورماره وأمرهما بطاعته وأمرهما ابن سنباط بالمقام فى مكان سماه وقال لا تبرحا حتى يأتيكما رسولى فيكون العمل بما يقول لكما ثم انه قال لبابك قد ضجرت من هذا الحصن فلو نزلت الى الصيد ففعل فلما نزل من الحصن أرسل ابن سنباط الى أبى سعيد وبورماره فأمرهما أن يوافياه أحدهما من جانب وادهناك والثانى من الجانب الآخر ففعلا فلم يجب ان يدفعه اليهما فبينما بابك وابن سنباط يتصيدان اذ خرج عليهما أبو سعيد وبورماره فى أصحابهما وعلى بابك دراعة بيضاء فأخذوها وأمروا بابك بالنزول وقال من أنتم فقال أنا أبو سعيد وهذا فلان فنزل ثم قال لابن سنباط القبيح وشتمه وقال انما بعتنى لليهود بشئ يسير لو أردت المال لاعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء فأركبه أبو سعيد وسار وابه الى الافشين فلما قرب من العسكر صعد الافشين وجلس ينظر اليه ووصف عسكره صفين وأمر بانزال بابك عن دابته ومشى بين الصفين وأدخله الافشين بيتا وكل به من يحفظه وسير معه سهل بن سنباط ابنه معاوية فأمر له الافشين بمائة ألف درهم وأمر لسهل بألف ألف درهم ومنطقة مغرفة بالجواهر وتاج البطرقة وأرسل الافشين الى عيسى بن يونس بن اصطفانوس يطلب منه عبد الله أخا بابك فانفذه

اليه

بنو هاشم وجمع لهم الحطب لاحراقهم اذ هم أبوا البيعة فيما سلف وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا وقد أتينا على ذكره فى كتابنا فى مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الاذهان وخطب ابن الزبير فقال قد بايعنى الناس ولم يتخلف الا هذا الغلام محمد بن الحنفية والموعد بينى وبينه أن تغرب الشمس ثم اضرم داره عليه نارا فدخل ابن العباس لابن الحنفية فقال يا ابن عم انى لا آمنه عليك فيما يعمه فقال سيمنعه منى حجاب قوى فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ويفكر فى كلام ابن الحنفية وقد كادت الشمس ان تغرب فوافاهم أبو عبد الله الجدلى فيما ذكرنا من الخيل وقالوا لابن الحنفية ائذن لنا فيه وأبى وخرج الى ايلة فأقام بها سنين ثم قتل ابن الزبير كذلك حدث عمر بن حبة التميمى عن عطاء بن مسلم فيما أخبرنا به أبو الحسن المهرانى البصرى بمصر وأبو اسحق الجوهرى بالبصرة وغيرهما وهؤلاء الذين وردوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية وهم القائلون بامامه محمد بن الحنفية وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم

اليه فحبسه مع أخيه وكتب الى المعتصم بذلك فامره بالقدوم بهما عليه وكان وصول بابك الى الافشين ببرزند لعشر خلون من شوّال وكان الافشين قد أخذ نساء كثيرة وصبيانا كثيرا ذكروا ان بابك أسرهم وانهم أحرار من العرب والدهاقين فامر بهم فجعلوا في حظيرة كبيرة وأمرهم ان يكتبوا الى أوليائهم فكل من جاء يعرف امرأة أو صبيا أو جارية وأقام شاهدين أخذه فاخذ الناس منهم خلقا كثيرا وبقي كثير منهم

﴿ ذكر استيلاء عبد الرحمن على طليطلة ﴾

قد ذكرنا عصيان أهل طليطلة على عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الاموي صاحب الاندلس وانفاذ الجيوش الى محاصرتهم مرة بعد مرة فلما كان سنة احدى وعشرين ومائتين خرج جماعة من أهلها الى قلعة رباح وبها عسكر لعبد الرحمن فاجتمعوا كلهم على حصر طليطلة وضيقوا عليها وعلى أهلها وقطعوا عنهم باقي مرافقهم واشتدوا في محاصرتهم فبقوا كذلك الى ان دخلت سنة اثنتين وعشرين فسير عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم اليها أيضا فرأى أهلها وقد بلغ بهم الجهد كل مبلغ واشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال والدفع فافتتحها قهرا وعنوة يوم السبت لثمان خلون من رجب وأمر بتجديد القصر على باب الحصن الذي كان هدم أيام الحكم وأقام بها الى آخر شعبان من سنة ثلاث وعشرين ومائتين حتى استقرت قواعد أهلها وسكنوا

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود وفيها ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقي يرى نحوا من أربعين ليلة وله شبه الذنب وكان أوّل ما طلع نحو المغرب ثم رؤي بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلا جدا فهال الناس ذلك وعظم عليهم ذكره ابن أبي أسامة في تاريخه وهو من الثقات الاثبات وفيها توفي يحيى بن صالح أبو زكريا الوحاظي وهو دمشقي وقيل حمصي وفيها توفي أبو هاشم محمد بن علي بن أبي خداش الموصلي وكان كثير الرواية عن المعافى بن عمران

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين ﴾

﴿ ذكر قدوم الافشين ببابك ﴾

في هذه السنة قدم الافشين الى سامرا ومعه بابك الخرمي وأخوه عبد الله في صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين وكان المعتصم يوجه الى الافشين في كل يوم من حين سار من برزند الى أن وافى سامرا خلعة وفرسا فلما صار الافشين بقناطر حذيفة تلقاه هرون الواثق بن المعتصم وأهل بيت المعتصم وأنزل الافشين بابك عنده في قصره بالمطيرة فاتاه أحمد بن أبي داود متنكرا فنظر الى بابك وكلمه ورجع الى المعتصم فوصفه له فاتاه المعتصم أيضا متنكرا فرآه فلما كان الغد قعد المعتصم واصطف الناس من باب العامة الى المطيرة فشهره المعتصم وأمر ان يركب على الفيل فركب عليه واستشرفه الناس الى باب العامة فقال محمد بن عبد الملك الزيات

قد خضب الفيل كعاداته * يحمل شيطان خراسان

والفيل لا تخضب أعضاؤه * الا لذي شأن من الشان

ثم أدخل دار المعتصم فأمر باحضار سياف بابك فحضر فأمره المعتصم أن يقطع يديه ورجليه فقطعهما فسقط فأمره بذبحه ففعل وشق بطنه وأنفذ رأسه الى خراسان وصلب بدنه بسامرا وأمر بحمل أخيه عبد الله الى اسحق بن ابراهيم ببغداد وأمره أن يفعل به ما فعل باخيه بابك ففعل به ذلك وضرب عنقه وصلبه في الجانب الشرقي بين الجسر بن قيل فكان الذي أخرج الافشين من

باماماة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع بموته ومنهم من زعم انه لم يمت وانه حي في جبال رضوى وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضا وانما سموا بالكيسانية لاضافتهم الى المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان اسمه كيسان ويكنى أبا عمرة أو هو غير المختار وقد أتينا على أقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من فرق الشيعة وطوائف الامة في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وذكرنا قول كل فريق منهم وما أيد به مذهبه وقول من ذكر منهم أن ابن الحنفية دخل الى شعب رضوى في جماعة من أصحابه فلم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية وقد ذكر جماعة من الاخباريين ان كثيرا الشاعر كان كيسانيا ويقول ان محمد بن الحنفية هو المهدي الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وحكى الزبير بن بكار في كتابه انساب قريش في انساب آل أبي طالب وأخبارهم منه قال أخبرني عمير قال قال كثير ابيات له يذكر ابن الحنفية رضي الله عنه وأولها

هو المهدي خبرناه كعب
أخو الاحبار في الحقب الخوالي

أقر الله عيني اذ دعاني
أمين الله يلطف في السؤال
وأثنى في هواي علي خيلا

المال مدة مقامه بازاء بابك سوى الارزاق والانزال والمعارف فى كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم وفى يوم لا يركب فيه خمسة آلاف وكان جميع من قتل بابك فى عشرين سنة مائتى ألف وخمسة وخمسين ألفا وخمسمائة انسان وغلب من القواد يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبى خالد وأحمد بن الجنيد فاسره وزريق بن على بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسى وابراهيم بن الليث وكان الذين أسر واصلع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعة أناسى واستنقذ ممن كان فى يده من المسلمات وأولادهن سبعة آلاف وستمائة انسان وصار فى يد الافشين من بنى بابك سبعة عشر رجلا ومن البنات والنساء ثلاث وعشرون امرأة ولما وصل الافشين بوجه المعتصم وألبسه وشاحين بالجوهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة آلاف ألف يفرقها فى عسكره وعقد له على السند وادخل عليه الشعراء يمدحونه

﴿ذكر خروج الروم الى زبطرة﴾

وفى هذه السنة خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم الى بلاد الاسلام وأوقع باهل زبطرة وغيرها وكان سبب ذلك ان بابك لما ضيق الافشين عليه وأشرف على الهلاك كتب الى ملك الروم توفيل يعلمه ان المعتصم قد وجه عساكره ومقاتلته اليه حتى وجه خياطه يعنى جعفر بن دينار الخياط وطباخه يعنى ايتاخ ولم يبق على بابه أحد فان أردت الخروج اليه فليس فى وجهك أحد يمنعك وظن بابك ان ملك الروم ان تحرك يكشف عنه بعض ما هو فيه بانفاذ العساكر الى مقاتلة الروم فخرج توفيل فى مائة ألف وقيل أكثر منهم من الجند نيف وسبعون ألفا وبقيتهم اتباع ومعهم من المحمرة الذين كانوا خرجوا للجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحق بن ابراهيم بن مصعب جماعة فبلغ زبطرة فقتل من بها من الرجال وسبى الذرية والنساء وأغار على أهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسبى المسلمات ومثل بمن صار فى يده من المسلمين وسمل أعينهم وقطع انوفهم وآذانهم فخرج اليهم أهل الثغور من الشام والجزيرة الا من لم يكن له دابة ولا سلاح

﴿ذكر فتح عمورية﴾

لما خرج ملك الروم وفعل فى بلاد الاسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم فلما بلغه ذلك استعظمه وكبر لديه وبلغه ان امرأة هاشمية صاحت وهى أسيرة فى أيدى الروم وامعتصماه فأجابها وهو جالس على سريره لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح فى قصره النفير النفير ثم ركب دابته وسمط خلفه شكالا وسكة حديد وحقيبة فيها زاده ولم يمكنه المسير الا بعد التعبية وجمع العساكر فجلس فى دار العامة وأحضر قاضى بغداد وهو عبد الرحمن بن اسحق وشعبة بن سهل ومعهما ثلثمائة وثمانية وعشرون رجلا من أهل العدالة فاشهدهم على ما وقف من الضياع فجعل ثلثا لولده وثلثا لله تعالى وثلثا لمواليه ثم سار فعسكر بغربى دجلة لليلتين خلتا من جمادى الاولى ووجه عجيف بن عنبسة وعمر الفرغانى ومحمد كوتاه وجماعة من القواد الى زبطرة معونة لاهلها فوجدوا ملك الروم قد انصرف عنها الى بلاده بعد ما فعل ما ذكرناه فوقفوا حتى تراجع الناس الى قراهم واطمأنوا فلما ظفر المعتصم ببابك قال أى بلاد الروم أمنع واحصن فقيل عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الاسلام وهى عين النصرانية وهى أشرف عندهم من القسطنطينية فسار المعتصم من سر من رأى وقيل كان مسيره سنة اثنتين وعشرين وقيل سنة أربع وعشرين وتجهز جهازا لم يتجهزه خليفة قبله قط من السلاح والعدد والآلة وحياض الادم والرواياو القرب وغير ذلك وجعل على مقدمته اشناس ويتلوه محمد بن ابراهيم بن مصعب وعلى ميمنته ايتاخ وعلى ميسرته جعفر بن

وساءل عن بنى وكيف حالى
وفيه يقول أيضا كثير
الا ان الائمة من قريش
ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه
هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر
وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه امهم حتى
يقود الخيل يتبعها اللواء
بغيب لا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء
وفيه يقول السيد الحميرى
وكان كيسانيا
ألا قل للوصى فدتك نفسى
اطلب بذلك الجبل المقاما
اضر بعشر والوك منا
وسموك الخليفة والامام
وعادوا فيك أهل الارض طرا
مغيبك عنهم سبعين عاما
وماذاق ابن خولة طعم موت
ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمردف شعب
رضوى
تراجعه الملائكة الكلاما
وفيه يقول السيد أيضا
ياشعب رضوى ما لمن بك
لا يرى
وبنا اليه من الصبابة أولق
حتى متى والى متى وكم المدى
يا ابن الرسول وأنت حى
ترزق
وللسيد فيه اشعار كثيرة
لا يأتى عليها كتابنا هذا
(وذكر) على بن محمد بن
سليمان النوفلى فى كتابه

دينار بن عبد الله الخياط وعلى القلب عجيف بن عنبسة فلما دخل بلاد الروم نزل على نهر السن وهو على سلوقية قريبا من البحر بينه وبين طرسوس مسيرة يوم وعليه يكون الندا وأمضى المعتصم الافشين الى سروج وأمره بالدخول من درب الحدث وسمى له يوما يكون دخوله فيه ويوما يكون اجتماعهم فيه وسير اشناس من درب طرسوس وأمره بانتظاره بالصفصاف فكان مسير اشناس لثمان بقين من رجب وقدم المعتصم وصيف فى أثر اشناس ورحل المعتصم لست بقين من رجب فلما صار اشناس بمرج الاسقف ورد عليه كتاب المعتصم من المطامير يعلمه ان ملك الروم بين يديه وانه يريد أن يكبسهم ويأمره بالمقام الى أن يصل اليه فاقام ثلاثة أيام فورد عليه كتاب المعتصم يأمره ان يوجه قائدا من قواده فى سرية يلتمسون رجلا من الروم يسئلونه عن خبر الملك فوجه اشناس عمر الفرغانى فى مائتى فارس فدخل حتى بلغ انقرة وفرق أصحابه فى طلب رجل رومى فأتوه بجماعة بعضهم من عسكر الملك وبعضهم من السواد فأحضرهم عند اشناس فسألهم عن الخبر فأخبروه ان الملك مقيم اكثر من ثلاثين يوما ينتظر مقدمة المعتصم ليواقعهم فأتاه الخبر بأن عسكرا عظيما قد دخل بلادهم من ناحية الارمنياق يعنى عسكر الافشين قالوا فلما أخبر استخلف ابن خاله على عسكره وسار يريد ناحية الافشين فوجه اشناس بهم الى المعتصم فأخبروه الخبر فكتب المعتصم كتابا الى الافشين يعلمه ان ملك الروم قد توجه اليه ويأمره ان يقيم مكانه خوفا عليه من الروم الى ان يرد عليه كتابه وضمن لمن يوصل كتابه الى الافشين عشرة آلاف درهم فسارت الرسل بالكتاب الى الافشين فلم يروه لانه أوغل فى بلاد الروم وكتب المعتصم الى اشناس يأمره بالتقدم فتقدم والمعتصم من ورائه فلما رحل اشناس نزل المعتصم مكانه حتى صار بينه وبين انقرة ثلاثة مراحل فضاق عسكر المعتصم ضيقا شديدا من الماء والعلف وكان اشناس قد اسر فى طريقه عدة اسرى فضرب أعناقهم حتى بقى منهم شيخ كبير فقال له ما تنتفع بقتلى وأنت وعسكرك فى ضيق وههنا قوم قد هربوا من انقرة خوفا منكم وهم بالقريب منا معهم الطعام والشعير وغيرهما فوجه معى قوما لاسلمهم اليهم وخلى سبيلى فسير معه خمسمائة فارس ودفع الشيخ الى مالك بن كيدر وقال له متى أراك هذا الشيخ سبيا كثيرا أو غنيمة كثيرة فخل سبيله فسارهم الشيخ فاوردهم على واد وحشيش فرجوا دوابهم وشربوا وأكلوا وساروا حتى خرجوا من الغيضة وسار بهم الشيخ حتى أتى جبلا فنزله ليلا فلما أصبحوا قال الشيخ وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل فينظران ما فوق فيأخذان من ادركا فصعد أربعة فاخذوا رجلا وامرأة فسألهما الشيخ عن أهل انقرة فدلوه عليهم فسار بالناس حتى أشرف على أهل انقرة وهم فى طرف ملاحة فلما رأوا العسكر أدخلوا النساء والصبيان الملاحة وقاتلوهم على طرفها وغنم المسلمون منهم وأخذوا من الروم عدة اسرى وفيهم من فيه جراحات عتيقة متقدمة فسألوهم عن تلك الجراحات فقالوا كنا فى وقعة الملك مع الافشين وذلك أن الملك لما كان معسكرا أتاه الخبر بوصول الافشين فى عسكر ضخم من ناحية الارمنياق واستخلف على عسكره بعض اقربائه وسار اليهم فواقعناهم صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالتهم كلهم وتقطعت عساكرنا فى طلبهم فلما كان الظهر رجع فرسانهم فقاتلونا قتالا شديدا حتى خرقوا عسكرنا واختلطوا بنا فلم ندر أين الملك وانهزمنا منهم ورجعنا الى معسكر الملك الذى خلفه فوجدنا العسكر قد انتقض وانصرفوا عن قرابة الملك فلما كان الغد جاء الملك فى جماعة يسيرة فرأى عسكره قد اختل وأخذ الذى كان استخلفه عليهم فضرب عنقه وكتب الى المدن والحصون ان لا يأخذوا أحدا انصرف من العسكر الا ضربوه بالسياط وردوه الى مكان سماه لهم الملك ليجتمع

الاخبار عما سمعناه من أبى العباس بن عمار قال حدثنا جعفر بن محمد النوفلى قال حدثنا اسمعيل الساحر وكان راوية السيد الحميرى قال ما مات السيد الا على قوله بالكيسانية وانكر قوله فى القصيدة التى أولها (تجعفرت باسم الله والله أكبر) قال أبو الحسن على ابن محمد النوفلى عقيب هذا الخبر وليس يشبه هذا شعر السيد لان السيد مع فصاحته وجزالة قوله لا يقول تجعفرت باسم الله وذكر عمر بن شيبة النميرى عن مساور بن السائب أن ابن الزبير خطب أربعين يوما لا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا يمنعنى أن أصلى عليه الا أن تشمخ رجال بآنافها وذكر سعيد ابن جبير أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير أنت الذى تؤنبنى وتبخلنى قال ابن عباس نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس المسلم الذى يشبع ويجوع جاره فقال ابن الزبير انى لاكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة وجرى بينهم خطب طويل فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فنزل الطائف فتوفى هناك ذكر هذا الخبر عمر بن شيبة النميرى عن

اليه الناس ويلقى المسلمين وان الملك وجه خصيا له الى أنقرة ليحفظ أهلها فرآهم قد أجلوا عنها وكتب الى الملك بذلك فأمره بالمسير الى عمورية فرجع مالك بن كيدر بمامعهم من الغنيمة والاسرى الى عسكر اشناس وغنموا فى طريقهم بقرا وغنما كثيرا وأطلق الشيخ فلما بلغ مالك ابن كيدر عسكر أشناس أخبره بما سمع فأعلم المعتصم بذلك فسر به فلما كان بعد ثلاثة أيام جاء البشير من ناحية الافشين بخبر السلامة وكانت الوقعة لخمس بقين من شعبان فلما كان الغد قدم الافشين على المعتصم وهو بانقرة فأقاموا ثلاثة أيام ثم جعل المعتصم العسكر ثلاثة عساكر عسكر فيه اشناس فى الميسرة والمعتصم فى القلب وعسكر الافشين فى الميمنة وبين كل عسكر وعسكر فرسخان وأمر كل عسكران يكون له ميمنة وميسرة وأمرهم أن يحرقوا القرى ويخربوها ويأخذوا من لحقوا فيها ثم ترجع كل طائفة الى صاحبها يفعلون ذلك فيما بين أنقرة وعمورية وبينهما سبعة مراحل ففعلوا ذلك حتى وافوا عمورية وكان أول من وردها اشناس ثم المعتصم ثم الافشين فداروا حولها وقسمها بين القواد وجعل لكل واحد منهم أبراجا منها على قدر أصحابه وكان رجل من المسلمين قد أسره الروم بعمورية فتنصر فلما رأى المسلمين خرج اليهم فاخبر المعتصم ان موضعا من المدينة وقع سوره من سيل أتاه فكتب الملك الى عامل عمورية ليعمره فتوانى فلما خرج الملك من القسطنطينية خاف العامل ان يرى السور خرابا فبنى وجهه حجرا حجرا وعمل الشرف على جسر خشب فرأى المعتصم ذلك المكان وأمر بضرب خيمته هنالك ونصب المجانيق على ذلك الموضع فانفرج السور من ذلك الموضع فلما رأى الروم ذلك جعلوا عليه خشبا كبارا كل عود بلزق الآخر وكان المنجنيق يكسر الخشب فجعلوا عليه براذع فلما ألحت المجانيق على ذلك الموضع تصدع السور وكتب الحصى وبطريق عمورية واسمه ناطس كتابا الى ملك الروم يعلمه أمر السور وسيره مع رجلين فأخذهما المسلمون وسألهما المعتصم وفتشهما فرأى الكتاب وفيه ان العسكر قد أحاط بالمدينة وقد كان دخوله اليها خطأ وان ناطس عازم على ان يركب فى خاصته ليلا يحمل على العسكر كائنا ما كان حتى يخلص ويصير الى الملك فلما قرأ المعتصم الكتاب أمر لهم ببدرة وهى عشرة آلاف درهم وخلع فاسلما فأمر بهما فطافا حول عمورية وأن يقفا مقابل البرج الذى فيه ناطس فوقفا وعليهما الخلع والاموال بين يديهما فعرفهما ناطس ومن معه من الروم فشتموهما وأمر المعتصم بالاحتياط فى الحراسة ليلا ونهارا فلم يزالوا كذلك حتى انهدم السور ما بين برجين من ذلك الموضع وكان المعتصم أمر ان يطم خندق عمورية بجلود الغنم المملوءة ترابا فطموه وعمل دبابات كبارا تسع كل دبابة عشرة رجال ليدحرجوها على الجلود الى السور فدحرجوا واحدة منها فلما صارت فى نصف الخندق تعلقت بتلك الجلود فما تخلص من فيها الا بعد شدة وجهد وعمل سلاليم ومنجنيقات فلما كان الغد من يوم انهدم السور قاتلهم على الثلمة فكان أول من بدأ بالحرب اشناس وأصحابه وكان الموضع ضيقا فلم يمكنهم الحرب فيه فأمدهم المعتصم بالمنجنيقات التى حول السور فجمع بعضها الى بعض حول الثلمة وأمر ان يرمى ذلك الموضع وكانت الحرب فى اليوم الثانى عشر على الافشين وأصحابه وأجادوا الحرب وتقدموا والمعتصم على دابته بازاء الثلمة واشناس والافشين وخواص القواد معه فقال المعتصم ما أحسن ما كان الحرب اليوم وقال عمر الفرغانى الحرب اليوم أجود منها أمس فأمسك اشناس فلما انتصف النهار وانصرف المعتصم والناس وقرب اشناس من مضربه ترجل له القواد كما كانوا يفعلون وفيهم الفرغانى وأحمد بن الخليل بن هشام فقال لهم اشناس يا أولاد الزنا أيش تمشون بين يدى كان ينبغى ان تقاتلوا

سويد بن سعيد يرفعه الى سعيد بن جبير فيما حدثنا به المهرانى بمصر والكلابى بالبصرة وغيرهما عن عمر ابن شيبة وحدث النوفلى فى كتابه فى الاخبار عن الوليد بن هشام المخزومى قال خطب ابن الزبير فقال من على فبلغ ذلك ابنه محمد ابن الحنفية حتى وضع له كرسى فقام فعلاه وقال يا معشر قريش شاهت الوجوه أينتقص على وأنتم حضور ان علياً كان سهما صادقا أحد مرامى الله على أعدائه يقتلهم لكفرهم ويهوعهم ما كلهم فثقل عليهم فرموه بصرفة الاباطيل وانا معشر له على نهج من أمره بنو الحسبة من الانصار فان تكن لنا الايام دولة تثر عظامهم وتحسر عن أجسادهم والابدان يومئذ بالية وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فعاد ابن الزبير الى خطبته وقال عذرت بنى الفواطم يتكلمون فما بال بنى الحنفية فقال محمد يا ابن أم رومان ومالى لا أتكلم أليست فاطمة بنت محمد حليلة أبى وأم اخوتى أو ليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدتى أوليست فاطمة بنت عمرو ابن عائذ جدة أبى أما والله لولا خديجة بنت خويلد

أمس حيث تقفون بين يدى أمير المؤمنين فتقولون الحرب اليوم أجود منها أمس كان يقاتل أمس غيركم انصرفوا الى مضاربكم فلما انصرف الفرغانى وأحمد بن الخليل قال أحدهما للآخر ألا ترى الى هذا العبد ابن الفاعلة يعنى اشناس ماصنع اليوم أليس الدخول الى الروم أهون من هذا فقال الفرغانى لاحمد وكان عنده علم من العباس بن المأمون سيكفيك الله أمره عن قريب فالح أحمد عليه فأخبره فاشار عليه ان يأتى العباس فيكون فى أصحابه فقال أحمد هذا أمر أظنه لا يتم قال الفرغانى قدتم وأرشده الى الحرث السمرقندى فاتاه فرفع الحرث خبره الى العباس فكره العباس ان يعلم بشئ من أمره فأمسكوا عنه فلما كان اليوم الثالث كان الحرب على أصحاب المعتصم ومعهم المغاربة والاتراك وكان القيم بذلك ايتاخ فناتلوا وأحسنوا واتسع لهم هدم السور فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت الجراحات فى الروم وكان بطارقة الروم قد اقتسموا أبراج السور وكان البطريق الموكل بهذه الناحية وندوا وتفسيره ثور فقاتل ذلك اليوم قتالا شديدا وفى الايام قبله ولم يمده ناطس ولا غيره بأحد فلما كان الليل مشى وندوا الى الروم فقال ان الحرب على وعلى أصحابى ولم يبق معى أحد الا جرح فصيروا أصحابكم على الثلمة يرمون قليلا والا ذهبت المدينة فلم يمدوه باحد وقالوا لا نمدك ولا نمد نافعزم هو وأصحابه على الخروج الى المعتصم ويسألوه الامان على الذرية ويسلموا اليه الحصن بما فيه فلما أصبح وكل أصحابه بجانبى الثلمة وأمرهم أن لا يحاربوا وقال أريد الخروج الى المعتصم فخرج اليه فصار بين يديه والناس يتقدمون الى الثلمة وقد أمسك الروم عن القتال حتى وصلوا الى السور والروم يقولون لا تخشوا وهم يتقدمون ووندوا جالس عند المعتصم فاركبه فرسا وتقدم الناس حتى صاروا فى الثلمة وعبد الوهاب بن على بين يدى المعتصم يومئ الى المسلمين بالدخول فدخل الناس المدينة فالتفت وندوا وضرب بيده على لحيته فقال له المعتصم مالك قال جئت أسمع كلامك فقدرت بى قال المعتصم كل شئ تريده فهو لك ولست أخالفك قال ابش مخالفتى وقد دخل الناس المدينة وصار طائفة كبيرة من الروم الى كنيسة كبيرة لهم فأحرقها المسلمون عليهم فهلكوا كلهم وكان ناطس فى برجه حوله أصحابه فركب المعتصم ووقف مقابل ناطس فقيل له يا ناطس هذا أمير المؤمنين فظهر من البرج وعليه سيف نحاه عنه ونزل حتى وقف بين يديه فضربه سوطا وسار المعتصم الى مضربه وقال هاتوه فمشى قليلا فأمر المعتصم بحمله وأخذ السيف الروم وأقبل الناس بالاسرى والسبى من كل وجه فأمر المعتصم ان يعزل منهم أهل الشرف ونقل من سواهم وأمر ببيع المغانم فى عدة مواضع فبيع منها فى أكثر من خمسة أيام وأمر بالباقى فأحرق وكان لا ينادى على شئ أكثر من ثلاثة أصوات ثم يوجب بيعه طلبا للسرعة وكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة عشرة عشرة طلبا للسرعة ولما كان فى بعض أيام بيع المغانم وهو الذى كان بجيف وعد الناس ان يثوروا فيه بالمعتصم على ما ذكره وثب الناس على المغانم فركب المعتصم والسيف فى يده وسار ركضا نحوهم فتنحوا عنه وكفوا عن النهب فرجع الى مضربه وأمر بعمورية فهدمت وأحرقت وكان نزوله عليها الست خلون من شهر رمضان وأقام عليها خمسة وخمسين يوما وفرق الاسرى على القواد وسار نحو طرسوس

﴿ذكر حبس العباس بن المأمون﴾

فى هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه وكان سبب ذلك ان بجيف بن عنبسة لما وجهه المعتصم الى بلاد الروم ولما كان من ملك الروم بزبطرة مع عمر الفرغانى ومحمد كوتاه

ماتركت فى بنى أسد عظما
الا هشمته وان نالتنى فيه
المصائب صبرت (حدثنا)
ابن عمار عن على بن محمد بن
سليمان النوفلى قال حدثنى
ابن عائشة والعتبى جميعا
عن أبويهما وألفاظهما
متقاربة قالا خطب ابن
الزبير فقال مابال أقوام
يفتون فى المتعة وينتقصون
حوارى الرسول وأم المؤمنين
عائشة مابالهم أعمى الله
قلوبهم كما أعمى أبصارهم
يعرض بابن عباس فقال
ياغلام أصمدنى سمدة فقال
يا ابن الزبير قد أنصف العارة
من راماها
انا اذا ما فتنة نلقاها
نرد أولاها على أخراها
أما قولك فى المتعة فسل
أمك تخبرك فان أول متعة
سطع مجمرها لمحمد سطع
بين أمك وأبيك يريد متعة
الحج وأما قولك حوارى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد لقيت أبالك فى
الزحف وأنا مع امام هدى
فان يكن على ما أقول فقد
كفر بقتالنا وان يكن على
ما تقول فقد كفر بهربه عنا
فانقطع ابن الزبير ودخل
على أمه أسماء فأخبرها
فقالت صدق (قال
المسعودى) وفى هذا الخبر
زيادات من ذكر البردة
والعوسجة وقد أتينا على
الخبر بتمامه وما قاله الناس

لم يطاق يد عجيف فى النفقات كما اطلقت يد الافشين واستقصر المعتصم أمر عجيف وافعاله وظهر ذلك لعجيف فوبخ العباس بن المأمون على ما تقدم من فعله عند وفاة المأمون حتى بايع المعتصم وشجعه على أن يتلافى ما كان منه فقبل العباس قوله ودس رجلا يقال له الحرث السمرقندى قرابة عبيد الله بن الوضاح وكان العباس يأنس به وكان الحرث اديبا له عقل ومداراة فجعله العباس رسوله وسفيره الى القواد وكان يدور فى العسكر حتى استمال له جماعة من القواد وبايعوه وجماعة من خواص المعتصم وقال لكل من بايعه اذا اظهرنا أمرنا فليثب كل منكم بالقائد الذى هو معه وكل من بايعه من خواص المعتصم بقتله ومن بايعه من خاصة الافشين بقتله ومن بايعه من خاصة اشناس بقتله وكذلك غيرهم فضمنوا له ذلك فلما دخل الدرب وهم يريدون انقرة وعمورية دخل الافشين من ناحية ملطية فأشار عجيف على العباس ان يثب بالمعتصم فى الدرب وهو فى قلة من الناس فيقتله ويرجع الى بغداد فان الناس يفرحون بانصرافهم الى بغداد من الغزو فابى العباس ذلك وقال لا أفسد هذه الغزاة حتى دخلوا بلاد الروم وافتتحوا عمورية فقال عجيف للعباس يا نائم قد فتحت عمورية والرجل يمكن نضع قوما ينهبون بعض الغنائم فاذا بلغه ذلك ركب فى سرعة فتأمر بقتله هنالك فأبى عليه وقال انتظر حتى يصير الى الدروب ويحلو كما كان أول مرة وهو أمكن منه ههنا وكان عجيف قد أمر من ينهب المتاع ففعلوا وركب المعتصم وجاء ركضا وسكن الناس ولم يطاق العباس أحدا من أولئك الذين واعدهم وكرهوا قتله بغير أمر العباس وكان الفرغانى قد بلغه الخبر ذلك اليوم وله قرابة غلام أمرد فى خاصة المعتصم فجاء الغلام الى ولد عمر الفرغانى وشرب عندهم تلك الليلة وأخبرهم خبر ركوب المعتصم وانه كان معه وأمره ان يسل سيفه ويضرب كل من لقيه فسمع عمر ذلك من الغلام فاشفق عليه من ان يصاب فقال يا بنى اقلل من المقام عند أمير المؤمنين والزم خيمتك وان سمعت صيحة وشغبا فلا تبرح فانك غلام غر ولا تعرف العساكر فعرف مقالة عمر وارتحل المعتصم الى الثغور ووجه الافشين ابن الاقطع وأمره ان يغير على بعض المواضع ويوافيه فى الطريق ففعل واغار وعاد الى العسكر فى بعض المنازل ومعه الغنائم فنزل بعسكر الافشين وكان كل عسكر على حدة فتوجه عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل من عسكر اشناس الى عسكر الافشين ليشتريا من السبى شيأ فلقيهما الافشين فترجلا وسلما عليه وتوجها الى الغيمة فرآهما صاحب اشناس فاعلمهما فارسل اشناس اليهما بعض أصحابه لينظر ما يصنعان فجاء فرآهما وهما ينتظران بيع السبى فرجع فاخبر اشناس الخبر فقال اشناس لحاجبه قل لهما يلزمان العسكر وهو خير لهما فقال لهما فاغتما لذلك واتفقا على ان يذهبا الى صاحب خبر العسكر فيستعفياه من أشناس فأتياه وقالا نحن عبيد أمير المؤمنين فضمنا الى من شاء فان هذا الرجل يستخف بنا قد شتمنا وتوعدنا ونحن نخاف ان يقدم علينا فليضمنا أمير المؤمنين الى من أراد فانهى ذلك الى المعتصم واتفق الرحيل وسار أشناس والافشين مع المعتصم فقال لاشناس أحسن أدب عمر واحمد فانه ما قد حقنا أنفسهما فجاء أشناس الى عسكره فاخذهما وحبسهما وحملهما على بغل حتى صارا بالصفصاف فجاء ذلك الغلام وحكى للمعتصم ما سمع من عمر الفرغانى فى تلك الليلة فانفذ المعتصم بغا وأخذ عمر من عند أشناس وسأله عن الذى قال الغلام فانكر ذلك وقال انه كان سكران ولم يعلم ما قلت فدفعه الى ايتاخ وسار المعتصم فانفذ أحمد ابن الخليل الى أشناس يقول له ان عندى نصيحة لامير المؤمنين فبعث اليه يسأله عنها فقال لا أخبر بها الا أمير المؤمنين فحلف أشناس ان هو لم يخبره بهذه النصيحة لاضربنه بالسياط حتى

فى متعة النساء ومتعة الحج وتنازعهم فى ذلك وما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم من انه حرمها عام خيبر ولحوم الحمر الاهلية وما ذكر فى حديث الربيع بن سبرة عن أبيه وقول عمر كانتا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تقدمت بالنهى لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا وما روى عن جابر قال تمتعنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر وغير ذلك من أقاويلهم فى كتابنا المترجم بكتاب الاستبصار وفى كتاب الصفوة وفى كتابنا المترجم بكتاب الواجب فى الفروض اللوازم وما قال الناس فى غسل الرجلين ومسحهما والمسح على الخفين وطلاق السنة وطلاق العدة وطلاق التعدى وغير ذلك وقد حدث النوفلى عن أبى عاصم عن ابن جريج قال حدثنى منصور بن شيبة عن صفية بنت أبى عبيد عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدى ان يحل قالت فأحللت فلبست ثيابى وتطيبت وجئت حتى جلست الى جنب الزبير

يموت فلما سمع ذلك أحمد حضر عند أشناس وأخبره خبر العباس بن المأمون والقواد والحرث السمرقندى فانفذ أشناس وأخذ الحرث وقيده وسيره الى المعتصم وكان قد تقدم فلما دخل على المعتصم أخبره بالحال جميعه وبجميع من بايعهم من القواد وغيرهم فاطلقه المعتصم وخلع عليه ولم يصدق على أولئك القواد لكثرتهم واحضر المعتصم العباس بن المأمون وسقاه حتى سكر وحلفه انه لا يكتمه من أمره شيأ فشرح له أمره كله مثل ما شرح الحرث فاخذه وقيده وسلمه الى الافشين فحبسه عنده وتتبع المعتصم أولئك القواد وكانوا يحملون فى الطريق على بغال باكف بلاوطاه وأخذ أيضا الشاه بن سهل وهو من أهل خراسان فقال له المعتصم يا ابن الزانية احسنت اليك فلم تشكر فقال ابن الزانية هذا وأومأ الى العباس وكان حاضرا لو تركنى ما كنت الساعة تقدر أن تجالس هذا المجالس وتقول هذا الكلام فامر به فضربت عنقه وهو أول من قتل منهم ودفع العباس الى الافشين فلما نزل منبج طلب العباس بن المأمون الطعام فقدم اليه طعام كثير فاكل وشرب الماء وادرج فى مسح فمات بمنبج وصلى عليه بعض اخوته وأما عمر الفرغانى فلما وصل المعتصم الى نصيبين حفر له بئرا وألقاه فيها وطمها عليه وأما عجيف فمات بباعينا ثا من بلد الموصل وقيل بل أطعم طعاما كثيرا ومنع الماء حتى مات بباعينا ثا وتتبع جميعهم فلم يمض عليهم الا أيام قلائل حتى ماتوا جميعا ووصل المعتصم الى سامرا سالما فسمى العباس يومئذ اللعين وأخذ أولاد المأمون من سندس فحبسهم فى داره حتى ماتوا بعد ومن أحسن ما يذكر ان محمد بن على الاسكاف كان يتولى اقطاع عجيف فرفع أهله عليه الى عجيف فاخذه وأراد قتله فبال فى ثيابه خوفا من عجيف ثم شفع فيه فقيده وحبسه ثم سار الى الروم وأخذه المعتصم كما ذكرنا وأطلق من كان فى حبسه وكانوا جماعة منهم الاسكاف ثم استعمل على نواح بالجزيرة ومن جملتها باعينا ثا قال فخرجت يوما الى تل باعينا ثا فاحتجت الى الوضوء فجئت الى تل فبلت عليه ثم توضأت ونزلت وشيخ باعينا ثا ينتظرنى فقال لى فى هذا التل قبر عجيف وأرانيه فاذا أنا قد بلت عليه وكان بين الامرين سنة لا تزيد يوما ولا تنقص يوما

﴿ ذكر وفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب وابتداء ولاية أخيه الاغلب ﴾

فى هذه السنة رابع عشر رجب توفى زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير افريقية وكان عمره احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام وكانت امارته احدى وعشرين سنة وسبعة أشهر وولى بعده أخوه أبو عقال الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب فاحسن الى الجند وازال مظالم كثيرة وزاد العمال فى ارزاقهم وكف أيديهم عن الرعية وقطع النبيذ والخمر عن القيروان وسير سرية سنة أربع وعشرين ومائتين الى صقلية فغنمت وسلمت وفى سنة خمس وعشرين ومائتين استامن عدة حصون من جزيرة صقلية الى المسلمين منها حسن البلوط وابلاطنو وقرلون ومرو وسارا سطول المسلمين الى قاورية ففتحها ولقوا اسطول صاحب القسطنطينية فهزموه بعد قتال فعاد الاسطول الى القسطنطينية مهزوما فكان فتحا عظيما وفى سنة ست وعشرين ومائتين سارت سرية للمسلمين بصقلية الى قصريانة فغنمت واحرقت وسبت فلم يخرج اليها أحد فسارت الى حصن الغيران وهو أربعون غارا فغنمت جميعها وتوفى الامير ابو عقال فيها على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج فى هذه السنة فى شوال اسحق بن ابراهيم جره خادم له وحج بالناس هذه السنة محمد بن داود وفى هذه السنة سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشا الى البمة والقلاع فنزلوا

فقال قومى عنى فقلت ما تخاف أتخاف ان أبت عليك فهذا الذى أراد ابن عباس وقد ذكر هذا الحديث عن أبى عاصم غير النوفلى وقد تنازع الناس فى ذلك فمنهم من رأى انه عنى منعة النساء ومنهم من رأى انه أراد متعة الحج لان الزبير تزوج أسماء بكرا فى الاسلام زوجه أبو بكر معلنا فكيف تكون متعة النساء ولما هلك يزيد بن معاوية وولى معاوية بن يزيد عنى ذلك الى الحصين بن نمير ومن معه فى الجيش من أهل الشام وهو على حرب ابن الزبير فهادنوا ابن الزبير ونزلوا مكة فلقى الحصين عبد الله فى المسجد فقال له هل لك يا ابن الزبير أن أحملك الى الشام وأبايع لك بالخلافة فقال له عبد الله ارفع صوتك أبعد قتل أهل الحرة لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام فقال الحصين من زعم يا ابن الزبير انك داهية فهو أحمق أكلمك سرا وتكلمنى علانية أدعوك أن أستخلفك فترفع الحرب وتزعم انك تقاتلنا فستعلم أينا المقتول وانصرف أهل الشام الى بلادهم مع الحصين فلما صاروا الى المدينة جعل أهلها يهتفون بهم ويتوعدونهم ويذكرون قتلاهم بالحرة فلما أكثروا

حصن الفرات وحصروه وغنموا مافيه وقتلوا أهله وسبوا النساء والذرية وعادوا

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين ﴾

﴿ ذكر مخالفة مازيار بطبرستان ﴾

فى هذه السنة اظهر مازيار بن قارن بن ونداد هرمز الخلاف على المعتصم بطبرستان وعصى وقاتل عساكره وكان سببه ان مازيار كان منافرا عبد الله بن طاهر لا يحمل اليه خراجه وكان المعتصم يأمره بحمله الى عبد الله فيقول لا أحمله الا اليك وكان المعتصم ينفذ من يقبضه من أصحاب مازيار بهمذان ويسلمه الى وكيل عبد الله بن طاهر بردة الى خراسان وعظم الشر بين مازيار وعبد الله وكان عبد الله يكتب الى المعتصم حتى استوحش من مازيار فلما ظفر الافشين ببابك وعظم محله عند المعتصم طمع فى ولاية خراسان فكتب الى مازيار يستميله ويظهر له المودة ويعلمه ان المعتصم قد وعده ولاية خراسان ورجا انه اذا خالف مازيار سيره المعتصم الى حربه وولاه خراسان فحمل ذلك مازيار على الخلاف وترك الطاعة ومنع جبال طبرستان فكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربته وكتب الافشين الى مازيار يأمره بمحاربة عبد الله واعلمه انه يكون له عند المعتصم كل ما يحب ولا يشك الافشين ان مازيار يقوم فى مقابلة ابن طاهر وان المعتصم يحتاج الى انفاذه وانفاذ عساكر غيره فلما خالف دعا الناس الى البيعة فبايعوه كرها وأخذ الرهائن فحبسهم وأمر أكره الضياع بانتهاب أربابها وكان مازيار أيضا يكاتب بابك واهتم مازيار بجمع الاموال من تحميل الخراج وغيره يجبى فى شهرين ما كان يؤخذ فى سنة ثم أمر قائدا له يقال له سرخاستان فاخذ أهل آمل وأهل سارية جميعهم فنقلهم الى جبل على النصف ما بين سارية وآمل يقال له هرمز اباد فحبسهم فيه وكانت عدتهم عشرين ألفا فلما فعل ذلك تمكن من أمره وأمر بتخريب سور آمل وسور سارية وسور طميس فخربت الاسوار وبنى سرخاستان سورا من طميس الى البحر مقدار ثلاثة أميال كانت الاكاسرة بنته لتمنع الترك من الغارة على طبرستان وجعل له خندقا ففزع أهل جرجان وخافوا فهرب بعضهم الى نيسابور فانفذ عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب فى جيش كثيف لحفظ جرجان وأمره ان ينزل على الخندق الذى عمله سرخاستان فسار حتى نزله وصار بينه وبين صاحب سرخاستان الخندق ووجه أيضا ابن طاهر حيان بن جبلة فى أربعة آلاف الى قومس فعسكر على حد جبال شروين ووجه المعتصم من عنده محمد بن ابراهيم بن مصعب أخا اسحق بن ابراهيم ومعه الحسن بن قارن الطبرى ومن كان عنده من الطبرية ووجه المنصور بن الحسن صاحب دنباوند الى الرى ليدخل طبرستان من ناحية الرى ووجه ابا الساج الى الدرز ودنباوند فلما احدقت الخيل بمازيار من كل جانب وكان أصحاب سرخاستان يتحدثون مع أصحاب الحسن بن الحسين حتى استأنس بعضهم ببعض فتؤامر بعض أصحاب الحسن فى دخول السور فدخلوه الى أصحاب سرخاستان على غفلة من الحسن ونظر الناس بعضهم الى بعض فثاروا وبلغ الخبر الى الحسن فجعل يصيح بالقوم ويمنعهم خوفا عليهم فلم يقفوا ونصبوا علمه على معسكر سرخاستان وانتهى الخبر الى سرخاستان وهو فى الحمام فهرب فى غلالة وحين رأى الحسن ان أصحابه قد دخلوا السور قال اللهم انهم عصوني وأطاعوك فانصرهم وتبعهم أصحابه حتى دخلوا الى الدرب من غير مانع واستولوا على عسكر سرخاستان وأسر أخوه شهريار ورجع الناس عن الطلب لما أدركهم الليل فقتل الحسن شهريار وسار سرخاستان خلفه فجهده العطش فنزل عن دابته وشدها فبصر به رجل من أصحابه

وغلام

من ذلك وخافوا الفتنة وهيجها صعدروح بن زنباع الجذامى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الجيش فقال يا أهل المدينة ما هذا الايعاد الذى توعدونا انا والله ما دعوناكم الى كلب لمبايعة رجل منهم ولا الى رجل من بلقين ولا الى رجل من لخم أو جذام ولا غيرهم من العرب ولكن دعوناكم الى هذا الحى من قريش يعنى بنى أمية ثم الى طاعة يزيد ابن معاوية وعلى طاعته قاتلناكم فيا ناتوعدون أما والله انا لابناء الطعن والطاعون وفضلات الموت والمنون فاشتم ومضى القوم الى الشام وحمل الى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التى كان بناها ابرهة الحبشى فى كنيسته التى اتخذها هما لك ومعها ثلاث أساطين من رخام فيها وشى منقوش قد حشى النقش والسندروس وأنواع الالوان من الاصباغ فمن رآه ظنه ذهبا وشرع ابن الزبير فى بناء الكعبة وشهد عنده سبعون شيخا من قريش ان قريشا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سمة البيت سبعة أذرع من أساس ابراهيم الخليل الذى أسسه هو واسمعيل عليهما السلام

وغلام اسمه جعفر وقال سرخاستان يا جعفر اسقني ماء فقد هلكت عطشا فقال ليس عندي ما أسقيك فيه قال جعفر واجتمع الى عدة من أصحابي فقلت لهم هذا الشيطان قد أهلكنا فلم لا نتقرب الى السلطان به ونأخذ لانفسنا الامان فثاورناه وكتفناه فقال لهم خذوا مني مائة ألف درهم واتركوني فان العرب لا تعطيكم شيأ فقالوا أحضرها فقال سيروا معي الى المنزل لتقبضوه واعطيكم المواثيق على الوفاء فلم يفعلوا وسار وابه نحو عسكر المعتصم ولقيتهم خيل الحسن بن الحسين فضربوهم وأخذوه منهم وأتوا به الحسن فامر به فقتل وكان عند سرخاستان رجل من أهل العراق يقال له ابوشاس يقول الشعر وهو ملازم له ليتعلم منه اخلاق العرب فلما هجم عسكر العرب على سرخاستان انتهبوا جميع مال ابي شاس وخرج وأخذ جرة فيها ماء وأخذ قدحا وصاح الماء للسبيل وهرب فرءاه ضرب كاتب الحسن فعرفه أصحابه فادخلوه اليه فاكرمه وأحسن اليه وقال له قل شعرا تمدح به الامير فقال والله ما بقي في صدري شيء من كتاب الله من الخوف فكيف أحسن الشعر ووجه الحسن برأس سرخاستان الى عبد الله بن طاهر وكان حيان بن جبلة مولى عبد الله بن طاهر قد أقبل مع الحسن كما ذكرنا وهو بناحية طميس وكاتب قارن بن شهريار وهو ابن أخي مازيار ورغبه في المملكة وضمن له ان يملكه على جبال أبيه وجده وكان قارن من قواد مازيار وقد أنفذه مازيار مع أخيه عبد الله بن قارن ومعه عدة من قواده فلما استمالة حيان ضمن له قارن أن يسلم اليه الجبال ومدينة سارية الى حدود جرجان على هذا الشرط وكتب بذلك حيان الى عبد الله بن طاهر فاجابه الى كل ماسأل وأمر حيان ان لا يوغل حتى يستدل على صدق قارن لئلا يكون منه مكر وكتب حيان الى قارن باجابة عبد الله فدعا قارن بعمه عبد الله بن قارن وهو أخو مازيار ودعا جميع قواده الى طعامه فلما وضعوا سلاحهم واطمأنوا أحدق بهم أصحابه في السلاح وكتفوهم ووجه بهم الى حيان فلما صاروا اليه استوثق منهم وركب في أصحابه حتى دخل جبال قارن وبلغ الخبر مازيار فاغتم لذلك فقال له القوهيار في حبسك عشرون ألفا من بين حائك واسكاف وحداد وقد شغلت نفسك بهم وانما أتيت من مأمنك وأهل بيتك فما تصنع بهؤلاء المحبسين عندك قال فاطلق مازيار جميع من في حبسه ودعا جماعة من أعيان أصحابه وقال لهم ان بيوتكم في السهل واخاف ان يؤخذ حرمكم واموالكم فانطلقوا وخذوا لانفسكم أمانا ففعلوا ذلك ولما بلغ أهل سارية أخذ سرخاستان ودخول حيان جبل شروين وثبوا على عامل مازيار بسارية فهرب منهم وفتح الناس السجن وأخرجوا من فيه وأتى حيان الى مدينة سارية وبلغ القوهيار أخا مازيار الخبر فارسل الى حيان مع محمد بن موسى بن حفص يطلب الامان وان يملك على جبال ابيه وجده ليسلم اليه مازيار فحضر عند حيان ومعه أحمد بن الصقر وأبلغاه الرسالة فاجاب الى ذلك فلما رحلا رأى حيان تحت أحمد فرسا حسنا فأرسل اليه وأخذه منه فغضب أحمد من ذلك وقال هذا الحائك العبد يفعل بشيخ مثلي ما فعل ثم كتب الى القوهيار ويحك لم تغلط في أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عم الامير عبد الله بن طاهر وتدخل في أمان هذا العبد الحائك وتدفع اليه أخاك وتضع قدرك وتحقد عليك الحسن بتركك اياه وعيالك الى عبد من عبيده فكتب اليه القوهيار أراني قد غلطت في أول الامر وأوعدت الرجل ان أصير اليه بعد غد ولا آمن ان خالفته أن يناهضني ويستبيح دمي ومنزلي وأموالي وان قاتلته فقتلت من أصحابه وجرت الدماء فسد كل ما عملناه ووقعت الشحناء فكتب اليه أحمد اذا كان يوم الميعاد فابعث اليه رجلا من أهلك واكتب اليه انه قد عرضت علة منعتني عن الحركة وانك تتعالج ثلاثة أيام فان عوفيت والا

فبناه ابن الزبير وزاد فيه الاذرع المذكورة وجعل فيه الفسيفساء والاساطين وجعل له بابين بابا يدخل منه وبابا يخرج منه فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وكتب الى عبد الملك يعلمه عمارة ابن الزبير في البيت فأمره عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشام وخطب له على سائر منابر الاسلام الا منبر طبرية من بلاد الاردن فان حسان بن مالك ابن بحدل أبى أن يبايع لابن الزبير وأرادها خالد بن يزيد بن معاوية وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوي في ذلك يقول قضاعية الاسدي وكان بايع لابن الزبير ثم نكث

دعا ابن مطيع للبياع فجئته
الى بيعة قلبي لها غير آلف
فناولني حسناء لما لمستها
بكفي ليست من أكف الخلائف

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله ابن زياد على البصرة أمير

سرت اليك فى محمل وسنحمله نحن على قبول ذلك فاجابه اليه وكتب أحمد بن الصقر ومحمد بن موسى ابن حفص الى الحسن بن الحسين وهو بطميس ان افدم علينا لندفع اليك مازيار والخيل والا فاتك ووجها الكتاب اليه مع من يستحثه فلما وصل الكتاب ركب من ساعته وسار مسيرة ثلاثة أيام فى ليلة وانتهى الى سارية فلما أصبح تقدم الى خرماباذ وهو الموعد بين قوهيار وحيان وسمع حيان وقع طبول الحسن فتلقاه على فرسخ فقال له الحسن ما تصنع ههنا ولم توجه الى هذا الموضع وقد فتحت جبال شروين وتركها فما يؤمنك ان يغدر أهلها فينتقض جميع ما عملناه ارجع اليهم حتى لا يمكنهم الغدر ان هموا به فقال حيان أريد أن أحمل اثقالى وآخذ أصحابى فقال له الحسن سر أنت فانا باعث باثقالك وأصحابك فخرج حيان من فوره كما أمره وأتاه كتاب عبد الله بن طاهر ان يعسكر بكور وهى من جبال ونداد هرمز وهى احصنها وكانت أموال مازيار بها فامر عبد الله ان لا يمنع قارن مما يريد من الاموال والجبال فاحتمل قارن مما كان بها وبغيرها من أموال مازيار وسرخستان وانتقض على حيان ما كان عمله بسبب شرهه الى ذلك الفرس وتوفى بعد ذلك حيان فوجه عبد الله مكانه عمه محمد بن الحسين بن مصعب وسار الحسن بن الحسين الى خرماباذ فأتاه محمد بن موسى بن حفص واحمد بن الصقر فشكرهما وكتب الى قوهيار فأتاه فأحسن اليه الحسن واكرمه وأجابه الى جميع ما طلب اليه منه لنفسه ونواعد وايوما يحضر مازيار عنده ورجع قوهيار الى مازيار فاعلمه انه قد أخذ له الامان واستوثق له وركب الحسن يوم الميعاد وقت الظهر ومعه ثلاثة غلمان أتراك وأخذ ابراهيم بن مهران يدله على الطريق الى ارم فلما قاربها خاف ابراهيم وقال هذا موضع لا يسلكه الا ألف فارس فصاح به امض قال فضيت وأنا طائش العقل حتى وافينا ارم فقال أين طريق هرمزاباذ قلت على هذا الجبل فى هذا الطريق فقال سر اليها فقلت الله الله فى نفسك وفينا وفى هذا الخلق الذين معك فصاح امض يا بن اللخناء فقلت اضرب عنقى أحب الى من ان يقبلنى مازيار ويلزمنى الامير عبد الله الذنب فانتهرنى حتى ظننت انه يبطش بى فسرت وأنا خائف فاتينا هرمزاباذ مع اصفرار الشمس فنزل فجلس ونحن صيام وكانت الخيل قد تقطعت لانه ركب بغير سرج فلما تبين الناس فعلموا بعد مسيره قال وصلينا المغرب واقبل الليل واذا بفرسان بين أيديهم الشمع مشتعلا مقبلين من طريق لبورة فقال الحسن ابن طريق لبورة فقلت أرى عليه فرسانا ونيرانا وأنا اخشى لا أقف على حقيقة الامر حتى قربت النيران فنظرت فاذا المازيار مع القوهيار فنزلا وتقدم مازيار فسلم على الحسن فلم يرد عليه السلام وقال لرجلين من أصحابه خذاه اليكما فاخذاه فلما كان السحر وجه الحسن مازيارا مع من الى سارية وسار الحسن الى هرمزاباذ فاحرق قصر مازيار وأنهب ماله وسار الى خرماباذ وأخذ اخوة مازيار فحبسوا هنالك ووكل بهم وسار الى مدينة سارية فاقام بها وحبس مازيار ووصل محمد بن ابراهيم بن مصعب الى الحسن بن الحسين فسار به ليناظره فى معنى المال الذى لمازيار وأهله فكتب الى عبد الله بن طاهر فامر الحسن بتسليم مازيار وأهله الى محمد بن ابراهيم ليسير بهم الى المعتصم وأمره أن يستقصى على أموالهم ويحرزها فاحضر مازيار وسأله عن أمواله فذكرانها عند خزانه وضمن قوهيار ذلك وأشهد على نفسه وقال مازيار اشهدوا على ان جميع ما أخذت من أموالى ستة وتسعون ألف دينار وسبع عشرة قطعة زمرد وست عشرة قطعة ياقوت وثمانية أحمال من أوان الثياب وتاج وسيف مذهب مجوهر وخنجر من ذهب مكلل بالجوهر وحق كبير مملوء جوهرا قيمته ثمانية عشر ألف ألف درهم وقد سلمت ذلك الى خازن عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر وكان مازيار قد استخلف

هذا

نخطب الناس وأعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينصب له أحد وقال لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عدد أكثر من عددكم ولا مال أكثر من مالكم فى بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم وعطاء العيال ستون ألف ألف درهم فانظروا رجلا ترضونه يقوم بأمركم ويجاهد عدوكم وينصف مظلومكم من ظالمكم ويورع بينكم أموالكم فقام اليه أشراف أهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمى وقيس بن الهيثم السلمى ومسمع بن مالك العبدى فقالوا ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وأنت أحق من قام على أمرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال اما لو استعملتم غيرى لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعى عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أطلق ايماننا لا حاجة لنا فى بنى أمية ولا فى امارة ابن مرجانة وهى أم عبيد الله وأم أبيه زياد سمية على ما ذكرنا آنفا فانما

هذا ليوصله الى الحسن بن الحسين ليظهر للناس والمعتصم انه أمنه على نفسه وماله وولده وانه جعل له جبال أبيه فامتنع الحسن من قبوله وكان أعف الناس فلما كان الغد أنفذ الحسن مازيار الى المعتصم مع يعقوب بن المنصور ثم امر الحسن قوهيارا ان يأخذ بقاله ليحمل عليها مال مازيار فاخذها وأراد الحسن ان ينفذ معه جيشا فقال لا حاجة لى بهم وسار هو وغلمانه فلما فتح الخزائن واخرج الاموال وعباها ليحملها اوثب عليه مماليك المازيار وكانوا ديالمة وقالوا غدرت بصاحبنا واسلمته الى العرب وجئت لتحمل أمواله وكانوا ألفا ومائتين فاخذوه وقيدوه فلما جنهم الليل قتلوه وانتهبوا الاموال والبغال فانتهى الخبر الى الحسن بن الحسين فوجه جيشا ووجه قارن جيشا فاخذ أصحاب قارن منهم عدة منهم ابن عم مازيار يقال له شهريار بن المضمغان وكان هو يحرضهم فوجهه قارن الى عبد الله بن طاهر فمات بقومس وعلم محمد بن ابراهيم خبرهم فأرسل فى أثرهم فأخذوا وبعث بهم الى مدينة سارية وقيل ان السبب فى أخذ مازيار كان ابن عم له اسمه قوهيار كان له جبال طبرستان وكان لمازيار السهل وجبال طبرستان ثلاثة اجبل جبل وندادهرمز وجبل أخيه وندا سنجان والثالث جبل شروين ابن سرخاب فقوى مازيار وبعث الى ابن عمه قوهيار وقيل هو اخوه فالزمه بابه وولى الجبل واليا من قبله يقال له درى فلما خالف مازيار واحتاج الى الرجال دعا قوهيار وقال له أنت اعرف بجبالك من غيرك واظهره على امر الافشين ومكاتبته وأمره بالعود الى جبله وحفظه وأمر الدرى بالمجىء اليه فأتاه فضم اليه العساكر ووجهه الى محاربة الحسن بن الحسين عم عبد الله بن طاهر وظن مازيار انه قد استوثق من الجبل بقوهيار وتوثق من المواضع المخوفة بدرى وعساكره واجتمعت العساكر عليه كما تقدم ذكره وقربت منه وكان مازيار فى مدينته فى نفر يسير فدعا قوهيار الحقد الذى فى قلبه على مازيار وما صنع به على ان كاتب الحسن بن الحسين وأعلمه جميع ما فى عسكره ومكاتبة الافشين فانفذ الحسن كتاب قوهيار الى عبد الله بن طاهر فانفذه عبد الله الى المعتصم وكاتب عبد الله والحسن قوهيار وضمنا له جميع ما يريد وان يعيد اليه جبله وما كان بيده لا ينازعه فيه أحد فرضى بذلك ووعدهم يوما يسلم فيه الجبل فلما جاء الميعاد تقدم الحسن فحارب درى وأرسل عبد الله بن طاهر جيشا كثيفا فوافوا قوهيار فسلم اليهم الجبل فدخلوه ودرى يحارب الحسن ومازيار فى قصره فلم يشعر مازيار الا والخيل على باب قصره فاخذوه اسيرا وقيل ان مازيار كان يتصيد فاخذوه وقصدوا به نحو درى وهو يقاتل فلم يشعر هو وأصحابه الا وعسكر عبد الله من ورائهم ومعهم مازيار فاندفع درى وعسكره واتبعوه وقتلوه وأخذوا رأسه وحملوه الى عبد الله بن طاهر وحملوا اليه مازيار فوعده عبد الله بن طاهر ان هو أظهره على كتب الافشين ان يسأل فيه المعتصم ليصفح عنه فاقر مازيار بذلك وأظهر الكتب عند عبد الله بن طاهر فسيرها الى اسحق بن ابراهيم وسير مازيار وأمره أن لا يسلمها الا من يده الى يد المعتصم ففعل اسحق ذلك فسأل المعتصم مازيارعن الكتب فانكرها فضربه حتى مات وصلبه الى جانب بابك وقيل ان محاقنة مازيار تمت سنة خمس وعشرين والاول أصح لان قتله كان فى سنة خمس وعشرين وقيل انه اعترف بالكتب على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عصيان منكجور قرابة الافشين ﴾

لما فرغ الافشين من بابك وعاد الى سامرا استعمل على اذربيجان وكان فى عمله منكجور وهو من أقارب فوجد فى بعض قرى بابك مالا عظيما ولم يعلم به المعتصم ولا الافشين فكتب صاحب البريد الى المعتصم وكتب منكجور يكذبه فتناظروا فهم منكجور ليقتله فمنعه أهل اردبيل

البيعة لاهل الجزيرة يعنى أهل الجزيرة فخلع أهل الكوفة ولاية أمية وامارة ابن زياد وأرادوا ان ينصبوا لهم أميرا الى ان ينظروا فى أمرهم فقال جماعة عمرو بن سعد بن أبى وقاص يصلح لها فلما هو وابتأميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من نساء كهلان والانصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين ويقلن أما رضى عمرو بن سعد بقتل الحسين حتى أراد ان يكون أميرا علينا على الكوفة فبكى الناس واعرضوا عن عمرو وكان المبرزون فى ذلك نساء همدان وقد كان على عليه السلام مائلا الى همدان مؤثرا لهم وهو القائل

ولو كنت بوابا على باب جنة
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال (عيبت همدان وعيبوا حميرا) ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشأم الا ناس كانوا بغوطة دمشق بقرية تعرف بعين برما ما فيها منهم قوم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ اليهم عبد الله بن مطيع العدوى على ما قدمنا ذكره فتولى أمرهم حتى

فقاتلهم منكجور وبلغ ذلك المعتصم فامر الافشين بعزل منكجور فوجه قائدا في عسكر ضخم فلما بلغ منكجور الخبر خلع الطاعة وجمع الصعاليك وخرج من اردبيل فواقعه القائد فهزمه وسار الى حصن من حصون اذربيجان التي كان بابك خربها فبناه وأصلحه وتحصن فيه فبقي به شهرا ثم وثب به أصحابه فاسلموه الى ذلك القائد فقدم به الى سامرا فحبسه المعتصم واتهم الافشين في أمره وكان قدومه سنة خمس وعشرين ومائتين وقيل ان ذلك القائد الذي أنفذ الى منكجور كان بغا الكبير وان منكجور خرج اليه بامان

﴿ ذكر ولاية عبد الله الموصل وقتله ﴾

في هذه السنة عصى بأعمال الموصل انسان من مقدمي الاكراد اسمه جعفر بن فهرجس وتبعه خلق كثير من الاكراد وغيرهم ممن يريد الفساد فاستعمل المعتصم عبد الله بن السيد بن أنس الازدي على الموصل وأمره بقتال جعفر فسار عبد الله الى الموصل وكان جعفر بعانعيس قد استولى عليها فتوجه عبد الله اليه وقاتله وأخرجه من ماتعيس فقصد جبل داسن وامتنع بموضع عال فيه لا يرام والطريق اليه ضيق فقصد عبد الله الى هناك وتوغل في تلك المضايق حتى وصل اليه وقاتله فاستظهر جعفر ومن معه من الاكراد على عبد الله لمعرفتهم بتلك المواضع وقوتهم على القتال بها رجالة فانهزم عبد الله وقتل أكثر من معه وممن ظهر منهم انسان اسمه رباح حمل على الاكراد فخرق صفهم وطعن فيهم وقتل وصار وراء ظهورهم وشغلهم عن أصحابه حتى نجا منهم من أمكنه النجاة فتكاثر الاكراد عليه فالقى نفسه من رأس الجبل على فرسه وكان تحته نهر فسقط الفرس في الماء وتحامل وكان فيمن أسره جعفر رجلان أحدهما اسمه اسمعيل والآخر اسحق ابن أنس وهو عم عبد الله بن السيد وكان اسحق صهر جعفر فقدمهما جعفر اليه فظن اسمعيل أن يقتله ولا يقتل اسحق للصهر الذي بينهما فقال يا اسحق أوصيك بأولادي فقال له اسحق أتظن انك تقتل وأبقى بعدك ثم التفت الى جعفر فقال أسألك ان تقتلني قبله لتطيب نفسه فبدأ به فقتله وقتل اسمعيل بعده فلما بلغ ذلك المعتصم أمر ايتاخ بالمسير الى جعفر وقتاله فتجهز وسار الى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل داسن وجعل طريقه على سوق الاحد فالتقاه جعفر فقاتله قتالا شديدا فقتل جعفر وتفرق أصحابه فانكشف شره وأداه عن الناس وقيل ان جعفرا شرب سما كان معه فمات وأوقع ايتاخ بالاكراد فاكثر القتل فيهم واستباح أموالهم وحشر الاسرى والنساء والاموال الى تكريت وقيل ان ايقاع ايتاخ بجعفر كان سنة ست وعشرين والله أعلم

﴿ ذكر غزاة المسلمين بالاندلس ﴾

وفي هذه السنة سير عبد الرحمن عبد الله المعروف بابن البلنسي الى بلاد العدو فوصلوا الى البه والقلاع فخرج المشركون اليه في جمعهم وكان بينهم حرب شديدة وقتال عظيم فانهزم المشركون وقتل منهم ما لا يحصى وجمعت الرؤوس أكداسا حتى كان الفارس لا يرى من يقابله وفيها خرج لذريق في عسكره وأراد الغارة على مدينة سالم من الاندلس فسار اليه فرتون بن موسى في عسكر جرار فلقيه وقاتله فانهزم لذريق وكثر القتل في عسكره وسار فرتون الى الحصن الذي كان بناه أهل البه بازاء ثغور المسلمين فحصره وافتتحه وهدمه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة تولى جعفر بن دينار اليمن وفيها تزوج الحسين بن الافشين اتراجة ابنة اشناس

وجه المختار في أثره وتظر مروان بن الحكم اطباق الناس على مبايعة ابن الزبير واجابتهم له فأراد أن يلحق به وينضاف الى جملته فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشام وقال له انك شيخ بني عبد مناف فلا تجعل فصار مروان الى الجابية من أرض الحولان بين دمشق والاردن واستمال الضحاك بن قيس الفهري الناس ورأسهم وانحاز عن مروان وأراد دمشق فسبقه اليها الاشدق عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار الضحاك الى حوران والبثنية وأظهر الدعوة لابن الزبير والتقى الاشدق ومروان فقال الاشدق لمروان هل لك فيما أقوله لك فهو خير لي ولك قال مروان وما هو قال ادعو الناس اليك وآخذها لك على أن تكون لي من بعدك فقال مروان لا بل مد خالد ابن يزيد بن معاوية فرضي الاشدق بذلك ودعا الناس الى بيعة مروان فأجابوا ومضى الاشدق الى حسان ابن مالك بالاردن فارغبه في بيعة مروان فخلع لها وبويع مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عبد الملك وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان

ودخل بها فى قصر المعتصم فى جمادى الآخرة واحضر عرسها عامة أهل سامرا وكانوا يغلفون العامة بالغالية وهى فى تغار من فضة وفيها المتنع محمد بن عبد الله الورثانى بورثان ثم عاود الطاعة وقدم على المعتصم بامان سنة خمس وعشرين ومائتين وفيها مات ناطس الرومى وصلب بسامرا وفيها مات ابراهيم بن المهدى فى رمضان وصلى عليه المعتصم وحج بالناس محمد بن داود وفيها وقع بافريقية فتنة كان فيها حرب بين عيسى بن ريمان الازدى وبين لواثة وزواغة ومكناسة فكانت الحرب بين قفصة وقسطيلية فقتلهم عيسى عن آخرهم وفيها اجتمع أهل سجلماسة مع مدرار بن اليسع على تقديم ميمون بن مدرار فى الامارة على سجلماسة واخراج أخيه المعروف بابن تقية فلما استقر الامر لميمون اخرج أباه وأمه الى بعض قرى سجلماسة وفيها فتح نوح بن أسد كاسان واورشت بعاوراء النهر وكانتا قد نقضتا الصلح وافتتح أيضا اسبيجاب وبنى حوله سورا يحيط بكروم أهله ومزارعهم وفيها مات أبو عبيد القاسم بن سلام الامام اللغوى وكان عمره سبعا وستين سنة كانت وفاته بمكة (سلام بتشديد اللام)

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين﴾

﴿(ذكر وصول مازيار الى سامرا)﴾

فى هذه السنة كان وصول مازيار الى سامرا خرج اسحق بن ابراهيم فأخذه من الدسكرة وأدخله سامرا على بغل بلا كاف لانه امتنع من ركوب الفيل فامر المعتصم ان يجمع بينه وبين الافشين وكان الافشين قد حبس قبل ذلك بيوم فاقر مازيار ان الافشين كان يكاتبه ويحسن له الخلاف والمعصية فامر برد الافشين الى محبسه وضرب مازيار أربعمائة وخمسين سوطا وطلب ماء للشرب فسقى فمات من ساعته وقيل ما تقدم ذكره وقد تقدم من اعتراف مازيار بكتب الافشين فى غير موضع مايخالف هذا وسببه اختلاف الناقلين

﴿(ذكر غضب المعتصم على الافشين وحبسه)﴾

وفى هذه السنة غضب المعتصم على الافشين وحبسه وكان سبب ذلك ان الافشين كان أيام محاربة بابك لا تأتيه هدية من أهل ارمينية وأذربيجان الا وجه بها الى أشروسنة فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر فيكتب عبد الله الى المعتصم يعرفه الخبر فكتب اليه المعتصم يأمره باعلامه بجميع مايوجه به الافشين ففعل عبد الله ذلك فكان الافشين كلما اجتمع عنده مال يجعله على أوساط أصحابه فى الهمايين ويسيره الى أشروسنة فانفذ مرة مالا كثيرا فبلغ أصحابه الى نيسابور فوجه عبد الله بن طاهر ففتشهم فوجد المال فى أوساطهم فقال من أين لكم هذا المال فقالوا للافشين فقال كذبتم لو أراد أخى الافشين أن يرسل مثل هذه الهدايا والاموال لكتب يعلمنى ذلك الامر بتسييره وانما أنتم لصوص وأخذ عبد الله المال فأعطاه الجند وكتب الى الافشين يذكر له ماقال القوم وقال أنا أنكران تكون وجهت بمثل هذا المال ولم تعلمنى وقد أعطيته الجند عوض المال الذى يوجه أمير المؤمنين فان كان المال لك كازعموا فاذا جاءه المال من عند أمير المؤمنين رددته عليك وان يكن غير هذا فأمير المؤمنين أحق بهذا المال وانما دفعته الى الجند لانى أريد أوجههم الى بلاد الترك فكتب اليه الافشين ان مالى ومال أمير المؤمنين واحد وسأله اطلاق القوم فاطلقهم فكان ذلك سبب الوحشة بينهما وجعل عبد الله يتتبعه وكان الافشين يسمع من المعتصم مايدل على انه يريد عزل عبد الله عن خراسان فطمع فى ولايتها فكاتب مازيار يحسن له الخلاف ظنا منه انه اذا خالف عزل المعتصم عبد الله عن خراسان

وذلك بالاردن وكان أول من بايعه أهلها وتمت بيعته وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرها على ماقيل بغير رضا من عصبة من الناس بل كل خوفه الاعداء يسيرا حملوه على وثوبه عليها وقد كان غيره ممن سلف أخذها بعدد وأعوان الا مروان فانه أخذها على ماوصفنا وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ولعمرو بن سعيد الاشدق بعد خالد وكان مروان يلقب بخيط باطل وفى ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم

لحا الله قوما أمر واخيط باطل
على الناس يعطى مايشاء و يمنع

واشترط حسان بن مالك وكان رئيس قحطان وسيدها بالشأم على مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية ابن يزيد منها ان يفرض لهم لالفى رجل ألفين ألفين وان مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى ان يكون لهم الامر والنهى وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأى منهم ومشورة فرضى مروان بذلك وانقاد اليه وقال له مالك بن هبيرة اليشكرى انه ليست لك

واستعمله عليها وأمره بمحاربة مازيار وكان من أمر مازيار ما تقدم وكان من عصيان منكجور ما ذكرناه أيضا فتحقق المعتصم أمر الافشين فتغير عليه وأحس الافشين بذلك فلم يدر ما يصنع فعزم على أن يهيئ اطوافا في قصره ويحتال في يوم شغل المعتصم وقواده ان يأخذ طريق الموصل ويعبر الزاب على تلك الاطواف ويصير الى ارمينية وكانت ولاية ارمينية اليه ثم يصير الى بلاد الخزر ثم يدور في بلاد الترك ويرجع الى اشروسنة أو يستميل الخزر على المسلمين فلم يمكنه ذلك فعزم على ان يعمل طعاما كثيرا ويدعو المعتصم والقواد ويعمل فيه سما فان لم يجئ المعتصم عمل ذلك بالقواد مثل اشناس وايتاخ وغيرهما يوم تشاغل المعتصم فاذا خرجوا من عنده سار في أول الليل فكان في تهيئة ذلك وكان قواده ينوبون في دار المعتصم كما يفعل القواد وكان أواجن الاشروسني قد جرى بينه وبين من قد اطلع على أمر الافشين حديث فقال أواجن لابتم هذا الامر فذهب ذلك الرجل الى الافشين فاعلمه فتهدد أواجن فسمعه بعض من يميل الى أواجن من خدم الافشين فاتاه ذلك الخادم فاعلمه الحال بعد عوده من النوبة فخاف على نفسه فخرج الى دار المعتصم فقال لايتاخ ان لامير المؤمنين عندي نصيحة قال قد نام أمير المؤمنين فقال أواجن لايمكنني أن أصبر الى غد فدق ايتاخ الباب على بعض من يخبر المعتصم بذلك فقال المعتصم قل له ينصرف الليلة الى غد فقال ان انصرفت ذهبت نفسي فارسل المعتصم الى ايتاخ بيته عندك الليلة فبيته عنده فلما أصبح الصباح بكر به على باب المعتصم فاخبره بجميع ما كان عنده فامر المعتصم باحضار الافشين فجاء في سواده فامر بأخذ سواده وحبسه في الجوسق وكتب المعتصم الى عبد الله ابن طاهر في الاحتيال على الحسين بن الافشين وكان الحسين قد كثرت كتبه الى عبد الله يشكو من نوح بن الاسد الامير عاوراء النهر وتحامله على ضياعه وناحيته وكتب عبد الله الى نوح يعلمه ما كتب به المعتصم في أمر الحسين ويأمره أن يجمع أصحابه ويتأهب فاذا قدم عليه الحسين بكتاب ولايته اخذه واستوثق منه وحمله اليه وكتب عبد الله الى الحسين يعلمه انه قد عزل نوحا وانه قد ولاه ناحيته ووجه اليه بكتاب عزل نوح وولايته فخرج ابن الافشين في قلة من أصحابه وسلاحه حتى ورد على نوح وهو يظن أنه والى الناحية فاخذه نوح وقيده ووجهه الى عبد الله بن طاهر فوجه به عبد الله الى المعتصم فامر المعتصم باحضار الافشين ليقابل على ما قيل عنه فاحضر عند محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم وعنده ابن أبي دواد واسحق بن ابراهيم وغيرهما من الاعيان وكان المناظر له ابن الزيات فامر باحضار مازيار والموبذ والمرزبان بن بركش وهو أحد ملوك السغد ورجلين من أهل السغد فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين وعليهما ثياب رثة فقال لهما ماشأنكما فكشفا عن ظهورهما وهي عارية من اللحم فقال للافشين أتعرف هؤلاء قال نعم هذا مؤذن وهذا امام بفيادسجد باشروسنة فضربت كل واحد منهما ألف سوط وذلك ان بيني وبين ملك السغد عهدا وشرطا أن أترك كل قوم على دينهم فوثب هذان على بيت كان فيه أصنام أهل اشروسنة فاخرجا الاصنام وجعلاه مسجدا فضربتهما على هذا قال ابن الزيات ما كتاب عندك قد حليته بالذهب والجوهر فيه الكفر بالله تعالى قال كتاب ورثته عن أبي فيه من آداب المجم وكفر فكنت آخذ الآداب وأترك الكفر ووجدته محلى فلم أحتج الى أخذ الحلية منه وما ظننت ان هذا يخرج من الاسلام ثم تقدم الموبذ فقال ان هذا يأكل لحم المخنوقة ويحملني على أكلها ويزعم انها أرطب من المذبوحة وقال لي يوما قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شئ أكرهه حتى أكلت الزيت وركبت الجمل والبغل غير أني الى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة يعني لم آخذ شعر العانة

ولم

في أعناقنا بيعة وليس
نقاتل عن عرض دنيا فان
تكن لنا على ما كان لنا
معاوية ويزيد نصرناك وان
تكن الاخرى فوالله ما
قريش عندنا الا سواء فأجابه
مروان الى ما سأل وسار
مروان نحو الضحاك بن
قيس الفهري وفد انحازت
قيس وسائر مضر وغيرهم
من نزار الى الضحاك ومعه
أناس من فضاعة عليهم
وائل بن عمرو العدوي
وكانت معه راية عقدها
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابيه وأظهر الضحاك
ومن معه خلافة ابن الزبير
والتقى مروان والضحاك
ومن معه ما بمرج راهط
على أميال من دمشق
فكانت بينهم الحروب
سجالا وكثرت اليمانية عليهم
وبواديهم مع مروان فقتل
الضحاك بن قيس رئيس
جيش ابن الزبير قتله رجل
من تيم اللات وقتل معه
نزار وأكثرهم من قيس
مقتلة عظيمة لم ير مثلها قط
وفي ذلك يقول مروان بن
الحكم

لما رأيت الناس صاروا حزبا
والمال لا يؤخذ الا غصبا
دعوت غسانا لهم وكلبا
والسكسكين رجالا غلبا
والقين تمشي في الحديد نكبا
والاعوجيات يشبن وثبا
يحملن سروات ودينا صلبا

ولم اختتن فقال الافشين أخبروني عن هذا أثقة هو في دينه وكان مجوسيا وانما أسلم أيام المتوكل فقالوا لا فقال فما معنى قبول شهادته ثم قال للموبذ أليس كنت أدخلك على وأطلعك على سري قال بلى قال لست بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك اذا أفشيت سرا أسررته اليك ثم تقدم المرزبان فقال كيف يكتب اليك أهل بلدك قال لا أقول قال أليس يكتبون بكذا بالاشر وسنية قال بلى قال أليس تفسيره بالعربية الى الله الا آلهة من عبده فلان بن فلان قال بلى قال محمد بن عبد الملك الزيات المسلمون لا يحتملون هذا فما أبقيت لفرعون قال هذه كانت عادتهم لابي وجدي ولي قبل ان ادخل في الاسلام فكرهت ان اضع نفسي دونهم فتفسد على طاعتهم ثم تقدم مازيار فقالوا للافشين هل كاتبت هذا قال لا قالوا لمازيار هل كتب اليك قال نعم كتب اخوه الى أخي قوهيار انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيري وغيرك فاما بابك فانه لحقه فقتل نفسه ولقد جهدت أن اصرف عنه الموت فابى لحقه الا ان أوقعه فان خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري ومعي الفرسان وأهل النجدة فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثة العرب والمغاربة والاتراك والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه والمغاربة أكلة راس والاتراك انما هي ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تجزل الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين الى مالم يزل عليه أيام العجم فقال الافشين هذا يدعي ان أخي كتب الى أخيه لا يجب علي ولو كتبت هذا الكتاب اليه لاستمالني الي ويثق بي ثم آخذه بقفاه واحظى به عند الخليفة كما حظي عبد الله بن طاهر فزجره ابن أبي دواد فقال الافشين يا أبا عبد الله أنت ترفع طيلسانك فلا نضعه حتى تقتل جماعة فقال له ابن أبي دواد اصطهر أنت قال لا قال فما منعك من ذلك وبه تمام الاسلام والطهور من النجاسة فقال أوليس في الاسلام استعمال التقية قال بلى قال حدثت ان أقطع ذلك العضو من جسدي فاموت فقال أنت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك ان يكون ذلك في الحرب وتجزع من قطع قلفة قال تلك ضرورة تصيبني فاصبر عليها وهذا شيء أستحييه فقال ابن ابي دواد قد بان لكم أمره فقال لبغا الكبير عليك به فضرب بيده على منطقته فجذبها وأخذ بمجامع القباء عند عنقه وردّه الى محبسه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غضب المعتصم على جعفر بن دينار لاجل وثوبه على من كان معه من الاصحاب وحبسه عند أشناس خمسة عشر يوما ثم رضي عنه وعزله عن اليمن واستعمل عليها ايتاخ وفيها عزل الافشين عن الحرس وولاه اسحق بن يحيى بن معاذ وفيها سار عبد الرحمن صاحب الاندلس في جيش كثير الى بلاد المشركين في شعبان فدخل بلاد جليقية فافتتح منها عدة حصون وجال في أرضهم يخرب ويغنم ويقتل ويسبي وأطال المقام في هذه الغزاة ثم عاد الى قرطبة وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود وفيها توفي أبو دلف العجلي واسمه القاسم بن عيسى وأبو عمرو الجرمي النحوي واسمه صالح بن اسحق وكان من الصالحين وفيها توفي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني وله ثلاث وتسعون سنة وله كتب في المغازي وأيام العرب وكان بصريا فاقام بالمدائن فنسب اليها

﴿ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين﴾

فيها وثب علي بن اسحق بن يحيى بن معاذ وكان على المعونة بدمشق من قبل صول على ارتكين بن رجاء وكان على الخراج فقتله وأظهر الوسواس ثم تكلم فيه أحمد بن أبي دواد فاطلق من محبسه وفيها مات محمد بن عبد الله بن طاهر فصلى عليه المعتصم

وفي ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم

أرى أحاديث أهل المجد قد بلغت
أهل الفرات وأهل الفيض والنيل

وكان زفر بن الحرث العامري ثم الكلابي مع الضحاك فلما أمعن السيف في قومه ولى ومعه رجلان من بني سليم فتقنص فرساهما وغشيتهما اليعانية من خيل مروان فقالا له انج بنفسك فانا مقتولان فولى راكضا ولحق الرجلان فقتلا وفي هذا اليوم يقول زفر بن الحرث الكلابي من أبيات كثيرة

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط
لمروان صدعا بينا متنائيا
فقد يثبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أريني سلاحي لا أبا لك انني
أرى الحرب لا يزداد الا تماديا
اذهب كاب لم تنلها رماحنا
وتترك قتلى راهط هي ماهيا
فلم يرني نبوة بعد هذه
فراري وتركي صاحبي ورائيا
عشية اغدو في الفريقين لا أرى
من القوم الا من علي ولا ليا
أيذهب يوم واحد أن أسأنه
بصالح أيامي وحسن بلائيا

﴿ذكر موت الافشين﴾

وفيها مات الافشين وكان قد أنفذ الى المعتصم يطلب ان ينفذ اليه من يثق به وانفذ اليه حمدون ابن اسمعيل فاخذ يعتذر عما قيل فيه وقال قل لامير المؤمنين انما مثلي ومثلك كرجل ربى عجلا حتى اسمنه وكبر وكان له أصحاب يشتهون ان يأكلوا من لحمه فعرضوا بذبحه فلم يجبهم فاتفقوا جميعا على أن قالوا لم تربى هذا الاسد فانه اذا كبر رجع الى جنسه فقال لهم انما هو عجل فقالوا هذا أسد فسل من شئت وتقدموا الى جميع من يعرفونه وقالوا لهم ان سألكم عن العجل فقولوا له انه أسد وكلما سأل انسانا قال هو سبع فامر بالعجل فذبح وانى انا ذلك العجل كيف أقدر ان أكون أسد الله الله في أمري قال حمدون فقمت عنه وبين يديه طبق فيه فاكهة قد أرسل به المعتصم مع ابنه الواثق وهو على حاله فلم ألبث الا قليلا حتى قيل انه يموت أو قد مات فحمل الى داره فمات بها وأخرجوه وصلبوه على باب العامة ليراه الناس ثم ألقي وأحرق بالنار وكان موته في شعبان قال حمدون وسألته هل هو مطهر أم لا فقال الى مثل هذا الموضع انما قال لي هذا والناس مجتمعون ليضحكني ان قلت نعم قال تكشف والموت كان أحب الي من ان أتكشف بين يدي الناس ولكن ان شئت أتكشف بين يديك حتى ترى فقلت له أنت صادق فلما انصرف حمدون وبلغ المعتصم وسالته أمر بقطع الطعام والشراب عنه الا القليل حتى مات قال ولما أخذ ماله رأى في داره بيت تمثال انسان من خشب عليه حلية كثيرة وجوهر وفي أذنيه حجران مشتبكان عليهما ذهب فاخذ بعض من كان مع سليمان أحد الحجرين وظنه جوهرا وكان ذلك ليلا فلما أصبح نزع عنه الذهب ووجده شيأ شبيها بالصدف يسمى الحبرون ووجدوا أصناما وغير ذلك والاطواف الخشب التي كان أعدها ووجدوا له كتابا من كتب المجوس وكتبا غيره فيها ديانته

﴿ذكر وفاة الاغلب وولاية أبي العباس محمد بن الاغلب افريقية وما كان منه﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الاغلب بن ابراهيم يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة وكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر وسبعة أيام ولما توفي ولي أبو العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب بلاد افريقية بعد وفاة والده ودانت له افريقية وابتنى مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية في سنة تسع وثلاثين ومائتين فاحرقها افلح بن عبد الوهاب الاباضي وكتب الى الاموي صاحب الاندلس يعلمه ذلك فبعث اليه الاموي مائة ألف درهم جزاء له على فعله وتوفي محمد بن الاغلب يوم الاثنين غرة المحرم من سنة اثنتين وأربعين ومائتين وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام

﴿ذكر ولاية ابنه أبي ابراهيم أحمد﴾

لما توفي أبو العباس محمد بن الاغلب ولي الامر بعده ابنه أبو ابراهيم أحمد وأحسن السيرة مع الرعية وأكثر العطاء للجند وبنى بارض افريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد واشترى العبيد ولم يكن في أيامه ثائر يزعجه ثم توفي رحمه الله يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وأربعين ومائتين وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر واثنى عشر يوما وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة

﴿ذكر ولاية أخيه أبي محمد زيادة الله﴾

ولما توفي أحمد ولي أخوه زيادة الله وجرى على سنن سلفه ولم تطل أيامه فتوفي يوم السبت لاحدى عشرة بقيت من ذي القعدة سنة خمسين ومائتين وكانت ولايته سنة واحدة وستة أيام

﴿ذكر

أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا
ومقتل هما م أمني الامانيا
وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة من أجنادهم بارض الشأم وكان النعمان بن بشير والياعلى حمص قد خطب لابن الزبير مماثلا للضحاك فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا فسار ليلته جماء مقتحيرا لا يدري أين يأخذ فأتبعه خالد بن عدي الكلاعي فيمن خف معه من أهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه الى مروان وانتهى زفر بن الحارث الكلابي في هربه الى قرقيسيا فغلب عليها واستقام الشأم لمروان وبث فيه رجاله وعماله وسار مروان في جنوده من الشأم الى أهل مصر لحاصرها وخندق عليها خندق مما يلي المقبرة وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشدين كريب ابن ابرهة بن الصباح وكان بينهم وبين مروان قتال يسير وتوافقوا على الصلح وقتل مروان اكدر بن الحمام صبرا وكان فارس مصر فقال أبو رشدين لمروان ان شئت والله أعدناها جذعة يعني يوم

﴿ ذكر ولاية محمد بن أحمد بن الاغلب ﴾

ولما توفى زيادة الله ولى بعده أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الاغلب وجرى على سنن أسلافه وكان أديبا عاقلا حسن السيرة غير ان جزيرة صقلية تغلب الروم على مواضع منها وبنى ايضا حصونا ومحارس على ساحل البحر وبالمغرب أرض تعرف بالارض الكبيرة بينها وبين برقة مسيرة خمسة عشر يوما وبها مدينة على ساحل البحر تدعى بارة وكان أهلها نصارى ليسوا بروم فغزاها حياة مولى الاغلب فلم يقدر عليها ثم غزاها خلفون البربرى ويقال انه مولى لربيعة ففتحها فى خلافة المتوكل وقام بعده رجل يسمى المفرج بن سالم ففتح أربعا وعشرين حصنا واستولى عليها فكتب الى والى مصر يعلمه خبره وانه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة الا بأن يعقد له الامام على ناحيته ويوليه اياها ليخرج من حد المتغلبين وبنى مسجدا جامعا ثم ان أصحابه شغبوا عليه ثم قتلوه ثم توفى أبو عبد الله محمد رحمه الله سنة احدى وستين ومائتين واذا ذكرنا ولاية هؤلاء متتابعة لقلة مال كل واحد منهم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة زلزلت الاهواز زلزلة شديدة خمسة أيام وكان مع الزلزلة ريح شديدة فخرج الناس عن منازلهم وخرب كثير منها وفيها ج بالناس محمد بن داود أمره اشناس بذلك وكان اشناس حاجا وقد جعل اليه ولاية كل بلد يدخله وخطب له على منابر مكة والمدينة وغيرهما من البلاد التى اجتاز بها بالامرة الى أن عاد الى سامرا وفيها توفى أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن العلاف البصرى شيخ المعتزلة فى زمانه وزاد عمره على مائة سنة وله مسائل فى الاصول قبيحة تفرد بها ويحيى ابن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمى الحنظلى النيسابورى أبو زكريا توفى فى صفر بنيسابور وسليمان بن حرب الواشحى القاضى وأبو الهيثم الرازى النحوى وكان عالما بنحو الكوفيين

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين ﴾

﴿ ذكر خروج المبرقع ﴾

فى هذه السنة خرج أبو حرب المبرقع اليمانى بفلسطين وخالف على المعتصم وكان سبب خروجه ان بعض الجند أراد النزول فى داره وهو غائب فمنعه بعض نسائه فضربها الجندى بسوط فأصاب ذراعها فأثر فيها فلما رجع الى منزله شكت اليه ما فعل بها الجندى فأخذ سيفه وسار نحوه فقتله ثم هرب وألبس وجهه برقعا وقصد بعض جبال الاردن فاقام به وكان يظهر بالنهار متبرقعا فاذا جاءه أحد ذكره وأمره بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويذكر الخليفة وما يأتى ويعيبه فاستجاب له قوم من فلاحى تلك الناحية وكان يزعم أنه أموى فقال أصحابه هذا السفيانى فلما كثر اتباعه من هذه الصفة دعا أهل البيوتات فاستجاب له جماعة من رؤساء اليمانية منهم رجل يقال له ابن بيهس كان مطاعا فى أهل اليمن ورجلان من أهل دمشق واتصل الخبر بالمعتصم فى مرضه الذى مات فيه فسير اليه رجاء بن أيوب الحضارى فى زهاء ألف رجل من الجند فرآه فى عالم كثير يبلغون مائة ألف فكره رجاء مواقعته وعسكر فى مقابلته حتى كان أوان الزراعة وعمل الارض فانصرف من كان مع المبرقع الى عملهم وبقى فى زهاء ألف أو ألفين وتوفى المعتصم وولى الواثق وثارت الفتنة بدمشق على ما نذكره فامر الواثق رجاء بقتال من أراد الفتنة والعود الى المبرقع ففعل ذلك وعاد الى المبرقع فناجزه رجاء فالتقى العسكران فقال رجاء لاصحابه ما أرى فى عسكره رجلا له شجاعة غيره وانه سيظهر لاصحابه ما عنده فاذا حمل عليكم فافرجوا له فغالبت ان حمل المبرقع ففرج له أصحاب رجاء

الدار بالمدينة فقال مروان ما أشاء من ذلك شيئا وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز وقدم مروان الشام فنزل الصبرة على ميلين من طبرية من بلاد الاردن فاحضر حسان ابن مالك وأرغبه وأرهبه فقام حسان فى الناس خطيبا ودعاهم الى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز ابن مروان بعد عبد الملك فلم يخالفه فى ذلك أحد وهلك مروان بدمشق فى هذه السنة وهى سنة خمس وستين وقد تنازع أهل التواريخ وأصحاب السير ومن عنى بأخبارهم فى سبب وفاته فمنهم من رأى أنه مات مطعونا ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أن فاختة بنت أبى هاشم

حتى جاوزهم ثم رجع فافرجوا له حتى أتى أصحابه ثم حمل مرة أخرى فلما أراد الرجوع أحاطوا به وأخذوه أسيرا وقيل كان خروجه سنة ست وعشرين ومائتين وانه خرج بنواحي الرملة وصار في خمسين ألفا فوجه اليه المعتصم رجاء الحضاري فقاتله وأخذ ابن بيهس أسيرا وقتل من أصحاب المبرقع نحوا من عشرين ألفا وأسر المبرقع وحمله الى سامرا

﴿ذكر وفاة المعتصم﴾

وفي هذه السنة توفي المعتصم ابو اسحق محمد بن هرون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يوم الخميس لثمان عشرة مضت من ربيع الاول وكان بدو علته انه احتجم أول يوم في المحرم واعتل عندها قال زنام الزامر أفاق المعتصم في علته التي مات فيها فركب في الزلال في دجلة وأنا معه فمر بازاء منازله فقال يا زنام ازمر لي

يا منزلا لم تبل اطلاله * حاشى لاطلالك ان تبلى
لم أبك أطلالك لكنني * بكيت عيشي فيك اذ ولى
والعيش أولى ما بكاه الفتى * لابد للمحزون أن يسلى

قال فما زالت ازمر له هذا الصوت وأكرره وقد تناول منديلا بين يديه فما زال يبكي فيه وينتحب حتى رجع الى منزله ولما احتضر المعتصم جعل يقول ذهبت الحيل ليست حيلة حتى أصمت ثم مات ودفن بسامرا وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين وكان مولده سنة تسع وسبعين ومائة وقيل سنة ثمانين ومائة في الشهر الثامن وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وملك ثمان سنين وثمانية أشهر فعلى القول الاول يكون عمره سبعا وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما وعلى القول الثاني يكون عمره سبعا وأربعين سنة وسبعة أشهر وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعا مشرب اللون حمرة حسن العينين وكان مولده بالخلد فارو قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه

قد قلت اذ غيبوك واصطفقت * عليك أيد بالترب والطين
اذهب فنعم الحفيظ كنت على الدنيا ونعم المعين للدين
* لا يجبر الله أمة فقدت * مثلك الا بمثل هرون

وكانت أمه ماردة من مولدات الكوفة وكانت أمها صغدية وكان أبوها نشأ بالبندنيجين

﴿ذكر بعض سيرته﴾

ذكر عن أحمد بن أبي دواد انه ذكر المعتصم فاسهب في ذكره وأكثر في وصفه وذكر من طيب اعراقه وسعة أخلاقه وكريم عشرته قال وقال يوما ونحن بعمورية ما تقول في البسر يا أبا عبد الله فقلت يا أمير المؤمنين نحن ببلاد الروم والبسر بالعراق فقال قد جاؤا منه بشيء من بغداد وعلمت انك تشتهيه ثم أحضره فمديده فاخذ العذق فارغا قال وكنت أزامله كثيرا في سفره ذلك ذكر باقي الخبر قال وأخذت لاهل الشاش منه ألفي ألف درهم لعمل نهر كان لهم اندفن في صدر الاسلام فاضر بهم وقال غيره انه كان لا يبالي اذا غضب من قتل وما فعل ولم يكن له لذة في تزيين البناء ولم يكن بالنفقة أسمح منه بها في الحرب قال أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قدم الزبير بن بكار العراق هاربا من العلويين لانه كان ينال منهم فتهددوه فهرب منهم وقدم على عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير وشكا اليه حاله وخوفه من العلويين وسأله انهاء حاله الى المعتصم فلم يجد عنده ما أراد وأنكر عليه حاله ولامه قال أحمد فشكا ذلك الى وسألني مخاطبة عمه في أمره فقلت له في ذلك وأنكرت عليه

ابن عتبة أم خالد بن يزيد بن معاوية هي التي قتلته وذلك ان مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد ابن يزيد بعده وعمرو بن سعيد بن خالد ثم بداله غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز بن عبد الملك ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له فغضب من ذلك وقال أتكلمني يا ابن الرطبة وكان مروان قد تزوج بأمه فاختته ليذله بذلك ويضع منه فدخل خالد على أمه فقبح لها تزوجها مروان وشكا اليها ما نزل به منه فقالت لا يعيبك بعدها فمنهم من رأى انها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ومنهم من رأى انها أعدت له لبنا مسموما فلما دخل عليها ناولته اياه فشرب فلما استقر في جوفه

أعراضه عنه فقال لى ان الزبير فيه جهل وتسرع فاشر عليه ان يستعطف العلويين ويزيل ما فى نفوسهم منه اما رأيت المأمون ورفقه بهم وعفوه عنهم وميله اليهم قلت بلى فهذا أمير المؤمنين والله على مثل ذلك أو فوقه ولا أقدر أذكرهم عنده بقبيح فقل له ذلك حتى يرجع عن الذى هو عليه من ذمهم قال اسحق بن ابراهيم المصعبى دعانى المعتصم يوما فدخلت عليه فقال أحببت ان اضرب معك بالصولجة فلعبنا بها ساعة ثم نزل وأخذ بيدى وغشى الى ان صار الى حجرة الحمام فقال خذ ثيابى فاخذتها ثم أمرنى بنزع ثيابى ففعلت ودخلت وليس معنا غلام فقمت اليه فخدمته ولكنه وتولى المعتصم منى مثل ذلك فاستعفيته فابى على ثم خرجنا ومشى وأنا معه حتى صار الى مجلسه فنام وأمرنى فمت حذاءه بعد الامتناع ثم قال لى يا اسحق ان فى قلبى أمرا أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة وانما بسطتك فى هذا الوقت لافشيه اليك فقلت قل يا أمير المؤمنين فانما أنا عبدك وابن عبدك قال نظرت الى أخى المأمون وقد اصطنع أربعة فأفلحوا واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم قلت ومن الذين اصطنعهم المأمون قال طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت وابنه عبد الله بن طاهر فهو الرجل الذى لم ير مثله وأنت فانت والله الرجل الذى لا يتعاصى السلطان عنك أبدا وأخوك محمد بن ابراهيم وأين مثل محمد وانا اصطنعت الافشين فقد رأيت الى ما صار أمره واشناس فشل وايتاخ فلا شئ ووصيف فلا معنى فيه فقلت أجيب على امان من غضبك قال نعم قلت له يا أمير المؤمنين نظرأخوك الى الاصول فاستعملها فأنجبت واستعمل أمير المؤمنين فروعا فلم تنجب اذ لا أصول لها فقال يا اسحق لقاساة ما مر بى طول هذه المدة أيسر على من هذا الجواب وقال ابن أبى داود تصدق المعتصم ووهب على يدى مائة ألف ألف درهم وحكى ان المعتصم قد انقطع عن أصحابه فى يوم مطر فبينا هو يسير رحله اذ رأى شيخا معه حمار عليه حمل شوك وقد زلق الحمار وسقط والشيخ قائم ينتظر من يمر به فيعينه على حمله فسأله المعتصم عن حاله فاخبره فنزل عن دابته ليخلص الحمار عن الوحل ويرفع عليه حمله فقال له الشيخ بابى أنت وأمى لا تبلل ثيابك وطيبك فقال لا عليك ثم انه خلص الحمار وجعل الشوك عليه وغسل يده ثم ركب فقال الشيخ غفر الله لك يا شاب ثم لحقه أصحابه فامر له باربعة آلاف درهم ووكل به من يسير معه الى بيته

﴿ ذكر خلافة الواثق بالله ﴾

وفيها بويع الواثق بالله هرون بن المعتصم فى اليوم الذى توفى فيه أبوه وذلك يوم الخميس لثمانى عشرة مضت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وكان يكنى أبا جعفر وأمه أم ولد رومية تسمى قراطيس وفيها هلك توفيل ملك الروم وكان ملكه اثنتى عشرة سنة وملكت بعده امرأته تدورة وابنها ميخائيل بن توفيل صبى وحج بالناس جعفر بن المعتصم وحجت معه أم الواثق فماتت بالحيرة فى ذى الحجة ودفنت بالكوفة

﴿ ذكر الفتنة بدمشق ﴾

لما مات المعتصم ثارت القيسية بدمشق وعاثوا وافسدوا وحضروا أميرهم فبعث الواثق اليهم رجاء بن أيوب الحضارى وكانوا معسكرين بمرج راهط فنزل رجاء بدير مران ودعاهم الى الطاعة فلم يرجعوا فواعدهم الحرب بدومة يوم الاثنين فلما كان يوم الاحد وقد تفرقت سار رجاء اليهم فوافاهم وقد سار بعضهم الى دومة وبعضهم فى حوائجه فقاتلهم فهزمهم وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة وقتل من أصحابه نحو ثمانمائة وهرب مقدمهم ابن بيهس وصلح أمر دمشق وسار رجاء الى فلسطين الى قتال أبى حرب المبرقع الخارج بها فقاتله فانهزم المبرقع وأخذ أسيرا على ما ذكرناه

وقع يجود بنفسه وامسك لسانه فحضره عبد الملك وغيره من ولده فجعل مروان يشير الى أم خالد يخبرهم انها قتلته وأم خالد تقول بأبى أنت حتى عند النزع لم تشتغل عنى انه يوصيكم بى حتى هلك فكانت ايامه تسعة أشهر وأياما قلائل وقيل ثمانية أشهر وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا للمدة التى هلكت فيها بنو أمية من الاعوام فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد ذكر غير ذلك فى سنه وكان قصيرا أحمر ومولده لسنتين خلتا من الهجرة وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر وقد ذكر ابن

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها توفي بشر بن الحرث الزاهد المعروف بالحافي في ربيع الاول وعبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي المعروف بابن عائشة البصري وانما قيل له ابن عائشة لانه من ولد عائشة بنت طلحة وتوفي أبوه عبيد الله بعده لسنة واسمعيل بن أبي أويس ومولده سنة تسع وثلاثين ومائة وأحمد بن عبد الله بن يونس وأبو الوليد الطيالسي والهيثم بن خارجة وفيها سير عبد الرحمن صاحب الاندلس جيشا الى أرض العدو فلما كانوا بين اربونة وشرطانية تجمعت الروم عليهم وأحاطوا بالعسكر وقاتلوهم الليل كله فلما أصبحوا أنزل الله تعالى نصره على المسلمين وهزم عدوهم وأبلى موسى بن موسى في هذه الغزوة بلاء عظيما وكان على مقدمة العسكر وجرى بينه وبين جرير بن موفق وهو من أكابر الدولة أيضا شر فكان سببا لخروج موسى عن طاعة عبد الرحمن وفيها توفي اذفونش ملك الروم بالاندلس وكانت امارته اثنتين وستين سنة وفيها توفي محمد بن عبد الله بن حسان اليحصبي الفقيه المالكي وهو من أهل افريقية (شرطانية بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفتح الطاء المهملة وبعدها نون ثم ياء تحتانية ثم هاء)

﴿تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع أوله ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين﴾

أبي خيثمة في كتابه في التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي ومروان له ثمان سنين وكان لمروان عشرون أخا وثماني أخوات وله من الولد أحد عشر ذكرا وثلاث بنات وهم عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وأبان وداود وعمرو وأم عمرو وعبد الرحمن وأم عثمان وعمرو وأم عمرو وبشر ومحمد ومعاوية وقد ذكرنا هؤلاء ومن أعقب منهم ومن لم يعقب وقد كان يزيد بن معاوية خلف من الولد أكثر مما خلف مروان وذلك أنه خلف معاوية وخالدا وعبد الله الاكبر وأبا سفيان وعبد الله الاصغر وعمرا وعاتكة وعبد الرحمن وعبد الله الذي لقبه الاصغر وعثمان وعتبة الاعور وأبا بكر ومحمدا ويزيد وأم يزيد وأم عبد الرحمن ورملة وصفية